



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٤٠٦

١٤٢٠

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات العليا  
فرع الأدب

عماد الدين خليل

حياته ورؤاه النقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

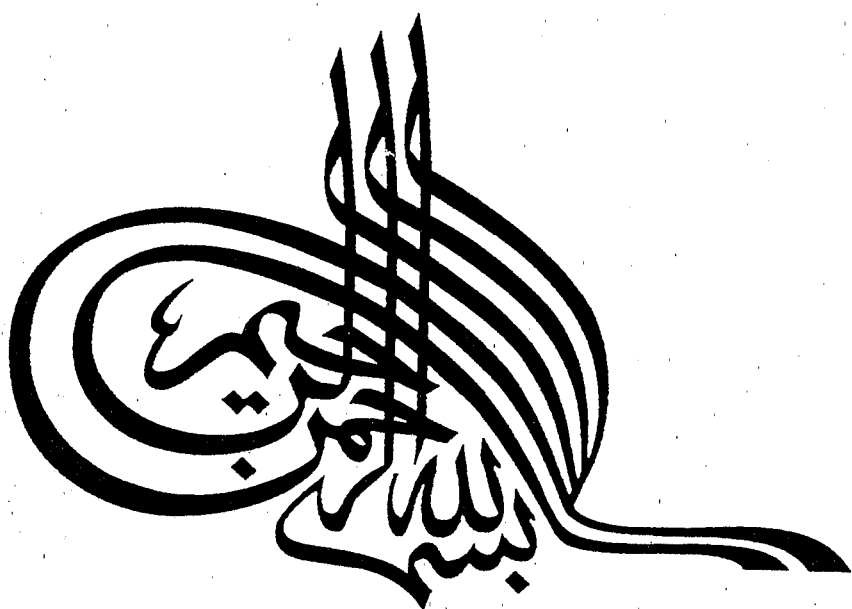
إعداد الطالب

عبد الحكيم بن راشد بن إبراهيم الشبرمي

إشراف

سعادة الدكتور/عبد الله بن إبراهيم الزهراني

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م



## (( ملخص الرسالة ))

**العنوان :** ( عماد الدين خليل : حياته ورؤاه النقدية ) .

تتناول هذه الأطروحة دراسة شخصية نقدية إسلامية متميزة بطرحها الخاص ، وفق تصوّر فكريّ مستقيم ، وبأسلوبها المتأنق المتفنّن .. رائق الديباجة ، أنيق الوشي ، حسن التعبير .  
ومما كشفتته هذه الدراسة تجلية صورة هذا الأديب الناقد ، وبيان أثره وتأثيره ضمن دائرة ( الأدب الإسلامي ) خلال مسيرته الحياتية ؛ حيث لم يكشف للناس منها إلا جزء يسير ، وعبر مستويات الطرح والتأصيل لهذه الدائرة .

وهذا كله يحتاج إلى جهد ووقت في التصفح والتأمل ، والتنقير والتدبر ، وطول الأناة وما يتذرّع له المرء بذرائعه .

وقد نسقت هذه الدراسة في باين مسبقين بمقدمة ومهيد ، ومردفين بخاتمة . أثبتت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع للدراسة ، ومنها الكشف المشار إليه عن هذه الشخصية ، وبيان فاعليتها في الطرح ، وعرض بعض المواقف تجاه قضايا نقدية عديدة حول قيمة المصطلح ومسائل إجراءاته ، وتصوير موقف الأستاذ الدكتور ( عماد الدين خليل ) منها ، كما بينت منهج الدراسة والصعوبات المواجهة .

أما الباب الأول فقد حفل بدراسة الشخصية عبر مؤثراتها ومعالمها من الإنصاف والحركة والنظرة الجماعية والبعد عن المهاترات ، وبعد النظر ، والنظرة الخاصة للحياة والموازنة .

ثم أردفت ذلك بنظرات بعض الشخصيات المعاصرة حول ( عماد الدين ) وعطاءاته . وفي الباب الثاني الرؤى النقدية بين النظرية والتطبيق تناولت في الفصل الأول جانب النظرية والتنظير حول أربع قضايا : ( الأدب الإسلامي : المصطلح والواقع ، الالتزام وموقف الأديب ، التحديث والحدّانة ، المذاهب الأدبية ) .

أما الفصل الثاني فكان في تطبيق هذه الرؤى خلال نماذج مختارة لدراسات ( عماد الدين ) لنصوص إبداعية في الرواية والمسرح والشعر والقصة ، من نتاج غيره من المبدعين ، وتناولتها أطروحته بالتقويم والدرس .  
ثم كانت خاتمة البحث ونتائجه مردفة بقائمة المصادر والمراجع والصحف والمجلات السيارة ، ثم فهرس الموضوعات .

وبالجملة فإن هذه الدراسة قد أبرزت المكانة الرائدة لهذه الشخصية ، وأثرها في الدراسات النقدية الإسلامية المعاصرة التي شاعت وذاعت ، وفشت وتفتشت بعد أن خاض فيها الدارسون ، فأصبحت أسير في الآفاق من مثل ، وما يوم حليلة بسر ، ونسأل الله التوفيق والسداد فيما نرجي ونرتجي .

عميد الكلية

المشرف

الباحث

أ . د محمد صالح جمال بدوي

د . عبد الله بن إبراهيم الزهراني

عبد الحكيم بن راشد الشيرمي

## إهداء

إلى نعم الجليس .. ونعم الأنيس ساعات الوحدة ..  
إلى الذي لم ينطق إلا بما أهوى وأعتقد ..  
إلى الرفيق الأطوع .. الذي لا يُقْلِي ..  
واللّسان الناطق الذي بالحقّ يفري ..  
إليه - وقد أريته السُّهَى وأراني القمر - ..  
إلى .. (قلم الرصاص) الذي عشت معه وعاش معي  
خلال مسيرتي هذه ..



## المقدمة

الحمد لله ، جلّ ربنا .. وعزّ ملكاً .. وتعالى إلها ..  
والصلاة والسلام على سيّدنا محمد ، صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود  
والخوض المورود .. وعلى آله وصحبه ، ومن سار على سنّهم إلى يوم الدين ، أما  
بعد :

فإن سبر أغوار الشخصيات الأدبية أمرٌ ذو بال ؛ حيث تستنطق ذواتهم وتُجلى  
إنجازاتهم ، ويقتدى بفعالهم .

ينظر الدارس إلى رؤاهم .. نقداً لعمل ، أو بياناً وكشفاً لحقيقة تستكنّ في  
آخر ، أو فكراً يؤصّل مبدأ ، ويبيّن توجهها .

وإذا كانت الشخصية المتناولة ، ذات تميّز في جوانب عديدة ؛ فإن هذا يثري  
دائرة التناول ويفيد من الدارسين عدداً أكبر ، ويكون إضافة منتظرة في حقول  
معرفية كثيرة .

الأدب .. النقد .. الفكر .. التاريخ .. الإصلاح الاجتماعي .. حقول  
ودوائر برّز فيها صاحبنا الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل الناقد الإسلامي المعاصر  
والأديب المتميّز بطرحه الخاص ، ذي النكهة الخاصة .

وعبر رحلة مضيئة ترحّلت فيها - حاملاً ضمن زادي قرابة تسعة وستين<sup>(١)</sup>  
نوعاً من طعام - كشفت عن حياة هذا الأديب الناقد ، وقد عزّ ما كتب عنه ؛ حيث  
لا يوجد إلا صفحات يسيرة وأسطر مقتضبة ، تحكي صفاته وشخصيته ، وتظهر  
جهده ونتاجه .

فكان لابد من السبر وإبراز معالم النفس وظلالها ، وحكاية الصفات والجهود  
لشخصية من الشخصيات المبرّزة في الدائرة الإسلامية المعاصرة .

ومما سعى بي إلى اختيار هذا الموضوع ، وطرح هذه الدراسة أمورٌ وجواذب  
منها :

(١) مجموع ما ألفه (عماد الدين) كما سيأتي تفصيله .

**أولاً :** الكشف عن قيمة الشخصية المعاصرة ، وتمثّل الاقتداء بها ، عبر مكاشفة نتائجها . وتزداد درجة ذلك إذا كانت متحلّية بالانضباط الفكري ، والتوازن والشمول ، والنماء والعطاء ، ولعلّ الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ممّن يمثل ذلك - ولانزكي على الله أحداً - بسمته وطيب سيرته ، وجوده أطروحاته.

ولعل في ذلك إثراء للساحة ، والدراسات العلمية الجادة . وقد عاب عماد الدين خليل على الأمة شعار "اقتله بالصمت"<sup>(١)</sup> في تركها توجيه الطاقات المعطّلة .

**ثانياً :** بيان الموقف تجاه قضايا عديدة ، منها إجلال قيمة "الأدب الإسلامي" وما استطاع أن يخترق من جدر خاصّة ، حتى علت أعلامه منارات الدراسات العالية ، وسارت ركابه خلال أروقة الجامعات . ومنها مسائل الالتزام والمذاهب الأدبية ومصطلح "الحداثة" في الأدب وإنارات عماد الدين في ذلك تضيف لبنة إلى بناء النقد الحديث .

**ثالثاً :** محاولة تصوير رؤى هذا الناقد ، وترتيب أطروحاته لشذاة العلم ودارسي الأدب ، المهتمين بقضية الأدب الإسلامي ، وما يدور في فلكه .

**رابعاً :** متابعة الحقول النظرية التي تطرح هنا أو هناك ، وتقريب صوتها من خلال النماذج التطبيقية ، والدراسات التفصيلية التي تُمثل بنماذج منها ؛ لتكون شاهداً للناقد على تمثله هذه الرؤى النظرية في حقل الدرس والتطبيق ، وقد عُني الفصل الأخير من هذه الدراسة بذلك ، وحاول تجليته .

**خامساً :** مشاركة الساحة العلمية ، بدراسة فاحصة ، ومحاولة في بداية الطريق ، وطلاب العلم شركاء في ذلك ، متنافسون في ميدانه ، يحدوهم الأمل ، ويصبرهم نور العلم ، ويفيد بعضهم من بعض .

(١) انظر : ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص ١٢) .

### أما الدراسات السابقة :

فلم نجد - خلال مسيرة هذا البحث - من تناول بفحص عام أو خاص ، هذه الشخصية ، وأبان صفاتها وجهودها ومعالم حياتها الخاصة والعامة .  
ورقة أو ورقتان .. مبحث صغير هنا أو هناك .. دراسة خاصة لأحد أعمال عماد الدين ، هذا ما وجدناه خلال بحثنا في الساحة .

وقد تقدّم الباحث الدكتور سعيد الغزاوي برسالة علمية ، عنوانها "المدولة في أدب عماد الدين خليل" عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م إلى جامعة الحسن الثاني - عين الشق - بالدار البيضاء بالمغرب ، وقد أشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد خليل .

لكن كشفا يسيرا لهذه الرسالة يظهر لنا وجهة هذه الأطروحة واختلافها ؛ حيث توضح التفاعل والحوار بين الفكر والتاريخ والأدب ، ومدى بيان نتاجه للفكر الإسلامي الأصيل . وهذا مسار يختلف عما تبنته هذه الدراسة التي نتقدّم بها .

ولم أجد - بعد ذلك - من نحا نحو طرحنا هذا ، وذلك بالرجوع إلى قوائم الدراسات الجامعية في الأزهر والجامعة الأردنية وجامعة اليرموك وقوائم جامعات المملكة ، وبسؤال مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .  
فعقدت العزم حينذاك ، والتمست من المولى السداد والرشاد .  
ولكلّ طريق وعورة ، وفي كلّ سبيل عقبات ، وشأن البحث العلمي لا يخلو من ذلك .

أما ما كان من صعوبات فإنني أجملها فيما يأتي :

(١) شحّ المصادر الرأسيّة المباشرة في الموضوع ، وهذا يلجئ للغوص كثيرا ، وجمع الشتات ، والتأليف والتوفيق ؛ مما شغل وقتا طويلا في جمع المادة العلمية لكلّ مبحث ، مع الإشارة إلى صعوبة التعامل مع مخطوطات كتبت بخطّ يده ؛ مما يحتاج القارئ معه إلى دقة وأناة قد لا يضطر إليها حين قراءة النصوص الأخرى في الكتب المطبوعة ، وخاصة أن هذه المخطوطات قد اتكأت عليها استخراجات نقدية كثيرة في جانب النظرية والتطبيق ، كما كان التعامل معها في زمن طويل من مدّة هذه الدراسة .

(٢) صعوبة الاتصال ، إن لم يكن انعدامه بين الباحث وهذه الشخصية المدروسة وللاتصال أثر بالغ في كشف بعض النصوص والسؤال عن بعض الحقائق والمعلومات ؛ مما حداني إلى الوصول بعناء إلى لقاء الأستاذ عماد الدين في أرض الأردن في شهر شعبان من عام ١٤١٨ هـ .

وقد كان لقاء لا ينسى محبة وثناء ، وأياماً لطافاً طيبة الذكرى ، وكان لزاماً أن أقوم بنقل هذه المقابلة في صفحات مقروءة بعد أن كانت صوتاً وصورة ثم خطوط خطوات أخرى بمقابلة هذين النوعين ؛ مما أخذ مني وقتاً وجهداً مضنياً يتلاءم - حسب نظري - وقيمة هذه المقابلة في هذه الدراسة . وقد أفردت ذلك كله في الملحق الخاص بالحوار المسمى (لقاء الأردن) .

(٣) تبعثر كتب الأستاذ بين عدة دول سبب عقبات كثيرة ؛ حيث اضطرت إلى جلبها من مكتبات مختلفة في كل من : السعودية ، مصر ، الأردن ، الكويت قطر ، اليمن ، سوريا ، ماليزيا ، وغيرها . كما لم أجد بعضها منها بسبب نفادها ، إلا في المكتبات الخاصة لبعض الأساتذة والأدباء داخل بلادنا العزيزة أو أمدني بها بعض الزملاء الكرام - حفظهم الله - وجمع لهم شملهم .

(٤) اختلاط المادة المطروحة في نتاجه بين الفكر والأدب والتقويم النقدي وغير ذلك ؛ مما ألزمني وجوب الاستعراض السريع لبعض هذه الأطروحات وتلّمي بعضها وقراءته بتأمل . ينضاف إلى ذلك تكرار يستعمله هنا وهناك .

(٥) غرابة بعض مصطلحات الكتابة لديه ؛ نظراً لثقافته الموسوعية ؛ وهذا ما جعل الرجوع إلى مصادر خارجية - ذكر بعضها ولم يذكر جزء كبير آخر - أمراً ثابتاً .

هذا وقد جعلت الدراسة في مقدمة وتمهيد ، وبابين يتضمنان فصولاً أربعة وجعلت كل فصل في مباحث تفصيلية .

وقد حفل الباب الأول منها بدراسة الشخصية عبر مؤثراتها ومعالمها ، أما الآخر فقام على الرؤى النقدية بين النظرية والتطبيق ، وكان الفصل الأول منه في النظرية ، والآخر في تطبيقها من خلال نماذج مختارة لدراسات عماد الدين لنصوص إبداعية في الرواية والمسرح والشعر والقصة طرحها مبدعون آخرون ، وتناولتها أطروحات الأستاذ عماد الدين بالتقويم والدرس .

ثم كانت خاتمة البحث ونتائجه مردفةً بملحق مستقل للحوار الذي تمّ بين الباحث والأستاذ عماد الدين .

وبعدها ذكرت مراجع البحث وفهارسه .

وقد كانت خطة البحث على النحو الآتي :

- المقدمة .

- التمهيد .

الباب الأول : الشخصية : مؤثرات ومعالم .

الفصل الأول : السيرة : مصادر .. ومؤثرات .. ومعالم .

\* في البدء .

المبحث الأول : مصادر المعالم .

أولاً : الحياة وحركتها .

ثانياً : الوثائق والكتابات .

ثالثاً : الحوار واللقاء .

رابعاً : مصادر أخرى .

المبحث الثاني : المؤثرات :

أ- التشكّل الاجتماعي وآثاره .

ب- التشكّل الثقافي والعشق القديم .

ج- التشكّل النفسي والحساسية .

د- بناء الأستاذ .. وواقع التأثير .

هـ- الموصل .. وظلال المكان في النفس .

و- الزمن ومواقف الحياة .

ز- الأمة .. آمال ومصير .

ح- المرجعية التأصيلية والسياق .

\* وبعد .

الفصل الثاني : معالم الشخصية :

\* لوحة عامة .

\* مؤلفاته ونتاجه .

المعلم الأول : الإنصاف .

المعلم الثاني : الحركة وحب الجديد .

المعلم الثالث : النظرة الجماعية وحقيقة الأخوة .

المعلم الرابع : البعد عن المهاترات ، والاحتفاء بالعمل .

المعلم الخامس : بعد النظر .

المعلم السادس : الحياة .. نظرة وطابع .

المعلم السابع : الموازنة .

\* عماد الدين في مرآة الآخرين .

الباب الثاني : الرؤى النقدية بين النظرية والتطبيق .

الفصل الأول : النظرية .

المبحث الأول : الأدب الإسلامي .. المصطلح والواقع .

المبحث الثاني : الالتزام وموقف الأديب .

المبحث الثالث : التحديث والحداثة .

المبحث الرابع : المذاهب الأدبية .

الفصل الثاني : المنظور النقدي والأعمال الإبداعية .

أولا : في الرواية : من خلال نموذج مختار لنقده .

ثانيا : في المسرحية : من خلال نموذج مختار لنقده .

ثالثا : في الشعر : من خلال نموذج مختار لنقده .

رابعا : في القصة : من خلال نموذج مختار لنقده .

\* خاتمة البحث ونتائجه .

\* المراجع .

\* الفهرس .

### أما منهجي في البحث فأجمله في النقاط الآتية :

أولاً : لم أكثر من تفصيل التقسيم رغبة في ترابط البحث وتكامل صورته .  
ثانياً : حاولت - ما استطعت إلى ذلك سبيلاً - أن أناقش المسائل العلمية باستفاضة ، وأن أورد من الأقوال ما يدعم الموقف بعد تحرير موطن المسألة وما يتفرع عنها . وقد استبعدت كثيراً من النصوص رغبة في عدم الإطالة .

ثالثاً : أقوم بفرش المسألة وعرضها بانتقاء وموازنة ، مراعيًا ظهور "شخصية الباحث" في ذلك من خلال تبني الرأي وعرضه ، والتأشير على الآراء المخالفة ببيان مواطن الخلل . كما أستدرك الهنات اللغوية والنحوية والشرعية إذا رأيت في ذلك حاجة ، لكنني لا أكرّر الإشارة إلى ذلك رغبة في عدم ضغط الحواشي .

رابعاً : ترجمت للأعلام الواردة في الرسالة ، عدا الأعلام الأجنبية ؛ لأنني لم أر حاجة إلى ذلك حيث تتفق ملّتهم أو تتشابه ، وإذا اتّحد المصدر فلا يُسأل عن الصّادر ، ثم إن ذلك كان طلباً للإيجاز والاختصار ، كما لا يخفى أن الأعلام الأجنبية لا يخلو ذكرهم في المتن من إشارة إليهم ، كقولنا الروائي الأمريكي فلان وهكذا .

خامساً : قمت بعزو الآيات إلى محلّها ذاكرًا اسم السورة ورقم الآية ، كما خرّجت الأحاديث الواردة ، وأحلت الشواهد الشعرية والعبارات والمقولات إلى مظانّها .

سادساً : سننت في الحاشية منهجاً ثابتاً وفق ما يأتي :

- (أ) حينما أشير إلى المرجع فذاك دليل كون الكلام معزواً بنصّه التام إليه .
- (ب) وحين أشير إلى المرجع بـ(انظر) فهذا يعني الإحالة إلى الفكرة العامة ، ويكون الكلام من إنشائي ، أو قد أستعمل هذين الرمزتين في الإحالة للاستزادة .
- (ج) تكون أول إحالة بذكر المرجع والصفحة ، ثم أذكر المرجع - لو تكرر مباشرة - بعبارة "المرجع نفسه ، الصفحة نفسها" ، فإذا تكرر ثلاثة ذكرته على حالين : فإن كان المحلّ ذاته أشير بقولي "نفسه" ، وإن كان باختلاف الصفحة كرّرت عبارة "المرجع نفسه" مع بيان رقم الصفحة الجديدة .

(د) أذكر المرجع والمؤلف والصفحة ، فإذا تكرر الكتاب في الصفحة نفسها ، فإنني لا أكرر ذكر المؤلف اختصاراً ، كما إنني أكتفي بذكر الكتاب في المتن أحياناً ، مع الإحالة إلى رقم الصفحة في الهامش .  
وإذا كان المؤلف أجنبياً فإنني أذكر بعده اسم المترجم قبل الإحالة إلى الصفحات .

**سابعاً :** إذا أتيت بكلام من وضعي فإنني أردف ذلك بعبارة - الباحث - هكذا ، وقد راعيت الحفاظ على شكل نصّ (عماد الدين) عدا ما يلزم التعديل مع الإشارة إلى ذلك في الهامش .

**ثامناً :** أحاول - جاهداً - أن أستعمل عبارات طلاب العلم ، بعدم تجريح الآخرين ، وعدم نسبة الكلام بجزم وقطع .  
فألزمت نفسي (لعلّ) ، و(ربّما) ، و(كثير من) .

كما كنت أترحم على مَنْ توفاهم الله من الشخصيات الإسلامية المؤثرة ؛ وفاء بحققهم على طلاب العلم وتأديباً حين يذكرون : والله من وراء القصد .

**تاسعاً :** كان هدفي من نقل نصوص من كلام (عماد الدين) في المسائل - النظرية أو التطبيقية أو الحياتية والعلمية - إبانة ماعنده من تصوّر تجاه القضية المدروسة أو النقطة المطروحة ؛ ولعلّ في هذا - كذلك - إظهاراً لأسلوب الرجل وتعامله مع اللفظ ، وطريقة إلباسه المعنى حلة اللفظ ، وهو ما يُعدّ جزءاً من دراسة شخصيته وتأثيراته .

**وفي ختام الحديث ،** لا يسعني إلا أن أشكر المولى - عزّ في علاه - وهو أهل الحمد والثناء ، صاحب الكرم والمنّ والعطاء ؛ حيث يسّر العسير وسهّل الصعب وشجذ الهمة ، ووفق وأعان .

فسبحانه من إله ، خيره إلينا نازل وشرّنا إليه صاعد .  
ثم أتوجّه بالشكر والثناء والمحبة والدعاء لوالديّ الكريمين ، وأنا منهما محلّ الرأفة والرحمة ، والدعاء والرعاية ، فكم صبراً وصبراً !!



ولعلّ فرحتهما بإيجازي هذا تكفّر عني بعدي عنهما لإتمام هذا المراد وتحقيق أملهما فيه ، فأسأل الله تعالى أن يلبسهما لباس الصحة والعافية ، وأن يجيبي وإخوتي بارّين بهما ، وأن يجمعني بهم في جناته .. في الفردوس الأعلى من الجنة .. اللهم آمين .

ثم إنني لأجد من العبارات مأزجي به الشكر والثناء لمن كان لها أثر لا يُنسى في تهية جو العلم وسيله ، وشحذ الهمة ومدّ يد العون .. فأشكر زوجي الكريمة بنت الكرام "أمّ عبد الرحمن" جزاء ما تحمّلت وصبرت ، حتى كان هذا البحث سارقاً من وقتها وأوقات أبنائي : عبد الرحمن وأختيه (بشرى وذكرى) .

أما أستاذ المشرف على مسيرة هذا البحث ، سعادة الدكتور عبد الله بن إبراهيم الزهراني ، رئيس قسم الأدب بالكلية ، فصادق الدعوات تتبعه أني توجه . لقد كان نعم الأستاذ .. نعم المشرف .. نعم الأخ .. نعم الموجه ؛ إذ لم يخل عليّ بوقته وجهده وتوجيهه ، وإشاراته ، وفكره المتميز ، وخلقته الذي يشهد له بحسنه وتماه زملاؤه وطلابه ، ومحبه .

فأسأل الله تعالى أن يصلح نيته وذريته ، وأن ينفع بعلمه السائرين في درب العلم ، وأن يشييه جزاء ماقدّم وأفاد .

كما أتقدّم بالشكر لجامعتي العزيزة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تلك المنارة المضيئة التي نهلت من معين العلم فيها أجيال وأجيال . وأشكر كلية اللغة العربية ممثلة في إدارتها وأساتذتها وقسم الدراسات العليا بشموخه وأصالته .

كما أشكر كلية المعلمين بمحافظة جدة إذ سهلت لنا طريق الابتعاث وعلى رأس هذه الكلية يقف عميدها سعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم بن محمد مناع ووكيلاه والزملاء الكرام في قسم اللغة العربية وغيرهم .

ومن لأنسأهم بالشكر والثناء والدعاء كلّ من الإخوة :

أولاً : الأستاذ شبيب بن أحمد الغزالي ، المحاضر بقسم البلاغة والنقد بجامعة أم القرى ؛ حيث رافقني في رحلاتي العلمية إلى الأردنّ وسوريا ولبنان ، وكان نعم الرفيق والمعين .

ثانيا : الأستاذ رمزي بن علي الأهدل والأستاذ رمزي بن محمد الجديبي والأستاذ أحمد قشّوع ؛ جزاء ما بذلوا معي في كتابة الملحق والمقابلة بين مخطوط الكتابة وغيره من النصوص .

ثالثا : الإخوة : منصور بن ناجي القش ، وهاني الحمادي ، وأسلم الحمدي وإيهاب الفقيه ، وأخصّ منهم زميل الدراسة ورفيق الدرب أخي الأستاذ منصور ؛ حيث كنا على اتصال دائم نشحذ به الهمم ونتواصى بالإنجاز .

كما أشكر كلّ من قدّم لي في هذا البحث معروفا ؛ بإعارة أو تسجيل أو سؤال أو اطمئنان ، أشكرهم جميعا دون تحديد للأسماء ؛ لأن ذلك يطول ولا يكفيه المقام ، ولكنني أخصّهم بالدعاء في ظهر الغيب وهذا أقلّ ما أقدمه . وأشكر - أخيرا وليس آخرا - أخي سعادة الأستاذ/طارق شكري طابع هذه الرسالة على جهده المتميّز ، وقدرته الظاهرة ، وأسأل الله أن يزيده من فضله وكرمه .

وأخيرا فإنني لأزعم الكمال في هذه المحاولة العلمية ؛ لأن طبيعة البشر شاهد ضعفهم وقصورهم .

فما كان من صواب فمن الله وكرمه ، وما كان من سهو وهنات ، فمن نفسي والشيطان ، ورحم الله امرءا رأى فستر وأرشد ، والمؤمن مرآة أخيه .  
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَّى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِيهِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين  
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## التمهيد

## التمهيد

بات مسلماً لدى الباحثين في مجالات الدرس الأدبي والنقدي ، أن ليس الغوص في مجاهيل الشخص خصوصاً أمراً هيناً ؛ لما يتبع ذلك من حاجة أكيدة إلى لمّ الشعث ، ورأب الصدع ، والتأليف بين المتوافقات ، والجمع بين المتخالفات ، وتفسير الأحداث بما يوافق البعد بأفقه المتعددة حول هذه الشخصية أو تلك .

والحديث عن السيرة الذاتية - فناً من فنون الإبداع - شحيح نادر ، وكأنّ الرهبة تلف قاصده حتى لا يستطيع له طلباً ، كشراب بأنقوع<sup>(١)</sup> ، يخشى الموارد ، ويحذر الوارد .

وليس بخاف علينا أنه "بمقدور المرء أن يجد قبالة كلّ عشرين ديواناً أو ثلاثين عملاً روائياً أو مسرحياً واحداً! أما السيرة الذاتية<sup>(٢)</sup> فقد كانت إلى عهد قريب تكاد تكون غائبة إلا في حالات استثنائية ، ولكنها غدت - عبر العقدين الأخيرين - تزدد عدداً"<sup>(٣)</sup> .

وعين الناقد تلحظ بتوازن ونصف لا يشتطّ به بعيداً ؛ لتقيس هذه الشخص من حولها بانضباط وتوازن ، فلا تراخي في نظراتها ، ولا اشتداد ينفر من حولها بل ميزان دقيق ، يأخذ ويذر .

ولعل الندرة التي تستمسك بهذا الفن تنسحب على غيره من الفنون<sup>(٤)</sup> ، كأدب الرحلات الذي هو شحيح كذلك في المكتبة المعاصرة ، رغم ماقدّمه

(١) مثل أصل أن الطائر إذا كان حذراً لم يردّ مشاريع الماء ، ولكنه يأتي المناقع والفلوات حيث لا يبلغ القنّاص ، ولا تنصب له الشراك .

انظر في هذا : الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ، د. عبد المجيد قطامش (ص ٢٦٠) .

(٢) والغيرية أو (الموضوعية) كذلك - الباحث - .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقفة لمراجعة الحساب ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٠) ورقة عمل تقدّم بها إلى مؤتمر بماليزيا في نهاية شهر رجب ١٤١٨هـ قبل لقاء الباحث بأيام قلائل ، وقد تحصّل الباحث على نسخة منها .

(٤) يرى الدكتور أحمد جاسم النجدي أن مصطلح (السيرة) بمعنى الترجمة عرف منذ القرن السابع فما تلاه . انظر : مجلة الموارد العراقية ج (٩) ، ع (٤) ، (ص ٢٣٦) ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

السابقون فيه حيث "كانوا يجوبون الآفاق على ظهور الجمال والبغال ، أو صهوات الخيول ، ويهدرون أعمارهم المحدودة قبل أن يؤوبوا إلى ديارهم لكي يعكفوا على تدوين رحلاتهم ، ويقدموا للأجيال حصائد تجوالهم المترع بالرؤى والخبرات" (١) . وأدب الرحلات يعكس صورة الشخص وبيّن رؤيته وما يختلج في نفسه من تصوّرات تظهر من خلال يراعه ، وتنعكس بمرآة الحرف ؛ ليراها من أراد سير هذه الشخصية .

لكننا نجد الباحثين والنقاد يخشون صعوبة إطلاق تعريف يخصّ (أدب الرحلات) ويميّزه غير مختلط بالسيرة في بعض أنواعها ، فنرى أحد الباحثين يذهب إلى تصوّر هذه الصعوبة وتأسيسها ؛ لأن "تعريف أي نوع أدبي بدرجة كافية من الدقة أمر متعذر لأن لكل عمل أدبي شخصية متميزة ترفض الخضوع للتصنيفات الجامدة" (٢) .

والرحالة يختلفون في صياغة الأحداث دقيقتها وجليلها ، مما يلقيهم في رحلاتهم وهو اختلاف أسلوب ومضمون ، ونلقى هذا خاصّة في الكتب الأجنبية (٣) ، ولكن لكل طعمه الخاصّ في تذوّقه ما يمر به ويصوّره نتاجه ؛ ولذا نرى الاختلاف بيننا في أدب الرحالة القدماء من العرب وغيرهم (٤) . ولهذا فإن جمال وقدرة الكاتب تكمن في التصوير والتمثيل ، وكأنه يتحدث لنا عن "جوّ المكان الذي يصفه والإيهام بواقعيته بحيث يشعر القارئ وهو يتابع الرحلة أنه يبحر في المحيط الأطلنطي بحثا عن أرض جديدة ، أو يفاوض قبيلة أفريقية يحاول الحصول منها على أكبر قدر ممكن من الذهب في مقابل بضعة حبات من الزجاج الملون" (٥) .

(١) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص ٣) ، وهو مخطوط كتاب تحصّل الباحث على نسخة منه ولمّا ينشر .

(٢) دراسات في الرواية الإنجليزية ، د. أنجيل بطرس سمعان (ص ١٢٥) .

(٣) لكثرة ما سجّل بها من هذا الفن .

(٤) انظر في هذا : دراسات في الأدب العربي والتاريخ ، محمد عبد الغني حسن (ص ٨٤-٨٥) .

(٥) دراسات في الرواية الإنجليزية ، د. أنجيل بطرس (ص ١٢٧) .

وفن الرحلات موغل في القدم حيث عرفه الفراعنة والفينيقيون والرومان والإغريق ثم رحالة العرب<sup>(١)</sup>.

وتصوير الشخصية وسيرتها من خلال هذا الفن يكون معتمدا على الصياغة الأدبية وماتليه مصادر المبدع من المشاهدة والسماع والآثار الكتابية والرحلات الأخرى والشعر والكتب العربية والأجنبية والصحف ؛ لتكون عوناً على تبيين هذه السيرة<sup>(٢)</sup>.

ولعلنا حين نفتش في تراث أمتنا الإسلامية والعربية نجد شيئا من هذه المحاولات وهي جادة فاعلة ، ذات طابع خاص ، يتميز به الحرف العربي مشكلا كلمات وجملا خاصة في تأثيرها وسحرها وبيانها .

ومن أوائل هذه الرحلات التي أسهمت في تفعيل هذا الجانب من السيرة ما كتبه أبو حامد الأندلسي<sup>(٣)</sup> وسمّاه (تحفة الأصحاب ونخبة الأعجاب) حين زار إفريقية الشمالية وصقلية ومصر والشام والعراق ، والبحر الأسود وبلاد البلغار وغيرها<sup>(٤)</sup> ، ويُغفله كثير ممن كتب عن بدايات هذا الفن عند العرب .

كما نرى الدكتور شوقي ضيف يضرب أمثلة غيرها عبر أنواع الرحلات : الجغرافية والبحرية ، ورحلات الأمم والبلدان ، ثم يفرد مقاما تفصيليا لرحلتين يتناولهما بإجادة<sup>(٥)</sup>.

وقد يخصص بعض الباحثين كتابا مستقلا للحديث عن السيرة من خلال الرحلات في مسار خاص بها<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) انظر : تطور النثر الجزائري الحديث ، د. عبد الله ركيبي (ص ٤٨) .  
 (٢) انظر تفصيل ذلك في : أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراءه في النهضة العربية الحديثة ، محمد الهادي المطوي (ص ٣٥٦-٣٦٠) .  
 (٣) رخالة أندلسي عاش أكثر حياته في القرن السادس الهجري (٤٧٤-٥٦٤هـ) وشغف بالرحلة ، وله كتاب (المعرب في عجائب المغرب) .  
 انظر : الرحلات ، د. شوقي ضيف (ص ٥١) .  
 (٤) نفسه .  
 (٥) للتفصيل انظر : المرجع نفسه (ص ١١-١٢٢) .  
 (٦) تمثيلا لذلك انظر : أدب البحر ، أحمد محمد عطية ، وتناول فيه خمسة نماذج ، اثنان منها من القديم ، وثلاثة من العصر الحاضر ، وقد أفرد الباحث فصلا سابعا يتحدث فيه عن (الرواية البحرية) فراجع لتفرده .

ولانرى من تحدّث عن أدب الرحلات إلا وقد أفرد حديثا عن السيرة الذاتية من خلال كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ<sup>(١)</sup> ورحلته في بلاد العرب والجزيرة ووصفه الصليبيين بموهبة قصصية فريدة<sup>(٢)</sup>.

والقلم حين يستطيع تصوير الأحداث من حوله ، بنسق جميل مؤثر ، يكون قد اختطّ لنفسه المجد ، وبنى لها العلياء ، حيث يصوّر المواقف كما يصوّر الأماكن .. وهنا يكمن الجمال! ويبرز الإبداع ذو الألق ، إذ يرى بعض الباحثين أنه بمقدورنا أن نترجم للمدن والممالك لتغدو وكأنها نماء في كائنات حية ، ومثل لها بترجمة (إميل لدفيج) للنيل ، وأنها لا تقل روعة وجمالا عن ترجمته لشخصية نابليون<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا يقول أحد الأدباء ، ساحبا ذلك على غيره :  
"لو استطاعت الشجرة أن تدوّن ترجمة لحياتها لما اختلفت ترجمتها عن تاريخ أمة من الأمم"<sup>(٤)</sup>.

وفن السيرة "وهو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي . يراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصه"<sup>(٥)</sup> ، فن قديم وإن لم ينضج بعد في الأدب العربي بتقسيمه وتوصيفه وسماته . ويعزو الدكتور أنيس المقدسي فقدان التراجم القديمة قيمتها لما يصحبها من تكلف في الصنعة البديعية ، فلا تعدو أن تكون تنميكا وسجعا يشوّه كثيرا من الحقائق مما يوقع القارئ في حيرة حين يذهب إلى المقارنة بين شخص وآخر<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) أحد أبطال المعارك الصليبية ، كان أدبيا شاعرا ، عمّر طويلا (٤٨٨-٥٨٤هـ) وكان آباؤه أمراء قلعة (شيزر) شمالي الشام ، ولهم مع الصليبيين صولات وجولات .  
انظر : الرحلات ، د. شوقي ضيف (ص ٥٦) .
- (٢) انظر : المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، د. محمد فتحي عثمان (ص ٦٣٩-٦٤٤) ، الرحلات ، د. شوقي ضيف (ص ٥٦-٦٠) .
- (٣) انظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب (ص ٩١) .
- (٤) رمل وزبد ، جبران خليل جبران (ص ١٧) .
- (٥) الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، د. أنيس المقدسي (ص ٥٤٧) .
- (٦) انظر : المرجع نفسه (ص ٥٤٨) بتصرّف .

ويضرب على ذلك مثالا حين يعدّ من ذلك (يتيمة الدهر) و(الخريدة) ، مستشهدا على مراده بأمثلة منهما<sup>(١)</sup> .

ويعرّج الدكتور أنيس على ما كتبه ابن منقذ من أسفاره وأخباره ، ويشير إلى طرافته وتنوع ثقافته وحسن أدائه ، ويضرب على نسقه أمثلة أخرى ، ككتاب (التعريف عن ابن خلدون)<sup>(٢)</sup> وهو مذيّل بتاريخه المشهور ، أو ما يسمى (المقدمة) . وإن لم يكن ابن خلدون خارجا عن نطاق التاريخ إلا في مواطن يسيرة . وهذا ما سجّله قبله أبو حامد الغزالي<sup>(٣)</sup> في (المنقذ من الضلال)<sup>(٤)</sup> ، ويشير إلى طريقته في تدوين سيرة نفسه وجلالته .

ثم يمثل الدكتور أنيس بستّ تراجم وسير حديثة يذكرها بملامح سريعة يضيئها هنا وهناك<sup>(٥)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ٥٤٨-٥٥٠) ، وانظر في قيمتهما : قراءات نقدية ، د. يوسف بكار (ص ٩-٣٢) .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، ولد عام (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ، أصله من إشبيلية ومولده ونشأته بتونس ، ولما وشي به خرج إلى مصر قاضيا للمالكية ، ثم عزل ، توفي فجأة بالقاهرة ، كان فصيحا صادق اللهجة جميل الصورة ، اشتهر بكتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات أولها (المقدمة) المشهورة ، وقد ترجمت إلى الفرنسية وغيرها ، وله شعر وكتب أخرى ، توفي عام (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) . انظر : الأعلام ، الزركلي (٣/٣٣٠) .

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، حجة الإسلام ، فيلسوف متصوّف ، له نحو مائتي مصنف ، مولده ووفاته بطوس في خراسان ، له رحلات عديدة ، يقال الغزالي نسبة إلى الغزل ، والغزالي بالتخفيف نسبة إلى البلدة (غزّالة) ، ولد عام (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، وتوفي عام (٥٠٥هـ/١١١١م) .

انظر : الأعلام ، الزركلي (٧/٢٢) ، الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه ، د. يوسف القرضاوي (ب) ، وأحصى السبكي ما يقرب من ألف حديث في (الإحياء) لم يجد لها أصلا ، نقلا عن "مختصر منهاج القاصدين" ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ص ١٧) .

(٤) يرى الدكتور إحسان عباس أنه لأبعد سيرة ذاتية محضة ؛ لتصويره جانبا من أزمة روحية فحسب دون نظر إلى ماعداها ، ولكنه يرى أن الغزالي رسم هذا الجانب بدقة . انظر : فنّ السيرة (ص ١٢٦) .

(٥) انظر : الفنون الأدبية (ص ٥٥٥-٥٦١) .



والحديث المنطلق من خلال السير الأدبية حديث تكتنفه الصعوبة وتدور حوله التساؤلات ؛ ولذا نرى كثيرا من النقاد والأدباء يميلون إلى هذا الرأي ويعلمونه<sup>(١)</sup> .

والأديب حين يرسم شخصيته بإلقاء الضوء على سيرته وكشفها للناس يؤسس هذه الصعوبة ، ويرفع بين الناس رايتها ؛ ولهذا يرى بعضهم أنه لا يستطيع أن يرسم وجه الأديب مثل نفسه ؛ فهو أعرف بها وأبصر بدواخلها .  
أما الدكتور محمد مصطفى هدارة فيرى أن السيرة الذاتية لحمة من الماديات الأولية من الحقائق المجتمعة ، التي تفسر بعد جمعها وتحليلها ؛ لتبرز صورة هذه الشخصية بجلاء ، ويرى أن صاحب السيرة نفسه قد يستتر بإبراز جوانب وإخفاء أخرى ؛ ولهذا لا يمكن أن يُستأنس بصفة عامة بتفسيره وتحليله ، وتشرجه لذاته ، ويرى أن في هذا موضوعية وواقعية ، والأديب إذا تولى كتابة سيرته بنفسه فإنه يسلم نفسه بشدة لمباضع الناقدين ، فلماذا يرى هذه الصعوبة ويتخوف هذا المسلك؟<sup>(٢)</sup>

ولعل نرجسية الأديب ، وتخطيه إبراز الجوانب السلبية في حياته ، الكامنة في الظل أمر يعضد القول بهذه الصعوبة ويؤكد كدها ، وفي هذا يقول الدكتور عز الدين إسماعيل : "رضا الفنان عن نفسه (أي نرجسيته) لا يستمد من إعجاب خاص بذاته نتيجة حلم يقظة كان هو فارسه ، بل يستمد من بطولة عمله - إذا صح التعبير - ؛ وهذا يفسر لنا لماذا يحب الفنان دائما أن يتوارى خلف عمله الفني . إنه لا يريدنا أن نراه هو ، وإنما يريدنا أن نرى هذا العمل"<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) ممن مال إليه : د. شوقي ضيف في كتابه القيم "في النقد الأدبي" (ص ٥٨) ، والدكتور منصور الحازمي في كتابه "مواقف نقدية" (ص ١١٦) حين تحدث عن أيام السباعي - رحمه الله - والدكتورة نعمات أحمد فؤاد في كتابها "قمم أدبية" (ص ١١) .  
(٢) انظر : دراسات في الشعر العربي ، د. محمد مصطفى هدارة (٢/١٢٠) .  
(٣) التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل (ص ٢٦) .

ويعزو بعض النقاد عدم استواء (السيرة) في الأدب العربي قديمه وحديثه ، إلى ظهور نقاط الضعف فيها ، ومافيه من تضخيم ، وأنها متخوّنة من جهة المناخ الخارجي للإبداع ولهذا يقف أهل هذا الرأي من (أيام) طه حسين<sup>(١)</sup> موقفاً ناقداً ، وأنها لم تف بما في نفسه كما هي عند غيره!

ولا يقف بعض من هؤلاء النقاد عند هذا ؛ ولكنه ينطلق بتعميم فيه شئ من التشاؤم يمتد إلى ملاحظة البهرجة وتضخيم ونفخ هذه السير ، والقول بذلك على وجه العموم! ولعل ردة الفعل لذلك ، أن نجد من هؤلاء الدكتور (يوسف بكار) الذي يدعو إلى أن تنقل سيرنا الخطوط المتعرجة في الحياة ، فتظهر فيها الشخصيات برجالها وأبطالها وصعاليكها ، ويظهر فيها الحب والجنس<sup>(٢)</sup> والموت .. والبطولة

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) لعلنا نخالف الناقد الدكتور يوسف بكار في ذلك ؛ لأن الحرج إذا كان يضبط الكاتب كيلا يقع في بؤرة الواقعية المظلمة فهو حرج مقصود ، وضبط متزن ، على نحو مارآه الدكتور جعفر ماجد في كتابه "فصول في الأدب والثقافة" (ص ٢٢٦) ، وهو حرج في دائرة الحديث عن "الجنس" وغيره . وقد نهج هذا وضده جمهرة من الأدباء ، فالعقاد اعترف بانطوائه بلا عقد نفسية ، واعترف بعناده وإن رآها عزيمة وصدق إرادة ، وبقراءته لنفسه لا لغيره وحبه للشهرة بلا خفض للكرامة . انظر : المجموعة الكاملة (٢٢/٢٤٥-٢٤٩) . ولعل الدكتور طه حسين في (الأيام) ممن يمثلون ذلك حيث تخرج فاستخدم غير ضمير المتكلم ، بل الحكاية عن الصبي . الأيام (ص ١٣٧) وغيرها . ويقول في "أديب" (ص ١١) : "وكان حيأه يمنعه من إظهار عقله وقلبه ، كما يمنعه من عرض جسمه عارياً على الناس" .

أما الدكتور محمد عابد الجابري ، فيتجاوز الحد المطلوب من هذه الجرأة ورفع الحرج ، بل يُسِفّ في كثير من مواطن حفريات في الذاكرة ، ولكنه يراها قطعاً أثرية باقية ، مع تحفظه في بعض المواطن ، ولكن "حفريات في الذاكرة من بعيد" تظهر بصورة الواقعية المظلمة بحق ، انظر (ص ١١-١٥) مثلاً عليها في سيرته "حفريات في الذاكرة من بعيد" .

ولعل من الشواهد على هذا الرفع غير المنضبط للحرج ، ما نلمحه من فلسفة نزار قباني للفضيحة من خلال سيرته وأنه ضدّ (الشرعية) ، وأن نظرتة للجنس كارتشاف فنجان قهوة! مما جعله ينزل بسريره إلى الشارع ، ومغامرته أو (معاركه) مع النساء والنهود عنا ببعيد وكيف ذكر هو نفسه أن قضيده (نهداك) أسكرت شباب العراق ولبنان ، ولكن لعل الدكتور هدّارة يبالغ في انتقاد واقعية نزار وإبراز تناقضاته . انظر ماجاء في كتابه "دراسات في الشعر العربي" (١٢٠/١٣٨) ، وانظر ماسماه د. محمود عباس عبد الواحد (السيرة العارية) في كتابه مهارات في فنون الأدب والمراسلات (ص ٢٣) وما بعدها .

والجراحة ؛ لأنها بدون ذلك تكون أقرب إلى هوامش السيرة التي لا تحترم أمانة نقل التجربة الحية . ويعدل عن تشاؤمه الذي بدأ به حديثه ، فلا يوصل الأمر إلى قول من يرى أن كل السير الذاتية أكاذيب ! حيث نراه يشيد ببعض السير الذاتية ، ويطلب فيها وفي غيرها الطرح الواقعي المبني ، الذي يجعل منه نصًا جريئًا وجميلاً ، يفضح الواقع .. ويعرّيه .. ويكسر خوف الأدباء ، وينقل عن أحد رؤساء وزراء بريطانيا أنه قال : "لاتقرأ التاريخ . اقرأ السيرة الذاتية"<sup>(١)</sup> .

مع أنا لانشك في أن الأديب يرتضي عدم البوح بكل خلجات نفسه ، وقد تنكشف بتدريج اليراع أمور يسيرة من لمحات الحياة ، ولكن يبقى أن الأديب يرغب عن كشف الأسرار الخاصة<sup>(٢)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن نرجسية الأديب تحول دون تلمس هذه الدقائق من الحياة كما تحول دون الحقيقة حين يثبت الأديب لنفسه ما ليس لها ، أو ينفي عنها ما هو من صميم طباعها .

ومن ذلك نرجسية (نزار قباني)<sup>(٣)</sup> التي يظهر فيها الانشغال بالنفس ، مما جعل الدكتور هدارة يبالغ حين يلمز نزارا ؛ لأنه وضع صورته بخطوط جبهته المتجعدة على الغلاف الأمامي لسيرته ، وصورته - وهو طفل غرير - على الغلاف الخلفي!<sup>(٤)</sup>

لكنه يحسن حين يشير إلى نرجسية نزار من خلال نظرته إلى عظيم مكانته ، التي تفوق - حسب رؤيته - منزلة النبلاء والرؤساء بين شعوبهم ، وأنه تحيط به الخرافات والأساطير من كل جانب ، وأنه استطاع أن يصدر دهشة وفرقة في

(١) في النقد الأدبي إضاءات وحفريات ، د. يوسف بكار (ص ١٥٣-١٥٥) بتصرف .

(٢) مالت إلى هذا الدكتور هدى شوكت بهنام في "النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري"

(ص ٩٢-١٠٣) ، ولعل اطلاعا على رواية مثل "الشميسي" للكاتب د. تركي الحمد يبرز

عاقبة الخلود إلى البوح المفضوح ، والسيرة العارية تماما ، وهي الواقعية المزعومة التي يدعو لها

كثير من الكتاب - الباحث -

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) لعل هذا عائد إلى فلسفة خاصة لكل مؤلف ، ويصعب التنبؤ بها - الباحث - .

المجتمعات ، بل يعجب من إخفاء نزار بعض الحقائق في سيرته تلك ، ويظهر هذا من خلال بعض سطورها<sup>(١)</sup> .

وإذا كانت اعترافات الأديب منضبطة متزنة ، فإنها تكون جسرا إلى ذاته . بل يرى بعض الباحثين أن من العوامل المساندة التي أثرت كتابة التراجم والسير وجود هذه (الاعترافات) ؛ لأنها "نبهت كتاب التراجم إلى قيمة الغوص في أعماق النفس الإنسانية واستبطانها .. قيمة الاستشفاف والتأمل والتحليل والتعليل والتقاط اللفظات الإنسانية والنفوذ منها إلى معان كبيرة هي خطوط بارزة في صورة الشخصية المرسومة"<sup>(٢)</sup> .

ومن يدعم مثل هذه الرؤى يميل إلى ذلك ؛ لما يجده من الاستبطان للنفس خلف السطور ، وما يراه جلياً ظاهراً ، حين يؤلف بين أجزائه التي يجربها ويخرجها صورةً تمثله .

والدكتور (علي جواد الطاهر)<sup>(٣)</sup> ممن أبان بوح الاعترافات لما يثقل الضمير من الأعمال والأقوال غير المرضي عنها! حيث يثبتها الكاتب بقلمه ، وضرب لها أمثلة من اعترافات بعض النصارى<sup>(٤)</sup> .

ولكننا نجد بعض الأدباء حين يسجل اعترافاته يرّد اعتقاد الناس شرط كونها فيما يكره ويجب كتمانها ، ويرى ذلك مغالطة عرفية لمصطلح (الاعترافات) ؛ لأنه يرى في اعترافاته تسجيلاً لذاته<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : دراسات في الشعر العربي ، د. هدارة (٢/١٢٠-١٢٣) بتصرف .

(٢) قلم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص ٨) .

(٣) انظر : الثقافة الإسلامية للطالب ، د. علي جواد (ص ١٠٨) بتصرف ، وانظر : مواقف نقدية ، د. منصور الحازمي (ص ٤١١) .

(٤) من عقائد النصارى الباطلة أن الاعتراف بين يدي القساوسة يغفر الذنب ويمحو الحوب ويرضون من ذلك بصكوك الغفران المزعومة ! - الباحث - .

(٥) من هؤلاء : العقاد . انظر : المجموعة الكاملة (٢٢/٢٤٤-٢٤٥) .

ولذا ترى إحدى الأدبيات<sup>(١)</sup> ، أن كتاباتها شهادة عن الواقع والأفق ، فمن أرض الواقع بل من رحمها تنبثق الكتابة ، ويظهر التسجيل ، فالكتابة عندها بحث عن جوّ للانبعاث والتشكّل ، وليس صنوبر مياه يفتح كلّ يوم ليخرج قصة جديدة متكاملة متناسقة! بل الكتابة جزء من بيان ما في النفس ، وعبور في تلايف الروح ، والقصة التي تكتبها تولد كما يولد الطفل .. تقتنص شرارتها ثم يكون التوالد . إنها تلمح الذات وما يدور في الخواج من خلال النصّ المكتوب ، وخاصة ما يكون منه بضمير المتكلم<sup>(٢)</sup> .

بل إنها تصور الواقع المحيط بهذا الفرد ؛ مما يجعلها تباريح حياتية واجتماعية وثقافية وسلوكية وعقدية وكتابية<sup>(٣)</sup> ، تجلو الواقع ، وترسم صورته ؛ لأن الحديث عن النفس وما يحيط بها جنس من الرسم ، وفي هذا يقول طاغور<sup>(٤)</sup> :

"دعاني سؤال شخص منذ سنوات خلت عن أحداث حياتي الماضية ، لاكتشاف حُجرة الرسومات هذه ... تبين لي أن الذكريات ليست تاريخاً ، بل إبداعات أصيلة للفنان غير المنظور"<sup>(٥)</sup> .

ويخلص الدكتور شوقي ضيف إلى أن رسم الشخصيات الأدبية أعمق وأشدّ عسراً من رسومات الرسّامين من جهة تصوير الأول أفذاذاً من الناس وأسباب نبوغهم وعواطفهم ومشاعرهم ، دون أن يكون لديه المواد الأولية للوحته ، خلافاً

(١) وهي شريفة الشملان .

(٢) بتصرّف : مجلة قوافل ، القصة نافذة على داخلي ، أ. شريفة الشملان (ص ١٥٠-١٥٢) ،

ع(٥) ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، السنة الثالثة ، م(٣) .

(٣) في تصوير شيء من الحياة يمثل هذا التقسيم ، انظر : شيء من التباريح سيرة ذاتية .. وهموم ثقافية ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، وفي قراءتنا للسير قراءة لأنفسنا وهو الأدب الحق كما سماه الأستاذ علي بن محمد العمير في كتابه "على الماشي" (ص ٤٧) .

(٤) هو رابندرانات طاغور ، فيلسوف وشاعر ومؤلف قصصيّ وموسيقيّ هندي ، تحصّل على جائزة نوبل في الآداب ، حارب الاستعمار البريطاني ، ولد في مدينة "كلكتا" سنة ١٨٦١ م وكان والده ثرياً ، رأى والده رؤيا حسنة عنه قبل ولادته ، أنشأ مدرسة سماها (مقرّ السلام) .

انظر : طاغور ، محمد كامل المحامي (ص ١٢، ١٥) وغيرهما .

(٥) ذكريات ، رابندرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح (ص ٣-٤) .

لناقل الصور الواقعية عبر لوحة تشكيلية ملونة منقوشة بريشة الفنان<sup>(١)</sup> .

وفي الشخصية وانثاقات يراعها ملامح عامة من سمات الجسم والعقل والشعور ؛ ولذا يعظم الأمر في نظر مصطفى السحرتي<sup>(٢)</sup> إذا تمكنت هذه الشخصية من التوازن بين هذه الصفات ، فقد تبدو ذات حكمة في التفكير ، أو في الشعور والخلق ، أو في حدة الذهن وعذوبة الحديث وقوة الشخصية ، ويراها شخصيات نادرة تبعث الجمال حين نغوص في سيرها .

بل إننا نرى عجب صنع الله في نفوسنا حين نتملى هذه السير وأحداثها ، كما قال تعالى : ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

إن الأديب ليذهب في الناس باثًا سيرته بينهم .. يلتمسون العبرة فيها ، ويستجلون العظة في بواطنها مختلطة مع القصة والحكاية والمذكرات ، ويحفلون بما يرونه من آراء ومنهج وطريقة تفكير<sup>(٤)</sup> .

فنحن حين نغوص في مجاهيل الشخوص وخفايا حياتهم ، ومامرّ بهم من أحداث نقوم بتحليل الميول والفطر ونطلع على التأثير والتأثير لديهم ، استعانة بفهم النفسيات ونحوها<sup>(٥)</sup> .

والمستقرّ في نفوسنا أن من يتناول الشخصيات لا يرنو إلى "أن يتجنّى عليها أو أن يسوي منها مثلاً أعلى للفضيلة والمزايا البشرية ، ليست غايته أن يشوه أو يحسن أو بعبارة أخرى ليست غايته أن يضع عليها أكداً من تراب ولا أن يزيل عنها كل غبار"<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ٥٨) بتصرّف .

(٢) الأصالة الأدبية ، مصطفى السحرتي (ص ٩٧) بتصرّف .

(٣) سورة فصلت : آية ٥٣ .

(٤) ممن كتب سيرته لذلك الأستاذ أبو الحسن علي الحسيني الندوي - رحمه الله - . انظر ذلك في كتابه النفيس : في مسيرة الحياة (٢٥-٢١/١) ، وهو في ثلاثة مجلدات ، قال عنه الأستاذ علي الطنطاوي - رحمه الله - : "كتاب تاريخ ، وكتاب أدب ، فيه وصف للأمكنة كأنك تراها" . انظر (ص ٩) .

(٥) انظر : الكامل في النقد الأدبي ، كمال أبو مصلح (ص ١٣٨) .

(٦) في النقد الأدبي (ص ٦٢) .

و حين يُعنى الكاتب بتصوير نفسه أو غيره ، فالذي يعنيه هو تصوير هذه الشخص كـما يصوّرُها غيره ، ساعين في ذلك "حتى يجلووا على الناس شرارة نبوغهم الذي يروعهـم ، وحتى يكشفوا لهم عن مواهبهم وما يحوطها من السحر والـجاذبية التي تجعلهم يتعلقون بها ... (و) <sup>(١)</sup> لابد إذن أن تكون الشخصية الأدبية المصوَّرة ذات تفاصيل كثيرة بحيث تستطيع أن تمدّ مصورها بمواد وافرة كي يسوي منها صورته" <sup>(٢)</sup> .

واتصال أيّ شخصيّة بالأحداث أو الحركات التاريخية ظاهر ؛ مما يمنح القيمة لهذه الشخصيات وإبداعاتها ، ويعظم الهدف وتنضج الثمرة ، إذا كانت هذه الشخصيات ذات أثر بالغ في هذه الأحداث حركة وسكونا ، أو تكون وجهات نظرها ذات دلالة على رؤية معينة ، وخاصة من الزاوية التي يعرض فيها ما يكتب <sup>(٣)</sup> . وترداد أهمية البحث في هذه الشخصيات إذا كانت صفحات سيرهم مجهولة للقراء بحيث لا يعرف منها إلا النزر القليل ، مع أن بواطن تجاربهم في الحياة ، قد تحمل في طياتها قبسا للمبتدئين ، ومنارا للسائرين ، الذين يهتمهم أن يبصروا فلسفات هؤلاء في قضايا الحياة وعوارضها وعوائقها ، بعيدا عن حماس الشباب ، قريبا من حكمة أولي البصيرة ممن حطمتهم أحداث الحياة ، فكانت لهم أمامها ترسّات بالعقل ، وحماية بالصبر ، وعمل باليقين والهدوء <sup>(٤)</sup> .

والدكتور عزّ الدين إسماعيل ممن يرون الحاجة قائمة إلى عدم إصدار الأحكام إلا في التراجم الذاتية <sup>(٥)</sup> ؛ لأنه يحتاج إلى أمانة وصدق ، ويكتفي الدكتور عزّ الدين إسماعيل بالدعوة إلى مجرد الاهتمام بهذه الشخصية أو تلك ، بيد أنه يرى أن من يكتب عن شخصه قد يظن نفسه قادرا على فهم نفسه وشخصيته بينما يكون غيره

(١) زيدت لاقتضاء السياق بعد الحذف - الباحث - .

(٢) المرجع السابق (ص ٦٦-٦٧) .

(٣) انظر : دليل الناقد الأدبي ، د. نبيل راغب (ص ١٢٢-١٢٣) بتصرّف .

(٤) نشير هنا إلى أن مجموع ما كتب عن سيرة د. عماد الدين خليل لا يتجاوز صفحات سيرة جدّا - الباحث - .

(٥) الأدب وفنونه دراسة ونقد ، د. عزّ الدين إسماعيل (ص ٢٨٠-٢٨٦) بتصرّف .

أكثر منه قدرة على ذلك ، وقد تندُّ عنه أحداث صغيرة من حياته يكون لها أثر كبير في سيره ومسيرته ، إلا إذا لجأ إلى مدوّناته خارجا - مع ذلك - عن هوى نفسه ، وينبغي أن يكون في ذلك شجاعا .

ولهذا يؤكّد بعض النقاد وجوب الموضوعية في التناول وإلغاء مناهج التعاطف والصدّاقة أو مناهج الخصومة<sup>(١)</sup> ؛ لأن هذا يؤثر في سير الترجمة وتفسير الأحداث مما يلغي مبدأ العدل وجدية الطرح والتناول ، ويعلي من شأن أشخاص لا يستحقون ذلك ، ويخفض آخرين وهم في القمم<sup>(٢)</sup> .

ودراسة الشخصيات الأدبية والنقدية تضيي على مجال الكتابة ألوانا من التجدّد والحيوية ، بما تحمله هذه الكتابات من صفات وميزات متعدّدة ، تجعل لها هذه الأهمية ، وتجعلها مستطابة لدى القراء .

ويبرز الدكتور السيد تقيّ الدين السيد مايميز هذه السير ، ويضفي عليها هذا الرونق ، بما تحمله جنباتها من التخيّل ، كطبيعة الفنان ذاته ، فينطلق الكاتب لها بجمع الحقائق التاريخية ووضعها في موطنها الذي يجب أن تكون فيه ، مبرزاً أثر الهدف وهو الحدث المراد إثباته ، وهو مقدّم على الزمن ذاته ؛ إذ تعلق الناس إنما يكون بالحدث العظيم ، والأهداف العظام<sup>(٣)</sup> .

ومما يميّزها كذلك أنها "أحفل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجياشة ، والأحاسيس النابضة لأنها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقوّمات شخصيته وتبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه وتفرّدّه إذ لا تحفل السير

(١) مثل الأستاذ أنور الجندي في كتابه "صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر" (ص ٢٥٧) . بما كتبه الدكتور زكي مبارك في خصومته مع الدكتور طه حسين ، وأن مبارك كان يورد من وقائع صلته ما يستدلّ به لفكرته ، فكان يوردها مما دار بينهما يوم كان مديرا لأعمال الدكتور طه .

(٢) مأحوج الأوساط الثقافية عامة إلى النّصف في القول ، وإلغاء المهاترات "النقدية" التي تعتمد في كثير من أحوالها المعرفة والصدّاقة! - الباحث - .

(٣) انظر : أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيّد تقيّ الدين السيّد (ص ٢٣١) بتصرّف .



إلا بكل نابغة فريد"<sup>(١)</sup> ، و حياة النابغين تحمل هذه العواطف ، وتجعل لها خصوصيتها<sup>(٢)</sup> .

ومما يميز السيرة - إضافة إلى ذلك - ويؤسس أهمية الصدق فيها ، أنها "أكثر نبضا بالحياة من التاريخ ففيها نلمس الإنسان مباشرة ، أما في التاريخ فإننا نلمس الإنسان عن طريق الأحداث التاريخية التي أحاطت به"<sup>(٣)</sup> .

ومن تلمس كتابة سير ذاتية أو غيرية بانت له حاجة ضبط الخطوات بروح الموضوعية والصدق ، وخاصة أن عصرنا عصر السيرة والعلم ، والروح العلمية تكاد تخرق كل دراسة ، بل هي كذلك ، "والسيرة أقرب الفنون الأدبية للروح العلمية من حيث البحث عن الحقيقة"<sup>(٤)</sup> .

فإن لم يتناول الدارسون - وقبل ذلك كاتبو السير ذاتها - هذا الأمر بهذه الطريقة ويسترشدوا بما ذكر ، فإن سيرهم سيكون متخبطا في دياجير لا يظهر فيها الهدى ، بل ترتفع فيها الرايات المعمية ، التي تبعد السائر عن الهدف المنشود .

ولهذا كله فكاتب الترجمة "يطلب منه فوق نزاهة القاضي سماحة الصديق . إذا استوفت الترجمة غايتها من هذا كله غدت بما فيها من صدق وفهم ونقد رفيع وواقعية ونبض وحياة ورفرفة وحنان ، عزيزة على القارئ يفرغ منها إلى غيرها"<sup>(٥)</sup> .

ومن الروح العلمية الواجب تتبعها ، والاسترشاد بها صحة المسار التاريخي للشخصية وعدم تزييف الحقائق ، خاصة إذا غابت مع الزمن ، وفي هذا يقول الدكتور إحسان عباس : "ولأظني متشائما أو غاليا حين أقرر أن كتابة سيرة لأحد

(١) المرجع السابق (ص ٢٣٣) .

(٢) قد يكتب بعضهم سيرته بنفسه ، لحاجة في نفس يعقوب ! ، مع أن معالم حياته ، وطبيعة تجربته لا تكاد تحمل في طبيعتها نبوغا أو تفرّدا ، ولكن قد تكون هذه طبيعة المرحلة التي نعيشها اليوم ، أن يتزيب المرء قبل أن يتحصرم ، وانظر المقال الجميل "مذكرات رجل مغمور" للدكتور منصور الحازمي في كتابه "مواقف نقدية" (ص ٤٠٢-٤٠٥) تجد فيه شيئا عن هذا .

(٣) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقّي الدين السيد (ص ٢٣٩) .

(٤) المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، إصدار قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر (ص ١٠٦) .

(٥) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص ١١) .

الأقدمين عندنا تعدّ أمراً معجزاً ، وأن أكثر ما يحاوله الكتاب اليوم ليس إلا جهداً مبذولاً لترتيب بعض الروايات أو تصحيحها فليس لدينا الشواهد الضرورية من رسائل ومذكرات ، وهناك اضطراب في الأخبار تبعاً لاختلاف الميول عند أصحابها وأخذ هذه الأخبار دون تعيين التيارات التي تحركها في الخفاء — أو في العلن — أمر يقضي على الصحة التاريخية المنشودة في كتابة السيرة . ومن هذه الناحية ، يكاد الصدق التاريخي يبدو أمراً مستحيلاً<sup>(١)</sup> .

ولعله يعني بذلك مصداقية التسلسل التاريخي المؤثر في السيرة الذاتية للشخصية المرادة ؛ مما يجعل خفايا نفسيته غير ظاهرة لمن أراد استظهارها . غير أننا واجدون من يستنبط سيرة من ملاحظها المختلفة ، وإن كثر — حقاً — التناول بالأسلوب الذي لم يرتضه الدكتور إحسان .

ولعل هذا النضج المقصود وطلبه سبب في قلة السير — فناً من فنون الإبداع — لدينا ، فهي لا تتعدى كونها محاولات تؤكد هذا النقص في صورة التراجم والسير في أدبنا العربي ، بمصطلحها الكامل الذي نراه أو نرغبه .

ويرى بعض الباحثين أن السيرة لم تتضح كما اتضحت وتميزت في الأدب الإنجليزي بدرجتها الفنية ، وهذا دليل حداثة نشأتها ، وأبعد نماذجها يرجع إلى القرن الثامن عشر ، وهو ما بين الحروب الأهلية الإنجليزية والثورة الفرنسية<sup>(٢)</sup> . ولو نظرنا في سير القدامى والمحدثين ؛ لرأينا أنهم أصناف في تسجيلهم<sup>(٣)</sup> :

- (١) فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص ٧٤) .
- (٢) انظر : المرجع نفسه (ص ٣٧) ، ويذكر الدكتور علي جواد الطاهر أن من أشهر ما يذكر من الكتب القديمة في موضوع السيرة كتابا ألفه يوناني (ولد أواسط القرن الأول للميلاد ، وعاش نحواً من خمسة وسبعين عاماً) اسمه بلوتارك ، واسم كتابه : "سير متوازية" ، فيه ست وأربعون سيرة ، كل شخصية يونانية منها تقابلها شخصية رومانية .
- انظر : الثقافة الأدبية للطالب (ص ١٠٢) ، ومن السير الرائعة ما كتبه (أندريه جيد) عن الأديب الروسي دوستوفسكي في كتابه "دوستوفسكي .. مقالات ومحاضرات" ، ترجمة إلياس حنا وعرض له من خلال رسائله في قرابة خمسين صفحة ، وانظر في أثر النصرانية في السير : دليل الناقد الأدبي ، د. نبيل راغب (ص ١٢٣) .
- (٣) ممن ذكر شيئاً من هذه التصنيفات الدكتور نبيل راغب في كتابه "دليل الناقد الأدبي" ، انظر (ص ١٢٣-١٢٤) بتصرف .

فمنهم من جربَ نظرية جديدة ، أو اعتنق عقيدة جديدة ، يسجل تحوُّله إليها وإيمانه بها ، ومنهم من عانى من الاضطهاد ، فلجأ إلى الدفاع عن نفسه بهذه الكتابة ، ومنهم من كان عسكرياً أو رياضياً أو بحاراً مغامراً أو صحفياً رائداً ، وهؤلاء - في الغالب - يسجلون غرائب المواقف وعجائبها ، ومنهم - كذلك - من يقدِّم خبرته في الحياة على اختلاف مجالاتها ، ومنهم من عاش مناسبة تاريخية مميَّزة ، أو بالقرب من شخصيات مؤثرة ، وغيرها .. وغيرها ، من التصنيفات التي تدقّ كلما تفرَّع الحديث عنها .

ويلحظ الدكتور نبيل راغب أن تطوُّر السيرة منذ القرن الثامن عشر كان لظهور ما يسمى (السيرة الشعبية) والتي "تدور حول أبناء الشعب العاديين نتيجة لنموِّ الروح (الديمقراطية) الجديدة ، وأصبحت السيرة تهدف إلى التسلية والإثارة حتى ولو كان الكاتب يتناول سيرة جاره بالكتابة ، وتناولت حياة الذين حققوا نجاحاً تجارياً أو الذين ارتكبوا من الجرائم ما تقشعرُّ له الأبدان ، وغير ذلك من الموضوعات التي أقبل عليها القراء في نهم ، وتطرقت السيرة إلى كتابة الفضائح ، وحلت المغامرات محل المآثيات ، واختلط الحابل بالنابل" (١) .

وإن كنا نرى بعض الباحثين حين يتناول بداية هذا الفن ونشأته في الأدب العربي ، يذهب بعيداً إلى اعتبار السيرة النبوية من هذا المجال ، مع كونها غير مقصودة لذلك ؛ بل هي سلسلة من الأحداث تتناول ما وقع للمصطفى ﷺ (٢) ، والحق أننا إذا عرضنا هذه الأحداث عرضاً روائياً أدبياً ، فإن لبوس هذا العرض مصطلح (فن السيرة) يكون ظاهراً ، فيلحق حينها - فحسب - بدائرة الأدب (٣) . وهذا ما جعل بعضهم يدخل في فنَّ السيرة ما ليس منه ، كما فعل الدكتور السيد تقي الدين السيد ؛ حيث ساق الحديث عن كتب الأنساب وروايات المؤرخين

(١) المرجع السابق (ص ١٢٨-١٢٩) .

(٢) يأتي عمر أبو رشية شاعر حلب في مقدمة من جمع السيرة النبوية في صورة شعرية كاملة وهي "ملحمة محمد" في أربعة آلاف بيت . انظر : أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا ، محمد علي الهاشمي (ص ٥٥) .

(٣) وممن مال إلى ذلك الدكتور ماهر حسن فهمي ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، إصدار قسم اللغة العربية ، جامعة قطر (ص ٩٣) .

للحوادث التاريخية<sup>(١)</sup> ورواية الأدب والأشعار ، ولكننا نجد لهذا الحديث عذرا إذا كان مقصده منه ذكر التراجم والسير بصفة عامة ، خلافا لتخصيص هذا المصطلح بالتناول خاصة وأنا نجده يقول : "السيرة لا تحتل مكانها الحقيقي في مدونة التاريخ ، ما لم تكن هي نفسها تعبيرا عن الحقيقة التاريخية ... الحقيقة التاريخية التي تجمع بين البطل والقوى الاجتماعية التي تتجاوب معه وتحذوه إلى الغاية التي تنشدها"<sup>(٢)</sup> . فكأنه يبين هنا تأثير الشخصية بما يدور حولها من أحداث وفق صراع (درامي) متميز ، يجعل من سياق مجريات أحداثها لوحة فنية رائعة للعرض ، لا مجرد عرض لتفاصيل الأحداث والتاريخ دون ربط أو استلهاً ؛ لأن الخوض في هذه التفاصيل "لغو لاغناء فيه ، وزحمة تكتظ الفراغ ، وتغطي على الخطوط الرئيسية في الصورة"<sup>(٣)</sup> ، والتاريخ - حاضره وماضيه - داعم للمسيرة في ذلك .

و حين نلتمس الإبداع في أي شخصية نجد أنه "سرد معلن للكوا من المتواترة لتفاصيل شتى وتخرصات زمنية وانبعاثات حضارية متلاحقة ، فأنت لست محصلة أناك مفردة في فراغ ، بل اختزال لإرث فكري وحضاري ضارب في الزمن وحصيلة وعي جمعي متراكم"<sup>(٤)</sup> .

- (١) يذهب الدكتور ماهر إلى أن مصطلح (السيرة) أقدم من (الترجمة) ، ويرى استخدام المعاجم المعاصرة كلمة (الترجمة) دلالة على (السيرة) ، ويحصر الفرق في أن (السيرة) حياة مسهبة ، بينما (الترجمة) موجزة . انظر : المرجع السابق (ص ٥٥) .
- (٢) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقي الدين السيد (ص ٢٢٨) .
- (٣) كتب وشخصيات ، الأستاذ سيد قطب رحمه الله (ص ٣٠٢) .
- (٤) سوق عكاظ : ملف ثقافي صادر عن نادي الطوائف الأدبي ، مقال الكاتبة اعتدال عطوي "تفاصيل سيرة ذاتية معلننة" (ص ٢٤٣) ، على اختلافنا مع الكاتبة في بعض مصطلحاتها ذات المرجعية الفكرية المشتتة بعيدا كدعوى انتشال النفس من "جليدية التلقين ، والبئر العميقة ، ووأد القيود الواهية" ونحوها من الكلمات الرمزية المناهضة للتراث والتوازن الفكري - الباحث ..

ومما يذكره النقاد والدارسون من نماذج السير الأدبية ما كتبه د. طه حسين<sup>(١)</sup> في كتابه الذي يمثل سيرته ، وهو (الأيام)<sup>(٢)</sup> ، وقد استخدم فيه غير ضمير المتكلم الذي استخدمه كثيرا في كتابه الآخر (أديب)<sup>(٣)</sup> .

وطه حسين في (أيامه) ينقل بريشته الرائعة صورة حياته وماعاش فيها من تقلبات وتحولات أثرت في نفسيته ومواجهاته وطبيعته ، ولعل من قرأ (الأيام) ووجد ضحك العيش الذي مرَّ به طه حسين عرف طرفا من أسباب ثورته العجيبة .

أما محاولته (مع المتنبي) فيرى بعض الباحثين أنها ليست (ترجمة) خالصة ، ولا بحثا أدبيا خالصا ، ولكنها بين بين ، تحت ما يسمى (الاستعراض التصويري)<sup>(٤)</sup> .

وقبل أن نمضي في بيان شئ من أمثلة (السيرة) في أدبنا العربي نشير إلى أن بعض الباحثين يشدد الخناق في النظر إلى تكامل سيرة ما ، فلا تجده إلا معرّضا بجوانب النقص على اختلاف في وجهات النظر ، حتى قال بعضهم : "ولدينا في اللغة العربية عدة نماذج للتراجم ، ليست واحدة منها مما ينطبق عليه نصّ الاصطلاح الحرفي : (ترجمة)"<sup>(٥)</sup> .

- (١) هو طه بن حسين بن علي بن سلامة ، ولد عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) ، أحدث ضجة في عالم الأدب بفكره المتحرّر ، ولد في قرية (الكيلو) بالصعيد ، وكُفّ بصره في الثالثة من عمره ، درس في الأزهر وله فيه مواقف أثرت في فكره ورميه الأزهر بالجمود ، تخرج بالسوربون (١٩١٨م) ثم عاد إلى مصر ، ثم صار وزيرا للمعارف فجعل التعليم الثانوي والمهني مجانا ، له "في الأدب الجاهلي" ، و"حديث الأربعاء" ، و"أنا" وغيرها ، حاول إقامة دائرة معارف عربية فلم ينجح ، توفي بالقاهرة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .
- (٢) انظر : الأعلام ، الزركلي (٢٣١/٣) ، مع نثار من قلم الباحث .
- (٣) ويقع في ثلاثة أجزاء من القطع المتوسط ، طبعة دار المعارف ، كلّ منها في قرابة ثمانين ومائة صفحة أو ستين ومائة - الباحث - .
- (٤) نشرته دار المعارف كذلك ، وطبعته السابعة من القطع المتوسط قرابة ثلاث وثمانين ومائة صفحة - الباحث - .
- (٥) انظر في هذا : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، الأستاذ سيد قطب (ص ٩٢-٩٣) ، وكتابته : كتب وشخصيات (ص ٣٠٠) .
- (٥) النقد الأدبي أصوله ومناهجه (ص ٩١) .

ولعلّ في هذا شيئاً من المبالغة ؛ إذ إننا حين نقارن سيرة عربية وأخرى أجنبية نرى اكتمال التجربة الشعورية والطريقة التعبيرية الفنية عن هذه التجربة ، بما لا يفرق عن مثيلتها الأجنبية ، بل قد يفوقها .

إن (الأيام) - مثلاً - استطاعت أن ترسم سيرة ذاتية بمزايا عديدة منها : "الطريقة البارعة في القصّ ، والأسلوب الجميل ، والعاطفة الكامنة في ثناياه المستعلنة أحياناً حتى تغطي على السطح ؛ وتلك اللمسات الفنية في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص ، والقدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جادّ حتى تظهر وكأنها غير مقصودة"<sup>(١)</sup> . وعبقريات العقاد<sup>(٢)</sup> تسير على النسق ذاته ، إلا أنها تفقد كمال التصوير ، وتتسم بعدم تحرير النصوص المؤثرة في الأحداث ؛ مما يسبب غبشا في الرؤية<sup>(٣)</sup> .

وقد ظهر كتاب "الساق على الساق" قبل ذلك زمناً ، وهو نموذج للفن القصصي ، والسيرة الذاتية في نفس الوقت ، بل يعدّه الدكتور محمد الهادي المطوي رواية ، ولكنه أقرب إلى السيرة الذاتية ، ويستشهد الدكتور المطوي على

(١) فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص ١٣١) .

(٢) هو عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد ، إمام في الأدب ، أصله من دمياط ، أحد أجداده كان يعمل في (عقادة) الحرير فلقب بذلك ، أمه كردية ، ولد عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ، شغف بالمطالعة ، ونشأ عليها ، عمل موظفاً بالسكة الحديدية ووزارة الأوقاف ثم معلماً ثم انقطع للكتابة والصحافة ، أجاد الإنجليزية ثم الألمانية والفرنسية ، صنف ثلاثة وثمانين كتاباً ، صدر منها "أنا" بعد وفاته ، كان عضواً في المجامع العربية الثلاثة (دمشق ، القاهرة ، بغداد) له شعر جيد ، وكان أجشّ الصوت طويل القامة نعت بالعملاق ، توفي بالقاهرة ودفن بأسوان عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) .

انظر : الأعلام ، الزركلي (٣/٢٦٦-٢٦٧) .

(٣) انظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، الأستاذ سيد قطب رحمه الله (ص ٩٢) بتصرّف . ويمتدح الأستاذ سيد (العقاد) كثيراً ؛ بل يسميه "دارس الشخصيات الأول إلى اليوم" ، ويراه أهلاً لرسم الصورة وإعطائنا مفتاح الشخصية ، كما يمتدح الدكتور طه حسين في تحليله وطريقة تصويره . وانظر في كل ماسبق : كتب وشخصيات ، سيد قطب (ص ٢٩٨-٣٠٦) . بينما لا يعد الدكتور إحسان عباس العبقريات من السيرة الأدبية بمعناها الدقيق ؛ ولهذا يراه مخففاً . انظر : فن السيرة (ص ٥٨-٦٢) مختصراً .

ذلك بقول الشدياق<sup>(١)</sup> على لسان بطله (الفاريق) : "أنا العبد الحقير كاتب سيرته"<sup>(٢)</sup>.

ولئن كانت هذه المحاولة أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث ، فإنها لاتعدو - كما يراها الدكتور إحسان عباس - ذكر التنقلات والأحوال باستطراد وترادف وسخرية ومجون ، مع رحابة صدر الكاتب لتلقي المدنية الحديثة ، ونظرته إلى المرأة ، وسخريته برجال الدين<sup>(٣)</sup> ، ويؤخذ عليها الانقياد لطبيعة المقامة وكثرة التورية والتلميحات ؛ مما أفسد استرساله ، وأعاق متعة السرد ، وأغرق في الخيال وصنع المشاهد ، مما جعل الدكتور إحسان عباس لايعده - إذا قورن بأيام طه حسين - سيرة ذاتية بالمعنى الفني الدقيق<sup>(٤)</sup> ، بينما يرى محاولة أخرى أكثر استيفاء لعناصر السيرة الفنية ببراعتها وصراحتها وفنية بنائها، وجمال تصويرها النفسي للحدث؛ تلكم هي محاولة (نعيمه)<sup>(٥)</sup>.

(١) هو أحمد بن فارس الشدياق ، عالم باللغة والأدب ، ولد عام (١٢١٩هـ/١٨٠٤م) ببلبنان ، من أبوين مارونيين سميّاه فارسا ، تلقى عن علماء مصر وتنقل في أوروبا ، ثم سافر إلى تونس فأسلم وتسمى (أحمد فارس) ، أصدر جريدة (الجوائب) واستمرت (٢٣) سنة ، توفي بالآستانة ونقل جثمانه إلى لبنان عام (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) ، له مؤلفات عديدة ، منها : "الjasوس على القاموس" ، و"الساق على الساق" ، و"غنية الطالب" وغيرها .

انظر : الأعلام ، للزركلي (١/١٩٣) .

(٢) أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة ، د. محمد الهادي المطوي (ص٤٠٧-٤٠٨) بتصرف .

(٣) مصطلحنا - أهل الإسلام - هو العلماء ، أما (رجال الدين) فيقرب أن يكون مصطلحنا نصرانيا - الباحث - .

(٤) انظر : فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص١٣٠-١٣١) .

(٥) هو ميخائيل نعيمة ، ولد ببلبنان سنة (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) ، شاعر مهجري ، تعلم بفلسطين وأوكرانيا ، هاجر إلى أمريكا ، وأنهى دراسة الحقوق والآداب في جامعة واشنطن ، ودخل الجيش الأمريكي ، ثم أرسل إلى الجبهة الفرنسية في الحرب العالمية الأولى ، حرر في صحيفة (الفنون) و(السائح) ، من مؤسسي الرابطة القلمية ، عاد إلى لبنان ولم ينظم الشعر بعد عودته كان أرثوذكسيا يؤمن بالتناسخ ووحدة الوجود وكان يضيق بالنقد ، وكأنه لم يتزوج ، له "الغربال" ، و"زاد المعاد" ، و"سبعون" وغيرها .

انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص٢١٣) .

في سيرة (جبران) <sup>(١)</sup> ، وكتابه الآخر (سبعون) الذي تحدث فيه عن سيرته الذاتية في ثلاثة أجزاء ، ويمثل كل منها مرحلة من مراحل حياته .

لكننا نجد الباحثين يطرون سيرة (جبران) ، بينما قد لا يذكرون الكتاب الآخر ولعل ذلك راجع إلى قيمة هذا الكتاب لديهم وطريقة أدائه وخياله الخصب ، وتنوع الأسلوب وتحليل أعمال جبران ونقدها ، وتعريه شخصيته <sup>(٢)</sup> .

بل إننا نجد الدكتور إحسان عباس يزجي الثناء العاطر ، ويدبج المديح لهذه السيرة التي أخرجها نعيمة ففيها " اكتمل للسيرة وجودها في الأدب العربي الحديث من حيث الغاية والتطبيق " <sup>(٣)</sup> ؛ ويعزو ذلك لصراحته فيها تصويرا للصديق ، وكشفا للصراع مع الحياة ، وعرضا لجبران في مرحلة الضعف والقلق ، ونقدا ساخرا من متناقضاته ، مع جمال فني وحيوية وتدرج تام في النمو والكمال ، مع كون هذا البناء قد لا تشوبه إلا بعض المقدمات التي تورط فيها العقاد إلى درجة الإملال! <sup>(٤)</sup>

وقد أسرف نعيمة في الحوار كثيرا ، محاولا محاكاة طريقة جبران نفسه في ذلك <sup>(٥)</sup> . ولكنه كان شجاعا صريحا ، تبدو الحماسة كامنة في إخلاصه ، وهو ناقد قبل أن يكون فنّانا ، وإنما قدر على التصوير بهذه الطريقة لمئات الصلة بينه وجبران "ولعله لا يبلغ هذه القدرة لو حاول أن يكتب سيرة شخص آخر" <sup>(٦)</sup> .

(١) هو جبران خليل جبران ، شاعر ناثر من لبنان ، اغترب في أمريكا وفرنسا ، كان رفيقا لنعيمة في الرابطة القلمية بنيويورك ، وكان مولده عام ١٨٨٣ م ، ماتت أخته ثم أمه ثم أخوه ، وكان عميدا للرابطة ، وظلّ يكتب ويصنف حتى وافته منيته بعد معاناة شديدة مع مرض السلّ الذي أهلك أهله كذلك من قبله ، وكانت وفاته عام ١٩٣١ م .

انظر : جبران خليل جبران ، د. فوزي عطوي (ص ١٣) ومابعدا .

(٢) انظر في هذا : ميخائيل نعيمة .. منهجه في النقد واتجاهه في الأدب ، د. شفيع السيد (ص ٣٥٧-٣٧٩) .

(٣) فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص ٦٣) .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص ٦٤-٦٥) .

(٦) المرجع نفسه (ص ٦٧) .



ولاندري لم هذه النظرة المتشائمة من الدكتور عباس لما كتبه العقاد في غبقيات الفذة ، حيث لم يقدم مبررات نقدية كاملة تؤسس اكتمال هذه النظرة وإنما نجده يفرع إلى القول بإخفاق العقاد في قصته إذ يقول : "والعقاد أخفق في كتابة القصة حين أنشأ "سارة" ، فعزف عنها ، ووجد خياله الذهني - إن صحت التسمية - مجاله الرحب في التراجع والمحاکمات العقلية"<sup>(١)</sup> .

فهذا النظر من الدكتور فيه عموم لاضابط له ، ويحتاج - حسب علمي - إلى وضع النقاط على الحروف ، وبيان أسباب ومقدمات هذه النتيجة .

ولعل من نماذج السيرة المتقنة (أيامي)<sup>(٢)</sup> ، وهو نموذج للسيرة في جانبها التعليمي<sup>(٣)</sup> والإصلاحي على وجه الخصوص<sup>(٤)</sup> . وقد جمع فيه بين الحقيقة والخيال مرسلًا حديثه ببوح صادق لا تكلف فيه ولا تقعر ، مع واقعية الشخصيات ، وهو في كل هذا يتخلى عن تقمُّص شخصية المؤرخ ؛ ليلبس مايناسب شخصية الفنان المبدع<sup>(٥)</sup> .

وقد يسجل غيرها من السير في أدبنا السعودي الحديث ، خاصة مع انتشار الكتابة في هذا المجال الإبداعي ، وإن لم يكن وفق الصورة المنشودة<sup>(٦)</sup> . وقد يتناثر بعض السير من خلال القصص ؛ حيث هي رافد تستجلى منه ، بل يرى بعض النقاد أن السيرة والقصة صنوان متماثلان ، فالسيرة لدى هؤلاء نمط

(١) المرجع السابق (ص ٦٦) .

(٢) وقد كتبها الأستاذ الأديب أحمد السباعي رحمه الله .

(٣) هناك مايسمى (تراجم التفسير الأدبي) ويركز فيها الكاتب على رحلته الفنية ومراحلها وتطور قدراته .

انظر بالتفصيل : الأدب العربي الحديث ، د. محمد صالح الشنطي (ص ٣٤١) وما بعدها ، بتصرف .

(٤) انظر : فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور ، د. السيد محمد ديب (ص ١٠٦) .

(٥) انظر : مواقف نقدية ، د. منصور الحازمي (ص ١١٥-١١٩) مختصراً .

(٦) ذكر د. يحيى محمود ساعاتي في كتابه "الأدب العربي في المملكة العربية السعودية" مثالا على ذلك وهي أحد عشر عملاً من أعمال (السيرة الذاتية) في المملكة ، وثلاثة من أعمال الدارسين حول واحدة من هذه السير . انظر (ص ٤١-٤٣) .

من أنماط الأدب القصصي ، وإن كان ثمة خلاف يسير في (توصيف) المصطلحين<sup>(١)</sup> .  
 وحين قدم العقاد لكتابه (عالم السدود والحدود) جاء في مقدمته تلك أنه  
 يرى الكتاب خلاصة مارآه وأحس به وفكر فيه خلال سجنه ، وهي في نظره تشبه  
 القصة ، قريبة من البحث في الإصلاح الاجتماعي ومن شكل الرحلة ، وأن غرضه  
 فيه أن يستعرض القارئ عالم السجن كما استعرضه هو ، فكأنه يعيش القصة ولكن  
 دون أن يقيم في السجن تسعة أشهر!<sup>(٢)</sup>

وتؤكد الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أن كتابة القصة والرواية وتفاعلهما أثر  
 تأثيرا بالغا في كتابة التراجم<sup>(٣)</sup> .

ولاتكتفي بهذا العامل مؤثرا في كتابة التراجم ؛ بل تضيف إليه عامل المجتمع  
 والظواهر التاريخية والأنظمة السياسية والاقتصادية وعامل المناخ والجنس (النوع) ،  
 و"اليد الصنّاعُ وحدها هي التي تعرف كيف تحركها في مهارة فائقة فلا تتشابك  
 ولا تتعقد بل تتوازي أو تلتقي في سهولة وفن تشهد لصاحبها بالبراعة ، ولعمله  
 بالأصالة والتميز وعمق الإحساس"<sup>(٤)</sup> .

بل ترمي الدكتورة نعمات إلى أبعد من ذلك ؛ حيث تصل بين العلوم الطبية  
 والسيرة ودراستها فتشير إلى إلماحة (السحرتي) عن أثر دراسة الشخصية من خلال  
 الطب ؛ إذ نقل خبرا عن نابليون وضعف غدّته النخامية ، وآثار ذلك في جسده  
 ونفسيته عبر مقال له عن الانتحار<sup>(٥)</sup> .

ولاننكر مثل هذه الآثار - ولاشك - ؛ ولكن لانميل إلى المبالغة وتضخيم هذا  
 الجانب ؛ حيث إن لهذه العلوم طبيعتها ومبالغتها في ناحية الحيلة الطبية مما قد ينتج  
 عنه تهويل للأمر ، وتزيّد فيه ؛ وإلا فلا غرو في أثر بعض الدراسات الحديثة في ذلك  
 إذ يؤكد الدكتور نبيل راغب تحدّد السيرة بذلك ، وتنوّعها وطرائقها ، وتناولها  
 للأحداث والأشخاص حسب إملاء العصر وتجددّه ؛ حيث يراها قد أفادت من

(١) انظر : طه حسين أدبيا وناقدا ، د. يحيى شامي (ص ٣٤) .

(٢) انظر : المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، عباس محمود العقاد (١٢-١١/٢٣) .

(٣) انظر : قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص ١٠) .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص ٨-٩) .

تجارب الحياة وأحداث التاريخ واكتشافات التفسير ودراسة النفس ، ونظريات الجمال والأدب والفن<sup>(١)</sup> .

ولعل كاتب السيرة الموضوعية (الغيرية) يُعنى بمراعاة ذلك أكثر من غيره حيث هو قاصد له ؛ لما له من أثر وتأثير .

وكاتب السيرة (الذاتية)<sup>(٢)</sup> يساير ذلك في كتابته وتشخيصه ولو لم يقصد أو يراع الأخذ ؛ لأنه متأثر به ، بل هي خليط أمشاجه وتجاربه وإنما يركز عنايته ومراداته في تصوير نفسه أكثر مما يقصد غير ذلك . بل قد يصدر عنه هذا في مقالة

(١) انظر : دليل الناقد الأدبي (ص ١٣١) ، وللتفصيل انظر : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب د. محمد خلف الله أحمد (ص ٢١٩-٢٢٠) ، وقد ضرب أمثلة عديدة يحسن الرجوع إليها هناك . وانظر : في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ٦٢-٦٣) .

(٢) يقسم الدكتور عبد العزيز شرف السيرة إلى (ذاتية) و(غيرية) ، ويُنقل عن بعض الباحثين عدم التفريق بينهما غاية وشكلا ومضمونا ؛ عدا كون أولاهما بلغة المتكلم ، والأخرى بصيغة الغائب ، ويرى شرف أن (الذاتية) صورة من صور الاتصال الذاتي (Intra Personal) بين الفرد ونفسه انظر : دراسات تطبيقية حول التفسير الإعلامي الحديث (ص ٢٣٠-٢٤٠) . ويفرق الدكتور ماهر فهمي تفريقا جميلا بينهما ؛ حيث يرى أن الذاتية تحليلية ، والغيرية تركيبيية وكاتب الأولى يقدم الشخصية من الداخل إلى الخارج ، أما الآخر فمن الأحداث يتعمق في الداخل ؛ ولذا رأى من الطريف ملاحظة نقص الأولى وكمال الثانية ؛ لكمال صورتها وتقديم حياة كاملة . انظر : المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية (ص ١٢٠-١٢١) .

ويرى أنيس المقدسي في كتابه "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة" (ص ٥٥١) أن الغيرية تحتفظ بمسمى (السيرة) إن كانت تفسيراً للحياة الشخصية في جوها التاريخي . ويذهب الدكتور نبيل راغب إلى أن التفريق بينهما إنما يكون ظاهرا بوضوح في الآداب الأوروبية ومصطلحات اللغة فيها ، ولكنه قد لا يكون هكذا في بيئتنا ؛ ويؤسس هذا الخلاف بين (السيرة الذاتية Autobiography) و(السيرة الغيرية - الأخرى - Biography) . انظر : دليل الناقد الأدبي (ص ١٢١) .

ويقسمها الدكتور محمود عباس عبد الواحد في كتابه "مهارات في فنون الأدب والمراسلات" (ص ١٦-١٧) إلى تاريخية وأخلاقية وقصصية وغيرها .

أو غيرها من فنون الأدب ، مما تستنطق حروفه لتشي بطرف من خبايا النفس وسبر أغوارها<sup>(١)</sup> .

وتناول سير المعاصرين فيه نوع من عنصر التشويق لا يخفى ؛ حيث يطلع القارئ على ظلال شخصيات قد لا يتسنى له أن يسلط الأضواء عليها دون استرشاد بهذه السير ، التي لم تتناول إلا من خلال مصادرها المثبتة .

"والمعاصرون هم الذين نستطيع أن نطلع على حياتهم بجميع صغائرهما ودقائقها إذ تغمرهم أضواء تكشفهم لمن يكتب عنهم كشفا تاما ، وخاصة إذا كان من أصدقائهم . أما القدماء فإن حياتهم غابت عنا ، ومهما جهد من يصورهم فإن صورهم تظل ناقصة ، لأنه لا يملك الوسائل الكافية كي يستبين حياتهم ، وخاصة إذا أوغلوا في القدم ، ولم تعطه المصادر المعلومات الكاملة عنهم . ومن ثم كان لابد أن يستعين بخياله في تصويرهم ليستكمل به مآخذه الزمن من حياتهم ، فإن حياتهم تبدو كتماثيل مهشمة"<sup>(٢)</sup> .

ولابد من الإشارة هنا إلى وجوب عرض هذه الشخصيات من زواياها العديدة ، فلا يكتفى باللمحات العامة المقنضة ؛ بل على من نذر نفسه لتتبع سير هذه الشخص ، وإفرادها بالتناول والتصوير أن يكون ميدان عمله رحبا غنيا بهذه الشمولية ، موضوعيا صادقا ؛ لأن الصدق فوق الأشخاص وذواتهم .

ويبقى أن "السيرة عملية بوح تركز على النجاح ولاتلتفت إلى النهاية بالموت ولكنها توقف القراء على قيمة الأثر في الحياة ومدى جهد الشخصية في حياتها لتحقيق مراداتها"<sup>(٣)</sup> .

(١) يطلق الدكتور محمد يوسف نجم مصطلح (مقالة الصورة الشخصية) على ما كان يُظهر الكاتب فيها تجاربه وتحليلاته للحياة ، ويرى فيها بوحا وفكاهة واعترافا ، ولانعدم أن نجد (السيرة الذاتية) مبثوثة هنا ، وقد تتكامل أجزاؤها من هنا وهناك ، ويرى فيها كشفا للنفس خلافا للسيرة المحضة التي قد يحاول كاتبها الاختفاء قليلا ، ويرى النسبة بين هذا النوع من المقالة والسيرة الكبيرة - كما سماها - كالنسبة بين الأقصوصة والقصة .

انظر : فن المقالة (ص ١٠٢-١١٩) .

(٢) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ٦٣) .

(٣) المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات ، جامعة قطر ، بحث د. ماهر فهمي (ص ١٠٤) بتصرف .

ولعل الذين ينظرون إلى الحديث عن الشخصيات المعاصرة بصورة كالحلة ، هي صورة التخون ، والنظر من خلال هذه الخلفية المتوجسة ؛ ينطلقون من رؤيتهم النقص في هذه الموضوعية ، وركوب سبيل الإطراء والمزايدة على حساب العلم والمنهج ؛ وإلا "فمن المؤكد أن رؤية بطل السيرة والتعرف عليه أثناء حياته له فائدة كبيرة"<sup>(١)</sup> .

ويبقى متتبع هذه السير محتاجا إلى هذه الموضوعية - كما أشرنا - وذلك ديدنه ومنهجه ؛ "حتى لا يسقط خيط من خيوط التعصب إلى أحكامه . إن كل ما يطلب منه أن يعبر تعبيرا دقيقا عن العلاقة بين آثار أدبية معينة وبين أديب صنعها له حياته العامة والخاصة في وسط تكون فيه . ومهمته أن يرينا هذه الحياة في أضواء قوية تكشف عن انسجامها الكلي مع تلك الآثار ، بالرغم مما فيها من نشاز ، بل إن النشاز أحيانا يكملها ويؤلف خصائصها"<sup>(٢)</sup> .

وقد يجد بعد حين أن عليه أن يعيد الكتابة عن شخصيته تلك لاكتشاف أمر جدّ في ذلك ، من تأمل ورجوع في النظر ، أو قد يكون ذلك من توافر مصادر أخرى .

يقول أندريه مورو : "ينبغي أن أعيد الكتابة عن الشاعر الإنجليزي (شيلي) فإن بعض ما كتبه عنه سنة ١٩٢٣ غير حقيقي بعد اكتشاف خطابه عام ١٩٣١ ، وقد تغيرت تبعاً لذلك الشخصية"<sup>(٣)</sup> .

نعم .. إنها - بحق - لمسؤولية عظيمة يحتملها الكاتب معه ، وينبغي أن تكون معه على ذكر وتأمل دائمين .

حتى لو كانت سجلا سطره كاتب عن نفسه عبر ماسميناه (السيرة الذاتية) فهو مطالب بالقيام بذلك كله ؛ "لهذا كانت كتابة السير أمرا غير يسير لا يقدر عليه إلا من أربى على قدرة المؤرخ وإحساس الأديب معا ، فالسيرة ليست سجلا لحياة

(١) المرجع السابق (ص ٩٤-٩٥) .

(٢) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ٦١) ، وانظر : فصول في التفكير الموضوعي ، د. عبد الكريم بكار (ص ٧٩، ١٧٣، ٢٠٨، ٢٣٥) .

(٣) المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، إصدار قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات ، جامعة قطر ، بحث د. ماهر حسن فهمي (ص ٩٧) .

فرد من مولده إلى مماته ، ولكنها قصة إنسان فذ أو متميز بكل ما ينبض به قلب هذا الإنسان من أحاسيس وعواطف وما اعتور عقله من فلتات الذكاء الفذ والخيال الجامح ، وأبرز ما في السيرة هو العمل الكبير الذي قام به صاحبها والأثر الفعال الذي تركه بعمله في الحياة الإنسانية ، وبقدر ما يعظم هذا العمل ويعظم تأثيره ، بقدر ما يحفل به التاريخ فيقص خبره ويروي سيرة صاحبه"<sup>(١)</sup> .

(١) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقي الدين السيد (ص ٢٣٣) .

## الباب الأول

**الفصل الأول**  
**السيرة**  
**مؤثرات .. ومعالم**



## ففي البدء :

كتب العقاد في إحدى مقدمات شخصياته وعبقرياته فقال : "والصفحات التالية صور متتابعة لهذه الشخصية أو لهذه العبقرية ، لم نخفل فيها بسجل الأرقام ولا بإحصاء الأيام ، ولم نكتبها لنبدأ فيها بسنة الولادة ، ونختمها بسنة الوفاة ، ونمضي فيها مع التقويم شهرا بعد شهر وعاما بعد عام ، ولكننا كتبناها كما نكتب تراجمنا عامة لنعرض فيها لمحة بعد لمحة تتم بها ملامح الصورة بعد الفراغ من النظر إليها ، وقد يتابعها القارئ فلا يفوته مع ذلك سجل الأرقام ولا إحصاء الأيام ، وإنما يلّم بها حيث يعبرها في طريقه ، ويستغني عنها بعد ذلك إذا شاء ، أو يبقّيها على حد سواء" (١) .

إن الشخصية لتظهر بجلاء خلفياتها ومرجعياتها حين يتلمس المرء معالمها من قرب ؛ ليصل إلى غايته كما أراد ، وليمد الحبل إلى المعرفة متمسكا كل جديد ومفيد والأستاذ الدكتور (عماد الدين خليل) (٢) أنموذج لشخصية فريدة في هذا العصر تتدفق عطاء وحيوية كلما نظرت في كتاباته أو جلست معه مسامرا ومتحاورا .. مما يحدو المرء إلى استجلاء هذه الشخصية وإبراز معالمها للناس .

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، عباس محمود العقاد (١٥/٢١) .

(٢) نشير هنا إلى أن ما كتب عنه - حسب اطلاعنا - لا يتعدى صفحات يسيرة هنا أو هناك مما جعل الغاية قائمة لجمع هذا الشتات ولم هذا الشعث من خلال مصادر عديدة وطول نظر في نصوصه المكتوبة ، أو تسجيل لبعض الحوارات التي أجراها معه بعض الصحفيين ، أو لقاء تم بينه والباحث على أرض عمان بالأردن عام ١٤١٨ هـ مع عدم إغفال أثر النصوص المكتوبة على وجه الخصوص ، ففيها دلالات وتوثيقات أكيدة .. وسوف نشير إلى ذلك بتفصيله عند الحديث عن مصادر كتابتنا لملامح ومعالم سيرته ، والمؤثرات التي أثرت في حياته اليومية والعلمية والفنية - الباحث - .

## المبحث الأول مصادر المعالم

ربما تكون الصفحة التي يتحدث فيها عن سيرته ، وتستفتح بها كتبه في أغلفتها الداخلية غير كافية لذلك ؛ بل هي كذلك - ولاشك - فكان لزاما أن نقوم بمسح هذه المعالم من خلال مصادر كثيرة ؛ لنستنبط منها صفة خلقية أو عادة اجتماعية أو نفسية وهكذا .  
ومصادر استجلاء هذه المعالم على النحو الآتي :

### أولا : الحياة وحركتها :

فالحياة حركة تجلو النفوس ، وتبين ملامحها ، وتكشف أسرارها ، بكل ما فيها من معالم التاريخ وآثاره في الأفراد .  
والسيرة إذا ارتيدت لذلك جلت هذه الأحداث وجمعتها ؛ لما بينهما من عظيم الصلة وإن كانت منفصلة عن التاريخ بصفته علما له حدّه ونظامه وطبيعته .  
لكننا نجد هذه الأحداث تدخل دائرة الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يثتها الأديب في موضوعه ، والقيم الفنية التي يضمنها تعبيره .  
وهذه الأحداث مادة خام نصنع منها الترجمة ؛ ولذا تحتاج إلى من ينفخ فيها الحياة لتستحيل سيرة وترجمة رائعة<sup>(١)</sup> .  
وهكذا ينطلق الكاتب عن غيره حين يتملأ أحداث حياته ؛ ليربط بينها ، ويقوم بذلك ؛ "ليلتقط الأحداث والمواقف في مستواها الأفقي الممتد على خط الزمن ، ولكنه في عملية التفسير لحدث من الحوادث أو موقف من مواقف التاريخ تراه مضطرا إلى التوقف عند إشارات تتقاطع رأسيا على هذا الخط لتعين الكاتب على كشف جوانب الشخصية"<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب (ص ٩٠-٩١) .

(٢) مهارات في فنون الأدب والمراسلات ، د. محمود عباس عبد الواحد (ص ٢٠) .

ولهذا لم يكن الدكتور طه حسين مؤرخاً في ترجمة حياته ، يحشد الأحداث التاريخية والحقائق الزمنية ، بل كان مفسراً ومحللاً وخبيراً في رسم الصور للمواقف والأشخاص بحيث يستقبل القارئ وقعها في نفسه على الوجه الذي يريده الكاتب<sup>(١)</sup>.

وقد يبدأ بعضهم تسلسل الحدث بطريقة جديدة مخالفة ؛ ليؤكد أن المراد الحقيقي من كتابة هذه السير و(المعالم) إنما هو الوقوف على نتاج هذه الشخصيات وآثار الاقتداء بها ، وتقديم تجاربها في الحياة ؛ ليفيد القراء من ذلك كله ، على نحو ما فعل (نعيمه) حين ابتداء سيرة (جبران) بتصوير فراش الموت ومرض السل حين أحاط به<sup>(٢)</sup>.

وأحداث الحياة وتأريخها ذات طابع خاص في أي شخصية ، بل قد تكون جزئيات منها نقشا في ذاكرة الإنسان ، تعكس توجهه أو تطلعاته ونفسيته ، بل يرى الدكتور ماهر فهمي أن (الصور الفوتوغرافية) قد تتلمس منها هذه المعالم النفسية ، وتظهر طريقة الشخصية في الحياة .. في اللباس .. في الهوايات .. في الذوق ؛ لتعكس ذلك كله بكل ما فيه من ظهور الصفات واتساقها على اختلاف الأحداث التي تمر بها ، فقد تظهر جزئية مأخوذة أخرى ، وقد تبدو فيه سجية هنا لم تبد هناك ، وهكذا<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر : المرجع السابق ، وقد استدرك المؤلف على صاحب الأيام حيرته في تذكر أحداث حياته وروحه الاستعلائية الظاهرة ، ومن قرأ الأيام وجد ذلك من خلال التردد في ذكر الحدث أو الأسماء ونحوها ، ومن جهة الطموح الذي أحدث استعلاء صاحب الأيام وحنقه من المجتمع ، مع اختلافنا وإياه حول بعض القضايا الفكرية - الباحث - .

أما التردد فيرجع إلى (الذاكرة) وقد أخذ على السابقين ، انظر - مثلاً - : منهج البحث الأدبي عند ابن خلكان ، فخر الدين محمد يوسف عامر (ص ٢٤١) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص ٢٠) ، وانظر - كذلك - : المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، إصدار قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات ، جامعة قطر ، بحث د. ماهر حسن فهمي (ص ١٠٢) .

(٣) انظر : المدخل ، قسم اللغة ، جامعة قطر ، د. ماهر حسن فهمي (ص ٩٨) . وقد لاتعد بعض الأعمال الفنية للشخصية وثائق تاريخية على أصحابها ، كشعر شوقي في النسب مثلاً من خلال مدائحه ، ولكننا لن نعدم ظلالاً من هذه الأحداث عن الشخصية - الباحث - .

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن سعيها هذا يربط عمل المؤرخ وبيان البيئة وعمل المصور الفنان ، ويرى فيه نفعا عظيما ؛ شريطة ألا تنكفى الشخصية على ذاتها ، ولهذا كله يمتدح استغلال هذه الأحداث في استجلاء صورة الشخصية كما امتدح ترجمة الكاتب الشاعر الإنجليزي المعاصر (استيفن اسبندر) حين سماها (حياة خلال حياة Life Within Life) <sup>(١)</sup> .

فالسيرة ومعالمها إذن تتميز بتجلية هذه الحياة ، وتتميز عنها بنفخ الروح في الشخصية وبعثها لتعيش مرة أخرى في إطار واقعها الزماني والمكاني ، وتشخص الظروف والوقائع التي لا يستها ، وآثارها عليها <sup>(٢)</sup> .

فدراسة النفس من خلال سيرتها في الحياة مصدر من المصادر المهمة للباحث كما لاحظتها الدكتورة هدى بهنام في كتاب (النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري) حين تلمست ذلك من خلال مقدرة مصنف الكتاب الفائقة على إرسال سيرته من خلال الأحداث بأسلوب أدبي متميز <sup>(٣)</sup> .

ولاشك في أن الباحث ينظر في هذه الأحداث مبديا وجهة نظره ؛ ليمنحها بعدا فكريا مهما يزيد من خصوصيتها ، ويكشف كل زواياها ، ويمنحها قوة الإقناع والتأثير <sup>(٤)</sup> .

ويؤكد (جان نويل) أن الحاجة إلى ماسماها (النظرة التحليلية) قائمة حيث نبحت في التاريخ والتجربة الواقعية للشخصية تأثرا وتأثيرا ، ولكن لابد أن نغوص في الداخل <sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : الأدب وفنونه دراسة ونقد (ص ٢٧٧-٢٧٩) .

(٢) انظر : ميخائيل نعيمة ، منهجه في النقد واتجاهه في الأدب ، د. شفيق السيد (ص ٣٦١) .

(٣) انظر : (ص ٩٢) وما بعدها من الكتاب ذاته .

(٤) انظر : المدخل ، قسم اللغة العربية ، جامعة قطر ، د. ماهر حسن فهمي (ص ١٠١) .  
حتى ولو كانت أحداثا يسيرة بل نكتا وطرائف وحوادث عابرة ، فقد يكون لها أثر أكبر من حدث بارز .

انظر في هذا : صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص ٢٦١) .

(٥) انظر : التحليل النفسي والأدب ، تعريب د. عبد الوهاب ترودار (ص ٩٦) .

وهو مارآه ريتشارد س. لازاروس في كتابه (الشخصية) ؛ حيث يدعو إلى أن تدرس السيرة بدراسة الشخصية ومماز بها من أحداث ووصفها "ووصف أبنية النظام الذي تعالجه ... وتكوين صورة "سيكولوجية" للناس بعامة ، ولشخص معين بالذات" <sup>(١)</sup> .

وأرجو أن أكون موفقاً بجمع هذه الأحداث المؤثرة في مسيرة الأديب الناقد الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل من خلال مقالاته المتنوعة ، وحواراته الصحفية التي جمعها في مخطوط يعدّه للنشر تحت عنوان : "ريورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية" <sup>(٢)</sup> ، ومن خلال الحوار الذي أجرته معه في أرض (الأردن) في شهر شعبان عام ١٤١٨ هـ منذ بدايات هذا البحث المتواضع <sup>(٣)</sup> .

(١) الشخصية ، ريتشارد لازاروس ، ترجمة د. سيد محمد غنيم (ص ٥١) .

(٢) وقد تحصلت على نسخة منه عن طريق مقابلة الدكتور عماد في الأردن ، والله الحمد .

(٣) وهو ما أشير إليه بعبارة (لقاء الأردن) .

## ثانياً : الوثائق والكتابات :

تعدّ الوثائق والكتابات من أهم مصادر الحديث عن الشخص على اختلافها.

والوثائق والكتابات المثبتة ، التي عشت معها زمنا ليس بالقصير في ردهات المكتبات داخل البلاد وخارجها<sup>(١)</sup> ، وماقت بتصويره من هنا أو هناك كان لها أثر في صورة هذا البحث .

والوثائق<sup>(٢)</sup> دليل إلى الترجمة ، ولها مصداقية لاتنكر ، ومنها الحوارات والخطابات والسجلات .

ولعل خير ماأفدت منه في ذلك مخطوط "ريورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية" ، و(لقاء الأردن) الذي التقيت فيه الأديب الناقد الدكتور عماد الدين خليل في أربعة أيام متتابة .

ونعني بالكتابات كلّ ماسطره الدكتور عماد الدين في كتبه المختلفة ، متعدّدة الاتجاهات ، بين كتابات فكرية واجتماعية وتاريخية وأدبية ونقدية ، فلم أجد الأمر مستقيماً لي إلا بالخوض في ذلك ؛ لتكون صورة الاستجلاء قريبة من التمام ، على أنني لأدعي ذلك ، ولكنني أصبو إليه .

فكنت أنقب في هذه الكتب التي جمعتها لديّ من شتى البلدان<sup>(٣)</sup> ، حتى بلغ ماجمعه منها مايزيد عن ستين كتاباً مختلفة الهدف والمنحى .

لكنني أستطيع الإشارة هنا إلى أهم هذه الكتب بعد أن أشير إلى مخطوط نفيس تحصلت عليه من الأستاذ الدكتور عماد الدين ، وقد وضع له عنوان :

(١) خاصة في الأردن وسوريا ولبنان ، ومكتبات جدة ومكة والمدينة ، والرياض والمنطقة الشرقية .

(٢) يدعو جان بلامان نويل في كتابه "التحليل النفسي والأدب" إلى ماسماه (علم نفس السيرة) ووجوب الأخذ بنتاج الأديب كلّ ، والوثائق الخارجية عن حياته وإبداعه ؛ كي تكون السيرة متماسكة ؛ لذا يجب أن نطالعها بوعي تام ، ويرى النصّ نفسه في المشهد تمثيلاً لهذا الإنسان .

انظر : التحليل النفسي والأدب (ص ٨٦-٩٩) بإيجاز .

(٣) انظر مقدّمة الرسالة .

(من أدب الرحلات) <sup>(١)</sup> يذكر فيه أطرافاً من رحلاته إلى تركيا والسودان بأسلوب ساحر .

ومن هذه الكتب التي أفدت منها كثيراً في استجلاء شخصية عماد الدين خليل :

- الرؤية الإسلامية
- مؤشرات إسلامية في زمن السرعة
- آفاق قرآنية
- حوار في المعمار الكوني
- حول إعادة تشكيل العقل المسلم
- جداول الحب واليقين (ديوان شعر)
- الإعصار والمثذنة (رواية)
- الفن والعقيدة

ومن هذه المصادر التي تبين جوانب من صفاته وحركته وحب النظام والعمل والبرامج العملية ، وسعة أفقه وبعد نظره ، ماسطره في ورقة العمل التي تقدّم بها إلى مؤتمر بماليزيا ، وقد شارك فيه قبل لقائي إياه في الأردن . وكانت الورقة بعنوان : (حول حركة الأدب الإسلامي المعاصرة : وقفة لمراجعة الحسابات) ، ومحاضرة له بعنوان : (تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر) وقد ألقاها في نادي المدينة الأدبي عام ١٤١٠هـ .

ومنها ما تكون فيه إشارة من ثناء على شخصه أو صفة محمودة فيه .  
ومن أمثلته ما سجله الدكتور عمر عبيد حسنة <sup>(٢)</sup> في مقدّمة "حول تشكيل العقل المسلم" <sup>(٣)</sup> للدكتور ، ومنها مقالاته وكتابات في المجالات المختلفة ، وقد بذلت جهداً ربما أَرْضَى عنه في جمعها وتصنيفها والإفادة منها - بإذن الله - حيث تحصّلت عليها من مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، ومكتبة جامعة أم القرى بمكة ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وعن طريق بعض مراكز المعلومات المصغرة كوكالة رونا بمدينة الرياض .

(١) مخطوط لما ينشر ، وقد تحصّل الباحث على نسخة منه في لقاء (عماد الدين) في الأردن .  
(٢) ولد في سورية عام ١٣٥٣هـ ، وأدار مجلة (حضارة الإسلام) الدمشقية قرابة خمسة عشر عاماً ثم مجلة (الأمة) القطرية قرابة خمس سنوات ، ويشرف على كتاب (الأمة) التابع لمركز البحوث والمعلومات في قطر ، وللدكتور عمر مؤلفات عديدة ومقالات فكرية واجتماعية .  
انظر : مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، له ، الغلاف الداخلي .  
(٣) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (المقدّمة ص ٢٦-٢٩) .

### ثالثاً : الحوار واللقاء :

ولقد كان لالتقائي الأستاذ عماد الدين أثر بالغ في نفسي وسيري في البحث حيث أفدت من لقاءه كثيراً بمعرفته عن قرب ، والعيش معه طيلة أربعة أيام في الأردن ، حتى نشأت بيننا علاقة وطيدة ، لكأنها من عشرات السنين ولا يحول بيني وبينه إلا إجرام طاغية العراق - عليه من الله ما يستحق - .

التقيته في مطار عمان مستقبلاً إياه بعد عودته من ماليزيا ، ثم توجهنا إلى مقر الإقامة ، ودارت حوارات مكثفة منذ اليوم الثاني من الشهر الثامن لعام ١٤١٨ هـ ، بدت لي فيها ملامح عديدة لم أكن لأجدها في غير هذا المظن ، وقد أثبت هذا اللقاء تصويراً حياً وتسجيلاً كاملاً فكان - بحق - قيمة علمية أعتز بها كثيراً ، وأأرز إليها كلما أردت إثبات فكرة ما ، أو أردت أن أذكر تلك الأطياف العلمية الندية .

يقول أحد الباحثين عن (الشخصيات) : "الواجب العلمي والأدبي والتاريخي يقتضي أن نظفر بما يمكن الظفر به من دقائق حياتهم مما له اتصال بأدبهم ومما له اتصال بتاريخ الحياة الأدبية . وقد سمعت من بعض رجالنا الإعلام أثناء ترجمتي لهم ما لا يمكن أن نعثر عليه في كتبهم أو فيما كتب عنهم . وهنا فضل المعاصرة والمقابلة الشخصية التي لا يغني غناءها ملء النماذج مهما كانت مفصلة .

إن اللقاء الشخصي يضيف جواً من الثقة والطمأنينة ، ويفتح كثيراً من الموضوعات وكثيراً من مغاليق النفوس أيضاً ، هذا فضلاً عن عامل الوقت والسرعة في الموضوع ، على أن حصاد المقابلة الشخصية سوف يدرس ويحص بعد التثبت من الحقائق في مظانها المختلفة" (١) .

(١) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص ١٣-١٤) .



### رابعاً : مصادر أخرى :

وكل شخصية من الشخصيات المختلفة ، تستطيع أن تسبر أغوارها بتهيئة وسائل عديدة ، كالسماع مثلاً وانتشار طيب الذكر لدى الآخرين<sup>(١)</sup> ، وأخذ شهاداتهم .

كما نستطيع ذلك من خلال ماكتب عن الآخرين ، ومحاولة المقارنة بينهما في الرؤية وجمع النقاط المتفقة للخروج بصورة مقاربة ، مما قد يكون موجزاً أو طويلاً . وقد يكون منها تذكّر موقف أو صفة معينة لوحظت في هذه الشخصية الأدبية ويكون لها دلالاتها المختلفة<sup>(٢)</sup> .

ولو استطاع الباحث أن يتحصّل على (مذكرات) كتبها تلك الشخصيات ؛ فإن هذا يعدّ كنزاً ثميناً بحق ؛ فالمذكرات تصوير دقيق صادق - في غالبه - فالأديب حريص على تسجيل ما يراه في يومه ، وينثره قطعة أدبية مسبوكة محبوكة .

هاهو الدكتور طه حسين يخبرنا عن حال (أديبه) مصوراً مسلكه في الليل والنهار ، إذ يحكي عنه عجباً فيقول : "وكان يقضي نهاره في السعي والعمل والحديث حتى إذا انقضى النهار ، وتقدم الليل وفرغ من أهله ومن الناس وخلا إلى نفسه ، أسرع إلى قلمه وقرطاسه وأخذ يكتب ويكتب ويكتب ، حتى يبلغ منه الإعياء وتضطرب يده على القرطاس بما لا يعلم ولا يفهم ، وتختلط الحروف أمام عينيه الزائغتين ، ويأخذه دوار ، فإذا القلم قد سقط من يده ، وإذا هو مضطرب إلى أن يأوي إلى مضجعه ليستريح . ولم يكن نومه بأهدأ من يقظته ، فقد كان يكتب نائماً كما كان يكتب يقظاً ، وما كانت أحلامه في الليل إلا فصولاً ومقالات ، وخطباً ومحاضرات"<sup>(٣)</sup> .

(١) وقد كان هذا الثناء من كثيرين ، منهم : أ.د. عبد القدوس أبو صالح - وقد زرته في منزله بالرياض - وأ.د. عبد الباسط بدر - وقد زرته في المدينة - والدكتور مصطفى عليان ، وقد التقيته في الأردن ، والأستاذ أحمد الجدع كذلك ، وآخرون - الباحث - .

(٢) أشار إلى مثل ذلك الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه "الأدب وفنونه - دراسة ونقد" (ص ٢٨٢) .

(٣) أديب ، د. طه حسين (ص ٩) ، ولعل الدكتور طه في "أديب" كان صريحاً عن نفسه وكشف بعض ملاحظاته أكثر منه في أجزاء "الأيام" الثلاثة - الباحث - .

والأديب حين يستعرض ذكرياته ، لا يكون مجرد ناقل لتقلبات الحياة ، وما يواجهه فيها ؛ لكنه يعرض ذلك كله بصورة مؤثرة جاذبة ، ذات وقع لدى المتلقي .

قال أحد الأدباء عن مذكراته : "ليس في ذكرياتي من حدث يستحق الحفظ للأبد ، القيمة الأدبية لا تقوم على أهمية موضوع ، إذا استطعنا جعل كل ما نشعر به بصدق معقولاً للآخرين ، فإنه يحظى بالاحترام دائماً ، إذا تأتينا لنا التعبير بالكلمات عن الصور التي تكونت في الذاكرة ، تستحق عندها مكانة في الأدب" (١) .

وعلى الباحث النظر إلى هذه المذكرات (٢) بعين البصر والتدقيق ، فقد يجد فيها ما ليس في غيرها ، والسطر المنثور من الصدر له قيمته .

ويرد الدكتور نبيل راغب على من يخلطون بين (المذكرات) و(السيرة الذاتية) ويرى الفرق ظاهراً في طريقة استخدام الشخصيات مراعاة للأحداث المؤثرة فيها ، فالمذكرات تركز على الشخصيات ، أما الانطباعات والتأملات فتظهر في الثانية بجلاء (٢) .

وإذا ماندت أحداث عن الأديب فإنه يندم على عدم تسجيلها .  
تراه لا يحفل بالطعام والشراب ، لكنه يرنو إلى تسجيل المؤثرات من الأحداث .

والأديب يوصي كل قارئ أن يكون له حظ من هذا التسجيل والتدوين ..  
تسجيل الخواطر والأفكار ، والعواطف والنظرات ، لا لنشرها من كل أحد ؛ ولكن

(١) ذكرياتي ، رابندرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح (٥/٤) .

(٢) يعبر عنها بعض الأدباء بالذكريات لا المذكرات ، تواضعا ، بل نرى ثروت أباظة يصنف مذكراته تحت عنوان "ذكريات لا مذكرات" وإن كان قد ركز فيها على مواقف وشخصيات ورآها صوراً فوتغرافية . انظر : ذكريات لا مذكرات (ص ٣) .  
وإن كانت هذه الذكريات والمذكرات واليوميات والاعترافات أشكالا تجتمع وتفرق في الملامح الفنية ولكنها ذات نكهة خاصة حين يكون الصدق الفني وجودة الصياغة والروح القصصية والعفوية .

انظر : في الفكر والأدب دراسات وذكريات ، د. حسن بن فهد الهويمل (ص ١٨٤) .

(٣) انظر : دليل الناقد الأدبي (ص ١٢١) وما يليها .

ليجد فيها المرء يوما نفسه التي فقدتها مع الزمن<sup>(١)</sup> .

والأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ممن اعتاد هذا التسجيل ، ولم يتوان فيه أبدا ، ولم يغفل عن كتابة مذكراته الخاصة ، بل نراه يسعى حثيثا إلى ذلك ، وبلهف شديد ، بل يسأل ربه بشوق وأمل عميقين حيث يقول : "إذا أعانتني الظروف الصحية والوظيفية فلسوف أتفرغ بعون الله - سبحانه - عبر السنوات القادمة لإنجاز الجزء الأول من (السيرة الذاتية) ، والذي يتناول السنوات (١٩٣٩-١٩٦٩م) .

لقد اختمرت لديّ التصورات التفصيلية للعمل ، واجتمعت بين يدي مادته الأولية .. راجيا أن يكون واحدا من أكثر أعمالي أهمية بسبب من تأسيساته التاريخية وعمقه الانطباعي ، فضلا عن كونه محاولة لإغناء هذا النوع الأدبي بعمل يتجاوز المنهج السردى للسيرة إلى الإفادة من الخبرة الغربية الأكثر حيوية وخصبا في هذا المجال ، وتوظيفها "إسلاميا" .. سأحاول - بإذن الله - أن أرمي ثقلي في هذا المشروع ، وأن أتعامل معه بعشق ؛ فلعل ذلك يجعله أكثر إقناعا بالنسبة لي على الأقل<sup>(٢)</sup> .

ولئن لم تر هذه المذكرات النور بعد ، فإن مانجده في (ريپورتاج) و(من أدب الرحلات) على وجه الخصوص ، يعطي خطوطا عريضة عن هذه الحياة ، وخاصة إذا انضاف إليه الحوار الذي أجريته معه وسميناه (لقاء الأردن) .

وقد اعتاد الأستاذ عماد الدين في رحلاته وزياراته العديدة تدوين ما يراه ويستوقف نظراته حيث يقول : "لقد أتيح لي - بفضل من الله ونعمة - أن أرحل إلى بلدان عديدة ، وديار شتى وأن أدوّن مشاهداتي وأرسم انطباعات الأشياء على صفحات العقل والحس والوجدان"<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : ذكريات ، الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى (٩/١) بتصرف واختصار .

(٢) ريپورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل ، وهو مخطوط كتاب لما ينشر (ص ٧٥) .

(٣) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص ٣) .

مما جعله معيناً لنا على رسم صورة عن نفسه وانطباعات الأشياء على صفحات عقله ووجدانه ؛ حيث يستشعر أن لهذه النظرات أثرها العظيم في النفس ، حتى جعله ذلك صارماً في حديث النفس للنفس ، فهذا هو يقول عن مداخلة النفس إنها "تفسد أحياناً قدرة هذا الدفق الإلهي العجيب على المضي إلى أهدافه" (١) .

ولما جاء عام ١٩٥٩ م - وكان إذ ذاك طالباً في الصف الأول في كلية التربية في جامعة بغداد - وقع عماد الدين في يوم من أيام ذلك العام على ما يسمى بالمفكرة العراقية - وهو دفتر صغير بحجم كف اليد ، مكتوبة فيه أيام السنة وشهورها متوالية فألزم نفسه أن يملأ كل يوم صفحة واحدة ؛ مما يدور له وما يسجله من ملحوظات وتعليقات على كل كتاب يطلع عليه ، بصورة ساذجة بسيطة - كما يرى ذلك بنفسه - واستمرت عادته هذه أربع سنوات على مدى دراسته الجامعية ، يسجل فيها ملحوظاته من خبرات الحياة مضافاً إليها أي كتاب يطلع عليه فيدون ملحوظاته عنه (٢) .

ومع أن مخطوطيه (من أدب الرحلات) و(ريورتاج) والحوار الذي أجريناه ، تؤسس نطاقاً واسعاً من حياته وتفصيلاتها وأحداثها ؛ إلا إن مشروع المذكرات تنقيحاً وإخراجاً يعدّ أملاً منتظراً من جملة المثقفين ، الحريصين على هذا الدفق الشعوري الثرّ .

غير أننا واجدون - كما سلف - خطوطاً ومفاتيح لهذه الشخصية ، والمرء لا يعدم أن يجد ثنائياً هنا وهناك ، فيجمع متناثرها ؛ لتخرج الصورة كاملة أو شبهها من ذلك ، بل قد يجد في مواطن لم تكن في حسبانته قبساً يهديه في الطريق (٣) .

ونجده في سيرته وحديثه عن نفسه ذاكرة بعض المواقف الحساسة من حياته ليفاد منها ؛ فهذا هو يقول عن خبراته النقدية متأملاً بقوله : "الحديث عن خبرة

(١) المرجع السابق (ص ٤٧) .

(٢) انظر : تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر (ص ٣٣) ، وهي محاضرة له ألقى بتاريخ

١٤١٠/٨/٢٣ هـ في النادي الأدبي بالمدينة النبوية ، (ج ٥) رقم الكتاب (٩٣) بتصرف .

(٣) وقد وجدنا شيئاً غير يسير من ذلك - والله الحمد - عبر مضامين خطابه الفكرية ، وأطروحاته

التاريخية والاجتماعية ونحوها مما سيثبت لاحقاً بإذن الله - الباحث - .

إنسان ما في الجانب النقدي هو جزء من نمط معروف في الأدب ، هو السيرة الذاتية التي تختلط فيها الخبرة المعرفية بالتجربة الحياتية وبالذات في نهاية الأمر .

وكما تعرفون في هذه المسألة حساسية خاصة ، وربما كانت هذه الحساسية السبب وراء ندرة هذا النمط الأدبي في معطياتنا الأدبية المعاصرة وحتى التراثية<sup>(١)(٢)</sup> هذه مصادر سيرتنا هذه ، بل معالمنا التي تلقي الضوء على ظلال هذه الشخصية وتبين (ملامح) من الحياة ؛ علّ الصورة تخرج قريبة من الكمال .

ولئن كانت هذه الكتابات بحاجة إلى قدرات موهوبة مزودة بآلات التصوير المتقن ، القادر على الاختيار ، محفوفة بالمصابرة على الاطلاع والتنقيب ؛ فإن هذه (العالم) ملامح وخطوط عريضة ، قد تنسج على نسق خاص بعد حين<sup>(٣)</sup> .  
و"عندما يتناول كاتب أو عدد من الكتاب شخصية من الشخصيات ، ويتتبعون مآدق من خصوصياتها ، لا يتوقع أيضا أن يحيطوا بكل صغيرة وكبيرة عنها"<sup>(٤)</sup> .

ولئن قامت سوق البحث وإجراءاته العلمية والفنية عن هذه الشخصية أو تلك ، فهي محاولات قد تحتاج إلى شيء من إعادة النظر كل حين .

(١) المرجع السابق (ص ٢٩) .

(٢) مما يلاحظه الناظر في واقع الحياة الثقافية اليوم ، أن كثيرا من المثقفين حين يلجئون الساحة ويكون لهم فيها مشاركات وجارات وكتابات ، يصلون إليها محمّلين بنرجسياتهم ونظراتهم للذوات تغلبا لها على مستوى الطرح وجديته! ولم يكن ذلك في مستوى حوارات النقد - التي تظهر فيها هذه الظاهرة بجلاء - ولكنه انسحب إلى مستويات الكتابات الإبداعية - وخاصة السير على ندرتها - فيتحرك الكاتب فيها بظلال شخصيته ، وكأنه يريد أن يصيغ بألوان فكره (المستدير!) كلّ ما يواجهه ، وهؤلاء خدّاعون ختالون ، مخدوعون بذواتهم - الباحث - .

(٣) النية معقودة - بإذن الله - على إخراج "سيرة" أو قريبا من ذلك بعد حين ، تعكس حياة هذا الرجل ، وهي محاولة في بداية الطريق ، أرجو الله أن لاتعثر خطواتها ، ولاتوآد في مهدها - الباحث - .

(٤) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص ١٢) .

و"مهما جمعنا من مادة ، فإن بعض الفجوات تبقى دائما في حياة صاحب السيرة ؛ لأن المادة لا يمكن أن تغطي كل يوم من حياة الإنسان"<sup>(١)</sup> .  
 قَلِيلٌ غَنَاءُ الْكُثْرِ فِي غَيْرِ قَلَّةٍ      وَقَلَّةٌ مَاقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ<sup>(٢)</sup>  
 ولأننا أردناها (معالم) فإننا سنذكرها حياة وصفات ظاهرة ونتاجا ورؤى والله الموفق ، وعليه التكلان .

(١) المدخل لدراسة الفنون ، قسم اللغة بجامعة قطر ، د. ماهر فهمي (ص ٩٩) .

(٢) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري (١١٩/٢) .

## المبحث الثاني المؤثرات

المكان .. الزمان .. الأسرة .. طبيعة الطفولة .. الأصحاب .. الموجهون والمعلمون هذه وغيرها مؤثرات تعمل في النفس عملها ، وتثير كوامنها ، تبعث الساكن فتحيله متحرّكا ، وتحرك التفكير ، وترسل الخيال منسابا مصوّرا ، وبصورة مختصرة تكوّن (الأديب) القادر ، والمبدع المتميّز .

وإن لم يصل الباحث بين هذه المؤثرات والأديب "كان مثله مثل الفلكي الذي يتكلم عن الجبال والأنهار والسهول والغابات دون الوصل بينها وبين الكائنات الحية التي تضطرب فيها"<sup>(١)</sup> .

والبحث في هذه المؤثرات مما يعين على فهم النفسيات ، وتفسير بعض النتائج ومعرفة كثير من مقاصد الأديب وأهدافه .

وقد استهوى ذلك كثيرا من الدارسين والباحثين<sup>(٢)</sup> ، الذين أرادوا الظفر بهذه الفوائد في دراسة الشخص ، أو بشئ منها ، مما كتب لهذه الدراسات الظهور وقد كان لها - بحق - وجود وتميّز وبروز .

ودارس الشخص لا بد أن يتتبّع (الحافز) الذي تمحورت حوله أو فيه هذه الشخصية أو تلك ، ويربط بينها لتكون جملة الحوافز مبرزة هذا الأثر . ولو أقام دراسته ، أو ألّف نصّه - إن كان رواية ونحوها - على غير هدى من هذا الأمر ؛ كانت محاولة ناقصة ، والنتاج الأدبي الذي أظهره للناس نتاجا غير ناضج .

"وكل ماعداه من جوانب السيرة الأخرى كالنشأة والتربية والحياة العامة التي يحياها صاحب السيرة ، ماهي إلا منافذ ينفذ منها كاتب السيرة ... سرد حياة تبدو

(١) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ٥٨-٥٩) .

(٢) ذكرت الباحثة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في ذلك أمثال : (أميل لودفج) مؤلف "العبقريّة والشخصية" ، و(كرتشمر) مؤلف "الجنس والعبقريّة" ، و"سيكولوجية العباقرة" ، و(برمان) مؤلف "الغدد المنظمة للشخصية" ، و(كوب) صاحب كتاب "غدد الحظ" .  
انظر : قمم أدبية (ص ٧) .

عادية إذا جردناها من هذا العمل الذي يشدّ التاريخ إلى صاحبه"<sup>(١)</sup> . ويرى الدكتور السيد تقي الدين أن الموهبة تسبق (الحافز) الذي هو ردّ فعل لها ، وأن "الذي يعيننا من العمل في كتابة سيرة من السير هو هذا العمل الفذ الذي حمل صاحب السيرة إلى رحاب التاريخ وميزه على غيره من البشر إذ أن"<sup>(٢)</sup> التاريخ لا يعنى بغير المتميزين الذين تركوا طابعهم على صفحاته"<sup>(٣)</sup> .  
حقا "أن أدب الأديب ثمرة لشجرة كبيرة تضرب بجذورها في الحياة الإنسانية"<sup>(٤)</sup> .

فغزل هذه الخيوط الدقيقة في حياة الشخص ، ينسج - في النهاية - بطانة للرداء الذي يرتديه أمام الناس في الحياة . وإحصاء هذه الخيوط وسبر تفاعلاتها يقرب الصورة ، ويجلو الشخصية من خلال الأحداث التي ترمز إلى الصفات والخلال ؛ ولذا قال العقاد إن "الطفل أبو الرجل"<sup>(٥)</sup> ، والنهايات تتأثر بالبدايات . وللبيئة أثر بالغ في صياغة وتشكيل الاهتمامات ، وبناء وتأسيس تصوّرات لأي شخصية"<sup>(٦)</sup> .  
ألم يقل جبران "الطبيعة أمّنا ، ونحن جميعا نحاول أن نتعلم من أمنا لعلنا نستطيع الاقتراب من أبينا"<sup>(٧)</sup> ؟

- (١) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقي الدين السيد (ص ٢٣٣) .
- (٢) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب بكسرها - الباحث - .
- (٣) المرجع نفسه (ص ٢٣٥) .
- (٤) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ٦١) .
- (٥) المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محود العقاد ، العقاد (١٧/٢٤٤) .
- (٦) ومن طريف مآذكره الأقدمون مأسطّره ابن خلدون في "المقدمة" تحت عنوان : "المقدمة الثالثة" "في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم" ، وفيه كلام نفيس فليراجع .
- انظر : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. درويش الجويدي (ص ٧٩-٨٢) .
- (٧) النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة ، د. ريموند قبعين (ص ١٩) . والتعبير عن الله بالأبوة فيه نظر ووصف ينزه الله - جلّ في علاه - عنه ، وهي زلة الأديب والخلفية الفكرية العقيدة المنحرفة - الباحث - .



ثم ألم يقل - كذلك - مخاطباً الأرض :  
 "ما أجملك آيتها الأرض وما أبهاك!  
 ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس!  
 ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالدجى!  
 ما أعذب أغاني فجرِكَ وما أهول تهاليل مسائك!  
 ما أكملك آيتها الأرض وما أسناك!

لقد سرت في سهولك ، وصعدت على جبالك ، وهبطت إلى أوديتك ،  
 وتسَلَّقت صخورك ، ودخلت كهوفك ، فعرفت حِلْمَك في السهل ، وأنفَتَك في  
 الجبل ، وهدوءك في الوادي ، وعزمك في الصخر ، وتكتمك في الكهف ، فأنت  
 أنت المنبسطة بقوتها ، المتعالية بتواضعها ، المنخفضة بعلوها ، اللينة بصلابتها ،  
 الواضحة بأسرارها ومكنوناتها"<sup>(١)</sup> .

بل إننا إذا رجعنا إلى تراثنا ؛ وجدنا أثر البيئة يعمل في تقسيم الشعر  
 والشعراء<sup>(٢)</sup> ورأينا (الطبيعة) من حولنا ، وكيف يقع أثرها في نفوس الناس عامة ،  
 وفي انطواءات نفوس الأدباء خاصة<sup>(٣)</sup> .

ولاريب في تصور هذه الآثار وانعكاساتها التأملية في هذا الكون وكتابه  
 المفتوح ؛ حيث يفتح الأديب عينيه المبدعتين ؛ ليعكس هذه الصور ، التي قد تمر  
 على غيره من الناس فلا تقع منه موقعها من الأديب ، الذي يملك هذا الفاصل  
 الشعوري ، والامتداد التأثري ، ويميّزه عن غيره من الناس .

- 
- (١) البدائع والطرائف ، جبران خليل جبران (ص ٤٠) .  
 (٢) كما في تقسيم ابن سلام في (طبقاته) إلى بادين وحاضرين ، وفي قصره الطبقات على البادية .  
 وانظر في هذا : طبقات الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، مع تمهيد للألماني جوزيف هل ،  
 ودراسة الدكتور طه أحمد إبراهيم رحمه الله (ص ٢٠١) .  
 (٣) انظر في أثر الطبيعة الكتاب النفيس "شعر الطبيعة في الأدب المصري" ، عوض علي الغباري ،  
 وانظر - كذلك - للتوسع : كتب وشخصيات ، سيد قطب (ص ٥٨) وما بعدها ، الطبيعة في  
 الشعر الجاهلي ، د. نوري حمودي القيسي ، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، د. سعدي  
 ضناوي ، وخاصة الفصل الثالث عن الإنسان ، وانظر : ابن شهيد الأندلسي أدبياً وناقداً ،  
 محمد سعيد محمد ، وما أجمل مأسطره د. عبد المحسن طه بدر من آثار الأرض في الأديب  
 الروائي في كتابه "الروائي والأرض" .

وإذا كان الدكتور عماد الدين خليل متيماً بحب الموصل ، ذاكراً لها كل حين فإن هذا مثال للانعكاس المؤثر في الأديب .

يقول في ذلك : "كنت أخرج إما للدراسة ، أو للتدريس ، أو إلقاء المحاضرات ، وحضور الندوات والمؤتمرات ، وعرضت عليّ فرص عديدة للعمل خارج العراق ؛ لكنّ عشقي لهذه المدينة وميلي الشديد إليها جعلني أرفض كل هذه العروض وأعود ثانية إليها"<sup>(١)</sup> .

ومن قبله خرج أبو العلاء<sup>(٢)</sup> من بغداد فأعلن حزنه على الفراق والمغادرة للفقر ومرض أمه ، كما يعلي من حزنه على (المعرة) من ذي قبل ، فيبكي على ذكر بغداد كما بكى غيره ، "وكان بغداد في ذلك العصر ، كانت تفيض منها تلك العين القصصية التي لا يشرب منها شارب إلا كلف بقربها"<sup>(٣)</sup> .

وهكذا يكون أثر المكان والموطن على الأديب بميله الفطري ، وتجاربه المستوحاة من تربته تلك ، ومأمراً عليه فيها من أطياف الذكرى الساحبة ظلها في نفسه ، الحافرة حبّها في فؤاده<sup>(٤)</sup> .

(١) لقاء الأردن (ص ١٣) .

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعريّ ، شاعر فيلسوف ، ولد عام (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) ولد ومات في معرة النعمان ، وعمي وعمره أربع سنوات ، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، من بيت علم ، رحل إلى بغداد ورثاه لما مات (٨٤) شاعرا وقفوا على قبره ، يلعب الشطرنج والنرد ، ولم يأكل اللحم خمسا وأربعين سنة ، يلبس خشن الثياب ، له شعر حكمة وفلسفة في "لزوم مالا يلزم" ، و"سقط الزند" ، و"ضوء السقط" ترجم شعره إلى غير العربية وله كتب أخرى ، توفي عام (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) .

انظر : الأعلام ، للزركلي (١/ ١٥٧) .

(٣) تجديد ذكرى أبي العلاء ، د. طه حسين (ص ١٤٨) .

(٤) انظر في حب المواطن والبقاع : أنا والشعر ، د. شفيق جيري (ص ٣٦-٤١) وفيه نماذج رائعة تحسن مراجعتها .

ولا يذكر الباحثون المكان ، إلا ويردفونه ذكر الزمان ؛ لما بينهما من مزاجية في أداء الأثر وتأسيسه ، وإخراج الانعكاسات بارزة في صفحة النتاج الأدبي<sup>(١)</sup> .  
حقاً .. إن هذا الكون الفسيح مأرز الأديب ، وبريات الصحراء عزلته إن أراد .. والصلة بينهما قائمة كما بين الطفل وأمه ، يقول فيها الأديب :

"مأوى في برية فسيحة  
وظلال متصلة لاتحدّها حدود  
وحيث شائعات الاضطهاد والخداع  
والحروب الخاسرة أو الراجحة  
لا يمكن أن تبلغني أبدا!"<sup>(٢)</sup>

ولعلّ من المهم في خاتمة حديثنا عن المؤثرات في سياق الحياة الأدبية والثقافية للشخص أن نشير إلى أنه قد يكون من المبالغة التعمق في إسقاط النظريات النفسية - بخلفياتها وحدودها - على دراسة الشخص والنتاج ؛ إلا ما كان منضبطاً غير مبالغ فيه ولا متكلف ؛ لأن هذه التأصيلات النفسية طرائقها وجذورها التي قد لاتتحد في حالات كثيرة بهذه الدراسات المرادة للشخص أو الإبداع ، أو لهما معاً.

- (١) توافر ذلك في مصادر كثيرة منها ، - على سبيل المثال - :  
- الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، ترجمة د. أسعد مرزوق (ص ٣٣) وما يليها .  
- التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل (ص ٤٧-٦٨) .  
- قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل (ص ٢٢٥-٢٦٨) .  
- أصول النقد الأدبي ، د. أحمد الشايب (ص ٨٣-٨٥) .  
- الزيات ناقد ، علي عبد المطلب الهوني (ص ٣٤-٣٦، ٤٤-٤٨) .  
- الصورة الشعرية ، د. ساسين عسّاف (ص ٣٤-٣٧) .  
وانظر - في التطبيق - مبحث "المكان والزمان في بعض أعمال طه حسين الروائية" للدكتورة أنجيل بطرس سمعان في كتابها "دراسات في الرواية العربية" (ص ٣٧-٧١) لاستجلاء هذه الانعكاسات وتأثيراتها العديدة .  
(٢) البيئة والإنسان عبر العصور ، إيان ج. سيمونز ، ترجمة السيّد محمد عثمان (ص ٢٢٨) .

وقد حذر كارلوني وفيللو في كتاب (النقد الأدبي) <sup>(١)</sup> من دراسات فرويد وتلاميذه ، وأنهم ذهبوا إلى التنقيب والحكم بواسطة الأثر ، ولم ينتهوا إلى تقدير نقدي مفيد! فكان نقدهم تحليلاً نفسياً لا مجرد نقد أدبي <sup>(٢)</sup> .  
ومن نظر في آراء فرويد أيقن جنوحه وشططه في التفكير عبر هذه المنطلقات <sup>(٣)</sup> .

ونحن حين نبحث عن آثار (البيئة) المحيطة بالدكتور عماد الدين نتلمس هذا في مؤثرات عديدة ، تحيط بنفسه من الداخل والخارج .  
وللبينة أثرها في الأدب ذاته وفي الأديب ، فالبينة تطبع الأديب " فيجفو ويبس أو يرقّ ويلين ثم ينتج فنرى في إنتاجه لونه وشكله وطبعه " <sup>(٤)</sup> .

(١) ترجمة كيتي سالم (ص ١٢٠) .

(٢) لاشك في أن موضوع الأدب هو النفس الإنسانية ذاتها ، والصلة بين الأدب والنفس ظاهرة ، لكن الانغماس في هذا التقريب قد يكون فيه نوع من التكلف الإجرائي في بعض تعرجاته - الباحث - وممن أثبت هذه العلاقة د. عز الدين إسماعيل في "التفسير النفسي للأدب" (ص ٥-٨) .

(٣) بدأ فرويد علمياً - بالمعنى الكامل - بدراساته النفسية عام ١٨٩٩م حين نشر كتابه "تفسير الأحلام" وما بين فيه من علاقة الشاعر بأحلام اليقظة ، وما فيه من الكبت والعُقد والمرضى المفضي إلى إشباع شبقه الجنسي المكظوم المكبوت منذ الطفولة في "أديب" للذكر و"إليكترا" للأنثى! ويمثل ذلك في دراساته الرسام الإيطالي (دافنشي) والقصاص الروسي (دوستوفسكي) وتبعه تلاميذ من أمثال : (أوتورانك) ، (وشارل بودوان) ، (رينيه لافورج) ، وبرزت قضية الترجسية وأسطورتها اليونانية القديمة الملتحمة بقضية الجنس والإغراق في الفتون الجسدي بالذات .

انظر - بالتفصيل - البحث الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ١٠٥-١١٨) ، أما الدكتور فتحي أحمد عامر ، فيرى أن الأقدمين سبقوا إلى بعض هذه النظريات النفسية التحليلية - مع بعض الانحراف التطبيقي فيها - غير أنها لاتصل إلى تشوّحات نظريات فرويد وتلاميذه ، فهي لاتتعدى - مثلاً - عند ابن قتيبة تأمله حول فكرة (الدوافع) ولم يرد بها نظرية نفسية ، ولكن أراد بيان الصلة بين الأدب والنفس - فحسب - . انظر : من قضايا التراث العربي (ص ٩-١٠) .

(٤) النقد الأدبي في المغرب العربي ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة (ص ٣٧٤) .

والبيئة مؤثرات عديدة ، فالأب الذي يقسو على كبار أبنائه ، يعدّ بيئة مختلفة مع إخوانهم الصغار الذين يدلّلون وهم في البيئة نفسها ؛ لاختلاف الحالين<sup>(١)</sup> .  
ويشير الدكتور عماد الدين خليل إلى بيان أثر شيء من هذه العوامل ، ممثلاً له في بعث رسولنا عليه الصلاة والسلام ، روح الإنتاج والعطاء في نفوس أصحابه - على اختلاف في توجيههم - حيث نرى تأثيره في أبي بكر رضي الله عنه "محرّكا فيه صفاته الخاصة ، وصدقه الباطني ، وإيمانه العجيب المطلق بكل ما عسى الرسالة والرسول ، غير ماقاله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مفجرا فيه إمكاناته الذاتية ، وحادسه العميق ، ورغبته الدائبة في استعلاء المجتمع الذي ينتمي إليه ، وقدرته على تحدي الغموض ، وسعيه الدائم للوصول إلى الهدف على الخط المستقيم"<sup>(٢)</sup> .  
ولكلّ ماسبق ذكره ؛ فإن دراسة أيّ فرد لا بد وأن تضع في حساباتها مكونات مجتمعه المحلي من خلال مفهوم (الحيز الاجتماعي) والخلفية الاجتماعية للأفراد ، والأنماط الثقافية الظاهرة ، والتفاعل الفردي والاجتماعي ، وتوزيع القوة والأنساق الاجتماعية وغيرها<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : كيف تتكامل الشخصية ، هيلين شاكر ، ترجمة أحمد زكي وداود حلمي (ص ٣٣-٣٥) .

ويرى يوسف ميخائيل أسعد أن المؤثرات البيئية تتفاعل مع الشخصية باستمرار ودون شعور ، بل بديناميكية غير إرادية . انظر : سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب (ص ١٧٤) ، وانظر المبحث الرابع في أثر البيئة في الأدب في نظر القاضي الجرجاني في كتاب الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة "القاضي الجرجاني والنقد الأدبي" (ص ٢٩٢-٢٩٧) .

(٢) حضارة الإسلام ، س (١١) ، ع (٤) ، (ص ١٣) ، مقال بعنوان "عوامل الإبداع" .

(٣) انظر في هذا : مناهج البحث العلمي ، د. محمد الجوهري وآخر (٢/٢٦٨) وما يليها .  
وانظر - كذلك - تطبيقات آثار البيئة والمجتمع في الشخص عند يوسف ميخائيل أسعد في كتابه "سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب" (ص ٢٧٢-٢٩١) .

ولعل من قديم بيان هذا التأثير ، ما يذهب إليه بعض النقاد ، من أثر تفاعل (الأعشى) <sup>(١)</sup> وبيئته وقبيلته - على وجه الخصوص - ؛ حيث نشأ في واحة "منفوحة" باليمامة في أطراف هضبة نجد ، فذكر الوادي وزرعه ونخيله ، ونحوها كما ذكر قبيلته (قيس بن ثعلبة) وفاخر بها ، فكان شعره سجل القبيلة الحافل بأمجادها ، حتى قال فيها :

وَنَحْنُ أَنَاسٌ عُوْدُنَا عُوْدٌ نَبْعَةٌ      إِذَا انْتَسَبَ الْحَيَّانُ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ <sup>(٢)</sup>  
حَقًّا "لكل ندرس نتاج الأديب علينا أن نفهمه كإنسان أولاً" <sup>(٣)</sup> ، لأن العلاقة بين النصّ والتجربة الشعورية التي خلقتها <sup>(٤)</sup> علاقة جدلية دائماً <sup>(٥)</sup> .

أما المؤثرات التي كان لها وقع وتأثير في حياة الأستاذ الدكتور (عماد الدين) فنستطيع أن نجعلها في ثمانية محاور رئيسة :

- (١) التشكّل الاجتماعي وآثاره .
- (٢) التشكّل الثقافي والعشقي <sup>(٦)</sup> القديم .
- (٣) التشكّل النفسي والحساسية .
- (٤) بناء الأستاذ .. وواقع التأثير .

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، من بني بكر بن وائل ويقال له (الأعشى الكبير) من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وله المعلّقة المعروفة ، كثير الوفود على الملوك كثير الشعر حتى فاق من قبله ، ويغني بشعره ، فسمي "صناجة العرب" ولكثرة وفوده على ملوك فارس كثرت الفارسية في شعره ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وعمي في أواخر عمره ، داره في منفوحة بالرياض ، ترجم بعض شعره إلى الألمانية المستشرق جايير Geyer .  
انظر : الأعلام ، للزركلي (٣٤١/٧) .

(٢) انظر : عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى ، د. عباس بيومي عجلان (ص ١٥-٢٩) .

(٣) لعل "كاف" التشبيه ليست في محلّها هنا ، فلو قال "أن نفهمه إنساناً أولاً" كان أولى - الباحث

(٤) أتوقف كثيراً عند كلمة (الخلق) وفي النفس منها شيء ، ولو تركناها إلى غيرها كان حسناً - الباحث - .

(٥) آداب الرافدين ، ع (٨) ، شعبان ١٣٩٧هـ / آب ١٩٧٧م ، مقال "نفسية البارودي من خلال شعره" د. عمر محمد (ص ٢٨٣) .

(٦) لعل هذا العشق من نوع خاص ، سيأتي معنا لاحقاً - بإذن الله - (الباحث) .

(٥) "الموصل" وظلال المكان في النفس .

(٦) "الزمن" ومواقف الحياة .

(٧) الأمة .. آمال ومصير .

(٨) المرجعية التأصيلية والسياق .

وقد استقيناهما من خلال المواقف والأحداث ، والكتابات والحوارات .

وإنما كانت هذه المحاور لبروزها في تشكيل هذه الشخصية وصياغتها وفق

هذا البناء الإسلاميّ الأصيل .

وسوف نورد كل محور من هذه المحاور ، مثبتا بشواهد من السيرة الخاصة

بالأستاذ ، مدعوما بآراء غيره عن هذا الأثر بصفة عامة وبما ييسر من الشواهد في

تنوعها .

## أولاً : التشكُّل الاجتماعيّ وأنثاريه :

ما كانت قصيدتا أبي العلاء في "سقط الزند" - في فراق أمّه - إلا تصويراً لعظيم أثر الأم ، حيث بلغه نعيها ؛ فحزن لذلك كثيراً ، ولزمه الحزن بقية حياته "لزمه فمثل له الأشياء كلّها سيئة بشعة ، وملاً قلبه صدوفاً عن الدنيا ، وتزهداً في ملاذها ، بل مَقْتاً لها ، وسخطاً عليها" (١) .

فللأم مكانتها الخاصة في النفس ، ولا يوازئها في ذلك أحد ، كما قال الشاعر (٢) :

أُمِّي وَلَسْتُ أَرَى فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً      أَعَزَّ مِنْكَ عَلَى الْأَسْمَاعِ وَالْبَصَرِ  
نَادَيْتُكَ الْيَوْمَ ، لَا حِسَّ وَلَا خَبَرَ      فَأَيْنَ مِنْكَ دَوِيُّ الْحِسِّ وَالْخَبَرِ  
غَادَرْتَ فِي الْقَلْبِ جُرْحًا كَلَّمَا هَدَأْتُ      آلَمُهُ اتَّقَدَّتْ فِي الْقَلْبِ كَالشَّرَرِ  
لَوْ تَسْمَحِينَ جَعَلْتُ الصَّدْرَ مَتَكًّا      لِرَأْسِكَ الطَّهْرَ فِي الظَّلْمَاءِ وَالْحَفَرِ

ويرى عماد الدين خليل في أمه الدفق الوجداني المتميز ، والأثر البالغ في النفس منذ فلتات الصبا وذكرياته (٣) .

وتتنمي والدته إلى الشاعر الموصليّ المعروف - وكان جدّها - الشاعر (الملا حسن أفندي البزّاز) صاحب القصائد العذبة في مدح الرسول ﷺ ، وهو من شعراء الموصل المبرزين ، وكان ذا عاطفة جيّاشة ، ربما كانت سبباً في استنزافه مبكراً ؛ حيث مات ولم يجاوز الخامسة والثلاثين من عمره .

وكان لعاطفته انتقال طبعي إلى ابنته والدة عماد الدين ، التي تملك حساسية عجيبة تجاه ماحولها ، يقول عن ذلك :

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ، د. طه حسين (ص ١٥٠) ، ومرثيات السقط قصائد سبع ، لأم أبي

العلاء منها اثنتان ، من جملة قصائد سقط الزند الثمانية والثمانين ، انظر : المرجع نفسه

(ص ١٩٨) ، وشروح سقط الزند ، مجموعة محققين بإشراف الدكتور طه حسن .

(٢) أنا والشعر ، شفيق جبري (ص ٤٩) .

(٣) توفيت - رحمها الله - قبل أشهر قلائل من لقاء الأستاذ بالأردن - الباحث - .



"كانت تملك حساسية مدهشة أمام الأشياء ، وربما تكون حساسيتها هذه قد نقلت وراثياً<sup>(١)</sup> إلى أبنائها من بعدها .

فأتذكر أن الشيء الذي تلقيته من أمي هو عشقها لكل ماهو جميل ، وحساسيتها الزائدة ، وأذنها المrehفة لالتقاط الأصوات ... وكانت تقرأ كثيراً ، وهي التي علمتنا القراءة"<sup>(٢)</sup> .

وقد كان لوالده "بصمات" خاصة كذلك ؛ فاجتمع لعماد الدين هذا الوعي من والديه ؛ حيث نظرا في توجيه سلوكه ، وتقويم العود وهو طري . وهو ماسماه عماد الدين : (التأثير الوراثي) "الذي يجئ عن طريق الأب والأم إذا كانا يتميزان بحساسية مفرطة تجاه العالم والأشياء"<sup>(٣)</sup> .

ومنذ أن ولد (عماد الدين) في مدينة الموصل عام (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م)<sup>(٤)</sup> ، وهو يرى البيت من حوله يتسامى في علياء القراءة والتحصيل ، وتربية الصغير على القرب من الكتاب ، والاستنارة بقبسه المنير كل حين .

وقد كان عماد الدين وإخوته ينعمون في ظلال والديهم ، وهما يحثانهم على إشعال فتائل المعرفة في نفوسهم ؛ بالاطلاع والقراءة بنهم .

يقول عن نفسه وإخوانه - متحدّثاً عن هذا الحس العميق - : "وجدته لدى أبوي في قراءة القصص خاصة في ليالي العطل الشتوية في الأيام الممطرة ، حيث نسهر الساعات الطوال ، نستمع إليهما وهما يقرآن بصوت عال هذه القصة أو تلك ، أو يحديثاننا عن قصص ، مما نسميه الموروث الشعبي وهو غنيّ غزير ذو خيال خصب"<sup>(٥)</sup> .

(١) أساس اختلاف الشخصيات عدم التماثل التام بين شخصين في الصفات الوراثية واختلاف

البيئة بينهما - مهما كان الأمر - . انظر : كيف تتكامل الشخصية ، هيلين شاكر ، ترجمة أحمد زكي محمد وآخر (ص ٢٩) .

(٢) لقاء الأردن (ص ١٢) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢) .

(٤) انظر : مبحث "لوحة عامة" الفصل الأول من هذا البحث ، لقاء الأردن (ص ٢) ، شعراء

الدعوة في العصر الحديث ، أحمد الجدع وحسني جرّار (٨٣/٢) .

(٥) لقاء الأردن (ص ٢-٣) .

وقد تمكّن حب والده من قلبه ؛ حتى ربط اسمه - بقية عمره - باسم والده ، ولم يقفز إلى لقب العائلة ، وسبب هذا - في نظره العشق الشديد للأب ، والرغبة في إظهار شيء من الوفاء معه ؛ لما عرف من إيمان والده ، وتقواه والتزامه ، وثقافته الشعبية ، وتأثيره الإيجابي في التربية<sup>(١)</sup> .

وحين بلغ والده قرابة التسعين من عمره<sup>(٢)</sup> كانت عيناه قد كَلَّتَا ؛ لنهمه في القراءة فقد كان يجلس في محله التجاري ليزاول بيعه وشراؤه ، ولا يكتفي بذلك بل يتناول وجبات القراءة ؛ حيث يطلب الكتب من ابنه عماد الدين ؛ مما كاد أن يكون سببا في فقدان البصر<sup>(٣)</sup> .

ويمتدّ وفاؤه مع والديه حديثا وعملا .. فها نحن نراه يهديهما - مُفْرَدَيْنِ - باكورة إنتاجه (الأكاديمي) في كتابه (عماد الدين زنكي) الذي يمثل رسالة (الماجستير)<sup>(٤)</sup> .

وهنا نلمح الحصر بمعانيه ودلالاته ، من خلال بطانة اختصار لفظه إذ يقول :  
"إلى أبي وأمي"<sup>(٥)</sup> ، وهو وفاء لازم ، يدين المرء به لأقرب الناس إليه ..  
﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(٦)</sup> .

وممن يبصر عماد الدين فيهم السند الحقيقي له زوجه ، التي تُرجع ما يدور في حياتها إلى المعايير الإسلامية دوماً ، وذلك من خلال اطلاعها وقراءاتها المتعدّدة ، إذ "تقرأ كثيراً وتعشق المطالعة ، وتتابع العديد من الإصدارات بشغف ، وتملك القدرة على حوار الآخرين وإقناعهم بمبرّياتها الإيمانية"<sup>(٧)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ١٠) .

(٢) توفي عام ١٩٩٤ م . انظر : المرجع نفسه (ص ١١) .

(٣) انظر : نفسه .

(٤) نوقشت عام ١٩٦٥ م في معهد الدراسات العليا في جامعة بغداد ، وقد طبعت مرتين - حسب

اطلاعي - وكانت ثانيتهما عام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م - الباحث - .

(٥) عماد الدين زنكي (ص ٥) .

(٦) سورة الإسراء : آية ٢٤ .

(٧) لقاء الأردن (ص ١٣) .

ولاشك أن لزوج مثقفة واعية أثرا غير يسير في النفس والحياة ، فهي السكن الذي يارز إليه المرء ، ويجد فيه المستراح من كد هذه الحياة ؛ مما يكون له أثر بالغ في النتاج والتفاعل مع الحياة بسكون وهدوء ، وهو ما كان يتهج به الأدباء والمفكرون ومن هؤلاء (طه حسين) حيث انشغل "بالمرأة المثقفة الواعية ، واقعا احتك به ، وأملا يفكر فيه ، وزوجا يحلم بها"<sup>(١)</sup> .

وتأثر النفس بالحيط ظاهر غير منكر ولا متردد فيه ؛ من سلسلة الأجداد والآباء إلى سلسلة المعاصرين من الأسرة قريبا وبعيدها<sup>(٢)</sup> .

ويعلن الدكتور عماد الدين أنه لا يحفل كثيرا بالمناسبات الاجتماعية ، واللقاءات العائلية - فضلا عن غيرها - ؛ لما تحمله من إرغامه على الإقلال من القراءة والكتابة ؛ وهما غنيته وزاده .

بل يشعر بالاختناق حين يجلس بينهم ، وهم لا يتحدثون إلا في الماديات وأمور الحياة بمنظار ضيق فيقول : "مفارقة كانت تعذبني كثيرا ، أن معظم أقربائي كانوا من التجار أو المحاسبين ، يتعاملون مع الأرقام ومع الأشياء ، وكنت أجد نفسي مرغما على أن أجلس معهم أيام الجمع والأمسيات العائلية ، وكنت أحس باختناق! وأشعر أنني محاصر تماما وأنا أجلس الساعات الطوال أمام أناس لا يتحدثون إلا في عالم الأشياء والتجارة والبيع والشراء!!"<sup>(٣)</sup> .

فقد كان يزعجه عدم انشغال هؤلاء بالأدب والمعرفة ، ويزعجه - كذلك - ما يتحدثون به عن عالم الحسابات وهموم أصحاب رؤوس الأموال وأرباب التجارة وهذا يجعله حريصا على الإفادة من وقته ، وعدم الإكثار من هذه الجلسات .

(١) طه حسين مبصرا ، د. محمد صادق الكاشف (ص ٧١) .

(٢) في أثر الأسرة وتأثيرها انظر - للاستزادة والتمثيل - :

- شيلر حياته وأعماله ، د. مصطفى ماهر (ص ٣٦-٤٥) .

- أحمد فارس الشدياق ، د. محمد المطوي (١/٤٥-٥٩) .

- فلسفة ميخائيل نعيمة ، د. محمد شفيق شيا (ص ٢٩٧-٢٩٩) .

- الشخصية ، ريتشارد س. لازاروس ، ترجمة د. سيد محمد غنيم (ص ١٧٦-١٨٨) .

(٣) لقاء الأردن (ص ١٥) .

ولهذا إيجابية بارزة ، حيث يقول : "فهذه المفارقة عذبتني وفي نفس الوقت حصّنتني من الاندفاع - وهذا ردّ الفعل المبكر - تجاه عالم الأشياء ، فحصّنتني من الاندفاع وراء إغراءات الأشياء ، والاندماج فيها ، والتشبّث - أكثر فأكثر - بالمعاني المجردة وبالكلمات" (١) .

وهذا ما جعله يربّي على حب القراءة أبناءه الثلاثة ، بل إنه ليقفهم أحيانا عن القراءة خشية على أبصارهم من الأذى! (٢) .

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٤) .

## ثانياً : التشكل الثقافي والعشق القديم :

كان عماد الدين قد نشأ في هذه البيئة التي يسَّرت له سبيل الانكفاء على القراءة وحبّها إلى درجة (العشق) ؛ مما جعله يراها ملح الحياة ، بل الزاد الذي لا يمضي المرء بدونه ، ومن جمع التدوين المنضبط والقراءة الناقدة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وفي هذا يقول : "وهذا التدوين كان يدفعني إلى أن أعبر عن نفسي حيناً من خلال الخبرات اليومية وما يجري في الكلية والعائلة وهكذا ، وحيناً آخر أن أتابع بعض الكتب التي أقرأها فأتعامل معها تعاملًا نقدياً أولياً<sup>(١)</sup> ... وهذا مكّني من اثنتين : أن الكتابة ليست انتظاراً كسولاً للحظة الوحي ... وأعطتني فرصة للمحاولات النقدية المبكرة .. كلما قرأت كتاباً ، وجدت نفسي ملزماً بالتعقيب عليه أو التعليق عليه ، وهذه نويّات تشكّل للحسّ النقدي والرؤيا النقدية لدى أي إنسان"<sup>(٢)</sup> .

وقد حمل هذا الهم والدعوة إليه كلّ حين ، فكان له توسّع في الانطلاق العلمي ، والازدياد المعرفي الذي لا يعرف التوقف ، خاصة في ظلّ الانفجار المعرفي الحديث .

وهو في هذه الانطلاقة ، يدعو إلى القراءة الواعية ؛ مما يجعلنا إذا قلّنا مؤلفاته ونظرنا في كتاباته ، علمنا جلده في القراءة واصطباره عليها ، ورأينا "دلالة واضحة على الاهتمامات المتنوعة التي يعيشها ... والحقيقة التي لا بد من تسجيلها أنه يتمتع بمعدة هاضمة قادرة على التمثيل الثقافي .. الأمر الذي لم يقتصر في كثير من الأحيان على الفكر العربي والإسلامي ، وإنما تجاوز ذلك إلى تقديم نماذج من الفكر الأوروبي بشقيه الشيوعي والرأسمالي من خلال منظور إسلامي"<sup>(٣)</sup> .

إنه يرى في القراءة معيناً لا ينضب .. ويدعو إلى أن تكون نفساً للإنسان ، لا يهنأ إلا إذا قرأ!

- 
- (١) ممن سار على هذا النقد الأوليّ وسّماه (مطالعات) يوسف الشاروني . انظر : نماذج من الرواية المصرية (ص ٧-٨) .
- (٢) المرجع نفسه (ص ٦-٧) .
- (٣) جزء من تقديم الأستاذ عمر عبّيد حسنة لكتاب الدكتور عماد الدين "حول تشكيل العقل المسلم" (ص ٢٩) .

إنها "القراءة والقراءة والقراءة حتى اللحظة الأخيرة .. تلك هي الصيحة التي يجب أن نرفعها قبالة أنفسنا وإزاء كل حملة الأقلام من علماء وأدباء الإسلام .. إنها الكلمة الأولى .. كلمة البدء التي تنزل بها كتاب الله<sup>(١)</sup> ، والفعل الذي يتحتم أن يكون الخبز اليومي للمثقف المسلم .. طعامه وشرابه"<sup>(٢)</sup> .

وحرى أن تكون هذه الأمة على مستوى هذا التكريم ؛ بأن يبدأ وحي نبيها بهذه الكلمة ، وحينها "نلتقي بحركة التحول المعرفي هذه : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾"<sup>(٣)</sup> .. وعبر المسيرة الطويلة ، مسيرة الاثنتين والعشرين سنة ، حيث كانت آيات القرآن تنزل بين الحين والحين ، استمر (التأكيد) نفسه لتعميق الاتجاه ، وتعزيزه ، والتمكين للنقلة ، وتحويلها إلى واقع يومي معاش .. إن نداءات القرآن المنبثقة من فعل القراءة والتفكير والتعقل والتفقه والتدبر .. إلى آخره .. منبثقة في نسيج كتاب الله .. لم تخفت نبرتها أبدا هناك في العصر المكي ، أو هنا في العصر المدني"<sup>(٤)</sup> .

بل بُعد القراءة (حُمى) وألما يقيم المرء ولا يقعه .. حُمى "تجعل المرء لا يرتاح إلا بأن يدفن رأسه في بحر الكلمة لكي يتعلم الكثير"<sup>(٥)</sup> .  
ويراها زهرة يهديها كل من يستنصحه من زملائه وتلاميذه ؛ لأن (القراءة) زاد عظيم .. "وكما قادت المسلم أول مرة إلى تشكيل فعله الحضاري المتميز ، فإنها قديرة على أن تقودنا كرة أخرى إلى استئناف الدور"<sup>(٦)</sup> .

(١) وقع خلاف بين علماء التفسير هل نزلت (اقرأ) أولا أم (يا أيها المدثر)؟ والصواب الأول وعليه ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم ، وعليه جماهير قول السلف ، و﴿يا أيها المدثر﴾ هي أول ما نزل بعد الوحي .

انظر في هذا - للتوسع - : صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام النووي (١٩٩/٢) ، وأكدته في (٢٠٧/٢) ، وانظر : فتح الباري ، للإمام ابن حجر العسقلاني (٣٠/١) .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٨) .

(٣) سورة العلق : آية ١-٥ .

(٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦٨-١٦٩) .

(٥) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٦) .

(٦) المرجع نفسه (ص ٩٩) .

وحين كان عماد الدين في مراحل الأولى من الحياة ، كانت القراءة تكبر معه كل حين فمنذ أيام الدراسة الابتدائية كان والداه يقصّان عليه وعلى إخوته القصص المسلية خاصة في ليالي الشتاء ، حيث يقضون وقتاً طويلاً في ذلك ، وقد كانا - حيناً - يحدثانهم - من واقع الذاكرة - عن شئ من هذه القصص .

وكان ينظّم وقت قراءاته الخاصّة وقت الصيف - لطول الإجازة - فيجدول الزمن ؛ ليتناسب مع طموحاته ورغباته ، ويروي عن ذلك فيقول :

"كنت أقسم الفقرات الزمانية للعطلة لقراءة خمسة أعمال روائية ، وخمسة أعمال لمجموعات من القصص القصيرة ، وخمسة أعمال نقدية ، ثم أتحوّل بعد ذلك لقراءة خمسة كتب من علم النفس أو علم الاجتماع أو التاريخ أو فلسفة التاريخ ... الخ أو الفكر الإسلامي ؛ مما يعطي الحس الأدبي المادة الكافية الفكرية التي تمكن من التعبير عن الخبرة بشكل أكثر نضجاً" (١) .

ويرى (القراءة) الكلمة "الأولى والثانية والثالثة .. وليست الأخيرة .. لأن الأفق سيظل مفتوحاً للمشروع الكبير الذي نحلم به جميعاً : أن نصير أمة من القراء والأدباء والمثقفين كما أراد لنا كتاب الله سبحانه أن نكون ... نجعل (كلمتنا) الجميلة المؤثرة ، ورؤيتنا للحياة والوجود ، حاضرتين في قلب العالم .. قديرتين على اكتساح كل ما لا ينسجم ويتواءم مع مطالب الإنسان .. متجذرتين في الدنيا التي تتناوشها الأعاصير ، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢) " (٣) .

ويبصر قيمة وأثر القراءة والعطاء ، والكتابة والإبداع ، حين يعتقد المثل القائل : إن كل كتاب تخرجه مطبعة أو يصدر عن ناشر من الناشرين ، أعزّ علي من الأبناء والذرية (٤) .

والقراءة (الواعية) هي المطلوبة .. أن نكون ذوي بصيرة بما نقرأ ، متمعّنين في المرادات والأفكار ، قادرين على السبر والتحليل ، والتقويم والتعديل .

(١) لقاء الأردن (ص ٥) .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٢٤ .

(٣) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٦) .

(٤) انظر : لقاء الأردن (ص ١٤) .

وهذا ما نجده متمثلاً في قراءات عماد الدين ونظراته في التاريخ وغيره ،  
فهاهو يقارن بين بعض المستشرقين فيقول : "نعم .. فرق بين مستشرق وآخر ..  
ونحن إذا قارنا (وات) بـ(لامانس) مثلاً ، أو حتى بـ(فلهاوزن) وجدنا هوة واسعة  
تفصل بين الرجلين ، يقترب أحدهما ويقترب حتى ليبدو أشد إخلاصاً لمقولات  
السيرة من أبناء المسلمين أنفسهم<sup>(١)</sup> .. ويعد ثانيهما ويعد حتى ليبدو شتاً لغانا  
وليس باحثاً جاداً يستحق الاحترام"<sup>(٢)</sup> .

أما القراءة العجلى غير المتبصرة فمفكرة ، وهو ما كان يشير إليه ، و"أن  
القراء المحدثين الشباب الجدد يحاولون أن يقرأوا قراءة تتميز بالسرعة والعجلة من  
أجل أن يقرأوا كتاباً آخر"<sup>(٣)</sup> .

ويدعو إلى أن تكون قراءتنا باكتشاف "كما نكتشف فنجان (الشاي)"<sup>(٤)</sup> ؛  
فالقراءة زادنا دوماً وأبداً .

ونحن نعلم أن القرآن الكريم سمي اشتقاقاً من القراءة ؛ لأنه يرتل ويقرأ ،  
وقرأوه هم الذين زينوا القرآن بفعالهم ، والقراءة فيها تفاعل بين الإنسان والنص  
الذي يقرأ أكثر من مجرد السماع<sup>(٥)</sup> .

ولعل القصص التي كان يعشقها عماد الدين منذ صغره هي التي أشعلت فتيل  
الإبداع ، وكونت هذه (العائلة) التي هي للقراءة عاشقة .

و"لل قصة دور كبير في إشاعة جو القراءة في المجتمع وتحبيب هذه العادة  
للطفل والشباب ، فالقصة موضوع قائم بذاته في الدول المتقدمة ، من خلالها  
يزرعون التوجه الذي يرغبونه في عقول أطفالهم"<sup>(٦)</sup> .

(١) يعني - ولا شك - الذين لا يهتمون بمنهج التحقيق الصحيح للحدث ، بل يعتمدون كلام  
المستشرقين وغيرهم - الباحث - .

(٢) المستشرقون والسيرة النبوية ، د. عماد الدين خليل (ص ٨٩) .

(٣) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل ، في النادي الأدبي بالمدينة  
دراسات في الأدب الإسلامي ، انظر : ج (٥) ، رقم الكتاب (٩٣) (ص ٣٣) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) انظر : أمة اقرأ .. لاتقرأ ، حسن آل حمادة (ص ٢٠) .

(٦) بناء الأسرة الفاضلة ، عبد الله أحمد (ص ١٩٧) ، نقلاً عن المرجع نفسه (ص ٣٧) .



أما أمة الإسلام اليوم ، فبعيدة - عبر طبقات عديدة من أبنائها - عن مستوى القراءة والمعرفة ، بل لانراهم يحفلون إلا بتوجهات تافهة فيها ، واهتمامات ساقطة ، و"الكتاب الذي يتزايد إنتاجه في العالم تزايداً مطّرداً ، في عدد العناوين المنشورة ، وفي عدد النسخ المطبوعة ، يشكو في عالمنا العربي من الهجران ، ويعاني أزمة كساد"<sup>(١)</sup> .

لذا كان عماد الدين يوصي بالقراءة من يجاورونه في لقاءاته العديدة<sup>(٢)</sup> ، ويذكر أهميتها ، ويذكر بذلك دوماً ، والأمة التي لا تقرأ أمة لا توجد على خارطة التأثير في العصر الحديث ، فاليابان "هذا القزم العملاق ، تخلص من الأمية قبل نهاية القرن التاسع عشر ، وزادت عناوين الكتب الجديدة التي تصدرها دور النشر اليابانية فيه سنوياً على ٣٥ ألف عنوان"<sup>(٣)</sup> .

فمتى يأتي الزمان الذي يدخل فيه الكتاب قائمة احتياجاتنا اليومية كالرغيف والكساء؟! ومتى نجعله أول صاحب في قضاء الأوقات اللازمة للانتظار؟! أو يكون هدية نقدّمها؟! ومتى يكون هو حديثنا في مجالسنا بدل الطقس والصحة والأسواق والاستهلاك؟! ومتى ترتفع نسبة المطبوعات في بلاد الإسلام ؛ لتصل إلى كريم آمالنا؟! إننا - حقا - نعيش مع الكتاب أزمة ضمير وإبداع وقراءة وتسويق<sup>(٤)</sup> .

يقول الدكتور عماد الدين مينا أهمية القراءة في عصرنا الحديث :  
"الأمر يختلف في العقود الثلاثة الأخيرة .. لقد غزتنا وسائل الترفيه السهلة ، وحاصرتنا الهموم والمطالب المعاشية والوظيفية من كل مكان ، وأخذ الزمن يضيق علينا الخناق .. الكلّ يركضون وراء همومهم حتى اللهات ، وماتبقى من وقت يستلقون فيه على جنوبهم نائمين ، أو باحثين عن الثقافة المتضحّلة ، السهلة الميسورة ، التي تنسجم وإعياؤهم المقيم ، ولا تكلف جهداً عقلياً"<sup>(٥)</sup> ، فلا بد - في

(١) القراءة أولاً ، محمد عدنان سالم (ص ١٥) .

(٢) انظر : لقاء الأردن (ص ٧٢) .

(٣) القراءة أولاً (ص ٤٤) .

(٤) انظر : هموم ناشر عربي ، محمد عدنان سالم ، (ص ٨، ٩، ١٠، ٢٠٣) .

(٥) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٨) .

نظره - من "القراءة .. القراءة .. القراءة .. من أجل إعادة ترتيب ما كان .. ومحاولة السيطرة على ماهو كائن .. والاستعداد لما سيكون" (١) .

ويؤكد هذا في حوارهِ المنشور في مجلة (التضامن) (٢) الجزائرية ، حيث يذكر في هذه النصيحة مخاطبا "أولئك الذين يطمحون لأن يقيموا شيئا ذا قيمة لهذا الدين المتجذر في العالم ، (و) (٣) الذي ينتظر الزرع لكى يستوي نبتة الواعد على سوقه - بإرادة الله - فيغيب به الخصوم والكفار .

(اقرأ) .. هي التأسيس والمنطلق والرؤية ومنهج العمل .. وما لم تصبح خبزنا اليومي .. طعامنا وشرابنا .. نومنا ويقظتنا .. همنا الذي يشعل فتيل القلق والتطلع في عقولنا صباح مساء .. فلن نستطيع أن نكون أكفاء لما يتطلبه هذا الدين وسط دوامة التحديات وصخب التحولات الكبرى بين قرن يمضي إلى نهايته ، وقرن يطل على العالم منتظرا إشارة الخلاص" (٤) .

ويرى القراءة (زيتا) يصب على الحطب المشتعل في نفوسنا ؛ وبهذا "نصعد نار الإبداع حتى تصير فنارا عاليا يراه ويستضيء به القاصي والداني" (٥) . وكذلك - حقا - .. إن القراءة هي التي يتحقق بها وجود العمل الأدبي ، ولا يكتب أديب إلا وتكون قراءة الآخرين موحدة هذه الكتابة وآثارها ، و"جهد القارئ يعادل جهد المؤلف" (٦) .

وفي زمن استرخصت فيه الكلمة ، ولم يغد لها تلك المصادقية الحقيقية "في مثل هذه الزيوف التي تثقل على نفس الحر ، يلوذ بالقراءة لعله يجد فيها روحا واسترواحا" (٧) .

(١) المرجع نفسه (ص ٤٩) .

(٢) عدد حزيران ١٩٩٣ م ، وانظر : المرجع السابق (ص ٦٧) .

(٣) لعل حذفها أفضل وأقوم - الباحث - .

(٤) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٦) .

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦) ماالأدب ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال (ص ٤٠) .

(٧) كتبت يوما في الأدب .. النقد .. الفكر .. الفن ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص ٧٨) .

وهو التشكّل الثقافي والعشق القديم ، الذي يعمل في الأديب عمله ، إن رزق بتهيئة عشقه منذ الصغر ؛ حتى تعود القراءة زيتا ، وطعاما وشرابا<sup>(١)</sup> .

- (١) ممن استروح هذا المؤثر محمود تيمور في كتابه "إتجاهات الأدب العربي" (ص ١٩١) ، ود.إخلاص فخري عمارة في كتابه "في القصة القصيرة والرواية" (ص ٧-٨) ، فقد ذكرنا صحبة الكتاب منذ الصغر وأثر ذلك ، فليراجع هناك .
- وانظر الكلام النفيس للعقاد في المجموعة الكاملة (١١/٢٦-١٨) ، ومحمد حسن عواد شاعرا ، آمنة عبد الحميد عقاد (ص ٣٧) ومابعدها ، والشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية ، د. محمد بن سعد بن حسين (ص ١٠٠) ومايليها ، والنقد الفني وقراءة الصورة ، عفيف البهنسي (ص ١٣-١٤) ، وعبد العزيز الرفاعي أدبيا ، د. محمد بن مريسي الحارثي (ص ١٩-٢٠) .

### ثالثاً: التشكُّل النفسي والحساسية:

"الإبداع ليس جزيرة معزولة عن محيط المبدع الواسع وأطره التاريخية والحضارية والاجتماعية والسياسية"<sup>(١)</sup>.

وإذا تهيّأت للمرء أسباب الرعاية الأولية ، وغذيت نفسه بالمفاهيم المؤثرة كان له أن يتصل بالكون من حوله بوثوق ؛ ليجعله مستوفراً آخذاً أهفته متفاعلاً مع الأحداث معاشية وتعبيراً ، وهذا هو المذكور فيما يتصل "بمجموعة الخصال النفسية التي تهيئ كل إنسان إلى مزاوله عمل ما في الحياة بإحسان وإتقان ... وتيسر لمن وجدت فيه السبيل الذي تهيئه له طبيعته"<sup>(٢)</sup>.

ويدخل الأديب والمثقف في بوتقة الأحداث فتتكوّن شخصيته متأثراً بمن حوله وماحوله ، كما كان (العقاد) يقول عن صفة الانطواء فيه :

"لقد ورثت طبيعة الانطواء عن أبي وأمي ، فلا أمل الوحدة وإن طالت بغير قراءة ولا تسلية ، ولا أزال أقضي الأيام على حدة حيث يتعذر على الآخرين قضاء الساعات واللحظات"<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الدكتور عماد الدين خليل كيف أخذ عن أمه الحساسية تجاه ماحوها والنظر في ذلك بدقة وحسن ملاحظة ؛ مما انطبع على شخصه وصفاته ، حيث كانت والدته تملك هذه الصفة بدرجة قوية تجاه الحياة وأحداثها . ويرى أنها صفة منتقلة منها إليهم ، موروثه ذات طبع وتأثير قبالة شؤون النفس في هذه الحياة<sup>(٤)</sup>.

فكان لهذا أثره في قياس الدكتور عماد الدين الأحداث من حوله ، وتدقيق النظر فيها ، بل أصبحت قوة الملاحظة والإدراك صفة بارزة في شخصه تتلمسها في حديثه ومشافهته ، كما تستبينها من كتاباته وملحوظاته<sup>(٥)</sup>.

- (١) في النقد الأدبي ، د. يوسف بكار (ص ١٥١) .
- (٢) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، د. إبراهيم سلامة ، نقلاً عن "تكوين الخطاب النفسي في النقد العربي القديم" ، د. حسن البنداري (ص ١٩) .
- (٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، العقاد (٢٤٦/٢٢) وقد ذكر أنه انطواء بلا عقد أو كبت .
- (٤) انظر : لقاء الأردن (ص ١٢، ٢) .
- (٥) تبين الباحث ذلك من خلال مشافهة الحديث معه في الحياة وشؤونها ، ومن خلال مطالعة مخطوطيه "من أدب الرحلات" ، و"ريورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية" ، د. عماد الدين خليل ، انظر مثلاً : ريورتاج (ص ٤٢، ٤٨، ٦٥-٦٦، ١٢٨) وغيرها .

ولعلّ دقته في الملاحظة وتسجيل مايلقاه ، والتعبير عنه بأسلوب خاصّ تبرز في كتابات كثيرة ؛ حيث يربط الجزئيات - بشاقب نظره - بالكليات ، فتتظم في حديثه دائرة واحدة لها خصائصها ومعالمها الثابتة .  
ومثاله حديثه عن تجربة (الإعلام الإسلامي) - بملاحظته ونظره المتميز المتفائل - حيث يقول : "العالم الإسلامي بدأ "رحلة الألف ميل" .. و"لابد من خطوات" و"نحتاج إلى تداعي المعنيين لمزيد من الإنجاز الإعلامي الإسلامي"<sup>(١)</sup> .  
وكانت هذه النظرة منسحبة على إبعاده الخطوات التي تحمل السائر في دروب الحياة حين يلج "الطريق الطويل" ، ونراه يقول في نثرية له تتحسّس هذا الطريق :

"الطريقُ طويلٌ .. طويلٌ  
يمتدُّ أمامك  
عبر أبعاد رؤياك  
ويغيب ، كالأبدية ، يغيب ..  
يبتلعه الأفق  
حيث تختفي معالم المكان  
وحيث لاتعرف إلى أين يتجه ..  
ولا إلى أين ينتهي ..  
وراء الأفق تتحجّر الأبصار في العيون  
ودون الوصول تتمزّق الأقدام  
ولكنّ عليك أن تسير ..  
أنّ تجتازَ الأميال  
وتقطعَ المسافات الطويلة  
وأنّ تمزجَ الليلَ بالنهار  
والصيفَ بالشتاء .."<sup>(٢)</sup>

(١) ذكره بنصه في ريبورتاج (ص ١٨-١٩) ، وجاء في صحيفة المدينة ع (١٢٥٦١) الخميس ٣

جمادى الآخرة ١٤١٨ هـ (ص ١٠) .

(٢) حضارة الإسلام ، س (١١) ، ع (٣) ، (ص ٧٤) .

وظهر هذا التسجيل الدقيق في بعده الفكري ، واتزانه في النظر ؛ مما كان له أثره الظاهر في مقالاته وكتابه<sup>(١)</sup> .

وهذه الحساسية انعكست على حبه العزلة للتأمل والنظر .. يزرعجه الضجيج فيخلد كثيرا إلى عزله الخاصة ؛ ليجد فيها مأمله ومراده .  
في مذكرات سفره إلى السودان كتب مايلي :

"بدأ الأصدقاء والأحبة يتسامعون بوصولي .. كلُّ يريد مقابلة أو موعدا .. أتملّص من العديد منها .. أوّجل بعضها الآخر .. ولكن ثمة مواعيد لاتستطيع منها فكاكا .. وعلى أية حال - أقول في نفسي - فإن أمامي أسابيع أخرى سأخلو فيها إلى نفسي ، وسأبذل جهدا أكبر للإيغال في شرايين أفريقيا عبر البوابة السودانية .. ويومها سأحظى بالكثير ، فأبلى ريتي ، وأروي عطشي القديم"<sup>(٢)</sup> .

وهذه العزلة الشعورية التي كان يأرز إليها بين الحين والآخر ، جعلته - بمقدرة فائقة - يسير الأحداث التي تطيف به ، ويحسن الربط بين أجزائها وظلالها ، أو من خلال نظرته إلى الأحداث الماضية ، التي تظهر قدرته على توصيفها وتحليلها حساسيته الدائمة .

ومما نستطيع أن نمثل به على هذه القدرة براعته العجيبة في تصوير الحدث الذي تزدحم به السيرة النبوية العطرة من حياة رسول الله ﷺ وحياة أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم - حيث خرجت دراساته فيها مترنة مسبوكة محبوكة ، دقيقة في

(١) منها - مثلا - مقال "العلمانية والمصير" في ثلاث حلقات . حضارة الإسلام ، ج(١) ، ع(٢) ،

(ص٨١) ، ج(٢) ، ع(٣) ، (ص٦٨) ، ع(٨،٩) ، (ص٩٤) .

ومقاله "من رضيع رحلة الأربعة عشر قرنا" ، مجلة الفيصل ، ع(٤٢) ، (ص٥٥) .

ومقاله "المبتعثون إلى الغرب" ، مجلة الأمة ، ع(٤) ، س(١) ، (ص٥) .

ومقاله "فهل ثبت أنه ليس من وضعهم" ، مجلة الأمة ، ع(٥٨) ، س(٥) ، (ص٢٢) .

ومقاله "الصلاة .. ذلك التناظر المدهش" ، مجلة الأمة ، ع(١٠) ، س(١٥) ، (ص١٣) .

وغيرها من المقالات العديدة التي تبرز هذا التسجيل والتتبع للحدث المطيف .

(٢) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص٣٦) .

متابعتها وتحليلها ، مع تجرّجه - فوق ذلك - وهو يشعر بتقصيره في حق الرسول عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup> .

وهذه العزلة المنشودة من أهم الدوافع التي يراها مهمة للإنتاج والإبداع .. حيث القراءة المتمنّنة التي تتجاوز التسطّح نحو العمق والبناء ، والحساسية والتركيز فيقول : "وهذه مسألة قد تهمنا جميعا .. أن نقرأ بتمعن ، أن نتشرب الكتاب الذي نقرأه مقتنعين به أو غير مقتنعين ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، من أجل أن نتمثله<sup>(٢)</sup> من داخلنا ، وحينذاك ممكن أن نضيف إلى معرفتنا وقدرتنا فيما بعد شيئا ذا قيمة ، وكما يقول العقاد : أن نقرأ كتابا واحدا ثلاث مرات خير من أن نقرأ ثلاثة كتب"<sup>(٣)</sup> .

ويرى الدكتور عبد المحسن طه بدر في كتابه (الروائي والأرض)<sup>(٤)</sup> ، أن الدراسات العلمية الحديثة يتراجع فيها القول بأن الفنان أو الأديب مختلف عن الآخرين في النوع ، وأنه "ملهم" .. توحى إليه الآلهة أو الشياطين بشعره ، ولا يناله الإلهام إلا في لحظة دون لحظة!

والمبتادر إلى الذهن هنا أن هذا الاختلاف في النوع ، قد يجمع إليه غيره من بعض المؤثرات المختلفة ، منها مايسلم به الباحثون ، ومنها ماينفرون منه مثل نظرية إلهام الآلهة ووحى الشياطين التي بدون إلهامها يكون الأديب أخرس فاقد الإحساس والتعبير .

فالأديب - بحساسيته - تجاه الحياة من حوله ، مختلف عن غيره بإعداداته واستعداداته الفطري ، وهو ما عبّر عنه الدكتور بدر بأنه نوع من التفوّق في الذكاء والحساسية الشديدة<sup>(٥)</sup> ، والامتيازات الأخرى التي ذكرها ؛ مما يثبت المعنى المراد

(١) انظر : دراسة في السيرة ، د. عماد الدين خليل ، وخاصة الفصل الرابع منه ، وفي شعوره

بتقصيره فيما ذكر انظر : خطوات في الهجرة والحركة ، له ، الفقرة (١٣) ، (ص ٣٢) .

(٢) لعله يعني التمثّل المعرفي لا التطبيق والسلوك لغير المقتنع به - الباحث - .

(٣) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٢-٣٣) .

(٤) انظر (ص ١١) .

(٥) انظر : المرجع نفسه (ص ١٣) .

ولولا هذه الحساسية وتفاعلاتها لكان تعبيره عادياً لا أثر للنبوغ ولا للتميُّز فيه .  
وهي حساسية تجعله ينظر إلى الزهرة فيشَمّ فيها مالا يشمّ غيره ويجد في  
تقاسيم الجبال ، وتعرجات الأنهار ، وألوان الطيف مالا يحسّه غيره .



### رابعاً : بناء الأستاذ .. وواقع التأثر :

للأستاذ توجيهه وأثره الخاص في صفوف تلاميذه ؛ بل قد يتلقون عنه ما يرونه حقاً لامية فيه ! فيأخذون عنه ما يعدونه أمراً ذا بال ، إذا حسنت علاقته بهم ، وكان ذا تميز وصفات خاصة ، يرون أنوارها بينهم .

وإذا فقد المرء التوجيه ، لم يكن له أن يفيد من فرص كانت متاحة له لو وفق بمعلم حسن الإدراك ، بعيد النظر ، متوازن الطرح .

يقول أحد الأدباء : "حتى دروس الإنشاء في المدرسة ، لم أستفد يوماً منها ، ولا نبغت يوماً فيها ، ومant فيها الدرجة الكاملة في الامتحان أبداً .

لماذا؟ لأنهم كانوا يكلفوننا الكتابة في موضوعات غريبة عنا بعيدة عن أذواقنا ومشاعرنا ، ويطلب منا الأستاذ أن نفكر برأسه هو ، وأن نبصر بعينه ، وأن نغمض عيوننا نحن ونعطل تفكيرنا .

وكان بعضهم يحدد لنا حداً لا نجاوزه ، من عدد الأسطر أو الصفحات ، فمن رأى فكراً أو شعوراً يوزن أو يُكالم أو يقاس؟" (١) .

ومن الملاحظ أن الطالب إذا لم ينعم بهذا التوجيه من أستاذه ؛ فإنه سنيبت في مطالعة الكتب ، ويشتد عوده بينها ، وقد يكون ذلك سيئاً في حقه ؛ لأن توجيه المعلم لا يوازيه شيء ، وقدما قالوا : من كان شيخه كتابه ، غلب خطؤه صوابه .

والحق أن "العلاقة بين المعلم وطلابه صورة من علاقة الأب بأبنائه ، لحمتها الرغبة في نفعهم ، وسداها الشفقة عليهم والبر بهم ، أساسها المودة الحانية ، وحارسها الحزم الضروري ، وهدفها تحقيق خيري الدنيا والآخرة للجيل المأمول للنهضة والتقدم" (٢) .

ومن كان لهم تأثيرهم في توجيه عماد الدين إلى القراءة منذ الصغر معلموه وأساتذته ، فمنذ أيام دراسته الأولى في المرحلة الابتدائية ، كان ينتظر أيام الخميس

(١) ذكريات ، الأستاذ علي الطنطاوي - رحمه الله - (٢٣٤/٣) .

(٢) إعلان ، صادر عن مكتب التربية لدول الخليج ، وأقر في مؤتمر الدوحة (٣-٦ رجب ١٤٠٥ هـ) "المعلم وطلابه" ، النقطة الرابعة .

من كل أسبوع ؛ ليقضي وقته في قراءة القصص التي كان يستعيرها من المدرسة بأربعة (فلوس) .

يقول عن أحد هؤلاء الذين انغرست صورتهم في ذهنه :

"فأذكر في المدرسة الابتدائية التي اجترتها ما بين عامي (٤٧-٥٣) في ست سنوات أبرز المعلمين بالتأكيد ، وهو معلم التاريخ كان يُدعى (عزيز أفندي) فلم نكن نعرف أسماء آبائهم ، بل كنا نعرفهم بأسمائهم ونضيف كلمة (أفندي) ، كما هو المتبع في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات .. (عزيز أفندي) كان يدرّسنا التاريخ ، وكانت شخصيته قوية ، ورزاقته ومعطياته وجدّيته في التعامل ، وطرحه للتاريخ بشكل حيوي"<sup>(١)</sup> .

ويذكر - كذلك - غيره ممن درّسه في المرحلة المتوسطة ، وكانت بصمته أظهر ممن سبقه ؛ إذ يقول عنه : "وفي المتوسطة كان هناك من يفوقه قدرة على التأثير ووضع البصمات في وجدان طلبته ، وهو (عبد الرحمن صالح) ضابط متقاعد كان يعمل في الجيش العثماني ؛ فلما تفكّكت الدولة العثمانية تحوّل إلى خط التدريس ، وإلى تدريس التاريخ بالذات ، فكان (عبد الرحمن صالح) - وقد أوغل فيما بعد في العمر ، حتى أوشك على المائة - مدهشا عندما آلى على نفسه - وقد تجاوز التسعين من العمر - أن يحفظ كتاب الله ! فكان يجلس الساعات الطوال على الاستجابة لهذا التحدي حتى حقق أمنيته وقد تجاوز التسعين من العمر ! ثم مال بث بعد أن توفي وهو يحمل بين جنبيه حفظه لكتاب الله جواز سفره إلى الله سبحانه وتعالى . هذا الرجل بتدبّنه العميق .. بثقافته الواسعة .. باحترامه للتاريخ ، وتعامله بخبرة معه .. بشخصيته المحبّبة ؛ وضع في نفوس كلّ الطلاب الذين تعاملوا معه احتراماً للمدرسة والدراسة والتاريخ والفكر والثقافة وشخصية المدرس"<sup>(٢)</sup> .

ولعل هذا الانتظار الشديد لما يتناوله الأستاذ ، وما يطرحه بين طلابه ولّد لديه شعورا باطنا عميقا بمحبة الأدب ؛ من خلال القصص التي كان يقرؤها - بشغف - زاده ما كان من دفع الوالدين ، وحسن توجيههما .

(١) لقاء الأردن (ص ١٦-١٧) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٧) .

ويقول ذاكرا أطياف تلك المرحلة المتأججة : "كنت أقرأ قصص الأطفال بشغف عميق ، تلك التي كان يكتبها كامل الكيلاني<sup>(١)</sup> رحمه الله وغيره .. كنت أرتشفها ارتشافا .

وإنني لأتذكر جيّدا ليالي الشتاء العميق والبرد والمطر .. بيوتنا العتيقة الضيقة والأحياء القديمة والحجر المشتعل الممتزج بالدخان ، وساعات القراءة الجذلى في القصص وكتب المطالعة المدرسية والمجلات .. لم أكن أطلع السطور ، ولكني كنت أحترقها بتوق عارم لكي أعيش الحدث من الداخل .. أصير شخصا من شخصه .. وحينذاك كنت أضحك معهم وأبكي معهم .. أهتزّ وأنبض وأرتجف ، كما يهتزّون وينبضون ويرتجفون"<sup>(٢)</sup> .

وإذا اجتمع تأثير المدرس مع تأثير البيت والوالدين ، فلاشك أن انبعاثا عجيبا ستشهده النفس التي تحيا في ظلال هذه الأجواء ، كما كان ذلك للشاعر الكبير الأستاذ (عمر أبي ريشة)<sup>(٣)</sup> ، فأبوه شاعر ، وأخته (زينب) شاعرة ، وأخوه (ظافر) شاعر - كذلك - فاستوطن الشعر خلاياه ، وسرى في عروقه ، حيث هو البيت الذي يتنفس شعرا ، وينبعث إبداعا<sup>(٤)</sup> .

وصدق الشاعر<sup>(٥)</sup> إذ قال :

قَمٌ للمعلم وفه التبجيلا      كادَ المعلمُ أن يكونَ رسولا  
أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ ، أو أَجَلَّ مِنَ الَّذِي      يَبْنِي ، وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا؟

(١) ستأتي ترجمته قريبا .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢٨) .

(٣) هو عمر بن محمد شافع ، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ، ولد عام ١٣٢٦هـ وتوفي عام ١٤١٠هـ ، وأصله من عائلة لبنانية صوفية ، عمل سفيرا لبلاده في عدة دول ، أصابته جلطة دماغية في الرياض فتوفي بعدها .

انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلانة (ص ١٤٥) .

(٤) انظر : عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحياته ، محمد إسماعيل دندي (ص ١٦٦) بتصرف .

(٥) الشوقيات ، أحمد شوقي (١/١٤١) .

ونحن نرى في واقعنا كيف يتلقّى الطفل في مدرسته من معلّمه مالا يحتاج معه إلى تصديق أو مراجعة! بل ربّما صدّق الطفل أستاذه حين يخالف قول أحد والديه في المسائل التي يسع فيها الخلاف ولا يحتاج معها الوالدان إلى استدراك . وإذا حسنت العلاقة بين المعلّم وطلابه ، كان له توجيه لايوازيه توجيه الوالد والبيئة المحيطة بالطفل منذ بداياته ، ولا تزال كلمات خيار المعلّمين الأوائل تبعث صداها في نفوسنا منذ الصغر<sup>(١)</sup> .

وفي سياق التأثير والمحاكاة ، والاطلاع على عطاء الآخرين واستلهام الطريق منه ، يبيّن لنا الدكتور (عماد الدين) ذلك بقوله :  
"هناك الكثير من الشخصيات التي أثّرت ، وكنت مغرماً بمتابعة كتاباتها ، وكان عندي رغبة في أن أقرأ كل ماتنتجه هذه النماذج من بدئه حتى منتهاه ، وألا أترك كتاباً واحداً من ذلك ، بصرف النظر عن القناعات الفكرية أو عدمها مع هؤلاء"<sup>(٢)</sup> .

وقد يتحدّث الدكتور عماد الدين عن بعض هذه الشخص من خلال ردوده وأحاديثه أو من خلال حواراته والتقاءاته التي تكون مع محرّري الصحف والمجلات ومن أمثلة ذلك ، ما كان منه حينما تحدّث عن الخطوات التي تحيل التّصور الإسلامي واقعا منظورا ، وحياة دائمة متطوّرة ، إذ يقول في ذلك : "الأروع من

(١) لمزيد بيان أثر المدرس والمدرسة يراجع مايلي :

- محمد حسن عواد شاعرا ، آمنة عبد الحميد عقاد (ص ٣٧) ومابعدا .
- ذكريات ، الأستاذ علي الطنطاوي (١/١١٥-١٣٠) .
- المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد (١٧/٣٦٦-٣٧١) .
- ذكريات ، رابندرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح (ص ٣٤-٣٩) .
- شاعر الإسلام محمد عاكف ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمي (ص ١٢-١٩) .
- عبد الله بن المعتز شاعرا ، د. غصّوب خميس غصّوب (ص ١٠٦-١١١) .
- حوار مع الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مجلة "أهلا وسهلا" الصادرة عن الخطوط الجوية العربية السعودية ، س(٢٢) ، ع(٦) صفر ١٤١٩ هـ (ص ٧٦) .
- (٢) لقاء الأردن (ص ١٩) .

أن نتجه بأسئلتنا هذه إلى الأستاذ (أبي الأعلى المودودي) ليجيبنا عنها بأسلوبه المتماسك الواضح بما لا يدع مجالاً للقول ، ولا زيادة لمستزيد<sup>(١)</sup> .

ومن الشخصيات التي ذكر تأثره بها ، ومتابعته الشديدة لما يصدر عنها في عالم الثقافة والفكر والأدب ، كل من : (توفيق الحكيم)<sup>(٢)</sup> ، و(نجيب محفوظ)<sup>(٣)</sup> ، و(الرافعي)<sup>(٤)</sup> ، و(العقاد) - إلى حد ما - ، ويبرز أثرهم في كثير من كتاباتهم وإصداراتهم .

- (١) تهافت العلمانية ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٨) .
- (٢) هو توفيق إسماعيل الحكيم ، من مواليد الإسكندرية سنة ١٨٩٨م ، كان أبوه وكيل نيابة وأمه تركية أو فارسية ، كاتب مسرحي كبير ، له "أهل الفن" ، و"محمد" ، و"عصفور من الشرق" و"أهل الكهف" ، وله قرابة مائة مسرحية ، سماه بعضهم : "جاحظ القرن العشرين" .  
انظر : الأدب العربي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (١١٣/٤) ، وأحاديث في الأدب ، رشيد الذواوي (ص ١١-٢٦) .
- (٣) هو نجيب محفوظ الروائي الشهير ، ولد عام ١٩١١م ، مات أبوه وعمره قرابة الرابعة ، أول أعماله "همس الجنون" ، وفي رواياته تحكيم كبير للعقل ، بل تأليه له ، وإيمان بأفكار غريبة عن هوية الأديب المسلم ، قضى على الإله - بزعمه - في "أولاد حارتنا" ، وتحذاه في "الثلاثية" ، وسخر من الأنبياء ورسالاتهم ؛ لذا نال جائزة (نوبل) لما فاحت رواياته من هذا الأدب المكبّ ويكفي مثلاً تصويره في "خان الخليلي" الرجل وهو يقدم الحشيش لضيوفه ، بينما تقدم الزوج الجنس لهم !  
انظر - للتفصيل - : أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ، د. السيد أحمد فرج (ص ١٩-٥٥) ، نجيب محفوظ يتذكر ، لجمال الغيطاني ، ورموز رواية "أولاد حارتنا" في : الطريق إلى نوبل ١٩٨٨ عبر حارة نجيب محفوظ ، د. محمد يحيى ومعتز شكري (ص ٣٤-٤٠) .
- (٤) هو زين الدين مصطفى صادق الرافعي ، ولد عام ١٨٨٠م ، وكان أبوه قاضياً ، وقد رباه تربية صالحة ؛ حيث نبغ في العربية صغيراً ، ومرض وهو شاب .  
يعدّ إماماً من أئمة العربية وآدابها ، له ديوان وآثار إنشائية مثل : "حديث القمر" ، و"رسائل الأحزان" ، و"أوراق الورد" ، توفي عام ١٩٣٧م .  
انظر : الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، د. مصطفى نعمان البدرى (ص ١٠١) ، عباقرة الأدب ، مصطفى غالب (ص ٣٧٧) .

كما يذكر الدكتور عماد الدين تأثره بغيرهم من الشخصيات التي تركت في نفسه طابعا خاصا ، فيذكر من جملة هؤلاء من الجيل الأكثر حداثة الأستاذ القدير (سيد قطب) <sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى ، وأخاه الأستاذ (محمد قطب) <sup>(٢)</sup> ، والمفكر الجزائري (مالك بن نبي) <sup>(٣)</sup> ، والصحفي المصري

(١) هو الأستاذ سيد بن الحاج قطب إبراهيم حسين شاذلي ، كان جدّه السادس هندية ، ولم يجزم بهذا ، وكان - سيد - مفكرا إسلاميا متميزا ، استشهد في سبيل الله ، وله مؤلفات عديدة منها "في ظلال القرآن" ، و"هذا الدين" ، و"معركة الإسلام والرأسمالية" وغيرها ، وقد انتقل إلى الدار الآخرة عام ١٩٦٦م وشفع فيه الملك فيصل بن عبد العزيز لدى حاكم مصر حينها ولكن!

انظر : سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص ٢٩، ٣٠، ٥٤٤، ٥٥٠) وغيرها ، سيد قطب الأديب الناقد ، د. عبد الله عوض الخباص (ص ٧٩، ١٠٩، ٣٠٥) ، ومثله في فصول كتاب "سيد قطب حياته وأدبه" للأستاذ عبد الباقي محمد حسين .

(٢) هو الأستاذ الكبير محمد قطب شقيق سيد ، وقد تأثر به كثيرا ، وهو أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة - سابقا - ، ومن المفكرين المعاصرين ، له عدة مؤلفات منها : "منهج الفن الإسلامي" ، و"منهج التربية الإسلامية" ، و"هلم نخرج من ظلمات التيه" ، و"معركة التقاليد" و"شبهات حول الإسلام" وغيرها من المؤلفات النافعة - الباحث - .

(٣) مفكر جزائري ، ولد في قسنطينة بالجزائر سنة ١٩٠٥م ، لأبوين فقيرين ، أبوه موظف عادي وأمّه خياطة رهنّت والدته سريرتها لتأمين تعليمه يوما من الأيام ، علّمه عمه في الصغر الموسيقى وبعض الطرق الصوفية على الطريقة (الغيساوية) ، تعرف على عبد الحميد بن باديس وبالرئيس جمال عبد الناصر في مصر ، ثم عاد إلى بلده عام ١٩٦٣م ليصبح مديرا للتعليم العالي بالجزائر حتى عام ١٩٦٧م ، توفي في الجزائر عام ١٩٧٣م ، وكانت علاقاته الأخيرة قد أثرت في تقويم أفكاره ، فانتقد إحياء علم الكلام في المدرسة الإصلاحية عند محمد عبده ، ولكن بقيت معلوماته الشرعية ضعيفة ؛ مما أوقعه في بعض أطروحاته في بعض الهنات ، وانظر في ذلك مقالات الأستاذ محمد عبده في مجلة البيان (١٥٤ ، ص ٣٠) ، (١٦٤ ، ص ٢٨) ، (١٧٤ ، ص ٣٩) ، (١٩٤ ، ص ٣٤) ، (٢١٤ ، ص ٢٦) ، (٢٣٤ ، ص ٢٩) .

وانظر فيما مضى : مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، د. أسعد السحمراني (ص ١٣-١٨) ، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ، ع(٩) ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م (ص ٤٤٩) .

(محمد جلال كشك)<sup>(١)</sup> ، والطبيب المصريّ صاحب السهل الممتنع في أدائه - والذي أثر في أجيال من المثقفين المصريين ، وقادهم إلى الطريق - رغم الجدل والخلاف حوله - وهو (مصطفى محمود)<sup>(٢)</sup> ومكتبته الغزيرة<sup>(٣)</sup> .  
وذكر في مواطن أخرى<sup>(٤)</sup> (طه حسين)، و(بنت الشاطئ)<sup>(٥)</sup> ، و(الغزالي)<sup>(٦)</sup>

(١) كاتب صحفي مصري ، تخرج حقوقيا ، كان شيوعيا ثم ترك الشيوعية ، وسجن ستين ، ألف كتاب "عبد الناصر وليس الناصرية" فاستدعاه فرفض ومكث في لبنان ، وحاول العودة بعد وفاة عبد الناصر لكن السادات رفض ذلك وتوفي في واشنطن أثناء مناظرة تلفازية ، له "ودخلت الخيل الأزهر" وفيه فوائد جمّة ، و"الجنّازة حارة" ، و"جهالات عصر التنوير" ، و"كلمتي للمغفلين" ، توفي عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ولا تعرف سنة ميلاده .

انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص ١٧٢) .

(٢) هو مصطفى محمود ، كاتب وطبيب مصري ، له عدة مؤلفات منها : "الطريق إلى الكعبة" ، وله مشاركات إذاعية وتلفازية ، ولد عام ١٩٢١م ، له قصص وروايات وشعر فصيح قديم ، بدأ مرحلة الرفض في حياته على كتب (سلامة موسى) وغيره ، فبدأ يشكّ في النبوات والرسول واشتغل باللهو والموسيقى ، ثم تركهما ، وفتح له العقاد (الرسالة) ، وشكه العقلي ظاهر في "الله والإنسان" ثم انكبّ على القرآن وتفسير الظلال وابن كثير ورفض كتابه .  
وانظر بعض شطحاته في : علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب (ص ٤٣٦-٤٤٢) .

(٣) انظر : لقاء الأردن (ص ١٩) .

(٤) انظر : مجلة الحرس الوطني ، ع (محرم ١٤١١هـ / أغسطس ١٩٩٠م) حوار أجراه الأستاذ عبد العزيز الداود .

(٥) هي الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن ، أديبة مصرية مشهورة ، ولها كتابات ومقالات إسلامية عديدة ، منها : "أرض المعجزات" وغيرها ، وقد نالت جائزة الملك فيصل العالمية ، وتمتاز كلماتها بنبرات الصدق وجمال السبك - الباحث - .

(٦) داعية مصري ، كان ذا فكر ثائر ، وبيان ساحر ، وأسلوب ساخر ، تخرج في كلية أصول الدين ، من أوائل كتبه "الإسلام والأوضاع الاقتصادية" ، و"الإسلام والمناهج الاشتراكية" ، و"جدّد حياتك" ، و"علل وأدوية" ، و"خلق المسلم" وغيرها ، وقد التحق بجماعة الإخوان ، والتقى حسن البنا حين كان طالبا بمعهد الإسكندرية ، وله مواقف في قول الحق لاتنسى ، أسرف في رد الأحاديث الثابتة ، وقسا على بعض مخالفيه ، وكتابه الأخير "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث" هاج عليه خصومات كثيرة . انظر : الشيخ الغزالي كما عرفته ، د. يوسف القرضاوي ، بتصرّف .

والشيخ الغزالي من المنافحين عن الإسلام في مواطن عدة من كتاباته ، ولكنه سقط في بعض هذه الكتابات سقطات غريبة ، فعفا الله عنه وقد أفضى إلى ماقدّم - الباحث - .

و(السباعي)<sup>(١)</sup> ، و(الطنطاوي)<sup>(٢)</sup> ، وغيرهم كثير .  
ولعل إعجابه بالأستاذ (أبي الأعلى المودودي)<sup>(٣)</sup> ظاهر من خلال حديثه وإطرائه .

(١) هو الشيخ الداعية مصطفى بن حسين السباعي ، من خطباء الكتاب ، ولد بجمص عام (١٣٣٣هـ/١٩١٥م) وتعلّم بها وبالأزهر ، اعتقله الإنجليز ستة أشهر وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ثلاثين شهرا ، دافع عن بيت المقدس بكتيبة من جماعة الإخوان المسلمين ، نال الدكتوراه من الأزهر ، وأنشأ مجلة (حضارة الإسلام) بدمشق ، وأصيب بشلل نصفي قبل وفاته بسنوات تصل إلى العشر ، له مؤلفات عدة منها : "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" ، و"اشتراكية الإسلام" ، و"المرأة بين الفقه والقانون" ، توفي بدمشق عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٧م) .

انظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي . (٢٣١/٧-٢٣٢) .

(٢) هو الأستاذ الداعية الأديب ، الكاتب الخطيب ، من بلاد سورية ، كان بيته بقاسيون بالشام ، ثم أخرج منها كما أخرج غيره ، ثم نرح إلى مكة المكرمة ، وأكرم في هذه البلاد إكراما جيدا جاوز من العمر التسعين وتردت أوضاعه الصحية ، وأثبت عائلة متدينة ، وله برامج في الرائي والإذاعة لأيمّل سماعها ، وله مؤلفات عدة منها : "ذكريات" ، و"مقالات في كلمات" وغيرهما ، درس في مصر حين ذهب إليها سنة ١٩٢٨م ، ودرس في العراق سنة ١٩٣٦م ، وفي بيروت سنة ١٩٣٧م ، ثم قدم المملكة سنة ١٩٦٣م ، وقد توفاه الله في شهر ربيع الأول من هذا العام (١٤٢٠هـ) وصلي عليه في المسجد الحرام بمكة - رحمه الله رحمة واسعة - الباحث .

انظر : ذكريات ، له (١٧/١) ، هكذا ربّانا جدي علي الطنطاوي ، لحفيدة عابدة المؤيد العظم (ص ٥) ، وينقل في "ذكريات" (١٧٣/٥) أن أصله من مصر .

(٣) أبو الأعلى بن السيد أحمد حسين المودودي ، مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان ، ولد في جنوب الهند سنة (١٣٢٢هـ/١٩٠٣م) وعمل في الصحافة بعد وفاة والده ، ثم رأس تحرير صحيفة (المسلم) في نيودلهي ، ثم أصدر مجلة (ترجمان القرآن) فكانت منبره ، سجن وصدر حكم بإعدامه ، ثم استبدل به السجن المؤبد ثم أطلق من سجنه ، واستقال لظروفه الصحية عام ١٩٧٢م ، وانشغل بالتأليف ، نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، كان كبير العقل ، مشرق الروح على تجهّم في ظاهره ، له مؤلفات عدّة ، منها : "تفهيم القرآن" ، و"مبادئ الإسلام" ، و"نحن والحضارة الغربية" . توفي عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، وقد يكون اسمه الصحيح عبد الأعلى .  
انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلّانة (ص ٣٩-٤٠) .



وكذلك ما كان من قراءة قصص (كامل الكيلاني)<sup>(١)</sup> منذ الصغر ،  
وارتشافها ارتشافا .

ويختلف تأثير هؤلاء في نفس عماد الدين ، لكننا على وثوق بأن من كان  
احتكاكه بهم في الصبا معايشة وقربا وتوجيها ، أولى بوضع غرسهم المؤتي أكله  
بعد حين ، كما هو الأمر كذلك بمن كان لهم وقع ملموس في طريقة تأليفه  
واستشهاده<sup>(٢)</sup> .

أما رفقاء الدرب فلا يذكرهم عماد الدين بشئ من التأثير البالغ ، أو  
الذكرى الثابتة ولكثرتهم يصعب التأشير على واحد فيهم ، فيقول : "وبعضهم  
توقف عن إكمال دراسته ، وجرفه عالم الأشياء فأصبح تاجرا لامعا ، وبعضهم  
الآخر واصل الطريق فلقي نفسه في نهاية الأمر موظفا في هذه الدائرة أو تلك ، وقلة  
منهم من انطلقوا معي من أيام الإعدادية في الفرع الأدبي ؛ لكي يواصلوا طريقهم  
للدراستات العليا"<sup>(٣)</sup> .

وفي ختام هذا المبحث نقول إن المبدع إذا عاش هذه المؤثرات ، وجعل من  
هؤلاء الموجهين فرصة لإيقاد فتيلة الإبداع لديه ؛ فإن المستقبل سيكون مفتوحا

(١) كامل بن كيلاني إبراهيم كيلاني ، ولد عام (١٣١٥هـ/١٨٩٧م) وهو أول من كتب قصص  
الأطفال في الأدب العربي الحديث ، وكان مولده ووفاته في القاهرة ، أجاد الإنجليزية  
والفرنسية ، وله محاضرات في الجامعة المصرية القديمة ، واشتغل بالتدريس الثانوي ، ثم في  
وزارة الأوقاف ، كانت له ندوة في بيته كل أسبوع لمدة تزيد عن ثلاثين عاما ، وله كتب عدة  
منها : "مصارع الخلفاء" ، و"مختارات" ، و"السندباد البحري" وغيرها ، وله نظم حسن ، نشر  
من قصصه مائتا قصة ، وتحت الطبع منها ثمانمائة ، توفي عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) .  
انظر : المرجع السابق (ص ٢١٧-٢١٨) .

(٢) كما نلاحظ هذا في كتبه : "رؤية إسلامية في قضايا معاصرة" ، و"حول تشكيل العقل المسلم"  
و"مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم" إذ يشابه في طريقة عرضها طريقتي الأستاذ سيد  
قطب ، ومحمد قطب في العرض والاستنباط - الباحث - .

(٣) لقاء الأردن (ص ١٩-٢٠) .

أمامه - بإذن الله - ، و"الفرصة ذبابة"<sup>(١)</sup> يجب أن تقتنص كما يقتنص لقتل الذبابة السرعة في الوقت ، والعجلة في الحركة ، بترتيب وتخطيط! وإن طارت الفرصة من يد المرء ، فإنه سيندم ولات حين مندم!

وحين سئل الكاتب الشهير (جبرائيل غارسيا ماركيز) حول قضية التأثر بشخصية معينة قال عن الكاتب عموماً : "لن يستطيع أن يعطي نفسه الحق في تحديد أيّ كاتب يقع تحت تأثيره في هذه اللحظة . هذا في البداية . ثانياً : إذا شعر الإنسان أنه تحت تأثير كاتب من الكتاب الكبار ، فإنه سيفعل كل ما في طاقته ، لإزالة التشابه بينه وبين ذلك الكاتب ، وحسب ، بل إنه سيسعى بجهد كبير ، إلى ما يجعله متميّزاً بصورة جوهرية عن ذلك الأستاذ"<sup>(٢)</sup> .

(١) في هذه القاعدة التربوية النفيسة ، انظر : هكذا رباني جدّي علي الطنطاوي ، عابدة المؤيد العظم (ص ١٠٣-١٠٥) .

(٢) بين الأدب والسياسة ، د. تاج السرّ الحسن (ص ٣٢-٣٣) .

### خامسا : الموصل .. وظلال المكان في النفس :

الموصل .. تلك المدينة الجميلة .. (أم الربيعين)<sup>(١)</sup> .. وهي مدينة لها مكانة خاصة في التاريخ العربي ، جزءا من إقليم الجزيرة الفراتية ، وقد كان لعدد من أبنائها دور واضح في الميادين الحضارية والسلوكية والسياسية كذلك<sup>(٢)</sup> .

تشبه كثيرا مدينة (حلب) السورية ، وآثار (نينوى) على الضفة الأخرى مقابل الموصل<sup>(٣)</sup> ، يخترقها نهر تحيط به الغابات من كل مكان<sup>(٤)</sup> .

ولم ير عماد الدين من نفسه إلا التشبث بهذه البقعة كل حين ، حتى لو اضطرَّ إلى أن يغادرها زمنا يطول أو يقصر ، فإنه يراه مديدا في نفسه ، فيسارع قافلا إليها يمدّ ذراعيه فيضمّها إلى صدره ؛ إذ يقول في ذلك :

"كنت أخرج منها إما للدراسة ، أو للتدريس ، أو إلقاء المحاضرات ، وحضور الندوات والمؤتمرات ، وعرضت عليّ فرص عديدة للعمل خارج العراق ؛ لكنّ عشقي لهذه المدينة ، وميلي الشديد إليها جعلني أرفض كل هذه العروض وأعود ثانية إليها بعد كل رحلة إلى خارج العراق"<sup>(٥)</sup> .

(١) لأن خريفها وربيعها من الفصول الجميلة . انظر : لقاء الأردن (ص ٢) .

(٢) انظر في هذا المبحث الجميل للدكتور فاروق عمر فوزي في مجلة (آداب الرافدين) ع (٦) ، (ص ٥١-٧١) (جمادى الأولى ١٣٩٥هـ/حزيران ١٩٧٥م) .

ومن جملة الأحداث العظيمة فيها ، ماصنعه قوام الدولة أبو سعيد كربوقا الوالي السلجوقي الأول الذي ولي الموصل بعد سقوط آخر أمير عقيقي ، وانظر في هذا بحث الدكتور عماد الدين خليل في "آداب الرافدين" ع (٥) (ص ١٥٧-١٧٦) (جمادى الأولى ١٣٩٤هـ/حزيران ١٩٧٤م) .

ومن أشهر كتّاب الحضارة فيها ابن الأثير الذي استقر في الموصل ، وهو من جزيرة (ابن عمر) شمالي الموصل . انظر : جولة مع ضياء الدين ابن الأثير ، للأستاذ أحمد محمد عنبر (ص ١٠) .

(٣) (نينوى) مدينة يونس عليه الصلاة والسلام ، انظر : ذكريات ، الأستاذ علي الطنطاوي (١٧٢/٥) ، وقد كانت الموصل في التقسيم مع سوريا ؛ لكن لاكتشاف بترولها ، جعلها الإنجليز مع حليفهم العراق حينها .

(٤) لقاء الأردن (ص ٢) .

(٥) المرجع نفسه (ص ١٣) .

والمرء - لاشك - حان إلى بلده ولو أقام في غيره دهرًا ، وقد قال الأول :  
 "عَمَرَ الله البلدان بحب الأوطان) ، وقال ابن الزبير : (ليس الناس بشئ من أقسامهم  
 أقنع منهم بأوطانهم) ، ولولا مامن الله به على كل جيل ... ماسكن أهل الغياض  
 والأدغال في الغمق والثلق ، ولما سكنوا مع البعوض والهمج ، ولما سكن سُكَّانُ  
 القِلاع في قُلل الجبال ، ولما أقام أصحاب البراري مع الذئب والأفاعي وحيث مِنْ  
 عَزَّ بَزَّ<sup>(١)</sup> ، ولا أقام أهل الأطراف في المخاوف والتغريز ، ولما رضي أهل الغيران  
 وبطون الأودية بتلك المساكن ، ولالتمس الجميع السكنى في الواسطة ، وفي بيضة  
 العرب ، وفي دار الأمن والمنعة . وكذلك كانت تكون أحوالهم في اختيار المكاسب  
 والصناعات وفي اختيار الأسماء والشهوات . ولا اختاروا الخطير على الحقير ، والكبير  
 على الصغير"<sup>(٢)</sup> .

فللوطن والمحلّ وقع وظلّ بل ظلال في ذاكرة المرء ، لا يفتأ يسترجعها كلّ  
 حين وهي ركيزة لها أثرها في نفس العربي ؛ بل "لقد عدّ العرب الحنين إلى الأوطان  
 منقبةً يتفاخرون بها ؛ لما في ذلك من دلالة على كرم الطينة وكمال العقل . حتى  
 لقد سمع ناقد قول الشاعر القديم :

(١) (مَنْ عَزَّ بَزَّ) مثل معناه من غَلَبَ سَلَبَ ، وأول من قاله جابر بن رَأْلان وله قصة طريفة . انظر

موسوعة أمثال العرب ، د. إميل بديع يعقوب (٥/٤٥٦) .

(٢) رسائل الجاحظ ، للجاحظ (ص ١٠٠) ، جزء (الرسائل السياسية) .

والغَمَقُ : الأرض القريبة من المياه . القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (٢/١٢١٤) ، مادة  
 (غمق) .

والثَلَقُ : المكان النديّ المبلّل . المرجع نفسه (٢/١٢٢١) ، مادة (لثق) .

والغِياض : جمع (غَيْضَة) وهي الأجمة ومجتمع الشجر في مغيض الماء . المرجع نفسه (١/٨٧٩)  
 مادة (غيض) .

والأدغال : جمع (دَغَل) وهو الشجر الكثير الملتف . المرجع نفسه (٢/١٣٢١) ، مادة (دغل) .

والهمج : ذباب صغير كالبعوض . المرجع نفسه (١/٣٢٢) ، مادة (همج) .

والتغريز : تعريض النفس للهلكة . المرجع نفسه (١/٦٢٧) ، مادة (غرّه) .

والغِيران : جمع (غار) وهو البيت في الجبل أو المنخفض فيه أو كلّ مطمئن من الأرض أو

الحجر يأوي إليه الوحشي وجمعه (أغوار) و(غيران) . المرجع نفسه (١/٦٣٢) ، مادة (غور) .

وبيضة : ساحة . المرجع نفسه (١/٨٦٤) ، مادة (بيض) .

لَا يَمْنَعُكَ خَفْضُ الْعِيشِ فِي دَعَا  
نُزُوعِ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ  
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ أَنْتَ سَاكِنَهَا  
أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ

فقال : هذا ألام بيت قالته العرب ؛ لأنه يدل على شدة القساوة وقلة الرعاية .. وأيد كلامه بقول الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد<sup>(١)</sup> .  
وكان العربي القديم إذا خرج إلى الحضر "قال الشعر حسرة على الدهناء  
ورمالها وسهلها وجبلها ، وأقسم أن رياح الصحراء تثير الغبار أحب إليه من رياح  
الحضر تهز الأشجار"<sup>(٢)</sup> .

ولعل حب الموصل المتجذر في نفس عماد الدين ومحنه وعصبيه جعله ينسى  
خلفيات القارئ اللغوية ، وأنه لا يستطيع تمييز معاني المفردات الدارجة في مخاطب  
أهل القطر الواحد ، فاستخدم بعض المصطلحات المتجذرة في نفسه حبا لهذه البلدة  
ومافيه .

وقد تنبه لهذا لاحقا حيث يقول عن هذه الظاهرة في أعماله :  
"مامن عمل روائي واقعي إلا وهو يعطي لمسات محلية صرفة ، كيف تعطى  
هذه اللمسات المحلية؟ في الفضاء الزماني والمكاني للعمل الروائي في (شخصية  
الموصل) وفي بعض المفردات التي تتدفق على ألسنة الأبطال والشخص ، فأشرت  
إلى بعض المفردات اليومية المعتمدة بتسميتها "المحلية" ؛ لكي أضفي لمسات محلية  
على هذه الرواية ، لكن الخطأ أنه لم أحاول أن أوضح في هوامش معينة دلالات  
هذه المفردات فضاعت على القارئ"<sup>(٣)</sup> .

تحدث عماد الدين عن حبه مصر ؛ لدراسته وذكرياته فيها ، ولما عاش فيها  
من أحداث أطافت به<sup>(٤)</sup> ؛ إلا إنه لا يزال يهفو دوما إلى ذكرى (الموصل) ، ومايكن

(١) دراسات في الأدب العربي والتاريخ ، محمد عبد الغني حسن (ص ١٨٥-١٨٦) .

(٢) شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د. سيد نوفل (ص ٢٩) .

(٣) لقاء الأردن (ص ٤٤-٤٥) ، ويلمس هذا من خلال روايته "الإعصار والمثذنة" خاصة .

(٤) من أدب الرحلات ، مخطوط له (ص ٣٦) ، وقد ذكر فيه أن حبه (مصر) يصل إلى درجة  
"العشق" .

لها في نفسه من منزلة ، ولاغرو في ذلك ، فقد ولد فيها ، وفي رباهها ترعرع ونشأ .. و"على ثرى هذا البلد الجميل تفتحت عيونه ، ونمت مداركه ، وفي مدارسها ومعاهدها أتم تعليمه وحصل على الشهادة الثانوية"<sup>(١)</sup> .  
 لقد صدق البارودي<sup>(٢)</sup> حيث قال في راعته : (وادي الأراكه)<sup>(٣)</sup> :

حليبي هذا الشوق لاشك قاتلي      فَمَيْلًا إِلَى "الْمِقْيَاس"<sup>(٤)</sup> إِنْ خَفْتُمَا فَقَدْ بَدَيْ  
 ففي ذلك الوادي الذي أَنْبَتَ الهوى      شِفَائِي مِنْ سُقْمِي ، وَبُرْئِي مِنْ وَجْدِي  
 ملاعبُ هو طالمَا سِرْتُ بينها      عَلَى أَثَرِ اللَّذَاتِ فِي عَيْشَةٍ رَغْدِ  
 إِذَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ سَأَلَتْ مِنَ الْأَسَى      مَعَ الدَّمْعِ ، حَتَّى لَا تُتْنَهَّهَ<sup>(٥)</sup> بِالرَّدِّ

وقد سجّل عماد الدين محبته هذه ، حيث ذكر صمود الموصل وقوتها أمام المغول عام (٦٦٠هـ)<sup>(٦)</sup> ، ودوّن ملحوظاته حول تراثها العميق ، والمنهجين اللذين

- (١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، الأستاذان أحمد الجدع ، وحسني جرّار (٨٣/٢).
- (٢) هو محمود سامي باشا البارودي المصري ، ولد عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) ، وهو أول ناهض بالشعر العربي في العصر الحديث من كبوته ، وأحد القادة الشجعان ، جركسي الأصل ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، تعلّم في المدرسة الحربية ، وأتقن الفارسية والتركية بالآستانة ، وله فيهما قصائد ، وعاد إلى مصر ، فكان من قواد الحملتين المصريتين لمساعدة تركيا الأولى في ثورة عام ١٨٦٨م والثانية في الحرب الروسية عام ١٨٧٧م ، وشارك في الثورة العراقية فسجنه الإنجليز ، وحكم عليه بالإعدام ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة (سيلان) ومكث هناك أكثر من سبعة عشر عاما ، فتعلّم الإنجليزية وكف بصره ، وعفي عنه عام (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) فعاد إلى مصر ، وتوفي عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) .
- انظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي (١٧١/٧) .
- (٣) انظر : الديوان ، محمود البارودي ، ضبط وتصحيح علي الجارم ومحمد معروف (٢١٠/١) .
- (٤) يريد مقياس النيل بمصر . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- (٥) أي تُتْنَهَّى وتُكْفَ عن الملام والحسرة . نفسه . وانظر : القاموس المحيط ، للفيروزآبادي (١٦٤٧/٢) .
- (٦) انظر : دراسات تاريخية ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧-٢٦) ، وعظم هول هجمتهم في كتابه "هجمات مضادة" (ص ٩-١٣) .

يتحقق بهما هذا التراث<sup>(١)</sup> تلمّسا لمعطياته من المخلفات العمرانية والخطوط والزخارف والمخلفات الشيئية من المواد المنقولة وغيرها ، ومعطيات العادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية ، وقد فصل الحديث عن المعطيات العمرانية فيها بالذات<sup>(٢)</sup> ، مع عدم إهمال المعطيات الثلاثة الأخرى .

وأخذ يصف عمرانها ودورها وقصورها ومؤسساتها الرسمية ، وأسواقها وخاناتها وحمّاماتها ومقاهيها ومطاعمها وجوامعها ومساجدها ، وكنائسها<sup>(٣)</sup> ، والمعطيات الأخرى<sup>(٤)</sup> .

وقد رسم لتنفيذ ما يصبو إليه خطا واضحا ؛ حيث استنبط طرقا يستند إليها عند تنفيذ ذلك ، جعلها في خمس نقاط مقترحة للعمل على ما نادى إليه<sup>(٥)</sup> .

ويذكر ما كان له فوق أرضها من خلال تسجيل دقيق يتمتع به ، تسعفه فيه ذاكرته الجيدة ، واهتمامه بهذه النوعية من التفكير ؛ حيث يرى في هذه المسألة تسجيلا لخبراته ، واكتشافا للمخزونات الحياتية والاجتماعية والثقافية ، في اتصال بما يدور حوله ، وشعور بالإيجابية تجاه مجتمعه ، يتذكر فيه لحظات طفولته ، ويسجل أحداثها حين يعدها سبيلا إلى العالم الجديد ، و"مشروع الاكتشاف اليومي والرحلة العذبة المترعة بالدهشة والبراءة والفرح"<sup>(٦)</sup> .

وهكذا تكون للصبا خواطره في البيئة المحيطة المطيفة عبر البحث عن النموذج المحتذى واختيار المبادئ والمثل وتكوين الفلسفة الخاصة في الحياة ، ووضع أثر الزمان و(المكان) في النفس<sup>(٧)</sup> .

(١) ذكرهما بالتفصيل في "دراسات تاريخية" (ص ٨٧-١١٢) .

(٢) أشار إلى هذا في المرجع نفسه (ص ٨٨) .

(٣) لعلها معطيات عمرانية مجردة ، وإلا فهي لاتعد مما بقي "لنا" من هذه المنشآت - الباحث - .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص ١١٢) وقد أهدى روايته "الإعصار والمئذنة" إلى مدينته فقال : "وفاء لمدينتي التي أحببتها إلى درجة العشق" . انظر : الإعصار والمئذنة (ص ٥) .

(٦) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٤) .

(٧) انظر في هذا مثلا : علم نفس النمو - الطفولة والمراهقة ، د. حامد عبد السلام زهران (ص ٣٥١) وما يليها .

وهذا متمثل في انبثاقات إبداعية ، وخلجات ونفثات قلمية عديدة ، تبعث هذا الشعور ، وتعمق هذا الإحساس ، كما تمثله العقاد - مثلاً - في مدينته "أسوان" حيث الصفاء لا تشوبه غاشية "وهو يرجع حبه لمدينة الشمس لأنه يحب النور .. يحبه صافيا ويحبه مزيجاً .. ويحبه مجتمعاً ويحبه موزعاً .. ويحبه مخزناً كما يُخزّن في الجواهر ويحبه مباحاً كما يباح على الأزاهر ، ويحبه في العيون ، ويحبه من العيون ، ويحبه إلى العيون" (١) .

وبعيداً عن ملاعب الصبا ومغاني الطفولة البريئة ونضارتها ، يدلف إلى نفوسنا الشاعر القروي<sup>(٢)</sup> ؛ يذكر جواه ويث شكواه ، واصفاً حال كل بعيد حان إلى تلك المغاني ، فيقول :

سَأَلْتُكَ رَبِّي أَتْنِي ، مَالاً وَعَوْدَةً      إِلَى وَطَنٍ أَصْبُو إِلَيْهِ كَثِيرًا  
فَإِنْ كُنْتَ مَاقْدَرْتَ لِي غَيْرَ وَاحِدٍ      سَأَلْتُكَ رَبِّي أَنْ أَعِيشَ فَقِيرًا<sup>(٣)</sup>

ومأروع قوله عن مسقط رأسه (البربرة) بلبنان إذ يضيفها إلى نفسه فيقول:

- 
- (١) عصر العقاد ، د. عبد العزيز شرف (ص ٢٩) .  
 (٢) هو رشيد بن سليم بن طنوس الخوري ، شاعر مهجري معمر ، ولد سنة (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) ولد بالبربرة بجبل لبنان ، مارس التعليم ، ثم هاجر إلى البرازيل للتعليم والتجارة ، ثم تولى تحرير جريدة (الرابطه) سنتين ، وانضم إلى العصبة الأندلسية في البرازيل وصار خلفاً لميشال علّوف فيها سنة ١٩٣٨م ، ثم عاد إلى سورية ثم لبنان ، لقبه بالقروي الشاعر نجيب قسطنطين ذماله فاشتهر به ، ولم يتزوج ، وكان يداري الناس ؛ حتى يظن المسلمون أنه مسلم ، ولم يكن مؤمناً بالنصرانية وخرافات تأليه المسيح ، بل يدعو إلى جمع الأديان ، أوصى بأن يصلي عليه شيخ وكاهن!  
 انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص ٨٢-٨٣) .  
 (٣) الشاعر القروي سيرة وعطاء ، صالح الدسوقي (ص ٤٤) .



سَكَبْتُ عَلَى بَرِّبَارَتِي ذَوْبَ مُهَجَّتِي      وَكَمْ ذُقْتُ مِنْهَا مَا يَهَيْبُ بِي أَرْحَلَ  
وَلَوْلَا طَلُولُ خُبَّتْ فِي رَجَامِهَا      بَوَاكِيْرُ حُبِّي عَشْتُ عَنْهَا عَمَزَل  
فِيَادَارَتِي حُبِّي وَلَهْوِي وَصَبَوْتِي      بِكَلْتَيْكُمَا عِنْدِي هَوَى لَمْ يُيَدَّلْ  
نَقَشْتُ بَلُوحَ الصَّدْرِ رَسْمَيْكُمَا مَعًا      فَيَا كَبِدِي ضُمِّي وَيَا قَلْبُ قَبْلُ<sup>(١)</sup>

ولئن كان عماد الدين يتذكر الموطن - بشكله العام - ، ويحنّ إليه دوماً ؛ فإن ذكرياته عن موطنه المصغر ، من الأهل والعائلة تمثل النظر إلى هذا الموطن المصغر الذي أفردنا الحديث عنه سلفاً ؛ لأن (البيت) موطن له ذكرياته وطابعه الخاص ، و"البيت هو ركننا في العالم . إنه كما قيل مرارا ، كوننا الأوّل ، كون حقيقي بكلّ ما للكلمة من معنى ... وطبقا لجدل لانهائي فإنّ ساكن البيت يضيف عليه حدودا إنه يعيش تجربة البيت بكلّ واقعيتها وحقيقتها ... إنّ ماضينا كاملا يأتي ليسكن البيت الجديد"<sup>(٢)</sup> .

وهكذا تكون لهذه المواطن صغیرها وكبیرها أثرها في نفس المرء وتقلّبات حياته مصنوعة بطابع (الذكرى) المتجذّرة ؛ التي تتأثّر بالبيت والمجتمع ، وتداعيات المكان . والمجتمع المحيط بالمبدع مساعد في البناء ، فاعل في الإبداع ، مشارك في العطاء ، يصوغ التنمية الجماعية للإبداع ، والخلفيات الفكرية ، والتصوّرات الحركية المثمرة فردا واعيا منظّما<sup>(٣)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ٤٧-٤٨) .

(٢) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا (ص ٣٦-٣٧) .

(٣) انظر : مهارات التفكير الابتكاري ، د. محمد عبد الغني هلال ، باب تنمية الإبداع ، ففيه كلام نفيس في هذا المجال .

وكما شكّا عماد الدين هذا الحنين الدائم إلى (الموصل) ؛ هنا هو الشاعر العراقي الكبير (محمد الجواهري) <sup>(١)</sup> يشكو ضنائه وبعده عن العراق وأهله ، فيقول <sup>(٢)</sup>:

سَهَرْتُ وَطَالَ شَوْقِي لِلْعِرَاقِ وَهَلْ يَدُنُو بَعِيدٌ بِاشْتِيَاقٍ؟  
وَهَلْ يُدْنِيكَ أَنَّكَ غَيْرُ سَالِ هَوَاكَ وَأَنْ جَفَنَكَ غَيْرُ رَاقِي <sup>(٣)</sup>  
وَمَالِيلِي هُنَا أَرْقُ لَدَيْغٍ وَلَالِيلِي هُنَاكَ بِسِحْرِ رَاقِي <sup>(٤)</sup>  
وَلَكِنْ تَرْبَةً تَجْفُو وَتَحْلُو كَمَا حَلَّتِ الْمَعَاظِنُ لِلنِّيَاقِ

- (١) محمد مهدي الجواهري ، شاعر عراقي معاصر ، قال الشعر وأجاد فيه ، وله ميول رافضية . نفي طويلا ، وتغرب عن الأهل والديار ، ومنح قبل وفاته بعامين وسام الاستحقاق من رئيس الجمهورية السورية ، له قصائد قوية السبك طريفة الخيال ، شبهه بعضهم بالسّور الذي يحمي المثقفين العراقيين ، وقد اختار من شعره عيونا ، جمعتها وطبعتها وزارة الثقافة بسوريا . انظر : المجلة العربية ، ع(٢٥٠) (ذو القعدة ١٤١٨هـ / مارس ١٩٩٨م) (ص ٩٨) مقال لعبد الوهاب البياتي ، مع نثار قلم من الباحث ورؤيته .
- ويكنى الجواهري أبا فرات ، وله (كوفية) معروفة به كما عرف بها ، يضجر من حديث الصحافة ويهرب منه ، كتب أولى قصائده غزلية ، فاستدعاه الملك (فيصل الأول) حيث أرسل إليه (رستم حيدر) ليعتذر من الملك علي بيغداد فاعتذر بلطف .
- انظر : آراء في الفكر والفن ، عبد الوهاب علي المؤيد (ص ٣٠-٣٣) .
- (٢) الجواهري في العيون من أشعاره ، الأستاذ محمد مهدي الجواهري (ص ٥١٣) .
- (٣) من (رقاً) بمعنى جَفَّ وسكَنَ . انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- (٤) أي (الشافي) يشفي اللديغ بريقاه . انظر : نفسه .

### سادسا : (الزمن) .. ومواقف الحياة :

للزمن ظلّه الخاصّ في نفوس الناس ، وتأثيره المتميّز في شخصياتهم ، وفي هذا المقام يمكننا أن نقول إنه "لا توجد هناك طريقة لبناء حياة إنسان ما ، سواء أكانت هذه الحياة واقعية أم خيالية ، إلا بواسطة إعادة بناء ماضيه ... فالإنسان كما قال (ديلثي Diltthey) قد لا يملك طبيعة ، لكنه بالتأكيد له تاريخ . وهكذا يغدو الزمن أو الناحية التاريخية للوجود الإنساني نقطة محورية لتحليل وجوديّ للإنسان .

والزمن ، في نظر (هيدجر) ، هو المقولة الأساسية للوجود - الزمن كما يختبره الفرد ذاته ، لا كما يسجله العالم الطبيعي أو المؤرخ"<sup>(١)</sup> .

وإذا جبه المرء بموقف طرأ على حياته ، فترك منزلة في النفس ، أو كان له تحويل قد تختلف درجته من موقف إلى آخر ، ومن حال إلى أخرى ؛ فإن هذا الموقف يكون عنوانا يشار إليه ، ولا يفتأ المرء يتذكره ، ويذكر وقعه وتحويله .

هاهو (محمود درويش)<sup>(٢)</sup> يتذكر فيه مأساة فلسطين عام ١٩٤٨ م ، ومأساة قريته الصغيرة (البروة) ، فيقول : "في إحدى ليالي الصيف التي اعتاد فيها القرويون أن يناموا على سطوح المنازل ، أيقظتني أمي من نومي فجأة ، فوجدت نفسي مع مئات من سكّان القرية أعدوا في الغابة ، كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا ، ولم أفهم شيئا مما يجري . بعد ليلة من التشرد والهروب وصلت مع أحد أقاربي الضائعين في كلّ الجهات إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين .

(١) الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، ترجمة د. أسعد رزوق (ص ٣٣-٣٤) .

(٢) هو محمود درويش ، ولد سنة ١٩٤١ م ، "وله شعر جيد السبك ، لكنه منحرف التوجّه والاعتقاد" ، ولد في البروة - بكسر الباء - وهي شرقي (عكا) في فلسطين ، وقد احتلّها اليهود وهدموها ؛ حيث قاومتهم بشدة وضراوة ، وطرّدوا أهلها لينهبوا خيراتها وينعموا بخصوبة أرضها ، فخرج مع أمه إلى لبنان ثم عاد بعد أكثر من سنة إلى بلده مع عمه ودليل يعرف الدروب ، ولكن وجد قريته مهذّمة ، فبقي لاجئا في (بلادته) ! ، فدرس في قرية (دير الأسد) ، له مواقف بطولية ضد اليهود منذ صغره ، وخاصة في شعره ، وسجن كثيرا ، وحُرّف شعره حين ترجم إلى العبرية ، وسافر إلى موسكو ببعثة من الحزب الشيوعي الإسرائيلي أوائل عام ١٩٧٠ م وكان عضوا فيه ففصل .

انظر : محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ، رجاء النقاش (ص ٩٦) وما بعدها ، وماين علامتي التنصيص بقلم الباحث .

تساءلت بسذاجة أين أنا؟ وسمعت للمرة الأولى كلمة : لبنان<sup>(١)</sup> .  
فكان لهذه الحادثة وقعها في نفسه ، وكان لهذا (الموقف) أثره في صموده  
وعناده أمام المحتلّ اليهودي ، فكان تحوّلاً في طبيعته النفسية ، وتوجّهاته الحركية ،  
فهاهو يقول عن أثر تلك (الليلة) : "يخيل إلي أن تلك الليلة وضعت حدّاً لطفولتي  
بمنتهى العنف ، فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت . وأحسست فجأة أنني أنتمي  
إلى الكبار . توقّفت مطالبي وفرضت علي المتاعب"<sup>(٢)</sup> .  
وهكذا تكون هذه (المواقف) بوقعها وتأثيرها ؛ حيث تكوّن النفس ، وتحديد  
المسار - غالباً - .

ومن المواقف التي كان لها طابعها الخاص في حياة عماد الدين الخاصة ،  
وتكوين نفسيته ورؤيته للحياة ، وفاة أخيه الذي يصغره سنّاً<sup>(٣)</sup> ، وقد كان صاحب  
إبداع أدبيّ متميّز ، وله أعمال قصصية قصيرة ، ولكنه انصرف عن ذلك إلى الترجمة  
بلغة رقيقة رغم جفاف موضوعات هندسة "الحاسوب" الذي كان يترجم أعماله  
بناءً على تخصّصه فيه .. وقد كان طلابه يتلقفون عنه تلك الترجمات بشغف كبير .  
وقد وافت أخاه المنية ولم يتجاوز الثامنة والأربعين من عمره ؛ مما كان له أثر  
عميق في نفس عماد الدين ، وزاده ذلك شعوراً بضعف الإنسان وقلة امتداده ؛  
حيث يقول : "الإنسان والحياة البشرية عموماً بيد الرحمن - سبحانه وتعالى -  
ولا يدري الإنسان متى سيفقد - كما يقولون - امتداده ، وسيؤول إلى التراب ، وقد  
تعلمنا من وفاة أخي درساً كبيراً في ضرورة عدم التشبّث بالحياة الدنيا وأنا  
معرضون أن نمشي فيها على قشرة من الجليد .

(١) المرجع السابق (ص ١٠٠) .

(٢) نفسه .

(٣) (نبيل خليل) وكان أستاذاً في كلية الهندسة ، وقد تحصّل على جائزة أحسن كتاب علمي  
مترجم عام ١٩٨٣ م ، وهي جائزة تمنحها مؤسسة الكويت العلمية لأحسن ترجمة في سياقات  
مختلفة .

انظر : لقاء الأردن (ص ١١) .

فالإنسان في هذا العالم وهو مطمئن أنه يمشي على أرض صُلْبَة ولكن في أي لحظة قد تنكسر هذه القشرة من الجليد ثم يغوص في أعماق مياه باردة لا يخرج منها أبداً<sup>(١)</sup>.

وبهذا كان لوفاته وقع وموقف في نفس عماد الدين - وإن لم تكن نقطة تحوّل معين - فهو يرى أن الحياة متدفّقة - وإن ظهرت نتوءات هنا أو هناك - فيقول "ليس ثمة نقطة تحوّل - في الحقيقة - ؛ لأن الحياة كالنهر المتدفق ، لا تستطيع أن تجد فاصلاً بين نقطة ما ونقطة أخرى بل تتدفق الحياة .  
وبالنسبة للأديب يجب أن تكون حياته كلّها لحظات تحوّل نحو العمق الأكثر والعطاء الأكثر"<sup>(٢)</sup>.

إذاً هو يراها جزءاً واحداً متصلاً ، لا ينفصل مكوّن عن غيره فيه ، وحين تمتدّ الحياة فإنها تمتدّ كالظلّ الذي لا تبعث به أشعة الشمس ، حيث ينظر الأديب بعيداً إلى الأفق ، ولا يقع هذا الفاصل مؤثراً في فكره ونتاجه .  
وهذا الشعور ناحية الأخ لم يكن لينشأ في نفس عماد الدين ، لولا البناء العاطفي الشديد الذي تلقّاه من بيته وتربيته ، فكان هذا الإحساس ، وكان هذا الشعور<sup>(٣)</sup> ؛ مما جعل لمثل هذا الموقف طابعه وتأثيره فيه .  
وكذلك إذا هيئ للشخص (موقف) من المواقف ، وتتابع الزمان على إفادته منه ؛ فإن له دفعا جيداً لنفسه ؛ مما يسهل عليه صعباً كبيراً ، لو أنه لم يقيم باستغلال هذا الحدث .

هاهو عماد الدين يمضي قدماً بعد أن أشرعت أمامه أبواب التقاء الناس عبر مراحل النشر ؛ إذ يقول : "وكانت واحدة من أسعد اللحظات في حياتي أن أتلقي موافقة مجلة في دمشق هي (حضارة الإسلام) ... ففي عام ١٩٦٣م قدّمت لها أول محاولة نقدية كنت مقتنعا بها - إلى حدٍّ ما - تتابع عمليين روائيين أحدهما لأديب

(١) أي إلى الدنيا . انظر : المرجع السابق .

(٢) المرجع نفسه (ص ٨) .

(٣) انظر : البناء العاطفي ، من كتاب : بناء شخصية الطفل المسلم ، محمد عثمان جمال (ص ٩٩ -

١١٢) ففيه كلام نفيس .

من أمريكا وآخر من عالم الشرق الشيوعي ، (همنغواي) في روايته المعروفة (الشيخ والبحر) التي نال عليها جائزة نوبل في الآداب ، والآخر هو (آرثر كوستلر) الأديب المجري الشيوعي المرتدّ فيما بعد عن الشيوعية بعد أن رأى ماراً من تناقضات في بنائاتها ، وروايته (الظلام في النهار) فقارنت بين هذين العاملين ... وكتبت المقال بالشكل التالي : (همنغواي وكوستلر .. والإنسان المسلم)<sup>(١)</sup> في محاولة تبيان السويّة الطبعية للإنسان من منظور إسلامي ، قبالة السويّة المنحرفة للإنسان في عملين روائيين . فلما قبلت مجلة (حضارة الإسلام) هذا العمل كان بالنسبة لي تشجيعاً مابعد تشجيع ، وكانت تلك من أسعد لحظات حياتي ... فاندفعت لألوي على شيء ، أكتب محاولات نقدية أخرى راحت تزدد عدداً وتشكّل على مكث<sup>(٢)</sup> . وهذا يذكرنا بما مرّت به (نازك الملائكة)<sup>(٣)</sup> حين دخلت دار المعلمين العالية فرع اللغة العربية ، وأسهمت بقصائدها في حفلات الكلية ، فنشرت الصحف العراقية قصائدها فكان لذلك وقع كبير في مسيرتها الشعرية<sup>(٤)</sup> . وفي هذا التأثير يقول الأستاذ العقاد : "إنني أومن<sup>(٥)</sup> بكلمات التشجيع التي يتلقاها الناشئ في مطلع حياته ممن يثق بهم ويعتزّ برأيهم ، فيمضي إلى وجهته على يقين من النجاح .

(١) نشر المقال عام ١٩٦٣م في مجلة (حضارة الإسلام) م(٧) (ص ٩٩-١٠٢) .

(٢) لقاء الأردن (ص ٧-٨) .

(٣) هي نازك الملائكة ، ولدت في ٣٢ آب/أغسطس ١٩٢٣م في (العاقولية) ببغداد القديمة ، تدرّجت في التعليم حتى نالت ليسانس الآداب عام ١٩٤٤م مع مرتبة الامتياز ، ودرست الموسيقى كذلك ، ودرست الفرنسية مع أخيها (نزار) وأجادت الإنجليزية ، ولها قصيدة (الكوليرا) الشهيرة في ذكر كوليرا مصر عام ١٩٤٧م ، صدر لها ديوان "عاشقة الليل" ، و"شظايا ورماد" وقد أثار هذا الديوان ضجة حول اللون الجديد في الشعر ، ثم صدر ديوانها "قرارة الموجة" ، ثم "شجرة القمر" ، و"مأساة الحياة" ، و"أغنية للإنسان" وغيرها .

انظر : دراسة في شعر نازك الملائكة ، د. محمد عبد المنعم خاطر (ص ١١-١٨) .

(٤) انظر في هذا : المرجع نفسه (ص ٢٥) .

(٥) هكذا أوردها تسهيلاً - الباحث - .

وأومن بالظروف وفعلها في تمهيد أسباب النجاح وتيسير البدء في طريقه ، ثم  
 المثابرة عليه إلى غايته القريبة والبعيدة .  
 وأومن بالرغبة في الوجهة التي يتجه إليها الناشئ والعمل الذي يختاره ويحسّ  
 من نفسه القدرة عليه والاستعداد له مع الاجتهاد والتدبُّع بالوسيلة الناجعة ..  
 أومن بها مجتمعات ولاأومن بها متفرقات .  
 أومن بالتشجيع والظروف والرغبة تتلاقى معا وتتوافق في الخطوات الأولى ..  
 ولاأومن بها متفرقة يتيسر بعضها ويتعذر سائرهما في مستهل الطريق<sup>(١)</sup> .  
 والعقاد بهذا الدفع الإيماني عبّر حلقات ودوائر مختلفة ، وجمال بنا في بيان  
 لأثر هذه الحياة وما فيها من مواقف تسهم في تغيير مسار الشخص ، أو تحوُّله  
 متعرِّجاً مع الزمن ، متأثراً بهذه العوامل والصوارف .  
 وهذا الأمر يتشكّل أثره سريعاً إذا كانت الشخصية ذات قابلية لهذا التلاحق  
 والتأثير ، وقد يعجّل بذلك - كذلك - مايقع من مواقف الحياة التي تنطلق خلال  
 البيئة المحيطة ، في الأسرة المصغرة ، ومايجري منها ، أو في الأسرة العليا - وهي  
 المجتمع - ، ومايكون فيه من تسارع في ذلك ممّا يؤكّد حلقات العقاد الإيمانية  
 السابقة ، وأن النجاح ولذّته لا تكون إلا بتحوّلات هنا وهناك .

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، العقاد (٨٤/٢٢) .

ومن المواقف التي أَلقت ظلالها في حياة عماد الدين ماذكرناه سلفا من ضيقه حين يجالس عائلته ، وعدم شعوره بالراحة النفسية معهم ؛ مما جعله يناجي العزلة ويتخذها أنيسا وجليسا .

ولاريب أن المرء إذا شعر بمضيّ الزمان سارع إلى الإفادة من لحظاته والعمل فيه ، فلا تراه يدع لحظة منها تمرّ بلا نتيجة أو عمل .

هاهو العقاد يدخل السجن ، فيرى فيه فرصة سانحة ذهبية للقراءة والتفرّغ لها وإعداد النفس للمستقبل الواعد<sup>(١)</sup> .

ومن (مواقف) الحياة مع عماد الدين ما كان في أوّل محاولاته الشعرية ؛ مما كان له أثر كبير في انصرافه عن الشعر طويلا ، ثم العودة إليه بعد حين .

حيث كان عماد الدين في بداية محاولاته الشعرية ، المضحكة والتافهة - حسب قوله - التي يراها محاولات للتعبير .. بدأها منذ الصفّ الثالث المتوسط .. بدأها بقصيدة عن فلسطين وأخرى عن الجزائر ، إحداها عمودية ، والأخرى من شعر التفعيلة ، ومن قصيدة الجزائر يقول :

فهذه الأرضُ للإيمان قد خلقتُ      وتلك بُلدانهم بالكفر تلتهب<sup>(٢)</sup>

وجمع هاتين القصيدتين وغيرهما في دفتر كبير الحجم فيقول إنه "انطوى على مايقرب من عشرين إلى ثلاثين قصيدة مما قبل المتوسطة ، فلما رأيت أخي الأكبر وخالي يعثران على هذا الدفتر في يوم ما ويقرءان فيه ويتضاحكان ويتغامزان ، أصبت بإحباط وردّة فعل ؛ فما كان إلا أن أمزّق هذا الدفتر! تلك كانت بدايتي الشعرية ، وهي بداية سيئة على أية حال"<sup>(٣)</sup> .

ولعلّ من المواقف التي لا ينساها الدكتور عماد الدين من حياته الممتدة ، ما كان من أمر الدراسة الجامعية ، وتحديد المسار فيها ، فهو يعشق (الأدب) عشقا

(١) انظر : المرجع نفسه (٢٣/٣٠-٣٦) بتصرّف .

(٢) لقاء الأردن (ص ٢٢) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .



عجيباً جعله يرى في تخصصه (التاريخ) رغبة أكيدة في ألا يمسه بالأذى مملكة (الأدب) وأن يكون حرّاً طليقاً في اجتياز دروبها وتناول ثمارها المدلاة<sup>(١)</sup>.  
 ويعلّل هذا بأن أقسام (اللغة العربية) في أواخر الخمسينيات كانت جافة تقتل الإبداع ؛ ففرّ منها لجمودها ، ورغب أن يكون هكذا مع الأدب ؛ ولما رآه - كذلك - في أساتذة القسم - آنذاك - من التدريس بطريقة جافة محنّطة ، لا يُبرّز بها مبدع قدير<sup>(٢)</sup> .

وتأويله لما يتعلق بكتبه التاريخية الكثيرة ، أن هذا له قصة أخرى ، تنطوي على كثير من التفاصيل ، وأنا في عصر التخصص ، الذي لا يراه مانعاً من الكتابة والإبداع في جوانب أخرى ، وهكذا الظواهر "لاتتخاصم وينفي بعضها بعضاً ، وإنما تلتقي وتتصالح ويعطي كلّ منها للحلقات الأخرى الفرصة الكاملة للتحقق ... (و)<sup>(٣)</sup> الموسوعية - إذا صحت الكلمة - لاتعارض مع التخصص سواء في دائرة المفكر الواحد ، أو في سياق النشاط الفكري والثقافي في بيئة ما أو عصر من العصور ... والحياة الثقافية التي يغيب فيها الموسوعيون ولا يتحرك سوى أصحاب التخصص في هذا الفرع المعرفي أو ذاك .. حياة لاتستحق أن تعاش .. أرخبيل من الجزر المنعزلة التي لاتجمعها لغة واحدة .. تصوّر لو أن قرننا هذا لم يشهد مثقفين كالعقاد أو طه حسين أو سيد قطب أو توفيق الحكيم ، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية .. مثقفين كتبوا في الفكر والتاريخ والترجمة والسيرة الذاتية والتنظير الأدبي وأبدعوا قصصاً وروايات وشعراً .. كيف يمكن أن يكون؟! ... ومع ذلك فإن هذا لا يمنعك من أن تصير متخصصاً ناجحاً ، بل ربما أكثر قدرة على الإبداع والعطاء في مجال تخصصك نفسه من الكثيرين ممن اعتقلوا أنفسهم في زنانات ما يسمى بالتخصص الدقيق ، ففقدوا الرؤية الشمولية واللغة القديرة على الأداء ، بل أصيبوا بسبب جمودهم في البؤر الضيقة بعمى الألوان!"<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢٩) بتصرّف يسير .

(٢) انظر : لقاء الأردن (ص ٥) ، وانظر المرجع السابق .

(٣) زيادة لمناسبة السياق بعد الحذف - الباحث - .

(٤) انظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ٨٣-٨٤) ، وفيه كلام جميل في هذا الباب .

وتشعب الرغبات ، واختلاف مسارات البحث والاهتمام لايجاوز محاور التخصص أو منهجية البحث .

ولقد كان عماد الدين يأرز إلى الأدب والفن عموما إذا أراد التخفف من هذه القيود التخصصية والمنهجية إذ يقول - عن ذلك - : "كنت عندما أملّ من مطالب البحث في التاريخ ، وهي بالتأكيد مطالب علمية قد تبلغ - أحيانا - أن تكون جامدة كالجليد .. كنت أهرب إلى الأدب والفن عموما ، متخففا من قيود "المنهج" وما يطلق عليه "الروح العلمية"<sup>(١)</sup> مستجيبا لنداءات أخرى تضطرب في أعماقي قد لا أستطيع أن أسميها بدقة لكنها هي نفسها التي تحفّق تحت جلد كل أديب أو فنان"<sup>(٢)</sup> .

ولاريب أن احترام التخصص من الموضوعات المفقودة في هذا الزمان ، مع أن يقين الناس بأنّ تقدّم العلم الحديث ، وقيام النهضة الحديثة ، لا يكون إلا بتقسيم العمل ووجود الثقافة بوجهيها الرأسي والأفقّي ، في شتى الميادين .

وما من منكر أهمية وعظم الخوض في التاريخ وتبعات ذلك ، ألم يقل ابن خلدون في مقدّمته الرائعة : "... إن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السؤقة والأغفال"<sup>(٣)</sup> ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال"<sup>(٤)</sup> ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لايزيد على إخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأولى ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية إذا غصّها الاحتفال ، وتؤدّي إلينا شأن الخليقة كيف تقلّبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والجمال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه

(١) له مقال رائع في (الروح العلمية) سيأتي معنا قريبا بإذن الله .

(٢) المرجع السابق (ص ١٤٠) .

(٣) الهمل من الناس . انظر : مقدّمة ابن خلدون ، تحقيق درويش الجويري (ص ٩) ، وفي اللسان من لا يرجى خيره ولا يخشى شرّه . انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، باب (غفل) (٤٩٨/١١) .

(٤) العظماء . انظر : مقدمة ابن خلدون (و) ، واحده (قيل) وهو الملك والعظيم . وانظر : اللسان ابن منظور ، باب (قيل) (٥٧٦/١١) .

نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يُعدَّ في علومها وخليق<sup>(١)</sup> . والموقف الذي لمسه عماد الدين من خلال مرأى أساتذة اللغة حينها ، وما كان يسمعه من قصص تطرف بها مجالس أصدقائه وزملائه ، كل ذلك جعله يتجه هذا الاتجاه هاربا إلى الأدب من جمود البحث التاريخي المنهجي كل حين ، غير غارق في ظلمة التخصص المغلق!

ولازال كثير من المثقفين يندبون الوضع الذي يقع فيه فئام من الباحثين والكتاب من السطو على خيرات الآخرين وخبراتهم ، ونسبتها إلى أنفسهم ظلما وعدوانا ؛ مما جعل الجامعات ومحاضن التربية والعلم تشهد تصرفات غريبة عنها ، من هذا السطو ، أو من تلبّد وتبلّد وجمود وقلة حركة في الجانب الآخر ؛ فأفقد هذا الجامعة دورها ومسارها الصحيح ؛ فقد كانت تحتضن "البحوث الجادة ، والدراسات العلمية الرصينة ، والابتكارات الجديدة ، والمذاهب المستحدثة ، والتيارات ذات الإشعاع الفكري والثقافي . أتاحت الفرصة ، وهيأت السعي ، وفتحت الأبواب ، ومهدت الطريق"<sup>(٢)</sup> . ولقد كان عماد الدين ممن يندبون هذا الوضع بشدّة ، ويعنف المقال على أولئك الذين يدعون الموضوعية ، ويعللون هلهلة بحوثهم وضعفها بـ "الروح العلمية" إذ يقول في مقال رائع له عن هؤلاء الذين يجمعون نصوصهم غير المنضدة ، وينثرونها .. أنهم يصنعون ذلك "دونما أية قدرة على الربط ، أو رؤية شمولية تجمع المسألة من أطرافها ، أو أسلوب متميّز على أقل تقدير .. لقد تمخض الجبل فولد فأرا .. ولكنهم يقولون : إن هذا الفأر الذي لا تكاد تراه هو البحث العلمي الأصيل ، لأنه يتميز بالكثافة والتركيز والجودة وطول الذيل ، وأنه ليس المهم أن تكتب المؤلفات الطوال وتدبج الصفحات المتلاحقة ، ولكن أن تخرج على الناس ، في فترات متطاولة ، من الجهد والكدّ والعناء .. يبحث (علمي) كهذا!!

(١) المقدمة ، ابن خلدون ، تحقيق أ. درويش الجويري (ص ٩-١٠) .

(٢) بحوث ودراسات أدبية ، د. سيد حامد النساج (ص ١٤٥) .

إن الكتب الكبيرة والأبحاث الكثيرة - وفق منظوقهم (العلمي) - غشاء لقيمة له ، والأحرى أن يتجاوز الإنسان مواقع (البلاغة) و(الإنشاء) و(الصحافة) إلى خطّ البحث العلمي (الأصيل) .. وكثيرا ماتلاعبوا بكلمة (أصيل) هذه ، فردّوا أبحاثا ممتازة على أعقابها بحجة أنها غير أصيلة"<sup>(١)</sup> .

وينظر إلى هؤلاء - الذين يضيق صدره ذرعا بهم - على أنهم أقزام لا يتعاملون إلا مع الأشياء الصغيرة ، فإذا رأوا كبيرا ، ذاروا حوله متعجلين "وقد مدّوا شفاههم باحتقار ، دورتين أو ثلاثا ، ثم بصقوا عليه ، وغادروه للتعامل مع الصغائر والجزئيات!!"<sup>(٢)</sup>

(١) مجلة (حضارة الإسلام) ، س(١٧) ، ع(٩-١٠) (ص١٩-٢٠) ، مقالة "أخبار الشهادات" .

(٢) نفسه ، وانظر قريبا منه مقال د. رجاء بن سلامة في صحيفة الحياة ، ع(١٢٩٩٢) الثلاثاء ٨ جمادى الآخرة سنة ١٤١٩ هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩٩٨ م .

## سابعاً : الأمة .. آمالٌ ومصير :

منذ أن بدأت محاولات عماد الدين ومشاركاته الإبداعية ، وهو يدور في فلك التوازن بين مطالب النفس ومطالب الأمة الملحة .. ومنذ أن عرف الشعر والتعامل معه ، أطلق - كما كان غيره يفعل - صيحاته تجاه قضايا أمته ؛ لاستشعاره أهمية الكلمة وأمانتها وعظيم وقعها في النفوس ، "ونحن لانستطيع أن نكتب كلمة واحدة ، دون أن نمررها من خلال الإسلام .. لماذا؟ لأننا مسؤولون أمام الله" (١) .

بل هاهو حين يتذكر حوافر الزمن في صباه وسنيه ، ينظر في الأفق إلى آلام وجراح أمته التي لاتزال تُبرّحه ، فيجدها مشغلة له عن ذلك كله ، حافرة أخذودا عريضا في قلبه المكلوم ، يجعله مبرّحا شاكيا هذه الآلام إلى نفسه ، فنراه يقول :

"ذِكْرِيَاتُ الصَّبَا وَفَجْرُ سَلَامِي

أَذْهَلْتَنِي عَنْ ذِكْرِهَا آلَامِي ..

فَأَنَا فِي دَرْكِ الْجَحِيمِ أَسِيرٌ

نَسِيَ الْحُبَّ ، وَالْحَيَاةُ ضَرَامِي

لَيْسَ يَشْدُو بِظِلِّ نَارِهِ طَيْرٌ ..

وَيَهَابُ الْحَمَامُ بَطْشَ حِمَام!!

وَلَقَدْ حُطِّمَتْ يَنَابِيعُ رُوحِي

- رَغْمَ رُوحِي - تَبَدَّدَتْ أَحْلَامِي" (٢)

وهذه الهموم التي تجعله لا يقر ولا يستقر ، أضحت ترياقا لحياته ، لا يطيق عنه صبرا . بل تلمس ذلك في حديثك الخاص معه ، وفي طبيعة مواعيده ولقاءاته ، وهكذا يكون المرء الفاعل ، ونجد ذلك ماثلا في مثل قوله : "في مساء يوم من أيام (شباط) ١٩٩٤م اتصل بي هاتفياً أحد الأصدقاء .. رجل يملك ثقافة عميقة وعلاقات اجتماعية واسعة ..

\* هل أنت مرتبط بموعد ما؟

- أبدا ..

(١) لقاء الأردن (ص ٣٧) .

(٢) ديوان جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥١) .

\* أريدك في بيتي هذا المساء .. ثمة حشد من الإخوة سيقضون أمسيّتهم عندي .

- أعتذر .. ولكنه يلحّ ، فأتذرّع بالأسباب .

\* إنها فرصة جيدة .. ستتعرف على ثلاثة إخوة من الشيشان والأنكوش .  
- يحاصرني إغراء الذهاب ، ولكنّ ميلي للبقاء في البيت في ليالي الشتاء أشدّ إغراء . يودّعني يائسا وهو يقفل الهاتف .. لحظات وينفجر الندم في أعماقي ، إنها فرصة جيّدة فعلا وقد لا تتكرر مرة أخرى .. بعد دقائق أجدني مسوقا لأن أطلبه على الهاتف وأعلمه بأنني أرحب بدعوته!"<sup>(١)</sup> .

وينقل ما يراه شاهدا على آلام أمته ، وعميق الجرح في النفس المسلمة ، فينقله بنثره الشعري الذي يعتمد الموسيقى الداخلية<sup>(٢)</sup> ، ويثّ ذلك قائلا :

"كلّ يوم نفتح أعيننا وألفُ آهِ تحفر في الأعماقُ

إن في قلوبنا مغاراتٍ قد نخرتها الآلامُ

إنّ في نفوسنا أجرافا<sup>(٣)</sup> توشك على الانهيار

من وطء الأقدامُ

نحن مهزومون من داخل أرواحنا

مُضَيَّعون في بلادنا كالأغنامُ

في الليالي الشاتية المطيرة"<sup>(٤)</sup>

وينادي منددا بحزب (البعث) العراقي الآثم وتسلبته وجبروته فيقول :

إن تَوَارَى السَّني بليلى بلادي وتمادى الجَلادُ كالموتِ .. جَائِرُ

وأُعِيدَ الإرهابُ يُعْصِرُ خَمْرًا مِنْ ضحايَا (بغداد) أروغَ عَاصِرُ

واستباحَ اليهودُ أرجاءَ (قُدسي) واستغلَّ (الفرنّج) أرضَ الجزائرُ

(١) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤١) .

(٢) ذكر ذلك في مقدمة ديوانه جداول الحب واليقين (ص ١٦) .

(٣) مفردة (جُرْف) ويجمع كذلك على (جِرْفَة) و(جُرُوف) وهو شقُّ الوادي إذا حُفِر الماءُ في أسفله . انظر : المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون (ص ١١٨) .

(٤) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠٦) .

فانظروا ثورة التحرر تسعى  
والحوا الفجر خلف كل ظلام  
برؤوس الطغيان نحو المقابر  
نث نوراً على المشرق ساجر<sup>(١)</sup>

ويقول كذلك :

"لَمَ باعوكِ يابلا دي .. "بحكم"  
أغرق الشعب بالشقاء ، وحطم؟  
لَمَ باعوكِ بعد ثورة شعب  
كل أماله بأن سوف ييسم؟"<sup>(٢)</sup>

وهذا لم يجر في الشعر دون غيره ، بل تجسّد في (الرواية) و(المسرحية) وهو يتذكر هذه الهموم ، ويأمل في المستقبل الواعد ، وإعادة شيء من أجماد الأمة التليدة . ومن أمثلة إبداعاته التي شكّلت هذا الانطلاق ، وسارت به : روايته "الإعصار والمثذنة" التي ذكر فيها تصوير التآمر مع الشيوعية على خسران الشعوب وهي محاولة لتوظيف ثورة الموصل ضد حكم (عبد الكريم قاسم)<sup>(٣)</sup> ، والتسلط الشيوعي على خيرات البلد حينها<sup>(٤)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ١٣٧) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٤٥) ، وفي مآسي المسلمين انظر المرجع نفسه ، (ص ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ٢٩١) ، وله قصيدة قديمة في مأساة الجزائر مع الفرنسيين وهو في المرحلة المتوسطة ، انظر : لقاء الأردن (ص ٢٢) .

(٣) هو عبد الكريم قاسم ، نائر عراقي ولد عام (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) ، قتل فيصل بن غازي آخر ملوك الهاشميين ، ففضى على البيت الهاشمي في العراق بذلك ، حكم أربع سنوات وسبعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً فقط ، وهو قائد عسكري وركن حرب ، أقام النظام الجمهوري ونصب محكمة عسكرية ظالمة ، وقد احتاط فحصر أعمال الدولة في شخصه ! كان لا ينام أكثر من ثلاث ساعات في اليوم ، فانهارت أعصابه ، وكان حادّ الذكاء شعلة نشاط ، لكن على غير آثران ، خرج عليه شباب الجيش فقفذوا القنابل وقُبض عليه حيّاً مع ألف قتيل من مسانديه ثم أعدم بالرصاص عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) متّهما بالعمالة والجاسوسية .

انظر : الأعلام ، للزركلي (٤/ ٥٤-٥٥) .

(٤) لقاء الأردن (ص ٦٧) .

وروايته القادمة (السيف والكلمة) "توظّف اللحظات (الدراميّة) المؤثرة في الغزو المغولي لبلاد بغداد توظيفاً روائياً ، وفق صيغة مركّبة"<sup>(١)</sup> .

وهكذا شأن المسرحية ، حيث نجد أمامنا - على سبيل المثال - مسرحية (المغول) وهي تتعامل مع التاريخ ذاته ، و(العبور) وهي مسرحية ذات فصل واحد تتّجه في الاتجاه نفسه<sup>(٢)</sup> .

والأديب إذا لم ينطلق من هذه الاهتمامات وهذا الشعور الفيّاض ؛ فسيغدو متكالباً على الفتات ، مجرد مدّاح وهجّاء .. همّه لا يجاوز نفسه ، وفي هذا يقول الدكتور مصوراً حال الأديب المطلوب ، وأنه يقول الحق "ولو أوصله الحق إلى المشنقة ، أو قصد به عن آلاف الباحثين عن التكاثر ، المتكالبين على الفتات ، المدّاحين الهجّائين .. أولئك الذين يسفحون مشاعرهم ورؤاهم عندما يلتمع أمام عيونهم الجوعى وهجّ الذهب والفضة ، أو تفزع أحاسيسهم ومطامحهم صيحة ظالم أو أنه مظلوم ... كثيرون جداً ، كذبوا على أنفسهم وعلى قارئهم ووقعوا في الغواية .. هاموا على وجوههم بحثاً عن الذهب والفضة ، وفراراً من مواطن الرعب والخوف ، حيث لن يتاح إلا للقلة النادرة أن تقول للظالم يا ظالم"<sup>(٣)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ٣٤) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٣٥) .

(٣) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠) .

ولهذا نراه يؤسّس أن المرء سيفقد في الساعة الأخيرة (الموت) كلّ مهازل حياته وضلالاته ، فيقول عن الموت :

"الخطوة التي لارجوع بعدها ..

الحزن العميق الذي يردّ على فرحة الحياة التافهة ..

الوداع الذي يسخر من اللقاءات الصغيرة"

انظر : المرجع نفسه (ص ٣٧) .



## ثامنا : المرجعية التأصيلية والسياق :

انطلاقات الدكتور عماد الدين تبرز من مرجعيات ثابتة ، ومفاهيم متوازنة ، تتخذ منهجية المثقف المسلم ، وتلبس لبوس التوازن والشمول ، وهما الصفتان اللتان يختصّ بهما المنهج القويم الثابت ، الذي لا يتزعزع ولا يتضعع . وسياق حديثه ، وانطلاق كلماته ، يعتمد هذه المرجعية التأصيلية التي ارتآها سيلا ومنهجاً له ، يلاحظه - بدقة - من نظر في كتاباته .

واعتماده هذه المرجعية جعله يعشق المنهجية عموماً ، ويدعو إلى التريث والضبط والحركة المنضبطة التي تزن الأمور ، ولا تتعجل الطريق ، بل تسير بتؤدة وتأثير بالغ ، ينتهج التدرّج مسلماً ، ويتوسّط الأمور منزعاً ؛ ولذا نراه "يكتب في المنهج بشكل عام ويؤكد على ذلك في كلّ المناسبات ، ويبين دور المنهج الخطير في حركة الإنسان الفكرية والحضارية عموماً ، وأنه بدون المنهج الذي هو ثمرة العقل المرتب ليس ثمة طريق يوصل إلى الأهداف مهما بذل من جهد وقُدّم من عطاء" (١) . بل يرى أن هذه الدعوة تكتسب الشرعية وأنه "يكفي أن نتذكر مبدأى الاستخلاف والتسخير القرآنيين ، تدعو المسلم إلى الحركة المتواصلة وتجعل الحياة الإسلامية الجادة مشروعاً مفتوحاً ينتقل بالإنسان والجماعة المسلمة من حالة إلى حالة أعلى" (٢) .

ومن نادى إلى المنهج ، كره العبث وقلاه ، فهاهو يقول في تقويمه العبث الذي يراه في كلّ مكان ، ويضر آثاره المشينة على مستوى الفرد والجماعة : "العبث الذي يحكمنا بثقله إذاً ، والذي يشعر به كلّ منا يقبع في أعماقه كوحش خفيف جائع ، يفتح فاه فيمضغ كياننا من الداخل : تارة يأكل من أعصابنا ، وتارة أخرى من وجودنا ، وتارة ثالثة من بقايا الروح المتناثرة في جنبات الإنسان ، هذا العبث ينعكس بالضرورة على الخارج .. فنراه في البيت وفي الدائرة ، في الأزقة وفي

(١) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل ، ومانقل جزء من تقديم الأستاذ عمر عبيد

حسنة للكتاب ، انظر (ص ٢٧-٢٨) .

(٢) ريبورتاج ، د. عماد الدين (ص ٥٣) .

الشوارع ، تحت الشمس وفي المنعطفات ، في الأيام القاتمة السوداء ، وفي أضحيات الربيع .. في الليل والنهار .. في الصيف والشتاء .. أينما ولينا .. وحيثما ركضنا .. نجد هذا الانعكاس المحزن للعبث .. وهذه هي المأساة" (١) .

وانعكس شمول نظرتيه وبعد مراميه ، وتوازنه الدقيق في التصوير ، على مجالات النقد في الساحة الثقافية ؛ حيث يرى أن على الأدباء الإسلاميين توسيع مساحة النقد التطبيقي في العمل والدراسة ، وهذا مهم في نهر الإبداع المتدفق .. "فعلى مراحل متباعدة يلحظ المرء كتابا أو مقالا أو محاولة في النقد التطبيقي لاتكاد ترى على الخارطة الأدبية الإسلامية التي يطغى عليها الإبداع .. وربما التنظير" (٢) .

وهكذا يكون طرحه متميزا بهذه النظرة الشمولية المتوازنة غير أحادية النظر . وقد كان لهذا الشمول والتوازن أثر في كتاباته التاريخية - كذلك - ، فنراه يقول : "من خلال نظرة شمولية إلى التاريخ الإسلامي - في مساراته ومضائره - يبدو ذلك الاتصال الوثيق بين المسببات والأسباب ، ذلك التلاحم المحتوم بين المقدمات والنتائج ، إنها النواميس والسنن التي حدثنا عنها الله سبحانه في كتابه المبين .

ولقد أخطأ كثير من المؤرخين في فهم وحدة هذا التاريخ وطبيعة نسيجه ذي الخيوط الواحدة ، أخطأوا لأنهم نظروا إلى هذا التاريخ نظرة تتسم بالتجزئية والمباشرة والتقطع حيناً ، وبقياس التحولات بمقاييس التغير الدائم ... دون أن يأخذوا بنظر الاعتبار حركة المجتمع الإسلامي ووحدة وصورته" (٣) .

ويرى في التحليل الإسلامي للأحداث شيئا آخر ، حيث إنه "يسلط الضوء على مساحاتها جميعا ، دون أن يقتصر على الأحمر أو الأخضر لكي تبدو حمراء أو خضراء .. إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية" (٤) .

(١) مجلة (حضارة الإسلام) ، س(١١) ، ع(١) (ص٢٦) مقالة : "العبث" .

(٢) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص٥٧) .

(٣) تحليل للتاريخ الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٣) .

(٤) التفسير الإسلامي للتاريخ ، د. عماد الدين خليل (ص١١) .

وهذا كله قد أثر في نظرتة وإجاباته المنضبطة ، التي تبعد عن عقدة الحلّ الواحد ، الذي لا يزن إلا بميزان واحد ، وإن اختلفت المقادير والأنواع والأحوال! <sup>(١)</sup> ومن إجاباته هذه ما بعثه في (آب ١٩٩٦م) إثر تسلم أسئلة (دار الصحوة للنشر) في القاهرة <sup>(٢)</sup> ، وكانت قد وردت عن (دار الساقى بلندن) ، حيث أجابت عنها أربع وعشرون شخصيّة ثقافية وأدبية عربية - على اختلاف في الاتجاهات بينهم بين ماركسيّ وعلمانيّ "بل إن بعضهم يجمع بين الماركسية والمسيحية" <sup>(٣)</sup> وكانت هذه الأسئلة قد ظهرت - عن دار الساقى - في كتاب بعنوان : (آراؤهم في الإسلام) ، وقد تنكّبت إجابات هؤلاء المحاورين ؛ تبعا لتوجّهاتهم وخلفياتهم الفكرية والعقدية ، وخرجت نائمة ملتوية ، حول محاور خمسة يرتبط بعضها ببعض <sup>(٤)</sup> .

فبدأ عماد الدين بتمهيد الأرضيّات المتفق عليها في البداية ، ثم أبان محلّ النزاع ، مثبتا جدارة الإسلام - مهما حاول المرجفون - على ملاك هذه الحياة ، وتحقيق الاستخلاف لحملته "الصادقين" .

ثم أشار إلى أن توجّه (دار الساقى) إلى من لا يدركون إدراكا حقيقيا عظمة الإسلام - ولو في حدوده الدنيا - عمل منقوص لا يعكس المطلوب - بصدق وحقّ -

(١) كثير من المثقفين المعاصرين يقعون في هذه العقدة ؛ حيث لا يعرفون إلا الأبيض أو الأسود ، المدح أو القذح . - الباحث - .

(٢) ويشرف عليها الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس حفظه الله .

(٣) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠٨) وما بعدها ، والأولى أن تتعارف دوما على مصطلح (النصرانية) بدل (المسيحية) فالنصّ جاء بالأولى في الوحيين - الباحث - .

(٤) وكانت الأسئلة :

(أ) هل يحافظ الإسلام - حتى يومنا هذا - على دعوته الشاملة؟

(ب) هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم؟

(ج) هل النظام الإسلامي للحكم مرحلة حتمية على الشعوب العربية أن تمرّ بها في معرض تطوّرها؟

(د) هل تأخذ ظاهرة اليقظة الدينية التي برزت في السنوات العشر الماضية منحى إيجابيا؟

(هـ) من العدو الأول للإسلام حاليا؟

انظر في هذا كله : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وأنه "ليس من المعقول بأي شكل من الأشكال أن أستدعي حشدا من الخصوم<sup>(١)</sup> لكي يدلوا بشهاداتهم تجاه الظاهرة الفذة التي وضعوها - ابتداء - في قفص الاتهام ، وراحوا يكيلون لها التهم والافتراءات : ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup> .

حقا .. "إن الإسلام يكشف عن البدايات ويضع القواعد الأساسية لتنظيم وتسيير الذات والجماعة وفق أكبر قدر من التناسب والتوازن والتناظر"<sup>(٥)</sup> .

ومن جعل القرآن بقياساته وموازينه الشمولية قائدا له ، كان له أن يتصف بهذا كله ، وأن يبدو ذلك عليه حتى في فلتات لسانه ، ونبضات قلمه ووجدانه ، و"الذي يتمعن في كتاب الله جيّدا يتلمس بوضوح صيغ عمل مبرمج في شتى مناحي الحياة البشرية .. تلك الصيغ التي تشكّل مجموعها (استراتيجية) متميزة تمكّن الجماعة الإسلامية الملتزمة المسؤولة ليس أن تحافظ على أصالتها وشخصيتها فحسب ، بل أن تحدّد أسلوب تعاملها مع القوى البشرية والأشياء والأحداث على ضوء علاقات وعلامات وقيم ومؤشرات واضحة كنور الشمس ، دقيقة النتائج كالمعادلات الرياضية"<sup>(٦)</sup> .

ولعلّ اطلاعا على انطلاقاته التأصيلية لأفكاره التي يدعو إليها عبر بوابة القرآن الكريم ، تعطينا هذا التصوّر عن محبته العظيمة للقرآن الكريم ، والعيش في ظلاله الوارفة ، ودفقه النفسي المريح ، مما جعله يتخذ ترادف الاستشهاد بآيات

- 
- (١) كثيرا ما يسحب أهل الحق إلى معارك ليست في أرضهم ، فالواجب في حقهم التبصّر ، ومعرفة استدراج الخصم وعدم التميّع في المناهج حال الطرح ، وهو - بحق - مايلمس من الإجابة الشافية للأستاذ - الباحث - .
- (٢) سورة آل عمران : آية ١١٨ .
- (٣) سورة آل عمران : آية ١٢٠ .
- (٤) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ١١٣) .
- (٥) مجلة (حضارة الإسلام) ، س (١٥) ، ع (٨) (ص ٤٠) مقالة "المشروع الدائم" .
- (٦) المرجع نفسه س (١٧) ، ع (٤) (ص ١١) مقالة "القرآن وحالة الحرب" .

عديدة منهجا له في كتبه الفكرية خاصة ، مثل : (رؤية إسلامية في قضايا معاصرة) (حول تشكيل العقل المسلم) ، وغيرهما<sup>(١)</sup> .

ومن يستمدّ تصوّراته من منطلقات الوحيين فما ضلّ ولن يضلّ .  
وإذا كان هذا النموّ في بيئة مسلمة ، ومجتمع منضبط بالتوازن والإعلاء من النفس صُعُداً حتى ترتقي مواطن الكمال البشريّ المتاح ؛ فإن المرء - ولا شك - مبرزٌ بين أقرانه وهذا مما يؤسّسه الإسلام في تربيته الخاصّة الملائمة ، حيث "إن التربية الاجتماعية في القرآن الكريم تتمثل في تنشئة الفرد وتكوينه على درجة عالية من الناحية الأخلاقية ؛ ليصبح مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشرّ في كل وقت وحين ، وتطهّر نفس المراهق من جميع الرذائل الأخلاقية ، وتقوّي فيه دوافع العمل الصالح ، ولا يتحقّق ذلك بدون تنمية الإدراك الخلقي والسلوك الاجتماعي ؛ ليتسنى له معرفة حكمة المبادئ الأخلاقية ، وليتمكّن من التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرّير"<sup>(٢)</sup> .

(١) ولعله ينحى في ذلك - متأثراً - منهج الأستاذين سيد قطب ، ومحمد قطب ، وقد ذكر تأثره بهما في أكثر من موطن - الباحث - .

(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، د. محمد السيد الزعبلأوي (ص ١٦١-١٦٢) .

**وبعد :**

فإنه يوصل بما مضى من المؤثرات ماذكر الدكتور عماد الدين من وجوب كون المرء راغبا في الجديد المفيد ، سائرا بتفعيل ذاته ، وإعلاء إمكاناته ، وفي هذا يقول : "العوامل المؤثرة الأخرى أن تجد نفسك دائما في حالة اكتشاف وأنت تتعامل مع العالم! وأن تكون حساسا بدرجة أكثر مما يجب ، وأن تفتح جملتك العصبية - بشكل مباشر - بتضييق فاصل الألم بينك وبين العالم ... وتجعل جملتك العصبية مكشوفة لكل هبة نسيم ، أو رفة طير أو جناح ، أو صوت عذب ، عند ذاك يمكن أن يكون هذا ذا تأثير كبير كالكتاب والمطالعة والقذوة والمدرس" (١) .

ويأسى كثيرا وهو يصف ما يراه من تكالب "الآخرين" من ذوي الفكر الدخيل على الحركة والإنتاج "فالآخرون عرفوا كيف يوظفون أداة النقد لكي يمسك بعضهم بعضا ، وينتشله من الصمت والعزلة .. إنهم يعملون بروح الفريق فلماذا لا نتعلم منهم؟ لماذا لا نزال مصرين على مبدأ (اقتله بالصمت)؟! " (٢) ويتحسر على ضياع بعض العبقریات المعطلة ، التي لم توجه توجيهها سليما ، ويذكر ذلك عن نفسه فيقول : "رسائل عديدة كانت تصلني من الأدباء الجدد .. بعضهم كان يعد بقدره متألقا على العطاء .. وإذ لم يستجب أحد لندائهم انطفأوا" (٣) .

نعم .. إنها العبقریات المفقودة في زمننا هذا ، وفي صراعنا الحضاري مع الغرب ، ولكم تحتاج إلى موجهين ومرشدين ، يستخرجون الثبر من باطن الصخور ويصوغون منها نصرا للأمة ، وإعلاء لراية الحق ، "وليس المنكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة ترد المال ، والمال يعيد الدار ، ولكن المنكوب من ثكل أفكاره ، وأضاع ذكائه ، وعاش بائسا يائسا ، ومات مغمورا منكرا ، وقد كان أهلا لأن يسعد حيا بذكائه ، ويخلد ميتا بآثاره" (٤) .

(١) لقاء الأردن (ص ١٨) ، وانظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢٨) .

(٢) ريبورتاج (ص ١٢) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) مقالات في كلمات ، الأستاذ علي الطنطاوي - رحمه الله - (ص ١٤٤) .

وهاهو الطنطاوي - رحمه الله - يصوّر نوعاً من فقد هذه العبقريات إذ يحكي موقفه مع أجير لحام لا تزيد سنّه عن عشر سنوات ، رأى فيه حدة ذكاء وذهن فيقول عنه : "أفليس حراماً أن نضيّع هذه الكنوز؟ وأن نترك هذه الآليّ مطبورة في التراب؟ ... فمتى تكون في الناس جمعيات خيرية ، تفتش عن النبوغ الكامن ، والعبقريات المتوارية ، والكفايات الضائعة" (١) .

فإذا ربّيت وهذّبت على التعلّق بمثل أعلى عاشت على نهجه وسيرته ، وتشكّلت اقتداء به (٢) ، ومأهّنت حياة الناس إلا يوم قُدّمت لهم في يومهم مُثُلٌ سيئة وقدوات تافهة ، فياليت قومي يعلمون!

(١) المرجع السابق (ص ١٧٥) .

(٢) انظر مبحث "تربية الفرد على تعشّق المثل الأعلى" في كتاب "مقوّمات الشخصية المسلمة"

د. ماجد عرسان الكيلاني (ص ٨١-٨٧) .

## الفصل الثاني

### معالم الشخصية



## لوحة عامة<sup>(١)</sup> :

- عماد الدين خليل الحاج عمر الطالب .. ولد في الموصل عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ونشأ في بيت مطالعة وتأثير ، وبدأ خطوات القراءة صغيراً .
- درس مراحل التعليم الأولى ، ثم نال درجة البكالوريوس من قسم التاريخ بعد تردد في دخول هذا القسم ؛ وكان ذلك عام ١٩٥٨م ، وتحصل على إجازة الآداب بمرتبة الشرف من جامعة بغداد سنة (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) .
- وقد عمل معيداً فمدرساً فأستاذاً مساعداً للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية الآداب - جامعة الموصل بين عامي (١٣٨٧- ١٣٩٧هـ) (١٩٦٧-١٩٧٧م) .
- نال درجة (الماجستير) في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد سنة (١٣٨٥هـ ١٩٦٥م) ، ودرجة (الدكتوراة) في التخصص ذاته بمرتبة الشرف الأولى من جامعة (عين شمس) بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) .
- عمل مشرفاً على مكتبة جامعة الموصل سنة (١٣٨٦-١٣٨٧هـ) ، ورئيساً لقسم التراث ومديراً لمكتبة المتحف الحضاري ، وباحثاً علمياً في المديرية العامة للآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في (الموصل) (١٣٩٧-١٤٠٧هـ) .
- ويعمل حالياً أستاذاً للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث ، وفلسفة التاريخ في كلية الآداب (جامعة صلاح الدين) في أربيل - العراق .
- ألف كثيراً من الكتب الفكرية والثقافية والأدبية والنقدية والتاريخية ، التي عمرت بها المكتبة العربية خلال العقدين الماضيين .
- يعدّ محاضراً من الطراز الأول ؛ لذا تسعى لاستضافته جامعات ومؤسسات علمية وتربوية ، في البلاد العربية والأجنبية على السواء .
- شارك في أعمال للمنظمة العربية للتربية والثقافة (الأيسكو) ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج وغيرهما .

(١) تنتظم هذه المعلومات مراجع كثيرة ، وهي لمحات سريعة (في البدء) ، انظر في هذا : لقاء الأردن ، حول تشكيل العقل المسلم ، مجلة الحرس الوطني ، عدد محرم ١٤١١هـ (ص ١٠٣) . وسيرد بعضها في المؤثرات ونحوه بالتفصيل مع هدف السياق في موطنه - بإذن الله - (الباحث).

- كما درّس في جامعات عديدة ، في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر وغيرها من البلاد العربية .

- له ولد وابنتان ، ومؤلفات عديدة يعدّها في زمرة الأولاد<sup>(١)</sup> .

- وله أخوان ، واحد يكبره ويعمل في ميدان التجارة على سيرة أبيهم ، وآخر اسمه (نبيل) ، وقد توفاه الله وعمره ثمانية وأربعون عاما ، وكان أستاذا في كلّية الهندسة .

- مات والده - وقد قارب التسعين - عام ١٩٩٤م ، وتوفيت أمه عام

١٩٩٧م .

- أصل عائلته من العراق ، ويرجعون إلى قبيلة (طيئ)<sup>(٢)</sup> ، من فرع يسمى

(طيئ حريث) وعشيرة الطائيين ممتدة أصولها في زمن بعيد إلى جزيرة العرب ، واستقرّت بطون منها في العراق .

(١) وسيأتي الكلام عن ذلك لاحقا .

(٢٩) ترجع طئ في أصولها إلى اليمن ، وتنتهي إلى (قحطان) ، وأفرادها منتشرون في أقطار جزيرة العرب بكثرة ، وكان منهم من أقام في أطراف العراق .

وجبلا (أجأ وسلمي) يسميان جبلي طئ . ويقال إن طئنا أول من طوى المناهل فسمي بذلك واسمه جلهمة ، والنسب طائي .

انظر في ذلك : أدب الكاتب ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص ٦٤) ، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره ، د. نجيب البهيبي (ص ١-٧) .

## مؤلفاته ونتاجه :

### (أ) التاريخ والفكر :

- (١) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله (الرسالة - بيروت).
- (٢) عماد الدين زنكي<sup>(١)</sup> (الرسالة - بيروت).
- (٣) دراسة في السيرة (الرسالة - بيروت).
- (٤) نور الدين محمود (دار القلم - دمشق).
- (٥) التفسير الإسلامي للتاريخ (دار العلم للملايين - بيروت).
- (٦) الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام<sup>(٢)</sup> (الرسالة - بيروت).
- (٧) في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل (المكتب الإسلامي - بيروت).
- (٨) ابن خلدون إسلاميا (المكتب الإسلامي - بيروت).
- (٩) دراسات تاريخية (المكتب الإسلامي - بيروت).
- (١٠) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي (دار الثقافة - الدوحة).
- (١١) المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي (مكتبة المعارف - الرياض).
- (١٢) المنظور التاريخي في فكر سيد قطب (دار القلم - دمشق).
- (١٣) تحليل للتاريخ الإسلامي : إطار عام (دار الثقافة - الدوحة).
- (١٤) خطوات في الهجرة والحركة (دار الاعتصام - القاهرة).
- (١٥) مؤشرات حول الحضارة الإسلامية (دار الصحوة - القاهرة).
- (١٦) المستشرقون والسيرة النبوية (دار الثقافة - الدوحة).
- (١٧) هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي (مكتبة النور - القاهرة).
- (١٨) لعبة اليمين واليسار (الرسالة - بيروت).
- (١٩) تهافت العلمانية (الرسالة - بيروت).

(١) رسالة الماجستير .

(٢) رسالة الدكتوراة .

- (٢٠) مقال في العدل الاجتماعي (الرسالة - بيروت) .
- (٢١) مع القرآن في عالمه الرحيب (دار العلم للملايين - بيروت) .
- (٢٢) آفاق قرآنية (دار العلم للملايين - بيروت) .
- (٢٣) كتابات على بوابة القرن الخامس عشر (بالاشتراك) (دار العلوم - الرياض) .
- (٢٤) كتابات إسلامية (مكتبة الحرمين - الرياض) .
- (٢٥) أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار (الرسالة - بيروت) .
- (٢٦) مدخل إلى موقف القرآن من العلم والحديث (الرسالة - بيروت) .
- (٢٧) العلم في مواجهة المادية (الرسالة - بيروت) .
- (٢٨) مؤشرات إسلامية في زمن السرعة (الرسالة - بيروت) .
- (٢٩) حول إعادة تشكيل العقل المسلم (الدار العالمية للكتاب الإسلامي - الرياض) .
- (٣٠) في الرؤية الإسلامية (دار الثقافة - الدوحة) .
- (٣١) حوار في المعمار الكوني (دار الثقافة - الدوحة) .
- (٣٢) الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (الرسالة - بيروت) .
- (٣٣) مدخل إلى إسلامية المعرفة (الدار العالمية للكتاب الإسلامي - الرياض) .
- (٣٤) قالوا عن الإسلام (الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض) .
- (٣٥) رؤية إسلامية في قضايا معاصرة (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر) .
- (٣٦) ملاحظات في تاريخ المجتمع الإسلامي (مكتبة النور - القاهرة) .
- (٣٧) العقل المسلم والرؤية الحضارية (دار الحرمين للنشر - الرياض) .
- (٣٨) الحصار القاسي : ملامح مأساتنا في أفريقيا (الرسالة - بيروت) .
- (٣٩) دعوة إلى رفض الطاعة (قيد النشر) .
- (٤٠) حاضر الإسلام ومستقبله من منظور غربي (قيد النشر) .

## (ب) المؤلفات الأدبية والنقدية :

## أولاً : الإبداعات :

- (١) المأسورون - مسرحية ذات أربعة فصول (الرسالة بيروت) .
  - (٢) جداول الحب واليقين - ديوان شعر (الرسالة - بيروت) .
  - (٣) معجزة في الضفة الغربية - مسرحيات ذات فصل واحد (الرسالة - بيروت ، وقد نفذت نسخته) .
  - (٤) خمس مسرحيات إسلامية - مسرحيات ذات فصل واحد (الرسالة - بيروت) .
  - (٥) الإعصار والمثدنة - رواية (الرسالة - بيروت) .
  - (٦) المغول - مسرحية ذات سبعة مشاهد<sup>(١)</sup> (الرسالة - بيروت) .
  - (٧) العبور - مسرحيات ذات فصل واحد (دار المنارة - جدة) .
  - (٨) ابتهالات في زمن الغربية - شعر (قيد النشر بدار الوفاء بالمنصورة) .
  - (٩) رحلة في المصير - شعر (الرسالة - بيروت) .
  - (١٠) الشمس والدنس - مسرحية ذات أربعة فصول (دار الاعتصام - القاهرة) .
  - (١١) الهمُّ الكبير - مسرحية<sup>(٢)</sup> (قيد النشر ، ولدينا نسخة منها) .
  - (١٢) السيف والكلمة - رواية (قيد الإعداد ، ويعدها الطفل المدلل لديه) .
  - (١٣) السيرة الذاتية - الجزء الأول (قيد الإعداد) .
  - (١٤) أصوات - قصة (هو وآخرون) (دار القبس - بيروت) .
- وقد ذكرها الدكتور عبد الباسط بدر في (دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث) (٩٣-٩٤) ولما أجدها ، ولكن قد تكون من جملة قصصه المتناثرة وشارك فيها بقصة أو اثنتين ، كالساطر ونحوها - والله أعلم - .

- 
- (١) تذكر كثير من منشورات الدور أنها أربعة مشاهد ، بينما هي سبعة . انظر : طبعة (الرسالة) بيروت - الباحث - .
  - (٢) وهي واحد وأربعون مشهدا وسبع لقطات أخيرة ، ولحاحات جميلة من سيرة ابن شدّاد عن صلاح الدين وحمل همّ الأمة ، وقد تحسّل الباحث على نسخة منها ، وهي المسرحية السابعة للدكتور عماد الدين خليل - الباحث - .

- (١٥) الساطور - قصة قصيرة - (قيد الإعداد والجمع ، وقد نشر بعضها في مجلة الأدب الإسلامي ، وبعضها في مجلة "المشكاة" المغربية) .
- (١٦) من أدب الرحلات - أدب رحلات (قيد النشر ، ولدينا نسخة منه) .

### ثانيا : الدراسات والتطبيقات :

- (١) في النقد الإسلامي المعاصر (الرسالة - بيروت) .
- (٢) فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (الرسالة - بيروت) .
- (٣) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (الرسالة - بيروت) .
- (٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (الرسالة - بيروت) .
- (٥) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (الرسالة - بيروت) .
- (٦) الفن والعقيدة (الرسالة - بيروت) .
- (٧) دراسة نقدية لكتاب (أوراق ذابلة / عويس) (دار الاعتصام - القاهرة) .
- (٨) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (قيد النشر) <sup>(١)</sup> .
- (٩) حول استراتيجية الأدب الإسلامي (مخطوط قيد النشر ، ولدينا منه نسخة) .
- (١٠) في النقد التطبيقي (مخطوط قيد النشر ، ولدينا منه نسخة) .
- (١١) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (مخطوط قيد النشر ، ولدينا منه نسخة) .
- (١٢) الأدب في مواجهة المادية (قيد النشر) <sup>(٢)</sup> .
- (١٣) (الكلمات) دراسة جمالية (قيد الإعداد) .

- (١) تذكره كثير من جداول المطبوعات والإصدارات على أنه (قيد النشر) ، وقد تحسّلت على نسخة منه مصوّرة من مؤسسة الرسالة ببيروت عند زيارتي لها ، وهي سبع وثلاثون ومائتا صفحة في ستة فصول ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ولست أدري هل هي نسخة معدة منذ ذلك الوقت ولما تصدر ، أم هو أمر آخر!
- (٢) لما أستطعت التحصل عليه ، ولازال مخطوطا ، ولكن ذكر الدكتور عماد الدين لي في جلسة خاصة في الأردن أن هذا الكتاب أدخل في مخطوطه (نحو استراتيجية الأدب الإسلامي) وهو لدينا والحمد لله .

## ثالثا : أخرى :

- (١) البحوث والدراسات المنشورة ، وهي كثيرة ، وغالبها مضمّن في كتبه .
- (٢) أوراق العمل التي يتقدّم بها إلى المؤتمرات هنا أو هناك ، ومنها - على سبيل المثال - "حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقفة لمراجعة الحساب" وقد تقدّم بها إلى مؤتمر بماليزيا قبل لقائه بعدة أيام في شهر شعبان ١٤١٨ هـ وقد وُفقنا لأخذ نسخة منها .
- (٣) المقالات في الجرائد والمجلات العديدة ، وهذه كثيرة كثيرة<sup>(١)</sup> ، لانجد حاجة لحصرها في جداول ، ولكننا نشير إلى أهم مظانّ هذه المقالات العديدة التي لو أفردناها بعض الباحثين في رسالة علمية مماثلة ، وذكر توصيفا لها وتقسيما لمجالاتها ومضامينها ، وتحذّث عن طرائقها وأساليبها ؛ لكانت جديرة - حسب ظننا - بذلك ، وهاك بعضا من مظانها :

- (١) مجلة الفيصل
- (٢) مجلة الأمة
- (٣) مجلة حضارة الإسلام - ونشر فيها على مدى عشرين عاما تقريبا -
- (٤) مجلة الحرس الوطني
- (٥) مجلة الوعي الإسلامي - ونشر فيها على مدى عشرين عاما كذلك -
- (٦) مجلة هدى الإسلام
- (٧) جريدة المدينة
- (٨) مجلة إسلامية المعرفة
- (٩) مجلة فلسطين المسلمة - ونشر فيها الكثير -
- (١٠) مجلة المشكاة المغربية - ونشر فيها على مدى خمسة عشر عاما -
- (١١) مجلة الأدب الإسلامي
- (١٢) مجلة المسلم المعاصر - ويتعامل معها منذ ربع قرن

(١) ذكر الدكتور عماد الدين أنه أراد إحصاء المجلات التي تعامل معها فوجد أنها تجاوزت البستين في العالم الإسلامي وأوروبا ، ولكن تركّز نشره في (الأمة ، حضارة الإسلام ، الوعي الإسلامي ، المشكاة ، فلسطين المسلمة) . انظر : لقاء الأردن (ص ٣٥) .  
ولتتبع مجلات أخرى انظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل تبين ذلك .

## المعلم الأول : الإنصاف :

يلمح الإنصاف ، وتستجلى صورته ، في جوانب الطرح النقدي والفكري - على السواء - ، وهو مسلك فريد في تناول ؛ حيث لا تكون النظرات الشخصية والتحزبات العاطفية سببا في ضيق الأفق ، وعرقلة الجهود الأخرى .

والدكتور عماد الدين يرى أن التجرد والموضوعية صفتان لازمتان للمسلم ابتداء ، ويدعو إلى أن " يأخذ بهما المسلم نفسه وهو يمارس عمله النقدي ، وهذا يعني - دون حسم أو حزم - تجاوزا طيبا للميول والظنون ، والتحزبات والأهواء ، تلك التي جرفت الكثير من الأعمال النقدية غير الإسلامية" (١) .

وإذا قاد الهوى رأي المرء ، فإن النصف والعدل خصمه ، والجهل وصفه كما قال الشاعر :

|                               |                                   |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| إذا مارأيت المرء يقتاده الهوى | فقد ثكلته عند ذاك ثواكله          |
| وقد أشمت الأعداء جهلا بنفسه   | وقد وجدت فيه مقالا عواذله         |
| ومايردع النفس اللجوج عن الهوى | من الناس إلا حازم الرأي كامله (٢) |

ولاشك أن "باب الأهواء باب واسع ينتظم كثيرا من ألوان الزيف عن الموضوعية" (٣) .

وقد نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن المدافعة عن الذين يركبون هواهم ، ويسيرون بين الناس به ، كما نهاه عن المجادلة فيهم ، فقال في كتابه : ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (٤) " (٥) .

وصاحب الهوى والشطط يصدر أحكامه غير المنضبطة ، ولا يزن النظرات التي قد تختلف من حال إلى حال ، بل يلبس لباسا واحدا ، يريد كما يشاء!

(١) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٢) .

(٢) أدب الدنيا والدين ، الماوردي (ص ٣٥) .

(٣) فصول في التفكير الموضوعي ، د. عبد الكريم بكار (ص ٦٧) .

(٤) سورة النساء : آية ١٠٧ .

(٥) فصول في التفكير الموضوعي ، د. بكار (ص ٦٩) .



وينسى أو يتناسى أن بين الصواب والخطأ خيوطاً دقيقة ، وأن صورة الحق حوله "أشبه ماتكون بألوان متداخلة في لوحة زيتية ، لاتدري على وجه التحديد متى ينتهي أحدها ليبدأ الآخر" (١) .

وإذا أردنا تلمّس الموضوعية في مجالاتنا الثقافية فيجب "أن ندرك أن الموضوعية ليست درساً نحفظه ، ولا هي شعارات ، نرددها هنا وهناك ، ولا هي نصائح نسمعها من هذا وذاك ، كما أن علينا أن ندرك أن الذين يريدون بناء الحس الموضوعي لا يتحركون في فراغ ، بل إن هناك من العقبات ما يعرقل كثيراً من مساعيهم" (٢) .

وإذا كان النصف سبيل الحوار والفكر والثقافة ، كان هذا ادعى أن "يفتح قلب الطرف الآخر لقبول آرائك ، ويذهب بروح التوفز التي تسود عادة أجواء المناظرات والمناقشات ، وتضفي على المحاور صفة الموضوعية" (٣) .

وهي من الصفات البارزة في شخصية عماد الدين ، فهو عادل مع نفسه منصف غيره ، مستعل على رغبات النفس وأهوائها ؛ إذ لا يحفل بالآثرة ولا يحتضنها بين عطفه ، ينصف الآخرين بموضوعية وجدية - ولانزكي على الله أحدا - فها هو يتناول محاولات بعض الغربيين في الحديث عن (الطبيعة) بشكل يخالف عمق وأصالة التصور والتجربة الإسلامية بكل آفاقها وأبعادها وأغوارها ، فيقوم جنوحها ، ويبرز عيوبها ، ويُظهر تأرجحها الواضح بين التقبل والرفض ، لكنه لا يرفع لواء الحيف والعسف ، بل ينصفهم في بعض تلك المحاولات فيقول : "يمكن أن نجد بينها محاولات عميقة وجادة من أجل إقامة حوار وعلائق إنسانية خلاقة بين الفن والطبيعة ، تقف موقفاً وسطاً ومنطقياً إزاء ما يمكن أن تقدّمه الطبيعة للفنان من قيم وتعاليم وتجارب وممارسات ترتقي بفنّه إلى قمم الخلود" (٤) .

(١) المرجع السابق (ص ٨٨) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٧٣-٢٧٤) .

(٣) أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض (ص ٤٢) .

(٤) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٦) ، وانظر (ص ١٠-٢٧) منه كذلك .

ومن جملة الذين شكوا ذهاب النصف والتوسط صاحب (الوساطة) ، حيث قام شاكيا أهل الأدب في نظراتهم إلى صاحبه ، وأنهم فيه بين "مطنب في تقريظه ، منقطع إليه بجملته ، منحط في هواه بلسانه وقلبه ، يلتقي مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ، ويعجب ويعيد ويكرّر ، ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل ... وعائب يروم إزالته عن رتبته ، فلم يسلم له فضله ، ويحاول خطّه عن منزلة بؤاه إياها أدبه ؛ فهو يجتهد في إخفاء فضائله ، وإظهار معاييه ، وتتبع سقطاته ، وإذاعة غفلاته" (١) .

ولذا نراه يعيب كلا الفريقين في إفراطه أو تفريطه ، فيقول : "وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه ؛ وكما أن الانتصار جانب من العدل لا يسدّ الاعتذار ؛ فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر ، وإسراف المفرط ، وقد جعل الله لكل شئ قدرا" (٢) .

ومن أطلق عقال الجور ، وأحيا معالمة ، فاستأكل واستأصل ، فهو سائر نحو تهديد الثقافة المعاصرة ، وغمط حق التراث المجيد ، ولعلّ هذا ظاهر في هذا العصر (٣) .

ومن نصف عماد الدين مع نفسه إثبات ملحوظاته على أعماله ، كعدم ارتياحه الشخصي لبعض تدخلاته الروائية في روايته (الإعصار والمئذنة) (٤) ، ومسرحية (المأسورون) (٥) .

بل يتحدث عن (المأسورون) فيقول : "كانت المسرحية رغم عدم اقتناعي بها ذات رواج كبير بين القراء ؛ لأنها كانت ذات بعد ثوري" (٦) وجهادي ...

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني (ص ٣) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٣-٤) .

(٣) عن مصطلح مايسمى (الشلية) في الثقافة ، انظر حوار ملحق الأربعاء ٢١ ذي الحجة ١٤١٩ هـ (ص ١٣) مع القاصّ فالح الصغير .

(٤) انظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ٦٤-٦٥) .

(٥) انظر : لقاء الأردن (ص ٦٤) .

(٦) لعله يريد المعنى اللغوي بذلك ؛ وإلا فإن الثورة شئ والجهاد الشرعي شئ آخر - الباحث - .

لكنني لم أكن مقتنعا بها في الحقيقة ، وأعتبرها بصراحة من أسوأ أعمال الفنية الإبداعية" (١) .

وهكذا هو في حديثه عن أعماله كلها ، لا يتحدث عنها بغرور ، لكنه يكشف رؤيته تجاهها (٢) .

ولا يقف عند حدود النفس ؛ بل يفرح باستدراكات الآخرين ، كما فعل ملاحظات أحد النقاد الذين تحدثوا عن : (الإعصار والمثدنة) (٣) .

ونجد هذه الصفة حين يتحدث عن رؤيته ونظراته إلى واقع الأمة الإسلامية اليوم ؛ حيث يرى أن الحضارة قد يمتلكها هذا العالم الإسلامي ، لكنه قد يخسرها بتصرفات فردية قاتلة ، فقد "تسلم معطيات حضارة بكاملها من أجيال سابقة كافحت لكي تصنعها وتنميها ، ولكننا لانحسن التصرف بها ، فنسوقها إلى الانكماش والتدهور والسقوط .. ذلك عندما نفتقد الشروط الأخلاقية للتعامل الحضاري" (٤) ، ويضرب على ذلك مثلا مصغرا من هذا العامل القاتل فيقول : "شاهدت بعيني في أحد شوارع مدينة عربية صاحب سيارة أنيقة يسحب جيب الأوساخ من جوار المقود ، ويقبله وسط شارع مزدحم ، ثم يمضي بسيارته الأنيقة و(بذلته) - المستوردة - الأكثر أناقة ، كأنه لم يفعل شيئا يخدش الذوق والحياء" (٥) .

وهذا لعمرى ما ينقص كثيرا من أهل الثقافة وراكي مطيئها في هذا الزمان إذ نرى شيئا عاث كثيرا في نفوسهم "فسلب مزاياها ، واستل رحيقها ، حتى غدت كُتَل أعصاب جامحة ، لا ينتظم لها فعل أو قول ، وإنما هي الحركة العشواء ، والخبط في المناهات ، التي انطمست معالمها ، والكلام الذي انفرطت عقودة ... إن وجدت فيه قلة القلة ، نشازا وإزعاجا ، فهو عند الكثرة الكاثرة من أصحاب الثقافة الجادة

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) انظر مثلا حديثه عن ديوانه "جداول الحب واليقين" في : لقاء الأردن (ص ٦١-٦٢) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص ٦٧-٦٨) .

(٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ٨٤) .

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وأهل الطبع السليم ، كلام هوائي ، لا ينبغي أن يحتفل به ، إلا كما يحتفل بإزالة غبار خريفي ، غير ذي مطر" (١) .

وسبيل الإنصاف والعدل في القول منهج طالب به القرآن الكريم المسلم في كل أحكامه وأقواله ومنهجه الكلي في التعامل مع الحياة والآخرين (٢) .

ونحن نعلم يقينا أن "الحاكم العدل من لم يعجل بفصل القضاء دون استقصاء حجج الخصماء" (٣) .

ويتلزم الاتصاف بالتواضع مع النصف والعدل ، فهما دليلا وجود لكل واحد منهما ، فمن أنصف متواضع ، ومن تواضع فقد أنصف (٤) .

وهو ما يتحلى به عماد الدين من تواضع ولين وطيب معشر ، و"متواضع أخذ لله إلا رفعه الله" (٥) ، فنراه يجزم بذلك واقعا وتطبيقا في كل أعماله ؛ إذ لا يزعم الكمال فيها ، بل لا يراها في أعماله "سوى وقفة متواضعة" (٦) ، ودراسته حول (المنظور التاريخي في فكر سيد قطب) "محاولة أولية لإلقاء بصيص من الضوء على الموضوع" (٧) ، وأعماله النقدية والفكرية لاتسلم من النقص ؛ إذ يقول عنها : "وما أكثر ماتضمنته هذه الأعمال المتواضعة التي عرضتها عليكم من أخطاء وثرغات ومداخلات" (٨) .

- (١) نقد وتأصيل ، أبو زيان السعدي (ص ٥٥) .
- (٢) ذم القرآن الذين إذا اکتالوا لأنفسهم استوفوا ، وإن كالوا غيرهم طففوا ، في أول سورة المطففين - الباحث - .
- (٣) رسائل الجاحظ ، تقديم وشرح د. علي أبو ملح (الرسائل الكلامية ص ٦٤) .
- (٤) انظر مثال ذلك في كتاب : القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، د. محمود السمرة (ص ١٦٨ - ١٦٩) .
- (٥) رواه مسلم (٢٥٨٨) والحديث بكامله وغريبه وفقهه في : بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ، سليم بن عيد الهلالي (٦٠٦/١ - ٦٠٧) .
- (٦) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصرة ، د. عماد الدين خليل (ص ٢) .
- (٧) المنظور التاريخي في فكر سيد قطب ، د. عماد الدين خليل (ص ٧) .
- (٨) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٢) .

ونراه في كتابه النفيس "دراسة في السيرة" يسطّر هذا التواضع فيقول :  
 "أستميح القارئ عذرا إن قصرت أو أخطأت ، وأنتظر الفرصة التي يتيحها لي لتلافي  
 التقصير وتسديد الخطأ"<sup>(١)</sup> .

وهو ماسار عليه في أعماله كلّها ، بآثا تواضعه ، مجلّيا رغبته في طلب السداد  
 غير مثالي في نظراته ، ونجد ذلك مثبتا في ثنايا كتبه دراسات وإبداعات<sup>(٢)</sup> .

ومن الطريف في هذا قوله : "كنت في أعقاب كلّ ندوة أو محاضرة أتلقي  
 سيلا من الأسئلة .. وعندما أبلغ حافات الإعياء أجمع قصاصات الورق التي يكتب  
 عليها الحضور أسئلتهم وأضعها في جيب .. أقول لهم إنني سأحملها معي إلى بلدي  
 .. فما من شيء يثير اعترازي كهذه القصاصات .. إنني أعرف جيدا كيف أتعلّم  
 منها ، وكيف أتجاوز بصدقها وعفويتها ، عجزتي وقصوري"<sup>(٣)</sup> ، ويطلب هذا  
 التواضع القدسي من إخوانه فيقول :

"تَبْنُونُ عَالَمَكُمْ الْمُنْهَدَمَ

بِحِجَارَةٍ قَدْسِيَّةٍ ،

لَا تَصَدِّعْهَا مَعَاوِلُ الْحَقْدِ

وَلَا تَجْرُفُهَا سَيُولُ التَّارُ ،

كَالْبَلَدِ الْأَمِينِ

يَرْقُدُ فِي وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

وَلَكِنَّهُ يَزْرَعُ الرِّجَالَ"<sup>(٤)</sup>

(١) دراسة في السيرة ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٤) .

(٢) انظر مثلا : تحليل للتاريخ الإسلامي (ص ٦) ، التفسير الإسلامي للتاريخ (ص ١٩) ، هجمات  
 مضادة (ص ٥٢) .

(٣) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٩) .

(٤) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٦) .

وهذا النَّصْفُ منهج خيار القدماء ، وحكماء هذا الزمان<sup>(١)</sup> .  
 وصدق الله إذ يقول لنبيه داود : ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، و"سبيل الله هو سبيل الحق والعدل ، المنزه عن التحيز والجور والانحراف"<sup>(٢)</sup> .  
 وكم نحن بحاجة شديدة ، والنفوس في توق عجيب ، إلى نماذج تسير وفق هذا النبراس الفريد ، في زمن متشبع بالتكبرين ، متختم بكلّ مختال فخور .. مستنقص سعي غيره ، مستقلّ جهد آخرين ، لا يلوي في قوله على شيء ولا يستحيي من شيء!

(١) انظر في هذا :

- الموازنة بينتها ومناهجها في النقد الأدبي ، د. محمد فوزي عبد الرحمن (ص ٣٥-٤٩) .
- ابن طباطبا الناقد ، د. محمد عبد الرحمن الربيع (ص ٦٨-٦٩) .
- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود شاكر (ص ٤٦) .
- التفكير النقدي عند العرب ، د. عيسى علي العاكوب (ص ١٤٢-١٤٣، ١٥٣-١٥٤) .
- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة (ص ٢٥٦-٢٦٢) .
- البدائع والطرائف ، جبران خليل جبران (ص ٦) ، مثال القصر والكوخ .
- المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، د. محمد فتحي عثمان (ص ٢٦٤-٢٧٠) .
- رسائل الجاحظ ، قسم الرسائل السياسية (ص ٨٠-٨١) .
- الفن والعقيدة ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥-١٩) .
- مجلة حضارة الإسلام ، س (١٥) ، ع (١٩) (ص ٣٣) مقال د. عماد الدين خليل "إنما الأعمال بالنيات" .
- (٢) الخصائص العامة للإسلام ، د. يوسف القرضاوي (ص ٥٠) .

## المعلم الثاني : الحركة وحب الجديد :

الحركة جزء منه ؛ حيث يألفها وكأنها جزء من تركيب جسده وصفاته الخلقية ولا تنفك عنه حيث كان ، وقد اطلع الباحث على هذه الحيوية والعمل المتواصل ، والدقة في جدولة الوقت بحسب النفع والإفادة من كل جديد ، من رجل على باب نهاية العقد السادس من الحياة - زاده الله من فضله - .

وهو يرى الحياة ذاتها متحركة ، إذ يقول :

"وأن هذه الحياة - بغييتها الأكيدة -

لا تقتنع بالوقوف بعد الحركة

ولا بالسكوت بعد الكلام ..

وأنها ليست كالأشياء ،

أبعادها معلومة ، وأجلها محدود .." (١)

ويرى الحركة صفة هذا الوجود ، "حتى مدننا وشوارعنا ودورنا وأماكن ترفيهنا يتوجب أن (نجتهد) في أن تكون امتدادا لرؤيتنا الإسلامية .. لفكرنا ووجداننا الإيماني ، وذوقنا الذي يميل دائما إلى أن يربط المنظور بالغيب ، والتراب بالحركة ، والأرض بالسما" (٢) ، فهي حركة منضبطة في رؤيته ، تستغل في الاجتهاد وعدم "ترك الممارسة الإسلامية تصاب بتصلب الشرايين أو بالرخاوة والتوسع والانفلات" (٣) .

وهذه الحركة والرغبة في الجديد دليل يبرز قوة الإرادة ويبين علو الهمة في نفس المرء ؛ حين لا يرضى بحياة الكسل والخمول ، والرتابة والعادة الغالبة و"من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب ، ومن ترك الأمر الذي لعله أن ينال منه حاجته مخافة ما لعله يوقاه فليس ببالغ جسيما ، وإن الرجل ذا المروءة ليكون حامل الذكر خافض المنزلة ، فتأبى مروءته إلا أن يستعلي ويرتفع ، كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا" (٤) .

(١) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٩) .

(٢) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٦٠) .

(٤) العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين وغيره (١٨/٣) .

وصدق والله من قال : "لاتصغرن هممكم ، فإنني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم"<sup>(١)</sup> .

وإذا كنا قد علمنا مقدار الحساسية التي يمتلكها عماد الدين تجاه الأشياء والإرادة التي يحويها بين جنبيه ؛ فإن عشق الحديد يلتحم بهاتين الصفتين مكوناً أنموذجاً فريداً ، يخرج الأديب به إلى الكون مهتزاً في مهاب نسائمه "ولا يجد في الحياة شاغلاً لا يشغله أو فتنة لا تجذبه أو خالجة لا تطرقه . فهو يهيم بشؤون العالم العامة كأنها شؤونه الشخصية الخاصة"<sup>(٢)</sup> .

ويتحدث عماد الدين عن مشروعاته الإبداعية والدراسية ، بل ويلتذ بذلك<sup>(٣)</sup> ، حتى إنه ليكاد يقرأ عليك من حفظه جزءاً ليس باليسير من عمل جديد له أو قديم<sup>(٤)</sup> . وهي حركة فكرية دائمة ؛ حيث يعيش المرء مع الكتاب صديقا وجليسا وأنيسا يأرز إليه تخففاً من هموم الحياة ، وتكثر من استشراف رؤى المستقبل .

ولهذا يدعو عماد الدين - في كثير من طرحه ونتاجه - إلى رمي الحجر في الساحة الفكرية والعلمية ، التي غدت راكدة ؛ فلعلّ بعثرة هذا الحجر تجدي هنا أو هناك ، ويدعو إلى طرد الكسل الفكري ، و"التحرر من حالة الكسل إلى حالة من التوتر الفعّال ، والمسارعة والسبق اللذين أرادهما لنا كتاب الله - سبحانه وتعالى ووصف المؤمنين بأنهم ﴿يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾"<sup>(٥)</sup> ، وأنهم ﴿لَهَا سَابِقُونَ﴾"<sup>(٦)</sup> (٧) .

(١) قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انظر : نضرة النعيم ، لمجموعة مؤلفين (٣٠٠٢/٧) .

(٢) عصر العقاد ، د. عبد العزيز شرف (ص ٣٢) .

(٣) انظر مثلاً : ريبورتاج (ص ٦٣-٦٥) .

(٤) وجد الباحث ذلك من الأستاذ في جلسات اللقاء (لقاء الأردن) المتابعة خلال أربعة أيام .

(٥) سورة المؤمنون : آية ٦١ .

(٦) الآية نفسها .

(٧) لقاء الأردن (ص ٦٨) .



وهذا التغيير المطلوب امتداد لاستشعار الأديب والمفكر أهمية الحركة المنتجة المؤثرة ، التي تبني في الناس امتدادا لما بناه الأولون في النفس البشرية ، ولو تأملنا "ماذا كانت عليه الدنيا بعد بعثة محمد ﷺ ، ثم ماذا شرعت تستقبله بعد لحاقه بالرفيق الأعلى وانطلاق تلامذته في العالم يمدّون رواق الرحمة المهداة! ويكسرون القيود التي طالما رسفت فيها الشعوب" (١) لعلنا أهمية هذه التجربة .

وبالحركة المنتجة الساعية وراء الحديد يغتبط المرء حين يؤول أمره إلى حسن مآله ، ويرجع إلى محصوله وحقيقته ، وهي طبيعة الإنسان في حبه للحركة والعمل وترك السكون والدعة ، وهو خليفة في الأرض يعمر ويخلف (٢) .

وهي طبيعة الحياة ؛ حيث إن "حتمية الحركة سنة كونية ، تنظمها قوانين إلهية ، سواء تجلت بوضوح أو خفيت معالمها علينا ، فالحركة توصل إلى الغايات المرسومة ... والمياه المتدفقة من أعالي الجبال تشق الأرض ، وتصنع مجاري الأنهار ، والبراكين تتفجر في الأعماق ، وتقذف باللهب وكتل الأحجار والمعادن المنصهرة ، ويتعاقب الليل والنهار ، وتتوالى الفصول ، وتعصف الرياح ، فأين السكون أو الجمود في هذه الحياة؟؟" (٣)

ويرى الدكتور عماد الدين خليل أن بدايات سورة العلق لقاء متواز بين العقيدة والحركة ، فهي دعوة لهذا النبي الأمي "لاتعني أبدا متابعة كلمات مرسومة على صفحات الأشياء ، وإنما متابعة المعاني والقيم المحفورة على صفحات الكون والعالم ، حيث كلّ الأسهم والمؤشرات تقول بوجود الله وتؤكد وحدانيته ، وحاكميته المتفرّدة ، وهيمنته ، وكلمته التي لا رادّ لها . إنها - بمعنى من المعاني - طلب التحرك باتجاه هذه الدلائل" (٤) .

(١) علل وأدوية ، محمد الغزالي (ص ١٣٣) .

(٢) من المباحث الجميلة عن الإنسان بين الحركة والسكون ، انظر : من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي ، د. محمد عويس (ص ١٩٧-٢١٦) ، ومبحث : الإنسان في العقد السادس من عمره (ص ٣٥-٧٠) من الكتاب نفسه .

(٣) الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص ٣١٢-٣١٣) .

(٤) مجلة (الفيصل) ، س ١٤٠٠هـ ، ع (٤٢) (ص ٥٤) ، مقال "من رصيد رحلة الأربعة عشر قرنا" .

فإذا كانت حركة منتجة ، آتت ثمارها ، وألهمت وأثارت الحماس في النفس والمجتمع . وهاهو عماد الدين يثني على من يتصف بهذه الصفة ، ويتحلى بـ "القدرة على التجرد وإفناء الذات من أجل مسألة هي أكبر بكثير ، وأعمق بكثير من كل إغراءات (الأناس) ونداءاتها .. إنهم يذوبون تماما في بؤرة النور .. وهم يعرفون أنهم لن يضيعوا ؛ لأنهم بهذا سيجدون ذاتهم كرّة أخرى .. وسيتوحدون قبالة كلّ المصاعب والتحديات .. فهل ثمة مغنم روحي في حياة الإنسان أكبر من هذا؟" <sup>(١)</sup>

ولا يوجد كيان أمة يصطلّي بنار التراجع والتأخر ، ويكون هذا تشكّك أفراد المنتمين إليه ؛ إلا كان سبب ذلك تراجعاً حضارياً في الحركة ذاتها ، وفي الاجتهاد ذاته ، ذاك الذي يلغي الذبول والضعف <sup>(٢)</sup> .

وقد أحسن الجاحظ <sup>(٣)</sup> يوم قال : "والعقل - حفظك الله - أطول رقدة من العين ، وأحوجُ إلى الشحذ من السيف ، وأقفر إلى التعهد ، وأسرع إلى التغير ، وأدواؤه أقتل ، وأطبّاؤه أقلّ ، وعلاجه أعضل .. وعلى قدر صحة العقل يصحّ الخاطر" <sup>(٤)</sup> .

وعماد الدين ممن يستشعرون أن "الإسلام هو بمعنى من المعاني عقيدة الإنجاز .. مشروع كبير مفتوح قبالة الإنسان والجماعة المسلمة لكي تواصل رحلة الصعود إلى فوق .. الحركة في الطول والعرض لإعمار العالم" <sup>(٥)</sup> .

(١) من أدب الرحلات (ص ١٣) ، وفي حركة المصلح واستنهاض الأمة نماذج شعرية كثيرة ، انظر - على سبيل المثال - أزمة البلقان في الشعر ، د. عبد الله الزهراني (ص ٣٨-٥٨) .

(٢) الإسلام والمستقبل ، د. محمد عمارة (ص ٢٨) بتصرّف .

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مولده ووفاته بالبصرة ، فُلج في آخر عمره ، وكان مشوّه الخُلقة ، مات والكتاب على صدره ، قتلتها مجلدات من الكتب وقعت عليه ، له تصانيف كثيرة ، منها : "الحيوان" ، "البيان والتبيين" "سحر البيان" وغيرها ، ولد عام (١٦٣هـ/ ٧٨٠م) وتوفي عام (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) .

انظر : الأعلام ، الزركلي (٧٤/٥) .

(٤) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تقديم وشرح د. علي أبو ملحّم ، الرسائل الأدبية (ص ٤٨٨) .

(٥) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص ٥٤) .

ومن امتلاك هذه النظرة المتفائلة تجاه الحركة وانبعاثاتها كان ممن يوقن بأن  
"الإيجابية الحقة تكمن في امتلاك النفس وتوجيهها والانبعاث الإنساني لتحقيق الغاية  
المرجوة من وجوده"<sup>(١)</sup>.

ويتمتع عماد الدين بحب إعادة التجربة لأخذ الجديد واكتسابه ، ويميل إلى  
ذلك حيث يقول لنفسه - وقد عاد إلى تركيا مرة أخرى - : "في وضوح النهار سأطلّ  
على وجهك الجميل هذه المرة! قلت في نفسي وأنا أتشبث بنافذة الطائرة التي  
أخذت تتأقل وهي تنعطف عبر قوس كبير في كبد السماء ؛ لكي تختار اللحظة  
المناسبة للهبوط"<sup>(٢)</sup>.

ويجعلنا نلمس حبه ذلك من بعض عباراته : ("منتظرا الوعد الجميل" ،  
"كنت أتوقع أن عنفوان الدهشة وتوهجها سرعان ما ستكفان عن الخفقان بمجرد أن  
أجد نفسي ثانية قبالة ما كنت أحلم به دائما .. وجهها لوجه إزاء الملامح  
والقسمات")<sup>(٣)</sup>.

ويقول نحو ذلك في زيارته للسودان وهو يريد أن يشم رائحة أفريقيا ، ويرى  
أهلها بقلوبهم البيضاء بلون الثلج "كل واحد منهم كان يتسم بلا تكلف .. تحس  
كما لو أنه يرسم البسمة بريشة سحرية تستمد ألوانها من أغوار الروح المترعة بالمحبة  
والصفاء"<sup>(٤)</sup>.

وسعيه نحو الدراسات الجديدة ، انسحب على نقده وتطبيقه ، كما انسحب  
على فكره وتنظيره ، كما تحدّث عن حماية الإسلام ذاته من الفناء النهائي في بلاد لم  
تدن لله تعالى بعبودية ، فيشير إلى دراسة الباحثة الفرنسية (هيلين كارير دانكوس)  
بعنوان : (القوميات والدولة السوفياتية) عن دار فرنسية<sup>(٥)</sup>.

(١) الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح ، د. محمد رفقي عيسى (ص ٩٤) .

(٢) من أدب الرحلات (ص ٥٠) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) المرجع نفسه (ص ٣٥) .

(٥) انظر : هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦) .

ونراه يؤكد أن دراساته تعتمد اختيار أسس منضبطة للسير عليها ، ومن أهمها "ضرورة اختيار الموضوع البكر الذي لم يستهلك بعد ، تجاوزا للتكرار والتبذير في الطاقة ، أو معالجة الموضوع الذي سبق القول فيه ولكن وفق أسلوب يُغني المعالجة ويضيف جديدا" (١) .

وهكذا روح الأديب في الحياة ، فإن كان الفن معرفة وإحساساً وتجربة ؛ فإن "التجربة هي العامل الجامع الذي يعطي هذه العوامل حظها من الحيوية والانطلاق" (٢) ، وإذا أعادها كان هذا إثراء لذاته وأدبه ونظراته . وهو بذلك يمضي ملتصقا الجديد عبر وسائل مختلفة (٣) .

وهذه الجدة وسيلها من الحركة والضبط ، دليل على تخلق المرء بالطموح والأمل والإيجابية والإلحاح ، والرغبة الصادقة ، وهو ما يحتاج إليه الأديب دوماً (٤) ، وصدق الأول إذ قال :

وفي الناس مَنْ يَرْضَى بِمَيَّسُورِ عَيْشِهِ      ومركوبُهُ رجلاه والثَّوبُ جُلْدُهُ  
ولكنَّ قلباً بَيْنَ جَنِّيٍّ مَالَهُ      مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ (٥)

وقد قال جبران : "الرغبة نصف الحياة ، أما عدم الاكتراث فنصف الموت" (٦) .

- 
- (١) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠٣) .
  - (٢) صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص ١٦٨) .
  - (٣) انظر هذه الوسائل في : سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، يوسف أسعد (ص ٧٣-٧٧) .
  - (٤) انظر في أهمية ذلك :
  - أديسون ، محمد كامل حسن المحامي (ص ١٠٢-١١٤) .
  - الإيجابية في حياة الداعية ، د. عبد الله يوسف الحسن (ص ١١-٣٦) .
  - لويس لامبر دراسات فلسفية ، بلزاك ، ترجمة ميشيل خوري (ص ١١٢) .
  - الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص ١٣٣-١٣٧) .
  - (٥) شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي (١٢٣/٢) .
  - (٦) رمل وزبد ، جبران خليل جبران (ص ٤٧) .

وعِماد الدين فيبصر العقل المسلم "جمرة متألقة من الفاعلية والعطاء ، لا تكفّ  
عن التوهّج والخفقان ، أشعلتها كلمات الله سبحانه ، وتعاليم رسوله  
الكريم ﷺ ففعلت الأفاعيل" (١) .

ويرى أن انضباط هذه الحركة نحو الجديد دون تحبّط يمنة أو يسرة سير بعقل  
وعاطفة ، والسير بعقل وعاطفة أمر يبدو في غاية الصعوبة (٢) .  
ومن اتصف بهذه الحركة وحبّ الجديد ، كان قمينا أن يبدع ويبدع .

(١) ريبورتاج (ص ٧٣-٧٤) ، وانظر للتوسّع في هذه الفكرة كتابه النفيس - بحق - "حول تشكيل  
العقل المسلم" .

(٢) له كلام جميل حول اعتماد المنهج المعكوس والانتقاء الكيفي في كتابه "دراسات تاريخية"  
(ص ١٦١-١٦٣) فراجع هناك .

### المعلم الثالث : النظرة الجماعية وحقيقة الأخوة :

الأديب إنسان يعيش كما يعيش غيره ، مستظلاً بواقعه ، محسباً بمصاب أمته ، لا يحيا لذاته بأثرة وجشع وطمع ؛ لأن الإسلام "ليس ديناً كنسيا ولا شعارات سياسية ، ولا دعوة فكرية ، الإسلام منهج حياة شامل لكل شئ ، يضم ما يخص الفرد والجماعة ، وما يتعلق بنفس الإنسان وباطنه ، كما يتعلق بسلوكه وظاهره" (١) . ولا يجد عماد الدين خليل مبرراً للعودة إلى مرافئ الإقليمية التي تعد النظرة الجماعية والإحساس بالجسد الواحد والمنهج الواحد .

ويذكر أن الاستعمار هو الذي حرص على استنابات هذا الفصل في النفوس ، ومارس تقطيعنا وتمزيقنا ، وأنا اليوم بأنفسنا نعود إلى التمزيق ذاته ، وتعود النزعات الإقليمية الضيقة تؤكد هذا التوجه ، مع أن المعطيات الثقافية العربية المطروحة كتبت بلغة القرآن ، للأمة المتميزة بدينها وثقافتها ، وفكرها ولغتها .. و"عن طريق هذا التفيت والتقطيع يجد الهدامون الجدد الدرب عريضا لزحفهم المدمر الذي يعرف كيف يصل إلى أهدافه .. وإذا كانت الهجمة الثقافية الغربية قد قطعت الطريق إلى منتصفه ، فإن "هؤلاء" جاءوا لكي يواصلوا "المشوار" . " (٢) .

ولم يحفل عماد الدين بهذه الإقليمية التي يؤسسها غيره في كتاباتهم ونظراتهم ولكنه ينظر بميزان الجميع وبصيرتهم ومشورتهم ، ويهتدي بتلاحق الأفكار ، وتآزر الآراء ، وينادي دوماً إلى "أن نتداعى - متجاوزين الحالات الفردية - إلى صيغة عمل جماعي يعرف الأولويات ويتحرك في ضوء خرائط عمل مرسومة تضع كل شئ في محله ، وتحسب لكل أمر حسابه ، وتعرف كيف تتعامل مع الزمن للوصول إلى الأهداف المتوخاة بأقل قدر من الهدر في الطاقات والتناقض أو التكرار في العطاء" (٣) . يعيش هموم قومه وأمته في كل كتاب يخرج به ؛ حيث يدافع عن قيمتها وثوابتها ، ومفاهيمها الراسخة ، ويعيش ذلك في كل عبارة يزيجها بآلامه وآماله ،

(١) الأدب الإسلامي أصوله وسماته ، محمد حسن بريغش (ص ١٠٥) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٦) .

(٣) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩) .

بل بالحرف الشجي المتحشرج بين شفثيه حين تجالسه ، وتأخذ من حماسه وفكره بالحديث عن مستقبل الأمة وأوضاعها .

تحدث عن فلسطين والجزائر في أولى قصائده ، كما فعل ذلك غيره ، ممن يحملون الهموم ذاتها ، ويحسّون بأسى فراق القدس ، وأحوال إخوانهم في الجزائر كما قال أحدهم في مقدّمة ديوانه عن فلسطين : "أستطيع أن أعتذر لكل شئ عن كل شئ إلا أنني لأستطيع أن أعتذر لفلسطين عن استحضارها في ذاتي وعشقها بتعطش ... فهي في شرايبي لوعة عشق أبدية ، رغيف خبز الفقراء ، صرخة مناضل في زنازين الحقد والفاشية"<sup>(١)</sup> .

كما حكى ذلك غيره من شعراء هموم الأمة ، الصادقين في بثّ جواهرهم وحزنهم على الواقع المرير ، حيث كانت قضية فلسطين شاغلة الشعراء والأدباء في الأقطار المسلمة والعربية القريبة والبعيدة<sup>(٢)</sup> .

وهي القضية التي دافع عنها النثر كما دافع الشعر ، حتى خاطب الرافعي بني الإسلام "مستنهضا همهم محرّكا نخوة العزة فيهم للجهاد بالمال والتبرع لإنقاذ الأرض العربية المسلمة وهو أضعف الإيمان قائلا لهم : (لو صام العالم الإسلامي كله يوما واحدا ، وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها ... لقال النبي مفاخر الأنبياء : هذه أمي ... لقال اليهود اليوم ماقاله آباؤهم من قبل : إن فيها قوما جبارين) لقد صاغ الرافعي بيانه بكل جراحة بلاغية فيه ، وكل خاطرة مؤمنة في قلبه ، ولكن المسلمين لم يصوموا ولم يتحرّكوا ، وضاعت فلسطين"<sup>(٣)</sup> .

(١) ديوان "شظايا حب وزعر" ، زاهر محمد الجوهر (ص ٧) .

(٢) من أمثال هؤلاء الذين نذروا حياتهم وشعرهم للتبديد بوعدهم بلفور وماكان بعده ، الشاعر الكويتي خالد الفرج وهو من كبار الشعراء في زمنه ، وانظر فلسطينياته في كتاب "خالد الفرج حياته وآثاره" ، خالد سعود الزيد (ص ٢٨-٣٢) .

والشاعر السعودي محمد حسن عواد ، انظر : محمد حسن عواد شاعرا ، أمانة عقاد (ص ١٦١) .

(٣) مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً ، د. مصطفى الشكعة (ص ١٤٢) .

وما كان من عماد الدين إلا أن استشعر وجوب حمل هم هذه الأمة المنكوبة وإدامة الكتابة في أوجاعها ، وتبصير الناس بدورهم وما يناط بهم ، وكانت مشاركتة شعرا ، كما كانت من خلال بيان عظمة هذا الدين ووقوفه أمام التحديات المصيرية ، ونظرة الآخرين له ولدوره في هذه الأمواج المتلاطمة<sup>(١)</sup> .

وشر ما يزعج المرء أن يرى فئاما من الناس لا هم لهم إلا شهواتهم الذاتية ، ورغباتهم الشخصية ، يعملون لها وبها ، وما أصاب غيرهم فلا يتألمون له ولا يحزنون وينسون لوازم قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذا هو الظاهر من خلال حديثه عن محبته لإخوانه المسلمين في كل مكان - ولو لم يكونوا من جنسه وبلده - بل ربما يكون لهؤلاء في قلبه ميزة خاصة .

هاهو يتحدث عن زيارته الأولى لأسطنبول ، فيقول : "في المطار استقبلنا الأربة .. لهفتهم للقاء لاتقل عن لهفتنا .. عبر الحواجز الموقوتة تبادلنا الحبة .. بعدها بلحظات كانت الأحضان والتربيت الودود الذي تعلمناه منهم تقول شيئا كثيرا .. تجتاز حواجز اللغة ، وتحكي عما يعتلج في الأعماق ... وسنرجع إلى ديارنا ونحن نفيض حبا"<sup>(٣)</sup> .

ويبدي انبهاره ورضاه عن صنيع مؤسسة (كجامعة أفريقيا العالمية) في تكوين هذه النظرة الجماعية ، وهذا الإحساس الإسلامي العظيم الذي يجتمع فيه الطالب الأفريقي مع أخيه المسلم العربي ؛ لتكون هذه الجامعة "واحدة من محاولات قد تزداد عددا وغنى وعطاء بمرور الزمن للإعانة على هذا التوحد المرتجى الذي تفرضه ضرورات العقيدة"<sup>(٤)</sup> والجغرافيا والحضارة .. فضلا عن المصلحة الصرفة"<sup>(٥)</sup> .

(١) وكتابه "قالوا عن الإسلام" أنموذج فريد لذلك ، وهو في (٤٧٨) صفحة ، وقد كتبه بناء على

طلب من الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، انظر مقدمة الكتاب (ص ٥) .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٠ .

(٣) من أدب الرحلات (ص ٦) ، وصاغ مثله (ص ١١-١٢) .

(٤) وعليها يبنى كل مسار - الباحث - .

(٥) المرجع نفسه (ص ٤١) .



ويسطر ذلك برؤاه الحاملة ، وذكرياته السالفة فيقول : "جميل أن تجد نفسك عند إطلالة الصباح ، وفي مكان واحد ، مع إخوتك القادمين من المغرب والجزائر ومصر والسودان ومواقع أخرى من ديار الإسلام ، وأن يقف إلى جوارك ، بين لحظة وأخرى ، أخ من تركيا التي تتمدد على حافات الأسود والأبيض والدردييل والبسفور تنتظر اللحظة الحاسمة لكي تنهض قائمة مرة أخرى لملاحقة الحلم الإسلامي الذي لن يكفّ عن الوجيب حتى تصير كلمات الله وتعاليم رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام خبز الإنسان اليومي وعسله ومنّه وسلواه" (١) .

وحين التقاه الأستاذ (المصطفى أبو ياسر) (٢) في المغرب عام ١٩٩٣م رحّب به كثيرا ، وكان مما قاله : "وأنا في قلبي للإخوة المغاربة مكان عميق ، على بعد المسافة ونأي الديار" (٣) .

ويرى أن للإخوة المغاربة "في نفوس المشاركة عشقا موعلا .. إن الساحة المغربية تتميز بحكم موقعها الجغرافي على حافات أوروبا .. بحساسية خاصة تجاه المؤثرات الثقافية ، وبقدرة على التقاطها والتعامل معها .. وربما كان المثقف المشرقي مطالبا - من أجل تلقي المعطيات الجديدة - بالمرور عبر بوابة المغرب" (٤) .

وهذا ماسطره عن إخوانه في بلاد الإسلام كلّها (٥) ، وجعله هاجسا تذوب عنده الفوارق الجنسية ، فدبّج هذا بيراعه نثرا وشعرا .

يقول في قصيدته (الكون كلّ موطني) - وهي من رباعياته - :

- 
- (١) المرجع السابق (ص ٥١) .
  - (٢) شاعر معاصر ، من بلاد المغرب ، نشر لقاءه في الملحق الثقافي لصحيفة (الرأي المغربية) س (١) ع (١٢) تشرين الثاني ١٩٩٣م ، وانظر : ريبورتاج (ص ٥٠) .
  - (٣) ريبورتاج (ص ٥١) .
  - (٤) المرجع نفسه (ص ٦٥) .
  - (٥) انظر - مثلا - الحوار الذي أجراه بنفسه في الموصل (شباط ١٩٩٤م) مع رسلان محمد وأبي آدم والطيار الشيخ عبد الباقي ، ونشر في مجلة (فلسطين المسلمة) بلندن صيف ١٩٩٥م ، وراجع في هذا : ريبورتاج (ص ١٣٩-١٥٢) فهو حوار رائع .

"الكون كله موطني ..  
 وبلادي السماوات والأرض!!" (١)  
 ويقول : "ولكنني أهرع .. أهرع .. مخلفا ورائي تخوم العالم  
 وبواباته الموصدة  
 مهدّماً كلّ الجدران التي أقاموها وهم لا يدرون  
 إن الكون كله موطني  
 وبلادي السماوات والأرض" (٢)

ويرى أن من لوازم الأخوة بيان الزلل لمن بدر منه فهمٌ بجانب للصواب من  
 إخوانه ، فيبادر إلى نصحه وتقويمه وتوجيهه ، فيسير معه بالقول ، مستخرجا لازمه  
 بحكمة وحلم ، حتى يظهر الصواب له ، ويعود عن خطئه (٣) .  
 ويرى لزما عليه أن يتحدث عن نهب خيرات بلاده على أيدي طاغية العراق  
 وهو يتحدث ساخطا على من ينهج نهجه ، والمسلم يحسّ بأن الكون موطن إخوانه  
 يتألم لهم ، ويحزن لظلمهم "وإن الإنسان المسلم يحس إحساسا غامرا مترعا بالغبطة  
 والنشوة والفرح بأن وطنه الحقيقي ليس المدينة التي يولد فيها أو الإقليم الذي يحيا  
 فيه ، أو الدولة التي يحسب عليها .. إن وطنه هو العالم كله .. وأرضه هي الطبيعة  
 على امتدادها .. وبلاده الكون على مداه" (٤) .  
 وهو لا يخاطب بلاده طالبا معرفة مآلات الأفعال التي يقوم بها طغاة بلاده  
 حيث يقول - مخاطبا بلاده - :

"لا تَرُدِّي .. فما أريدُ جَوَابًا  
 لا تَرُدِّي .. فالقلبُ ذا كم تَأَلَمُ

(١) ديوان جداول الحب واليقين (ص ٩٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٠٠) .

(٣) ومنها ما حاجّ به أحدهم في كون النجوم رجوما للشياطين .

انظر : حوار في المعمار الكوني (ص ٣٥-٤٢) ، وانظر حواراه مع آخر : الرؤية الإسلامية  
 (ص ٧٠) .

(٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ١١٩) .

لا تردّي ، فما أراه أُمَامِي

ليس إلا حقيقةً تتكلّم!!

من جموع بالحق تهتف .. جَهْرًا ،

يا زعيم البلاد : لا .. ثمّ تُعَدِّمُ<sup>(١)</sup> .

ثم يعلنها عن نفسه وبني قومه الذين يرون ما يرى ، فيقول صارخا :

"فعلى الدّرب ياطغاة .. ننادي

وعلى الضّوء يا ضلالُ ستُهزَمُ .."<sup>(٢)</sup>

ويرفض ما عارسونه من طغيان ضدّ الشعب المهضوم ، وما يلقون به عدوّهم

من المهانة والابتسامة! فيقول :

"وترى الحاكمين في كلّ قطر

من بلادِي ، ورغم كلّ نداءٍ

يتمادون في الضّلال ويسعَوُ

نَ حثيثًا .. لِقِبلةِ الأعداء"<sup>(٣)</sup> .

وينادي الصامدين بثباتهم ، ويثني على عزمهم وإبائهم ، ويطلب منهم

الثبات والسير على قدمٍ راسخة ، فالصّامد - بحق - هو من يجالد هؤلاء الطغاة ،

العابثين بمصائر شعوبهم ، وهو من

"يصرّخُ فيهم : أنا مُسلّمٌ

بفكري أضدّ الهوى والضّلال

وأسجدُ لله أسْتَلْهُمُ"<sup>(٤)</sup>

ويرى أن السير بهذه الطريقة ضامن للحق ، موصل إلى التحرّر من هذه

العبودية ويعلن ذلك ، وأنه - ومن يشاركه النظرة ذاتها - عازمون على ذلك ،

صارخون بقولهم :

(١) ديوان جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٥-١٤٦) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٨٠) .

(٤) المرجع نفسه (ص ١٤٩) .

سَنَمْضِي نَحْطُمُ بِأَسَ الطُّغَاةِ      وَنَسْخَرُ مِنْ بَطْشِهَا اللَّاعِبِ  
سَنَمْضِي بِعَزْمَةٍ إِيْمَانَتَنَا      نَشْدُ عَلَى فَجْرِنَا الْغَائِبِ  
أَلَا إِنَّ هَذِي الْحَيَاةَ صِرَاعُ      مَعَ الْمَوْجِ فِي غُنْفِهِ الصَّاحِبِ<sup>(١)</sup>

أما هؤلاء الطغاة الذين بدّلوا بلادهم ، وأحالوها فسادا وبعدا عن العبودية الصادقة لله ، والراحة والأمن ، فإنه ينادي - ثائرا - جبارهم وكبيرهم الذي علّمهم العناد والفساد قائلا له :

أَيُّهَذَا الْجَبَّارُ مَزَّقَتْ شَعْبِي      وَسَفَحَتْ الدَّمَاءَ فَوْقَ حَيَاتِهِ  
وَشَرَبْتُ الْخُمُورَ تَعْصِرُهَا الْعَيْنُ      نُنْ ، وَغَنَّتْ رَغْمَ شَقْوَةِ ذَاتِهِ  
وَتَمَادَيْتَ فِي الْفُجُورِ فَوَيْلُ      لِلَّذِي يَنْتَشِي عَلَى مَأْسَاتِهِ<sup>(٢)</sup>

ومضى على ذلك في إبداعاته الأخرى ، يندّد بالطغيان في بلاده وبلاد الإسلام وقد صاغ لذلك روايته (الإعصار والمئذنة) مبينا خطر التآمر مع الشيوعية على خسران الشعوب المسلمة ، و"عندما تتموضع رواية (الإعصار والمئذنة) في فضاء محدود بمدينة صغيرة كالموصل ، وأيام خمسة ، من الصراع بين الشيوعية والإيمان ؛ فإنها تومئ ، وفق المعادلة المذكورة ، بما يمكن أن يشهده عالم الإسلام على امتداده"<sup>(٣)</sup> .

وهذا ما أراده في إبداعاته ، أن تنبض كلّها بنبض الأمة ، بآلامها وآمالها ، بمعاناتها واحتياجاتها ، مثبتا صدق أخوته ، محتفيا بالنظرة والروح الجماعية .

(١) المرجع السابق (ص ١٥٥) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٧٣) .

(٣) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٢) .

## المعلم الرابع : البعد عن المهارات .. والاحتفاء بالعمل :

المعارك الأدبية حين تنحى منحى المهاترة والانتقاص ، وتجانس أدب الحوار وروح الثقافة المترنة ، تكون مذمومة عند أولي النصف والحكمة ، طلاب الهدى وحملة مشعل الثقافة .

ويشير بعضهم إلى أن المعركة الأدبية بين اليازجي<sup>(١)</sup> والشدياق التي وقعت عام ١٨٧١م هي أول هذه المعارك في أدبنا المعاصر<sup>(٢)</sup> .

وقد أبرز اليازجي أن دفاعه عن والده ما كان إلا لشعوره بعدم خلو ذلك من فائدة في الحوار ، إذ يقول : "وشهد الله أنني ما كنت لأكره الخوض في هذه المطارحات والمباحث الدقيقة"<sup>(٣)</sup> ، فإنها لا تخلو من فائدة لي أو له ، لو أنه حافظ على شأنه ولم يتجاوز إلى أمر الهجاء ، فإنني شديد الكراهية له ... ولا أرى لي في مواطناته على ماذهب إليه - ومعاذ الله - فذلك باب من قبلي محكم التوسيد"<sup>(٤)</sup> .

(١) هو إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله اليازجي ، ولد عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٧م) وهو من علماء الأدب واللغة ، أصله من حمص ، هاجر أحد أجداده إلى لبنان ، فولد إبراهيم فيها ، ودرس على أبيه ، انتدبه اليسوعيون لترجمة الأسفار المقدسة وكتب أخرى ، فعمل عليها نحو تسعة أعوام ، تعلم العبرية والسريانية والفرنسية وتبحر في علم الفلك ، وله كتب عديدة ، سافر إلى أوروبا ومصر ، وخدم العربية باصطناع حروف الطباعة فيها ببيروت بدل حروف المغرب والآستانة ، وله شعر جيد ، لكنه ترك الشعر ، وله خط جيد ورسم ونقش وحفر ، عاش فقيراً ومات في القاهرة ونقل جثمانه إلى بيروت عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) .  
انظر : الأعلام ، للزركلي (١/٧٦-٧٧) .

(٢) سبب هذه المعركة دفاع إبراهيم اليازجي عن أبيه (ناصر) الذي نال - بعد وفاته - تحريجا وردودا كثيرا من أحمد الشدياق ، فانبرى إبراهيم يدافع عن أخطاء أبيه .

انظر : صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص ١٠٢-١٠٩) .

(٣) لعل في مصطلح (المطارحات والمباحث الدقيقة) حسن أدب وشعور بهدف الحوار - الباحث - .

(٤) المرجع نفسه (ص ١٠٩) .

وممن كان يتحاشى المعارك الأدبية (أحمد الزيات)<sup>(١)</sup> ، ومع ردوده على خصومه في (الرسالة) "فإنه كان يتحاشى الخوض في المعارك الأدبية ، ما أمكنه ذلك"<sup>(٢)</sup> .

ويعيد الأستاذ (علي الهوني) أسباب ذلك إلى كونه صاحب المجلة ، وكذلك فإنه كان ينحرف عن الردّ العلميّ كما حدث في ردّه على (بنت الشاطي) حين ذكر أنه لا يليق بذكر أن يردّ على أنثى<sup>(٣)</sup> ، وعدّ هذا مبرراً لعدم الردّ!! وسبب ثالث يذكره الهوني ، وهو أن نفسية الزيات مسالمة هادئة يجب أن تسير حياته وتجري جريان الجدول الهادئ<sup>(٤)</sup> .

وهكذا كان عماد الدين يخط لنفسه هذا المنهج ذاته ؛ وينسحب هذا على تعامله مع الآخرين في علاقاته العلمية ، وردوده وتعقيباته ، فلا تجده يحفل بالمهاترات الصحفية ، أو العنف النقدي ، بل يبغض هذه الإجحافات ، ويخشى أن يسقط فيها نفسه يوماً من الأيام! وفي هذا يقول : "دخلت في معارك نقدية في أكثر من مجلة ، ولكني - بمرور الوقت - بدأت أكره هذه الصيغة في التعامل ؛ لأنني بحاجة إلى توظيف الزمن للبناء وليس لملاحقة الآخرين أو الردود عليهم ... ولكن في هذا العصر يبدو أن الكثيرين لا يعرفون كيف يتحاورون ، فالأولى أن تتوقف عن حوارهم!

(١) هو أحمد بن حسن الزيات ، صاحب (الرسالة) ، ولد عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) بمصر وهو أديب من كبار الكتاب ، ودخل الأزهر قبل الثالثة عشرة ، وفصل قبل إتمام دراسته ، فعمل في التعليم الأهلي ، ودرس الأدب في المدرسة الأمريكية بالقاهرة ثم ببغداد ، ألف كتابه (العراق كما عرفته) ولكنه احترق قبل نشره ، عاد إلى القاهرة ، وأصدر (الرسالة) لمدة تقارب العشرين سنة ، ثم عين عضواً في مجمع اللغة بالقاهرة ونال جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٢م ثم أعاد الرسالة وانقطع لتحرير (مجلة الأزهر) ، توفي بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ودفن بقريته (كفر دميعة القديم) ، له كتب عديدة .

انظر : الأعلام ، للزركلي (١/١١٣-١١٤) .

(٢) الزيات ناقداً ، علي عبد المطلب الهوني (ص ٥٩) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٦١) ولاشك أن هذا ليس بحجة - الباحث - .

(٤) المرجع نفسه (ص ٦٢) .

وقد جربت هذا مع اثنين أو ثلاثة أو أربعة فلم أرتح للطريقة التي كان فيها الرد لا ينطوي على احترام الحقيقة بقدر ما يذهب باتجاه تأكيد الذات على حساب الحقيقة ، فأثرت العمل البنائي<sup>(١)</sup> .

وهذا هو الصواب في مثل هذه المواجهات ، "وليس لمفكر مبدع أصيل ، ولا لشاعر عبقر ، ولا لأديب موهوب ، ولا لفنان يحترم فنه ونفسه ، أن يوفق إلى أداء شيء من رسالته إذا هو سمح لنفسه أن ينساق مع أهواء الآخرين ومآربهم"<sup>(٢)</sup> . ويردّها (عبد اللطيف شرارة) إلى المزاج والذوق والاتجاه<sup>(٣)</sup> .

بينما يرى صاحب كتاب (دراسات في النقد الأدبي والبلاغة) أن هذه المهارات والمعارك إنما تتوجه إليها "الفراشات المهومة في وسائل الإعلام المختلفة تعشو على ضوء نارها فتحترق بها ... والواجب أن نقطع دابرهم وأن نحرّمهم الزجّ بأنفسهم فيما ليس لهم به علم"<sup>(٤)</sup> .

ونجد أن هؤلاء الخائضين كثيرون ، ولا يوجد منهم من يريد الحق في جدله وحواره إلا القليل ، وهم أشدّ ندرة من "الكبريت الأحمر" - كما يقولون - ولا يؤمنون بالقول القديم "من المناقشة ينبثق النور"<sup>(٥)</sup> .

لكن عماد الدين خليل يدعو إلى الحوار الهادئ الجيد ، أو ما أطلق عليه قدامة ابن جعفر<sup>(٦)</sup> (الجدل المحمود)<sup>(٧)</sup> ؛ إذ يتناول الطرح النشاز المخالف للتصور

(١) لقاء الأردن (ص ٣٧) .

(٢) معارك أدبية قديمة ومعاصرة ، عبد اللطيف شرارة (ص ١٢) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٥) .

(٤) دراسات في النقد الأدبي والبلاغة ، د. عبد العزيز قلقيلة (ص ٦٣) .

(٥) القول لأرسطو ، وانظر : الأدب العربي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص ٣) .

(٦) هو قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي ، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق

والفلسفة ، كان نصرانيا ثم أسلم على يد المكتفي بالله العباسي ، وله مؤلفات عديدة منها

"الخراج" ، و"البلدان" ، و"نقد الشعر" ، و"نزهة القلوب" وغيرها ، توفي ببغداد سنة

(٣٣٧هـ/٩٤٨م) أما سنة ولادته فغير معلومة .

انظر : الأعلام ، للزركلي (١٩١/٥) ، نقد النثر ، لقدامة بن جعفر (ص ١٦) .

(٧) نقد النثر ، قدامة بن جعفر بن قدامة (ص ١١٧) .

الإسلامي الصحيح إذا رأى المصلحة ظاهرة في ذلك التناول ، ومن ذلك ما ذكره عن أحد أساتذة التاريخ الإسلامي في المرحلة الجامعية ، بأنه كان يمتنع ، ويتنقص نصاً قرآنياً وهو قوله تعالى : ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾<sup>(١)</sup> ! وكيف قرأ عليه عماد الدين في قاعة الدرس ذاتها بقية الآيات التالية وكيف عرضت قطاعات الأعراب الثلاثة ، واستمر في حوارهِ معه ثم تبعه إلى مكتبهِ ، وحاول الاستمرار في ذلك لكن أستاذه لم يلو على شيء ، ويرى عماد الدين أن هذا نوع من "لعبة الاقتطاع القسري للشاهد"<sup>(٢)</sup> .

وهو هادئ في حوارهِ وجدله بالحسنى ، ولعلّ العودة إلى تفاصيل المثال السابق في كتابهِ القيم (الرؤية الإسلامية)<sup>(٣)</sup> تصوّر لنا أدبه في حوارهِ وجدله "المحمود" ، ذلكم الأدب الذي يحتاج إليه كلّ متحاور يرنو إلى طلب الحق لا الانتصار لنفسه<sup>(٤)</sup> .

حتى إن الذي يختطّ لنفسه نهج الحوار الهادئ والجدل الساعي إلى بيان الحق محتاج إلى أمور عدة لم يغفلها عماد الدين في حواراته المنضبطة ، ومنها ما ذكره بعض السلف بقوله : "عجبت لمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم"<sup>(٥)</sup> . وأن يتذكر أن الحق أحق بالاتباع ، كما قال أحد الأدباء الفضلاء : "إن دين الله أغز علي من أن أضيعه في الجحاملات ، والله أكبر في قلبي من أن أسخطه لرضا مخلوق مهما بلغ من السلطان"<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة التوبة : آية ٩٧ .

(٢) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٢) ، وانظر الحوار كاملاً (ص ١٤٩-١٥٢) .

(٣) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) في أدب الحوار وطرائقه الحسنة ، انظر : أصول الحوار ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وحدة الدراسات والبحوث (ص ١٧-٥٦) .

وانظر المبحث النفيس لقدامة بن جعفر في "نقد النثر" ، باب أدب الجدل (ص ١٢٨-١٣٦) .

(٥) مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة ، د. محمد بركات حمدي أبو علي (ص ٢٤) .

(٦) ذكريات ، علي الطنطاوي (١٠٧/٦) .



وينبغي للمحاور كذلك أن يكون لبقاً<sup>(١)</sup> في نقده ، فقد "يكون الإسقاط أيضاً على شكل نقد عنيف يوجهه الشخص إلى غيره عن أمر هو يشتهي لنفسه"<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الأمور التي يصطحبها أهل النصف في حواراتهم ومناظراتهم .

ولهذا يندب عماد الدين تعامل كثير من مثقفي عصرنا فيقول :  
 "إن مثقفينا ، بالأحرى متعلمينا وأنصاف مثقفينا ، يقفون إزاء كثير من القضايا والقيم الإسلامية ، موقفاً رخيصاً فجاً مستعجلاً ، غير علمي ولا متأن ولا مسؤول ، الأمر الذي يجعلهم يصدرن أحكاماً سريعة ، مشوّهة ، مبتورة بحجٍ نتيجة منطقية لمواقفهم تلك"<sup>(٣)</sup> .

وإذا كان لا يتلجلج في إثبات ذلك والسير في الطريق الذي اختطّه لنفسه في حواراته كلّها ؛ فإنه إنما يحفل بالإنجاز والعمل والبناء وقد بنى عليه أعماله من إبداعات ودراسات ، ويدع المهارات لأهلها "من أجل تجميع الطاقات الفكرية الإسلامية للتحقق بفاعلية أكبر ولتجاوز الازدواجية والارتطام والتبذير والتناقض والتفتت"<sup>(٤)</sup> .

فله هذه الفلسفة الخاصة في التعامل مع هذه المواقف التي تزلّ فيها أقدام كثيرة ، أما صاحب المنهج المستعلي بمنهجه "فما تكون الأرض كلّها؟ وما يكون الناس؟ وما تكون القيم السائدة في الأرض؟ والاعتبارات الشائعة عند الناس؟ وهو من الله يتلقى ، وإلى الله يرجع ، وعلى منهجه يسير ، وهو الأعلى إدراكاً وتصوراً لحقيقة الوجود"<sup>(٥)</sup> .

ولكننا نجد كثيراً من الضعفاء في حواراتهم ، يتكلمون وكأنهم يوحون إلينا "أننا مازلنا دون مرحلة النصر ، أو على أحسن الأحوال ، لانزال نعاني من آثار الهزيمة الفكرية التي تعيش في أعماقنا ، إلى جانب مايمكن أن تورثه تلك المعارك من

(١) حاذقاً رفيقاً بما يعمل . انظر : القاموس ، الفيروزآبادي (١٢٢١/٢) .

(٢) كيف تتكامل الشخصية ، هيلين شاكر (ص ١٥٣) .

(٣) مجلة (حضارة الإسلام) س (١٧) ، ع (٨) (ص ١٤) مقال "الموقف الرخيص" .

(٤) حوار في المعمار الكوتي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٤) .

(٥) معالم في الطريق ، سيد قطب (ص ١٨٠) .

قدرة الخصم على التحكم بمسار تفكيرنا ، ونشاطنا العقلي" (١) .  
ولهذا لا يحفل عماد الدين خليل بالتسليم المطلق ، بل لا يراه إلا لنصوص  
الوحيين الكريمين ، و"المثقف المسلم على وجه التحديد ، ناهيك عن المتخصصين  
منهم ، يتحتم أن يمتلك ابتداء .. نعم (ابتداء) .. ما يمكن تسميته بالنظرة الفوقية  
المستقلة الواثقة التي ينظر بها وقيس ويزن كل مايقوله العقل البشري شرقيا كان أم  
غربيا ، ولا يسلم به بسهولة حتى لو طرحه أعظم الفلاسفة والمفكرين .. كما أنه  
يتحتم ألا يشعر إزاءه بأي قدر من النقص أو الإعجاب المفرط الذي قد يجنح به  
بعيدا عن الموقف العلمي الذي يتطلبه منه هذا الدين" (٢) .

إنها العزة التي تضبط نفس الأديب والمفكر ؛ لئلا تنساق وراء ميادين لانفع  
فيها ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) .  
وإنها الثقة بالنفس التواقة القويّة ، و"القوة الذاتية هي القدرة على جعل  
الأشياء تحصل ، بالطريقة التي نرغبها" (٤) .

وهي الثقة بالنفس التي يفقدها كثير من مثقفينا وأدبائنا على اختلاف  
قدراتهم وطاقاتهم ونفوسهم (٥) .  
وفوق هذا كله تقف سلامة الصدر التي يحتاجها كل مثقف أريب .. أن  
يتحلّى المرء بدلالاتها ومقتضياتها .

أما الشذب والتواء الحديث وإساءة الظنون ، فإنها تفقد المرء هذه اللياقة  
النفسية ، وهذا الكرم الخلقى العظيم "وإن لم يكن قد فاتته إلا سلامة صدره على  
المسلمين وعظم أجر تلك الفضيلة فقد فاتته خير كثير" (٦) .

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، د. عمر عبيد حسنة (ص ٢١) .

(٢) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ٥٦) .

(٣) سورة المنافقون : آية ٨ .

(٤) تنمية القوى الذاتية ، سمير البعلبكي (ص ٧) .

(٥) نقلت الدكتور نورة الشمالان تسميتها : (قوة الأنا) ، و(الاكتفاء الذاتي) .

انظر في هذا : المتنبي الإنسان والشاعر ، د. نورة الشمالان (ص ٣٠-٣١) .

(٦) عجز الثقافات ، د. محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف (ص ٧٠-٧١) .

### المعلم الخامس : بعد النظر :

وَمَا هُوَ مِنْ زَاكِي صِفَاتِهِ وَطِيبِ ذِكْرِهِ ، بُعْدُ نَظَرِهِ وَثَاقِبِ فِكْرِهِ .. ذَلِكَ أَنْكَ وَاجِدُهُ مِتْفَائِلًا بِمُسْتَقْبَلِ الْإِسْلَامِ غَيْرِ قَانِطٍ وَلَا سَاخِطٍ .. فِي زَمَنِ يَجْتَمِعُ فِيهِ الشُّعُورُ بِالْفَنَاءِ ، وَالْإِحْسَاسُ بِالْهَلَكَةِ عَلَى قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ بَنِي الْإِسْلَامِ ؛ لَمَّا يَرُونَهُ مِنْ تَحْدِيَّاتٍ وَصَرَاعَاتٍ وَمَقَارَعَاتٍ شَدِيدَةٍ ! .

وَيَرَى - عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ - أَنَّ "الْقَوْلَ بِجَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، لَا يُمَثِّلُ تَنَاقُضًا مَعَ اخْتِيَارِهِمْ لِحَمَلِ رَايَةِ الدِّينِ الْجَدِيدِ ، فَإِنَّ فِيهِمْ مِنْ وَرَاءِ رُكَامِ الْأَضَالِيلِ وَالْأَوْهَامِ مَعْدَنَ أَصِيلٍ"<sup>(١)</sup> ، وَإِنَّ الْفَجْرَ لَيَنْبُثُ لِحِظَةِ يَدْلُهُمْ ظِلَامَ اللَّيْلِ وَيَبْلُغُ مَدَاهُ"<sup>(٢)</sup> .. وَحِينَ يَنْطَلِقُ غَيْرُهُ مَنَادِيًا بِحَقُوقِ الْمَرْأَةِ فِي الْمَشَارَكَةِ ، وَأَنَّهَا تَعِيشُ وَاقِعًا يَهْضُمُ حَقَّهَا وَيَغْفِلُ دَوْرَهَا"<sup>(٣)</sup> ، يَسِيرُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ بِفَلَسَفَةٍ جَمِيلَةٍ تَدُلُّ عَلَى بَعْدِ نَظَرِهِ وَثَاقِبِ رُؤْيَاهُ ؛ إِذْ يَقُولُ : "وَعِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ عَنِ الْإِنْسَانِ ، يَتَحَدَّثُ عَنِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ مَعًا ، فَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ نَفْصَلَ الْمَرْأَةَ وَنَتَحَدَّثَ عَنْهَا بِالذَّاتِ ؛ فَإِذَا تَحَدَّثْنَا عَنِ الْكَائِنِ الْبَشَرِيِّ ، وَعَنِ هُمُومِهِ وَأَحْلَامِهِ .. عَنِ آلَامِهِ وَوِيْلَاتِهِ .. عَنِ طَبِيعَةِ تَمَاسِهِ مَعَ الْعَالَمِ ، فَكَأَنَّا نَتَحَدَّثُ عَنِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ مَعًا بِمَا أَنَّهُمَا كَائِنَانِ مُتَمَيِّزَانِ فِي هَذَا الْعَالَمِ"<sup>(٤)</sup> .

وَهُوَ كَذَلِكَ - فِي الْطَرَفِ الْآخَرِ - يَحْزَنُ عَلَى أَحْوَالِ أَوْلَئِكَ النَّاعِقِينَ بِمَلْءِ أَفْوَاهِهِمْ فِي صَفُوفِ الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ ، بِمَا تَحْمِلُهُ نِدَائَاتُهُمْ مِنْ خَوَاءٍ فِكْرِي ، وَانْحِرَافٍ فِي التَّصَوُّرِ ، وَتَخَلُّعٍ عَنِ الثَّوَابِتِ الْأَصِيلَةِ ، وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ ، فَيَقُولُ : "إِنَّ الْجُنْدِيَّ الْإِسْتِعْمَارِيَّ الَّذِي يَتَجَوَّلُ فِي شَوَارِعِ الْمَدَنِ الْمَقْهُورَةِ حَامِلًا سِلَاحَهُ ، مُوجِّهًا حَرْبَتَهُ إِلَى صُدُورِ الْمَوَاطِنِينَ .. الْجُنْدِيَّ الَّذِي كَانَ يَتَجَمَّعُ وَرِفَاقُهُ فِي الثَّكَنَاتِ الْكَبِيرَةِ فِي قَلْبِ الْمَدَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ الطَّيِّبَ ، وَيَتَنَزَّهُ فِي الْحَدَائِقِ الْمُنْسَقَةِ ، وَيُمَارِسُ هَوَايَاتِهِ الْمَفْضَلَةَ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ إِلَى أَنَّ سِلَاحَهُ سَيَحْمِيهِ وَيَبْقِيهِ .. هَذَا الْجُنْدِيُّ قَدْ انْتَهَى

(١) لعل الصواب "معدنا أصيلاً" - الباحث - .

(٢) دراسات تاريخية ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٠) .

(٣) كثير ممن ينعقون بذلك لهم فيه مآرب أخرى - الباحث - .

(٤) لقاء الأردن (ص ٣٣-٣٤) .

دوره بزوال الاستعمار القديم .. استعمار الجيوش والعساكر للأرض الإسلامية .. وحلّ محله اليوم في موجة الاستعمار الجديد جندي من نوع آخر .. إنه واحد من أبناء الشرق أنفسهم .. مواطن مسلم .. لا يلبس "الخاكي" ولا يحمل سلاحا .. ولكن فكره معباً تماماً بالمتفجرات التي زرعها فيه الاستعمار الجديد يوم كان يدرس هناك ، وهي مستعدة للانفجار في أية لحظة يضغط فيها على الزرّ لكي تدمر القيم والأعراف والمعتقدات ، وتقطع الأصول والجذور ، وتأتي على الأخضر واليابس" (١) .

وهو على ثقة ويقين حال عرضه واقع الأمة المرير ، وموقع أمثال هؤلاء المفسدين لذواتهم ولغيرهم ، بأن النصر للإسلام وحزبه ، و"في بيئة كهذه سيكون الانتصار للإسلام نفسه ، كما أكد التاريخ ولا يزال ، مادام أن الإسلام مهندس بإعجاز ، على حجم الإنسان ، مرسومة خرائطه بإتقان على مساحة دوره في العالم ومادام أنه الحركة العقيدية الوحيدة التي كانت وستظل بمثابة الطريق الأوحده للتحقق بالوفاق مع الذات والكون والتصالح مع سنتهما ونواميسهما من أجل سعادة الإنسان وتوحده" (٢) .

وهذا البعد والعمق في النظر جعل عماد الدين يستشعر الدور المناط به ، وعظمه وضخامته ، فاستحلى مرارة الطريق التي تواجه الباذلين في سبيل الحق الذي ينشدونه وبثه ، واستطاع أن يصنع من المواقف الصعبة التي تمر به فرصا جلييلة للعتاء والبناء .

ولهذا يقول حين يحاور أحد المتخاذلين عن دورهم في الحياة أدباء ومفكرين مترنين : "أردت أن أقول له هذا ، أن أشعره بأنني سعيد إذ أكتب ، وأنه مامن كلمة أخطها يميني إلا وأنا مسؤول عنها أمام الله ، وهي بدورها محسوبة لي هنا وهناك" (٣) .

- 
- (١) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ١١) .  
 (٢) قالوا عن الإسلام ، د. عماد الدين خليل (ص ٢١-٢٢) .  
 (٣) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٠) .

وحين ندقق النظر في تمثله الحقيقي لمعنى الإسلام ، نجد أن هذا الأمر هو الذي قاده وغيره إلى طريق العطاء والبذل - ولو نكص عنه آخرون - "وعبر مسيرته الحافلة ذات الأربعة عشر قرنا .. كان الإسلام قديرا - أبدا - على التجدد والانبعاث وكلما ادلهم خطب وذرت الفتنة قرنهما ، وكاد اليأس أن يأخذ بتلابيب النفوس والأرواح .. كلما<sup>(١)</sup> برز رجل أو انبعثت حركة .. فما يلبث هذا الدين أن يجد من ينطلق به إلى آفاق جديدة .. فيزداد قوة .. وتمكنا .. وأصالة .. وعطاء .. بل إن هنالك ما هو أعجب من هذه الظاهرة في تاريخ هذا الدين وتركيبه .. إنه حيثما خسر المعركة ، أو انحسر وتراجع في جهة من الجهات حيثما تحرك في جهات أخرى لكي يحقق أكثر من نصر فيعوض هنا عما خسره هناك"<sup>(٢)</sup> .

ويتساءل - وهو يبحث عن موقع بلاده وبلاد المسلمين - عن محاولتنا الراهنة للفوز بالسباق الحضاري ، واستكمال أسبابها "وهل انطلقنا عند خط البداية على الخطوط المرسومة للوصول إلى الأهداف؟"<sup>(٣)</sup> .

وأمام هذا السؤال ينطلق مجيبا ببعد نظر : "يكون المرء منافقا لو أجاب بالإيجاب أو على أقل تقدير جاهلا ، قصير النظر ، غير قادر على فهم واستيعاب مجريات الأحداث التي تتمخض أمام عينيه ، ولا بد من الاعتراف بهذا الخطأ الكبير الذي ظللنا نمارسه منذ أكثر من نصف قرن ولا تزال .. لابد من الاعتراف من أجل ألا نضيع فترات أخرى من الزمن ونهدر طاقات وقدرات أخرى"<sup>(٤)</sup> .

(١) لعل الصواب حذفها ؛ لأن معنى (كلما) قاض بعدم تكرارها - الباحث - .

(٢) كتابات على بوابة القرن الخامس عشر ، د. عماد الدين خليل ، ود. عبد الحليم عويس (ص ١٢-١٣) .

(٣) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وهكذا يبرز (بعد النظر) في رؤية عماد الدين للقضايا ، راسخا أمام تضحّل الفكرة عند غيره ، أو تشويهاها عند آخرين<sup>(١)</sup> .

ومن دراساته المتميزة ببعد نظره مبحثه الخاص في كتابه : (حول استراتيجية الأدب الإسلامي)<sup>(٢)</sup> عن اللون في القرآن الكريم .. وقد سمّاه "رحلة مع اللون في كتاب الله" ، حيث يرى أن "اليد التي ترسم - أحيانا - أشد إثارة وأعماق دهشة وأقدر على التعبير من الكلمات التي تنثر أو تقول شعرا"<sup>(٣)</sup> .

وهي رحلة جميلة سار المؤلف فيها بالقارئ نحو تعامل الأمة الإسلامية مع اللون في العصر الأموي والعباسي ، واستخدام العلويين له في راياتهم الخضر وهكذا .. في متابعة فريدة وعجيبة لورود اللون في آي القرآن الكريم مستتبعا ومتابعا هذا التناسق عبر هذه الرحلة الرؤيوية للقرآن وآياته ذات الدلالات الثرة ، وصدق الله إذ يقول : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>(٤)</sup> .

ويرى الدكتور عماد أن هذا التنوّع - بإبعاد النظر وتوسيع الآفاق التأملية - من نعم الله علينا فيقول في ذلك : "ويبقى اللون ، هذا التنوع الإبداعي للمنظور في ساحة الكون والسماء والعالم والحياة .. هذا التغير الذي ينطبع على الحس البشري بألف حال وحال .. يبقى هذا كله واحدا من عطاء الله الذي ماله من نفاذ .. من

(١) انظر - مثلا - : ريبورتاج ، وحديثه عن جمهوريات الاتحاد السوفياتي (ص ١٧-١٨) ، وواقع المسلمين في الخارطة الحضارية (ص ١٠١) ، وحديثه عن دورنا في واقع الأدب والفن والإعلام الإسلامي في ظلّ التحديات المعاصرة (ص ١٨-١٩) ، وكلامه عن المنهج الإسلامي في الدراسة الأدبية (ص ٥٨-٥٩) ، وحديثه الرائع عن العزلة في الصوت الأدبي (ص ٦٠) ، وتأصيل النقد الإسلامي في الأدب (ص ١٠٣) وغيرها وغيرها مما قد نتبينه في الفصول القادمة .

(٢) لايزال مخطوطا كما أسلفنا - الباحث - .

(٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢١) .

(٤) سورة فاطر : آية ٢٧-٢٨ .

نعم الخلاق الذي ماتنفد كلماته .. يظل الأبيض والأحمر والأخضر والأزرق حضوراً فاعلاً للقدرة الإلهية في مهرجان الكون الكبير . فماذا لو لم تنطو الحياة على هذا التغاير اللوني المؤثر المبهج المحزن الهابط المصعد؟ ماذا لو تسطح المنظور باللون الواحد والإيقاع الواحد ، والخفقة الواحدة؟! إنها نعمة كبيرة ، مهما قلّبتنا أنظارنا فيها ، ومهما بحثنا في مردودها على الحس والنفس والعقل والروح والوجدان<sup>(١)</sup> .

حقاً .. ما أحوجنا في ميادين الثقافة إلى (بعد النظر) وعدم القياس بالمقاييس الشاهدة الحاضرة فحسب! وأن نكون على مستوى المواجهة ولو بمجرد التفكير والتخطيط .

وهذا البعد في حياة عماد الدين ورؤيته ، ينسحب على ميادين نتاجه — عند تملّيقها والنظر فيها — على تنوّعه وترادفه<sup>(٢)</sup> .

ويعلي ذلك في منهجه ، وأنه يتسخّط أمام النظرة الأحادية في كلّ دراساته وإبداعاته فيقول : "إن النظرة أحادية الجانب تمثّل ولاريب واحدةً من أشدّ الثغرات عمقا في منهج البحث"<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص ٣٥) .
- (٢) ينسحب هذا على المنحى التاريخي - مثلاً - كما في مقاله النفيس "المنحنى النفسي في حياة عمر ابن عبد العزيز" . انظر : مجلة (حضارة الإسلام) س (٩) ، ع (٩) (ص ٢٢-٣١) .
- وينسحب على المنحى الفكري كذلك ، كما في مقاله بعيد النظر "المبتعثون إلى الغرب رصد للواقع المرير" . انظر : مجلة (الأمة) س (١) ، ع (٤) (ص ٥-١٢) .
- وكذلك مقاله حول متابعي آثار كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" وكيف يرى التوافق بين المقولات الواردة فيه وبين تنفيذه في أرض الواقع ، ممثلاً لذلك بما حدث للشاعر التشيلي المعروف (بابلو نيرودا) ، انظر ذلك كلّ في مقاله "بروتوكولات صهيون .. مرة أخرى" في مجلة (الأمة) س (٤) ، ع (٤١) (ص ١٧) ، ومقاله "فهل ثبت أنه ليس من وضعهم" س (٥) ، ع (٥٨) (ص ٢٢-٢٥) .
- وهذا ظاهر في نتاجه بعد التدقيق والمتابعة مما قد يظهر لنا بإذن الله جلاؤه في فصول بحثنا - الباحث - .
- (٣) مجلة (الأمة) س (٥) ، ع (٥٨) (ص ٢٤) .

فما أخرجنا إلى من يعيشون اليوم بغير عقلية البعد الواحد ، الذين يبينون للناس عدم فقر البيئة حولهم ، ويسرون بتجزئة الأمور وإعطاء كل جزء حقه ، ولا ينظرون برؤية نصفية بل يسرون بعقلية منضبطة ترجحية تنظر ببعد إلى الحسنات والسيئات والإيجابيات والسلبيات وتستبصر الدور المطلوب عند النوازل خاصة<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر المبحث النفيس للدكتور عبد الكريم بكار في كتابه "فصول في التفكير الموضوعي" (ص ٢١٢-٢٢٨) .



## المعلم السادس : الحياة .. نظرة وطابع :

يتعامل عماد الدين خليل مع الحياة بهدوء وتؤدة وأناة ، ويدعو - وهو يتأمل أحوالها وأحداثها - إلى أن تكون التصاميم الفكرية ، والتعليقات الراصدة للحياة "محاضرة هادئة مترعة بالاستدلال والمقارنة والاستنتاجات المقنعة"<sup>(١)</sup> .

ونراه يجسد ذلك شعرا ، وهو يخاطب أبناء الأمة :

"أريدُ أن أفجرَّ قلوبكم بالحُبِّ<sup>(٢)</sup>  
أريد أن أغمرَّ وجودكم بالحنانِ  
يا أبناء أمتي ..

بالحُبِّ والحنان تصنعون التاريخ  
وتقفون في دوامة الأحداث  
كأشجار التين والزيتون .."<sup>(٣)</sup>

يتعامل معها كما يتعامل غيره من الأدباء الذين أرادوا أن يسترسلوا إلى هذه الحياة ، ويوظفوا لأنفسهم مهادا حسنا من الإفادة فيها ؛ لذا تراهم يتعاملون معها وهم يعلمون أنها مُسَخَّرَةٌ كُلُّهَا لهم ، كما قال الجاحظ في رسائله الكلامية :  
"والفلك وجميع ماتحويه أقطار الأرض ، وكلّ ماتقله أكنافها للإنسان حول ومتاع إلى حين"<sup>(٤)</sup> .

وتراهم يتحسّسونها ويشعلون فحصهم وفتائل إبداعهم لينهلوا منها "ذلك لأن الحسّ كالنور ، إن أطلقته أضاء لك ماحولك فأيت ماتحب وماتكره ، وإن حجبته حجب الأشياء عنك ، فأنت لاتسمع أصوات الشارع مع أنها أشدّ وأقوى وتسمع همس الدار وهو أضعف وأخفت ، لأنك وجّهتَ إلى هذا حسّك ، وأدخلته نفسك فسمعته على خفوته كما ترى في الضياء صغائر الأشياء"<sup>(٥)</sup> .

(١) من أدب الرحلات (ص ٤٤) .

(٢) ديوانه "جداول الحب واليقين" (ص ٩٥) .

(٣) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، الرسائل الكلامية (ص ٦٥) .

(٤) صور وخواطر ، علي الطنطاوي (ص ١٤) .

وترى هؤلاء الأدباء يحركون أخيلتهم هنا وهناك ، ليقبسوا فكرة مرّت على غيرهم مرور الكرام فاختلف استخدامهم لها ؛ حيث إن الدوافع الخارجية التي تحرك هذا الخيال تبعته في كل أحد ، لكنهم يملكون - وهم أدباء - أن ينظموا عناصر الخيال بينما يضيعها غيرهم<sup>(١)</sup> .

ويتعامل مع هذه الحياة الشاعر بمقطوعاته ونظراته التعبيرية الخاصة ، فتظهر نظرتة على صورة قصائده ونتاجه الشعري<sup>(٢)</sup> ، لا ينفك عنها أبدا .

ويتعامل معها المسرحي في إبداعه ومسرحياته ؛ ولذا ظهر ما يسمى "مسرح الحياة" الذي يأخذ أفكاره من واقع الحياة وتعامل الإنسان معها ، إذ يصوّر الكاتب فيها مسرحيته وأحداثها على أنها واقع فعلي يعيشه المشاهد مرآة عاكسة ، يبصر بها الحياة أنموذجا متمثلا أمامه<sup>(٣)</sup> .

ويتعامل معها الأديب - بصفة عامة - حين يجيد ذلك عالما بأثر هذا التعامل في نفسه وغيره على السواء<sup>(٤)</sup> .

وعماد الدين خليل ممن دعا إلى التعامل مع الحياة وأحداثها بالأمل الدافق ، والنظرة البعيدة ، بل يرى أن "ليس الموت حاجزا أو فاصلا ، ليس الموت نهاية

(١) الصورة بين البلاغة والنقد ، د. أحمد بسام ساعي (ص ٢٤) بتصرف .

(٢) انظر مثلا :

- الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد ، د. محمد زكي العشماوي (ص ١٥١-١٥٧) .

- الحكمة في شعر المتنبي ، د. حسن علي قرعاوي (ص ١٤٣-١٥٥) .

- دراسة في شعر نازك الملائكة ، د. محمد عبد المنعم خاطر (ص ٢٢-٥٩) .

- أطروحات جمالية ، محمد الجندي (ص ١١٠) .

- قصيدة الهجاء عند دعبيل الخزاعي وابن الرومي ، د. عبد الحميد جيدة (ص ١٠٣-١١٥) .

(٣) انظر : مسرح توفيق الحكيم ، د. محمد مندور (ص ١٠٩) بتصرف يسير .

(٤) انظر في علاقة الأديب بالحياة - على سبيل المثال - :

- تذوق الأدب ، د. محمود ذهني (ص ٢١-٣٦) .

- في الأدب والنقد ، د. محمد مندور (ص ٣٦-٣٨) .

- على مائدة الأدب ، عبد الله بن حمد الحقييل (ص ١٢) .

- أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي ، د. يوسف عز الدين (ص ٣٠) .

طريق أو بابا موصدا .. إنه مجرد نقلة ، نقلة سريعة ، ينطلق الإنسان بعدها لمواصلة الحياة بهذا الشكل أو ذاك مما لا يعلم كنهه إلا الله سبحانه . كلُّ منّا أحسّ في مجابهته الضغوط النفسية والمتاعب التي لاتنقضي والأحزان المتجددة أنه قدير على تجاوز الأسر والانطلاق في الزمن حيث لاخوف ولاتناقض ولاعدّ تنازلي باتجاه لحظة الأفول الأخيرة<sup>(١)</sup> .

وهذا يذكرنا بما قاله أحد الأدباء ، حين عدّ الموت في حقيقته ولادة ، وانتقالا إلى مدى أوسع<sup>(٢)</sup> .

وهذه النظرة إلى (الموت) وأنه حياة إنما تتجسّد ثابتة في نفوس الوثائق المؤمنين الذين يرون في الموت راحة ، كما قال سيّد قطب رحمه الله في ديوانه :  
الموت! يا للموت! أشرفُ شرعةٍ      مما نسامُ به ومما نُوسَمُ<sup>(٣)</sup>

ويلتمس عماد الدين نظرتَه إلى (الموت) لتكون "دعوة لتعميق الخبرة البشرية لمدّ التجربة إلى الجذور البعيدة .. وإنها لفرصة فذة للعمر المحدود أن يزداد اتساعا وتوغلا وامتدادا صوب الأعماق ، تماما كما كان هناك يزداد اتساعا وتوغلا وامتدادا صوب الآفاق<sup>(٤)</sup> .. هنا في صميم النفس وهنالك في أبعاد الزمان والمكان"<sup>(٥)</sup> .

والموت حقّ كأنه كذب ، فهو حقّ لامرية في وقوعه ، وكأنه كذب لغفلة أهل الأرض عن تذكّره والعمل لما بعده ، وكأنهم خلقوا مؤبّدين للحياة ، فتراهم لا يستبصرون حقيقة الموت والحياة ، ولا ينظرون في ستنهما ونواميسهما<sup>(٦)</sup> .

(١) حوار في المعمار الكوني (ص ١١٥) .

(٢) ذكريات ، علي الطنطاوي (٢٩٣/٧) .

(٣) ديوان سيّد قطب ، جمع وتوثيق عبد الباقي محمد حسين (ص ٢٨٢) .

(٤) يريد بذلك سعيه نحو تأصيل الذات وبنائها وفق المنهج الرباني الفريد - الباحث - .

(٥) حوار في المعمار الكوني (ص ١٢٠) .

(٦) انظر : بغداد مشاهدات وذكريات ، علي الطنطاوي (ص ٢٧-٢٨) .

- الخرافة والأسطورة في الرواية العربية المعاصرة ، عبد البديع عبد الله (ص ١٢٨-١٢٩) .

- ابن الرومي ملامح وأبعاد ، د. علي شلق (ص ١٤٢-١٤٦) .

- شاعر الحب والوطن ، عبد العزيز النعماني (ص ٧٠-٧٤) .

وينظر عماد الدين إلى أن هذه الحياة لو فقدت فهي عارية مؤدّاة ؛ "لأن الإنسان وكلّ ما ملك يده ، ليس سوى عارية سيسترجعها الله في يوم قريب أو بعيد" (١) .

وقد قال أبو نواس (٢) في القرن الثاني من الهجرة :  
 أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكًا وَابْنَ هَالِكٍ      وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ  
 فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَّاعِنٌ      إِلَى مَنْزِلِ نَاءِ الْمَحَلِّ سَاحِقٌ  
 إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ      لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ (٣)

ومن لم يجرب خوض الحياة بهذه الخلفية التفاؤلية في النظر المتسع الذي يمتد إلى مابعد ساعة الفراق لمعالم الحياة ؛ فإنه سيحيا متصارعا مع أحداثها بل يقيس كل أحداثها على أنها صراع من الصراعات المتتابعة التي لاتنقضي فيرى - في تحبّط - أن "الانسجام الأصيل بين الإنسان والطبيعة اختل ، وأعلن الله الحرب بين الرجل والمرأة وبين الإنسان والطبيعة" (٤) .

ولعل الاطلاع على نتاج شعراء المهجر يُنبئ عن الشائبة في النظرة إلى الحياة متناقضة متصارعة "ولعل استغراق هؤلاء الرواد في قراءة الاتجاهات والمذاهب

(١) مجلة حضارة الإسلام ، س (٩) ، ع (٩) (ص ٢٧) .

(٢) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي ، وكنيته الأولى (أبو علي) ، كناه (خلف الأحمر) أبا نواس ، ولد بالأهواز وانتقل إلى البصرة ثم بغداد ، وتوفي فيها ، وكان أبوه من جند مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية ، اتصل بالرشيد ومدحه ، وسجنه عامل مصر مدة وأطلق ، ثم مات بعد فترة وجيزة ببغداد سنة ١٩٩ هـ ، وكانت ولادته عام ١٤٥ هـ ، له - عفا الله عنه - بحون دُسر عليه كثير منها ، كان عالما باللغة فصيحاً في لهجته ، وله مدح قليل ، وكان ينقح قصائده .

انظر : تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات (ص ٢٧٢-٢٧٤) باختصار .

(٣) ديوان أبي نواس ، تحقيق وضبط وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي (ص ٦٢١) .

(٤) قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل (ص ٣١٥) .

ومن عجب أن ينقل الدكتور عز الدين كثيراً من المقولات التي تبحث أبعاد الدين ومسلّمات الاعتقاد المنضبط دون تعليق أو إشارة - الباحث - .

الفلسفية والروح القديمة والحديثة ، وتأثرهم العميق بزعماء المدرسة الرومانسية ... قد وضع تفكيرهم بشكل مباشر أمام قضية كبيرة من قضايا الحياة ، وهي قضية التناقضات التي يزدحم بها وجود الإنسان ، وترزح تحتها حياته ، فتعرضه لكثير من التمزق والحيرة"<sup>(١)</sup> .

ومما خطه (نعيمه) في خبر هذه الحياة بنظرة فيها سوداوية قوله : "إن الحياة التي نعرفها تبتدئ بعويل الولادة وتنتهي بمشركة الموت ، فهي قاسية . والحياة التي نعرفها تجرّعنا الحلاوة يمينها والمرارة يسارها ، فهي شحيحة . والحياة التي نعرفها فيها الكسح وفيها المنيح . ومجنحها أبدا يسبق كسيحها ، فهي عرجاء . وفيها القوي والضعيف وقويها يبطش أبدا بضعيفها فهي ظالمة"<sup>(٢)</sup> . وفيها الجمال والبشاعة والخير والشر ، فهي ناقصة"<sup>(٣)</sup> .

ومن نظر نظرة متوازنة وجد أن هذه الحياة التي استخلفنا فيها المولى ، حقيقة بالعمل والبناء ، وأن تكون حركة دؤوبا صوب النفع لأن الحركة طبيعة من طبائعها فالأرض دوارة ، والسحب متحركة تجود بالمطر ، والبراكين تقذف بالحلم ، والزلازل تهز الأرض ، والبذرة اللطيفة تنمو وتثبت بعد حين ، والإنسان متحرك بطبعه ، حتى وهو في ساعات الكرى"<sup>(٤)</sup> .

وهذا هو مارآه عماد الدين من "التقابل المؤثر الذي يجب أن يكون في حالة اشتعال وخفقان دائم بين الإنسان وبين الكون وكذلك التأمل في المصير ومحاولة وضع الحياة الدنيا في محلّها الحقيقي والاعتقاد بأنها رحلة منصرمة لاديمومة فيها"<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ، د. عبد الحكيم بلع (ص ٢٠٤ - ٢٠٥) .
- (٢) لا يجوز أن ينسب الظلم للزمن ؛ لأن هذا منهى عنه في الشرع المطهر "لاتسبوا الدهر" - الباحث - .
- (٣) فلسفة ميخائيل نعيمة ، د. محمد شفيق شيا (ص ٩٣) .
- (٤) الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص ١٥) بتصرف .
- (٥) لقاء الأردن (ص ٣٢) .

وحين يذكر هذه الحقيقة الأخيرة ويؤسسها يسجل ذلك بشعر قديم له  
فيقول في عينية كتبها سنة سبع وثمانين <sup>(١)</sup> :

أَرُنُّوْا إِلَى الدُّنْيَا وَأَمْتِنْعُ      لَمْ يَنْقُ لِلْأَمَالِ مُتَسَعُ  
بِالْأَمْسِ أَشْوَاقِي تُدَمِّرُنِي      وَالْيَوْمَ لَأَشَوْقُ وَلَا طَمَعُ

كُلُّ الَّتِي تَرْجُوْنَ ضَائِعَةٌ      كُلُّ الَّذِي تُعْطَوْنَ مُرْتَجِعُ  
وَعَلَى مَدَى الطَّرْفَاتِ ضَارِعَةٌ      حِينًا وَحِينًا خَائِفٌ فَزَعُ  
لَمْ يَنْقُ فِي الدُّنْيَا مَوْمَلَةٌ      إِلَّا وَفِي خَفَقَانِهَا الْوَجَعُ

وإذا تعامل المرء مع الحياة هذا التعامل كان له فيها الراحة والطمأنينة وبقي له  
فيها الذكر الحسن ، وهو مطلب نفيس يتوخاه طلاب الهداية كما قال أحد الأدباء  
عن ساعة النهاية المحتومة :

"وربما كتبت يومئذ في رثائي فصول ومقالات ، وربما أثنوا علي بما لست له  
بأهل ، أو هجوني بما لأستحق ، أو أعرضوا عني فأهملوني حتى نسوني .. ماالذي  
ينالني من ذلك كله؟ ماذا ينفع الميت من الثناء ، وماذا يضره من الهجاء ، وماذا يؤثر  
فيه الإهمال والنسيان؟ إن دعوة صالحة ، من قلب حاضر ، من أخ مؤمن ، بظهر  
الغيب ، خير للميت من ديوان كامل من عبقرى الشعر في رثائه ، ومن مئة خطبة  
في تأبينه ، وعشرة كتب في دراسة أدبه" <sup>(٢)</sup> .

وصدق الشاعر إذ قال <sup>(٣)</sup> :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ وَتَغْدِي      مَعَ اللَّهِ لَا ظُلْمًا تَخَافُ وَلَا هَضْمًا  
وَتَشْرَبَ كَأْسَ الْأُنْسِ فِي ظِلِّ وَصْلِهِ      فَتُصْبِحَ لَا تَضْحَى هُنَاكَ وَلَا تَظْمًا

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) ذكريات ، علي الطنطاوي (٢/٢٥٦) .

(٣) هو الفقيه الشاعر عبد الله بن علي آل عبد القادر (١٢٧٠-١٣٤٤هـ) .

انظر : الفقيه الشاعر عبد الله آل عبد القادر ، عبد الله الشباط (ص ٦٢) .

وَمِنْ تَجَرَّعِ غَصَّةِ النِّهَايَةِ هَانَ عَلَيْهِ بَعْدَهَا مَا وَجَدَهُ مِنْ مَرَارَةِ الْحَيَاةِ كَمَا قَالَ  
الأول :

إِذَا مَا وَرَدْنَا لِلْمَنَايَا شَرِيْعَةً فَهَانَ عَلَيْنَا مَا شَرَبْنَا مِنَ الْأَجْنِ<sup>(١)</sup>

ولكنه التسليم من المسلم ، الذي يستيقن أن الحياة لا تؤول إلى عدم بالموت ،  
و"إن أي مسلم لا يستطيع بفطرته وبداهته وبقينه وإيمانه ، أن يتصور موقفاً عدنياً  
كهذا ، إنه بمجرد تصوّره يحسّ بالاختناق ، ويستنفر كل طاقاته النفسية للخلاص  
من المأزق واستنشاق الهواء الصافي النقي .. إنه لا يفرّق أبداً بين كابوس لا يرحم  
يدهمه في المنام وبين إحساس عدمي قائم يمر بخاطره في المقبرة"<sup>(٢)</sup> .

وهذا اليقين بالبقاء والحياة الأبدية بعد الحياة الدنيوية يغرس خشية الله في  
قلب المرء - ولا شك - ، و"مأروعه من إحساس يملأ وجدان الإنسان وعقله وقلبه  
باقتناع ليس إلى تعريفه من سبيل ، ويدفعه إلى نفور جارف ورفض حاسم لكل  
أولئك الذين رأوا في حياتهم الدنيا فرصتهم الأولى والأخيرة ، وفي سنيهم الخمسين  
أو السبعين عمرهم الوحيد .. أيكون الإنسان ، بعد هذه الرحلة القصيرة ، لقمة  
سائغة للعدم؟ إنه تصوّر تضيق معه نفس المؤمن الذي يرفض خرافة العدم هذه ،  
حتى ليكاد يخنق وهو يعانيتها من بعيد ..."<sup>(٣)</sup> .

هكذا كان وصف عماد الدين في تعامله مع هذه الحياة ، بهذا البعد وهذه  
الطبيعة الهادئة الفاعلة .

ولا يسعى المرء فيها إلا إلى هذا الهدوء الذي يقوده إلى الرضا بالحال ،  
والحرص على الذكر الحسن ، وقد أعجبنى سعي كثير من الناس إلى أهمية الذكر  
الحسن الباقي للمرء في حياته ، وتصويره كنزاً مفقوداً لدى كثيرين غيرهم ، كما  
قال الأستاذ القدير علي الطنطاوي عن الشهرة السراب :

(١) ديوان "لزوم ماليلزم" ، أبو العلاء المعري ، حرره وشرحه د. كمال اليازجي (٢/٤٢٩) .

(٢) مجلة (حضارة الإسلام) س(١٥) ، ع(٧) (ص٣٢) مقال "جربوا بأنفسكم" ، د. عماد الدين خليل .

(٣) مجلة (الأمة) ع(١٨) ، ١٤٠٢ هـ (ص٩) ، مقال "دعوة إلى مدّ الحياة" ، د. عماد الدين خليل .

"إن الشهرة يطمح إليها الشبان ، بل ربما سُرَّ بها كل إنسان ، ولقد سعيت إليها من قديم ، كما سعى لِدَاتِي وإخواني ، وكما يسعى الناشئون جميعا ، ولكنني لما رأيتها زهدت فيها ، إنني لأجد مثلاً لها إلا السراب ، أنتم لاتعرفون هنا السراب ولكنني عرفته لما رحلت رحلتي في الصحراء من دمشق إلى مكة المكرمة . يبدو من بعيد كأنه بركة ماء ، كأنه بركة حقيقية ، فإذا جاء الإنسان لم يجد إلا التراب ، لا يكون ماءً إلا من بعيد . وكذلك الشهرة تحسبها من بعيد شيئاً ممتعاً ، فإذا وصلت إليها لم تلق فيها متعة"<sup>(١)</sup> .

(١) ذكريات ، علي الطنطاوي (١٠٤/٦-١٠٥) .



## المعلم السابع : الموازنة :

مما يظهر في شخصية عماد الدين كرهه العبث والتخليط وعدم التوازن .. ذلك العبث "الذي يصدم الإنسان المعاصر بوجوده كل يوم .. ويضغط على أعصابنا بثقله الذي لا يحتمل ، ويحطم وحدتنا النفسية بما ينفخ في أعماقنا من سأم وتهافت وشعور حادّ باللاجدوى . العبث الذي يصدر عنا .. يتفجر من قرارة نفوسنا ، يأكلنا من الداخل .. يغرز سكينه المملوطة بالدم تارة في القلب وتارة في الأمعاء وأخرى في تلافيف الدماغ .. فيهدم الإنسان ويهدّد أعصابه"<sup>(١)</sup> .

لذا يرى الموازنة مخرجاً من هذا كله .. الموازنة بين الإنسان والكون والحياة .. بل بين الإنسان وما يدور داخله ، ثم ما بينه وبين المجتمع .

ويرى أن "أروع جانب في بنيان الإسلام وحبكته الإلهية المعجزة هو هذا التوازن الفذّ بين الفردية والجماعية ، هذا التناغم الذي يشدّ المؤمنين في وحدة حيوية تصل حدّ الروعة والجلال ... إن هذه الهندسة الباهرة التي يتناظر فيها ماهو عمودي وماهو أفقي ، بإتقان محكم ، وتتوازن خلالها نزعة (الذات) بكل فرديتها واستقلالها وتميزها مع نزعات (المجموع) بكل تشابكه وتداخله وتوحيده ، هو إحدى الملامح الأساسية التي تميّز الإسلام عن سائر المذاهب والأفكار"<sup>(٢)</sup> .

والإسلام بثوابته ونظراته ، وتوحيده وتوازنه ، قادر على الإحاطة بكل نازلة والحديث عن كلّ ما يداخل حياة الأفراد والأمم .

ولعلّ متابعة لمؤلفات عماد الدين تنقلنا إلى تلمس هذه الموازنة في التأليف وأن تسجيله وتدوينه يجيئ حلقات متصلة ، تتلو الحلقة أختها ؛ سائرة بها نحو البنضج والتثبیت .

هاهو ذا يقول عن كتابه (الرؤية الإسلامية) : "فإذا كان كتاب (آفاق قرآنية) قد رصد تجارب ومواقف ووجهات نظر عبر أواخر الستينات وبداية

(١) مجلة (حضارة الإسلام) س(١١) ، ع(١) (ص٢٦) مقال "العبث" ، د. عماد الدين خليل .  
(٢) المرجع نفسه س(١٥) ، ع(٧) (ص٣٥) مقال "التوازن المعجز" ، ونشير إلى كون الإسلام منفرداً - حال الموازنة - عن غيره ، ولا يقال إنه (فكرة) وإنما ذكر الكاتب ذلك مقارنة ومقايسة لاتشبهها وتمثيلاً ، فدائرة الدين غير دائرة الفكرة - الباحث - .

السبعينات ، وإذا كان كتاب (مؤشرات) قد واصل الطريق عبر السبعينات ؛ فإن هذا الكتاب الذي يجده القارئ بين يديه<sup>(١)</sup> يجيء مكملًا لصنويه فيرصد بعض ما يستحق المتابعة والتعقيب مما تجمع لدي في مطالع الثمانينات<sup>(٢)</sup> .

ونراه ينتقد أولئك الدارسين في حقول المعرفة حين لا يوازنون في قراءاتهم واستنباطاتهم بين المقروء - بعُجره وبُجره - وبين عرضه على الخلفيات المفترضة في ثوابت الاعتقاد وأسس التصور المنضبط ، ويضرب لهم مثلا بدارسي التاريخ الذين "قرأوا كثيرا عن التاريخ الإسلامي بانحرافاته .. بمساوئه ، بتجاربه الزاخرة بالسراء والضراء .. بمساحاته التي تناوبت عليها الأضواء والظلال .. ببقعه السوداء والبيضاء .. ولكنهم لم يقرأوا شيئا ذا بال من الإسلام نفسه"<sup>(٣)</sup> .

ويعلو صوته في مجابهة المناهج الملفقة التي "تسعى بدافع من علمانياتها ، إلى ترجيح الدافع المادي وتقليص مساحة الدوافع الروحية في حركة التاريخ ، بل طمسها أحيانا ، وإنكارها أساسا"<sup>(٤)</sup> .

ومن الموازنة التي أردناها في صياغة هذا المعلم التوفيق بين متطلبات التخصص (الرأسي) لكل دارس وبين الثقافة بوجهها العام والأدبية منها خصوصا .. والربط بين عماد الدين (مؤرخا) و(ناقدا أدبيا) جسر ممدود ؛ حيث يرى في الفن حاجة ملحة ، حيث القرن العشرون ، والواحد والعشرون ، بصوت "ميكانيكاه" لا يترك المرء إلا محاصرا من كل جانب ، ويرى في التاريخ (الماضي والحاضر والمستقبل) فهو - في حقيقته - تاريخ معاصر<sup>(٥)</sup> ، يفتن في عرض أحداثه ، والربط بينها في نسق

(١) يعني كتاب (الرؤية الإسلامية) كما سبق .

(٢) الرؤية الإسلامية (ص ٨) .

(٣) مجلة (حضارة الإسلام) س (٢٠) ، ع (٣) (ص ٢١) مقال "القمر من الجانب المظلم" ، د. عماد الدين خليل .

(٤) المرجع نفسه س (١٦) ، ع (٩-١٠) (ص ٢٢) مقال "اقتراحات في التدريس والمنهج التاريخي" د. عماد الدين خليل .

(٥) انظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٣-٩٤) .

واحد منتظم عجيب<sup>(١)</sup> ، ولاغرو إذ يرى فيه "حقلا خصبا للكثير من الدراسات والأبحاث"<sup>(٢)</sup> . ولذا يوظف أحداثه ومواقفه وفق بياننا السابق عن ذلك في كثير من نتاجه المتنوع ، وقد وظف لهذا روايته (الإعصار والمئذنة) وروايته القادمة كذلك<sup>(٣)</sup> "لأن الروائي ، هو بشكل من الأشكال ، فيلسوف تاريخ .. مفسر ، يحاول أن يضع يديه من وراء الوقائع والجزئيات المتشككة في مدى الفضاء الروائي ، على السنن والنواميس التي تحرك الأحداث"<sup>(٤)</sup> .

أما صنعة (الأدب) فيراها قدراً لا مفر منه ولا محيد عنه ، إذ يقول : "أن تصوير أدبيا ليس خيارك .. ولكنه قدرٌك .. مرغم أنت على أن تكون أدبيا ، وإلا أكلك الهم وغدوت حطاما ..

بالكلمة يقوم أولئك الذين منحهم الله (وصفة) خاصة لأستطيع التعبير عنها .. مزيدا من الدهشة والحزن والفرح والعشق والبهجة والتوق لاكتشاف المجاهيل .. والرغبة القاهرة في تحويل هذا كله .. إخراج هذا كله من تحت الضلوع ، وتشكيل لوحة أو نشيد أو قصيدة أو سيال من النثر مترع بالعفوية والنداوة والصدق ... إن شبكة معقدة من التأثيرات .. منظومة من العناصر الفاعلة ترغم الإنسان على أن يكون أدبيا .. فلا تسأل أحدا مرة أخرى كيف كان هذا الذي كانه .. فهي المملكة التي لا يسأل الداخلون إليها لماذا دخلوا؟"<sup>(٥)</sup> .

ويعلن لمحاورة السابق قائلا : "قد تدهش إذا قلت لك إن<sup>(٦)</sup> تخصصي في التاريخ كان رغبة مني في ألا أمس بالأذى مملكتي هذه - يريد الأدب - وأن أكون حراً في اجتياز دروبها وتناول ثمارها المدلاة"<sup>(٧)</sup> .

(١) انظر - مثلا - الفصل الرائع "مقارنات" من كتابه "دراسات تاريخية" (ص ٣٧-٤٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٣) .

(٣) السيف والكلمة .

(٤) ريبورتاج (ص ٧٢) .

(٥) المرجع نفسه (ص ١٢٩) يخاطب بهذا الأستاذ الشاعر حكمت صالح مندوبا عن جريدة (الدفاع الثقافي) المغربية .

(٦) في أصل المخطوط (أن) ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٧) نفسه .

والحديث عن التخصص واتساقه مع النتاج الآخر يظهر لنا الحاجة إلى بلورة هذا التوازن وتحقيقه ، حيث كان العقاد يرى أن "التخصص قد جار على الشخصية الإنسانية" فلم يترك في كل امرئ إلا جزءا من إنسان مستغرقا في جزء من المعرفة وجزء من العناية بالعالم الواسع الذي يعيش فيه" (١) .

وما من شك في أن الأمة في حاجة إلى موسوعيين يعيدون أمجاد أسلافنا ويحيون ذكركم ، وهي - كذلك - في حاجة إلى من يدعون في تخصصهم وهذا لا يمنع من تمتعهم بالثقافة الرأسيّة والأفقيّة على السواء .. كما نحن في حاجة إلى "أولئك الذين يتخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع وأديرة!.. ويهبون حياتهم للفرع الذي تخصصوا فيه ، ليشعور التضحية فحسب ، بل بشعور اللذة كذلك" (٢) .

ولا يعني السعي إلى الموسوعية - وهي درجات ومنازل - أن يدّعي المعرفة أحد دون تبين أو تثبت ؛ لأن هذا من خداع النفس قبل خداع الآخرين . وقد قال المصطفى ﷺ : "من تطب ولا يعلم منه طب ، فهو ضامن" (٣) ، وأرباب الحديث بغير علم " ... حسبوا أن الاجتهاد حقٌّ مشاع للجميع ولم يعلموا أن للمجتهد شروطا ومواصفات وضوابط ، أصعب بكثير من المؤهلات التي لا بد من توافرها للمختصين في علوم الطب والهندسة والقانون والجيولوجيا وغيرها" (٤) . ولذا يسهم توثيق التخصص في الإفادة من الشخصيات الموسوعية التي تشارك في ميادين ثرة ، وحلقات عديدة ، خاصة إذا علمنا مطالب المسيرة للوضع الحاضر

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، العقاد (١٤/٢١) .

(٢) أفراح الروح ، سيد قطب (ص ١٦-١٧) .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وله شاهد وإسناده حسن بمجموع الطريقتين .

انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - (٢٢٨-٢٢٩) حديث رقم (٦٣٥) .

(٤) الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص ١٠٨) .

والبيئة ذات الضجيج والبريق الظاهر "فلدينا الشاعر المؤرّخ ، والفيلسوف العالم ، ولدينا أيضا المؤرّخ الشاعر ، والفيلسوف الأديب" (١) .

والتاريخ من حقول المعرفة ذات الصلة بالحياة والفن بصورة ظاهرة ، وله جانبان غير خافيين ، أحدهما علمي — يخدم جانب التخصص بتركيز — والآخر فني (٢) .

ولانستطيع أن نتناسى الفارق الدقيق بين الشاعر (أديبا) وبين المؤرّخ فالشاعر يحيا الحال مستبطنًا ما وراء الحوادث والوقائع ، بينما يتجه المؤرّخ إلى الأسباب والعلل والتفاصيل ، "فالمؤرّخ يعيش بإدراكه الواعي ويكتب بعقله المنهجي ، أما الشاعر فيعيش بمعاناته النفسية والروحية" (٣) .

غير أننا — كذلك — لانقدر على إلغاء هذه الخطوط الوثيقة بين التاريخ والأدب ، كما هو ظاهر ومثبت لدى عديد من الباحثين (٤) .

وقد توازن عماد الدين في عرضه بين تتبّع الحدث وصنعة لبوس أدبي فني له .. ولعلّ مسرحياته وروايته (الإعصار والمثدنة) خير شاهد على ذلك ، كما كان هذا في جملة من كتبه .. واستجلاء ذلك عبر (ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز) (٥) و(دراسة في السيرة) ظاهرٌ لكلّ قارئ يعيش تلك اللحظات النورانية مع السير العطرة في ألقها ودفقها الروحاني ، ويشاهد الحوادث والوقائع مسبوكة محبوكة ، قد زيّنت وزخرفت فكانت جميلة قشبية .

(١) حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ ، د. عبد الله التطاوي (ص ٦٣) .

(٢) انظر : الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال (ص ٢٤٩) .

(٣) الشعر وطقوس الحضارة ، محيي الدين صبحي (ص ٧٣) ، وانظر - نحوها - (ص ١٠) .

(٤) انظر مثلا :

- الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص ١٢٨-١٣٢) .

- الشاعر مؤرّخا ، د. عبد الله التطاوي (ص ٥-٦) .

- ابن طباطبا الناقد ، د. محمد عبد الرحمن الربيع (ص ٤١-٤٢) .

- المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ ، وليد نويهض (ص ٢٦-٢٧) .

(٥) ذكر هذا في ريبورتاج (ص ٤٢) .

ويذكر الدكتور عماد الدين أن سبب هذه الموازنة والجمع تتمعه منذ الصبا باستخدام تحسّس الخبرات والتجارب والأشياء في الحياة فيقول عن نفسه مينا هذا الدفق والمطالعة والتعامل : " باختصار شديد ، لقد كنت أعيش الحياة (انطباعيا) .. فاللون .. الصوت .. النّامة<sup>(١)</sup> .. الحركة .. هذا الأمر الصغير أو ذاك .. يثير دائما في نفسي ردّا ، أو استجابة بشكل من الأشكال ... ولقد حاولت أن أستجيب للنداء بمحاولات مبكرة في عالم اللون .. الرسم .. فلما أخفقت تحوّلت إلى الكلمة وكانت الكلمة بالنسبة لي ، ولا تزال ، ليست وسيلة أو فرصة للتعبير فحسب ، وإنما لنقل إحساسي بلون العالم : الأحمر أو الأخضر أو الرمادي ، للآخرين ، وبسبب من الإرهاف الملحّ الذي شكّل معظم الأدباء والفنانين ، تحوّلت الكلمة عندي إلى ريشة ترسم ، وتلوّن ، وتشكّل القيم والخبرات .. لا مجرد أداة أو آلية للتوصيل<sup>(٢)</sup> .

ويذكر ارتشافه وقراءته الشديدة للأدب روايات وأشعارا منذ أيام الدراسة الثانوية ، وكيف أنه كان يجتاز المسافات الطويلة تحت أشعة الشمس ، في ربيع الموصل الحار ، فيزداد بذلك احتراقا وتلك الأشعار تسكنه ، حتى قال عن نفسه : "فما كنت أزداد إلا توترا واحتراقا .. ولقد أثر هذا على صحي وقادني إلى حافات المرض والإعياء"<sup>(٣)</sup> .

ولما واصل دراساته العليا رأى أن تسجيل أحداث التاريخ في أطروحته يجب أن يكون بلغة شعرية ؛ ولكنه خشي من تعجّب الآخرين وحديثهم .. ولكنه وجد بعد ذلك بسنوات "أن التاريخ في أعماق طبقة منه هو بالضرورة تشكيل شعري .. فعلّ درامي بعبارة أخرى .. وأنه قد يلتقي مع الرؤية الإبداعية ، وقد يعبر عن نفسه بلغة تعرف كيف تجمع بين رصانة النصّ وشاعرية التعامل مع الحقائق والخبرات"<sup>(٤)</sup> .

(١) هي النغمة والصوت . انظر : القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروزآبادي (١٥٢٨/٢) ، مادة (نأم) .

(٢) ريبورتاج (ص ٤١) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٤٢) .

(٤) نفسه .

ويعلق بعد ذلك على هذه المسألة فيقول مبيناً هذه الصلة بين الحقلين : "إن المؤرّخ يتحتم أن يكون أدبياً ، وإلا فإنه لن يتجاوز ظاهر النصّ إلى عمقه المطلوب ، ولا يبعد عن حافات الخبرة التاريخية باتجاه الوجدان البشري الذي شكّلها .. أما الأديب فإنه مؤرّخ بالضرورة ، فليس ثمة أدب يتحرك في الفراغ .. لا بد له من زمن ومكان يستمد منهما ويتكئ عليهما ويتعامل معهما ، ويشكلّ منهما فضاءه .. وهذا في نهاية الأمر هو التاريخ" (١) .

ويحسن هنا أن يُذكر أن الأدب وإن اشترك مع التاريخ في بعض جوانبه فلا بد أن يأخذ خصائصه دون نسيان لها ، وفي هذا يقول أحد الباحثين : "إننا نعرف أن الأثر الأدبي مهما يكن ارتكازه على التاريخ ينبغي أن يظلّ متوافراً على قواعد الفن وينبغي ألا ينسى الفنان أنه فنان وليس مؤرّخاً ، وإلا ضاع الفن" (٢) .

وتبقى الأمثلة عديدة لهذا التزاوج الظاهر ، والاتفاق والصلة بين هذين الحقلين المتقاربين من جملة من الوجوه والجسور ، عبر مسيرتهما في القديم والحديث (٣) .

- 
- (١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .  
 (٢) المتنبّي في دراسات المستشرقين الفرنسيين ، د. حسن الأمrani (ص ٣١١) .  
 (٣) من أمثلة ذلك ماورد فيما يأتي :  
 - أبو الفرج الأصبهاني ، شفيق جيري (ص ٤٨، ٦٣، ٨٣) .  
 - المسرح ، د. محمد مندور (ص ٧٢-٧٩) .  
 - علي أدهم بين الأدب والتاريخ ، أحمد حسين الطماوي (ص ٣١-٩٠) .  
 - البطل المعاصر في الرواية المصرية ، د. أحمد إبراهيم الهواري (ص ٢٩-١٣٥) .  
 - مجلة (آداب الرافدين) صادرة عن وزارة التعليم العالي ، جامعة الموصل بالعراق ، ع (٢١) نيسان ١٩٩٠ م (ص ١٥-٣٦) مبحث "أبو مروان بن حيان أدبياً وكاتباً" ، د. حازم عبد الله خضر .  
 - المتنبّي في دراسات المستشرقين الفرنسيين ، د. حسن الأمrani (ص ٣١٢-٣٢٤) .  
 - محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، المجموعة الثانية (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥ م) ، محاضرة "الرواية التاريخية عند باكتير" ، د. أحمد عبد الله السومحي (ص ٤٠٧-٤٣٦) .  
 - النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة ، د. محمد غنيمي هلال (ص ٨٤-٨٨) .  
 - الأدب اليوناني ، فرنان روبير ، ترجمة هنري زغيب (ص ٧٧-١٠٢) .  
 - ديوان المبشرات والقدسيات ، عبد المنعم الجلياني ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الجليل حسن عبد المهدي (ص ٨٤-٨٥) .

## عماد الدين .. في مرآة الآخرين :

هكذا .. عماد الدين .. (مؤثرات ومعالم) .. وهي - بحق - رحلة مع شخصية فريدة ، تستحق الإشادة والإبراز ؛ بما جمعته من شريف الخصال وكريم السجيا .. ويكفي أنه (عملاق) من عمالقة الأدب والفكر ، كما دعاه هكذا رئيس نادي المدينة الأدبي في تقديم محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر"<sup>(١)</sup> حيث قال : "أيها الإخوة الأحبة ، لقاءنا اليوم .. مع عملاق من عمالقة الأدب والفكر .. وكدت أقول النقد .. ولكن النقد في الواقع هو نتيجة طبيعية<sup>(٢)</sup> لتزاوج الأدب والفكر .. لقاء كنا نتطلع إليه منذ زمن بعيد"<sup>(٣)</sup> .

وهذا - لعمرى - ما كان إلا لتمسكه بالرؤية الإسلامية المنضبطة ، وأنه "ينظر إلى الأحداث نظرة الطبيب الفاحص يشخص الداء ويصف الدواء من صيدلية الإسلام"<sup>(٤)</sup> .

ويرى المشرف على سلسلة (كتابة جديدة لتاريخنا)<sup>(٥)</sup> أنه "من الفأل الحسن أن نبداً صدور هذه السلسلة مع بداية العام الهجري (١٣٩٨هـ) بتلك الرسالة المعروفة (خطوات في الهجرة والحركة) للمؤرخ المسلم المعروف الدكتور عماد الدين خليل .. التي توصل هي وغيرها - في نهاية المطاف - قواعد "المنهج الإسلامي" الرصين في النظر إلى تاريخنا وحضارتنا"<sup>(٦)</sup> .

(١) أقيمت بتاريخ ٢٣/٨/١٤١٠هـ . انظر : دراسات في الأدب الإسلامي ، صادر عن النادي ،

رقم الكتاب (٩٣) (ص ٢٥) .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل صوابها بحذف الياء عند النسبة - الباحث - .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٧) .

(٤) من مقدمة الأستاذ محمد سعيد مبيض لكتاب الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل "الرؤية الإسلامية" (ص ٥-٦) .

(٥) هو الدكتور عبد الحليم عويس من دار الاعتصام بالقاهرة .

(٦) خطوات في الهجرة والحركة (ص ١٢) .



وبيث المديح كذلك جملة ، منهم الأستاذ عمر عبيد حسنة في مقدمة كتاب (حول تشكيل العقل المسلم) للدكتور عماد الدين حيث يرى أنه ممن تصطفيه دراساته قادرا على القيام بها ، وتصدق فيه هذه النظرة ، و"يمكن أن تصنف كتاباته جميعا ضمن إطار صياغة العقل المسلم ، حيث امتلك من الصفات والمزايا إلى جانب طبيعة التخصص العلمي ما يؤهله للعطاء في مثل هذا الموقع ، وكأن بين مزاياه الشخصية وتخصصه تواعدا والتقاء"<sup>(١)</sup> .

ويرى كذلك من ميزات الأستاذ "أنه يكتب في المنهج بشكل عام ، ويؤكد على ذلك في كل المناسبات ، ويبين دور المنهج الخطير في حركة الإنسان الفكرية والحضارية عموما"<sup>(٢)</sup> .

ومن خلال التعددية في الاهتمامات والنتاج المتواصل ، الساعي خلف الجدة والجدية يقول عنه : "وإن إلقاء نظرة على مؤلفاته أو مكتبته إن صح التعبير لتدل دلالة واضحة على الاهتمامات المتنوعة التي يعيشها ، وتؤكد مآزينا إليه من أنها جميعا تصدر عن معين واحد .. والحقيقة التي لا بد من تسجيلها أنه يتمتع بمعدة هاضمة قادرة على التمثيل الثقافي"<sup>(٣)</sup> .

ويرى الأستاذ عبد العزيز الداود<sup>(٤)</sup> ، أنه صاحب "اهتمامات موسوعية ، استطاع في حيز قليل من السنوات - وفي كثير من الجهد المكثف - أن يلفت النظر إلى هذه الاهتمامات بعدد أبحاثه<sup>(٥)</sup> ، ودراساته ، وأطروحاته ، التي صدرت جميعها في كتب"<sup>(٦)</sup> .

(١) حول تشكيل العقل المسلم (ص ٢٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٨-٢٩) .

(٤) صحفي سعودي معاصر ، يعمل في مجلة (الحرس الوطني) وله اهتمامات جيدة بالأدب خاصة

والحوارات الثقافية عموما ، وقد أجرى حوارا مع عماد الدين خليل في المجلة ذاتها عدد (محرم ١٤١١هـ/أغسطس ١٩٩٠م) (ص ١٠٢-١٠٧) في صفحات (المفكرة الثقافية) من المجلة .

(٥) وردت هكذا على الإضافة - الباحث - .

(٦) مجلة (الحرس الوطني) حوار الأستاذ عبد العزيز الداود مع الدكتور عماد الدين ، عدد محرم

١٤١١هـ (ص ١٠٢) .

ورأى بعد حديثه معه وحواره أن الإجابات جاءت "ساخنة ، ومتفجرة بالضوء والحيوية"<sup>(١)</sup> .

أما (قطب الريسوني) - وهو باحث وشاعر مغربي معاصر - فيثمن تجربة عماد الدين بأنها من التجارب الإسلامية الساعية نحو بلورة منهاج إسلامي في مجالي المقاربة والتحليل ، وأنه "مافتى يعالج المتون الإبداعية بمنظار نقدي متكامل يلحم بين الشكل والمضمون ، والوعي والصياغة"<sup>(٢)</sup> .

ويخلص (حيدر ققة) - الكاتب الإسلامي المعاصر - إلى أن لغة عماد الدين راقية متميزة ، مرهفة ذات حساسية خاصة ، تنطلق بالفرح والبهجة مع آثار الفرح ومسبباته ، كما تجيش بالألم مع الحزن ومثيراته ، وأنه حين يتناول رواية (الإعصار والمثدنة) للدكتور عماد الدين يرجو أن يكون قد وفق في إعطائها حقها من النقد الموضوعي المحايد الذي يليق برواية إسلامية رائعة مثلها<sup>(٣)</sup> .

ويشير الأديب الناقد (محمد إقبال عروي) - وهو أديب وناقد مغربي معاصر - إلى أن عمادا يلخص تجربته الممتدة من (الستينيات إلى الثمانينات) في مجالي الأدب والنقد الإسلامي ، ويراه (تلخيصا) دقيقا متقنا ؛ بل يراه قد احتزل عطاء الأدب الإسلامي منذ بدايات تأصيله ، ويقول في ذلك : "وفي كلمة واحدة ، فإذا كانت "رسالة الشافعي" تعدّ صياغة أساسية لعلم أصول الفقه ، فإن "مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي"<sup>(٤)</sup> يمثل "الرسالة" بالنسبة للأدب الإسلامي ، وبالتالي ، فإنه لن يصبح "مدخلا" كما يريد له صاحبه ، بل سيكون "مخرجا" من مرحلة ناضجة ومكتملة من الصعب أن نقصر عليها في مستقبل الأيام"<sup>(٥)</sup> .

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) مجلة (الأدب الإسلامي) ج(٤) ، ع(١٤) (ص٧٤) مقاله "النقد الإسلامي المعاصر" .

(٣) انظر فيما سبق : المرجع السابق ، س(٣) ، ع(١١) (ص٨٦، ٩٢) .

(٤) يرى الدكتور عماد الدين أن هذا الكتاب و(الفن والعقيدة) من الكتب التي يعتز بها ، ويرى في الأول خلاصة تجربته وخبرته في هذا المجال . انظر : لقاء الأردن (ص٥١-٥٢) .

(٥) مجلة الأدب الإسلامي س(٢) ، ع(٦) (ص٢٥) .

ويعده د. حلمي محمد القاعود<sup>(١)</sup> من الرجال الذين وقفوا أنفسهم ونذروها للدعوة إلى فكرة (أسلمة) الأدب العربي ، وتطهيره من مكدّرات التغريب والعمل على تفعيل دور النماذج ذات الرؤية المتوازنة المنضبطة ، ويرى أن دارسي الأدب الإسلامي يتكثون على دراساته النظرية التي توصّف الأدب الإسلامي ، في مجالاته وتعريفه وتطبيقاته ، وتربطه بماضيه ، مع تقديم نماذج تطبيقية في ذلك ، ويراه من كتاب القصة القصيرة والرواية بطابعها الإسلامي الجميل<sup>(٢)</sup> .

غير أن الدكتور القاعود - ولعله بدون قصد منه - ينسى الإشادة بنتاج عماد الدين المسرحي ، الذي لا يقارن به نتاجه الآخر في هذا الميدان! وهذه الريادة تنسحب على أعمال عماد الدين الأخرى - كذلك - كما يشيد بذلك كثيرون ، فيقول أحدهم : "ولاشك أنه يكتب للأستاذ عماد الدين الريادة في تناول موضوع مهمّ يربط التاريخ بعلم الاجتماع من منظور إسلامي ، في هذا العصر"<sup>(٣)</sup> .

وفي ختام المطاف ، لانود أن نطيل في ترجية المديح للأستاذ<sup>(٤)</sup> عماد الدين ونحن نعلم كرهه لذلك ، وحبّه الشديد لترك الإطراء والثناء .

وقد رأيناه يرتئي حذف مقدمات المتحاورين معه في كتابه المخطوط (ريورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية)<sup>(٥)</sup> ، ويرى ذلك موصلا إلى السلامة والمغنم .

(١) أديب وناقد مصري معاصر ، صدرت له عشرات من الدراسات والأبحاث ، يعمل حاليا أستاذا مشاركا بكلية المعلمين بالرياض ، معارا من جامعة طنطا .

انظر : مجلة الأدب الإسلامي ، س(٣) ، ع(٧) (ص ٣٣) .

(٢) انظر - باختصار - المرجع نفسه ج(١) ، ع(٢) (ص ٤٠-٤٣) مقالة "الأدب الإسلامي في اللغة العربية" ، وهي كلمة أُلقيت في ندوة الأدب الإسلامي في الآداب الشرقية (بنجلاديش ٢١-٢٣ كانون الثاني/يناير ١٩٩٤م) .

(٣) مجلة (عالم الكتب) ج(٩) ، ع(١) (ص ٨٢) مقال الأستاذ محمد خير رمضان يوسف ، وهو عرض لكتاب عماد الدين "التفسير الإسلامي للتاريخ" .

(٤) كما إن ذلك لا يعني - مطلقا - التسليم بما يورده ويراه ، فكلّ يؤخذ منه ويردّ ، إلا المصطفى عليه الصلاة والسلام - الباحث - .

(٥) انظر (ص ٣) من مخطوط الكتاب .

وهي الرغبة الأكيدة لإبراز مثل هذه الشخصيات الفكرية المتميزة في مجالات عديدة .. نقديا .. وأديبا .. وتاريخيا .. في مستويات التنظير والإبداع .  
 وإنها - بحق - مؤثرات ومعالم ، في حياة الأديب الناقد المؤرخ الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ، نسأل الله أن يمدّه بمدده ، ويحفظه بحفظه ، ويكتب له كل خير وعافية ، وأن يجعله جندياً من جنود الأمة الودود الولود ، التي تستنبت على الأرض من يحمل ألوية النور بين الناس ، وتخرج من رَحِم الزمان من يذلون كل غال ورخيص في سبيل ذلك ، وتجعل الواحد منهم يخاطب المتقاعسين المتخاذلين ، المنشغلين بذواتهم ونرجسياتهم ، المنجذبين نحو الطين ، بقوله :

|                                                   |                                              |
|---------------------------------------------------|----------------------------------------------|
| إِذَا أُمَّةٌ لَمْ تَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ      | سَتَسْجُدُ لِلطَّاغُوتِ حَتْمًا وَتَرْكَعُ   |
| أَرَى السُّوْطَ فِيكُمْ سَيِّدًا عَزَّ صَوْتُهُ   | بِهِ الْكُلُّ مُحْكُومٌ لَهُ الْكُلُّ طِيْعُ |
| إِذَا أَحْنَتِ النَّاسُ الْمَفَارِقَ وَأَنْحَنَتْ | فَغَيْرُ مَلُومٍ رَاكِبٌ يَتَرَبَّعُ         |

|                                            |                                                                    |
|--------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------|
| إِلَهِي رَضِينَا بِالَّذِي تَرْضَى لَنَا   | وَإِنَّ لَكَ الْعُتْبَى .. وَعَفْوُكَ أَوْسَعُ                     |
| إِلَهِي طَالَ اللَّيْلُ ظُلْمًا وَظُلْمَةً | فَهَلْ تَأْمُرُ الصُّبْحَ الْمُبِينَ فَيَطْلُعُ                    |
| فَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ صُنْعِكَ كَاشِفٌ | وَلَيْسَ لَنَا مِنْ دُونِ بَابِكَ مَرْجِعُ                         |
| وَأَنَا ضِعَافٌ يَا قَوِيٌّ وَإِنَّا       | صَبْرُنَا .. وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْقَوْسِ مَنْرَعٌ <sup>(١)</sup> |

(١) من قصيدة رائعة بعنوان "من وراء الأسوار" ، ديوان جراح وأفراح ، للدكتور حسان تحتوت (ص ٦٠-٦١) .

## الباب الثاني

### الرؤى النقدية بين النظرية والتطبيق

## الفصل الأول

### النظرية

## المبحث الأول الأدب الإسلامي<sup>(١)</sup> .. المصطلح والواقع

لعلنا نبتدئ الحديث بمقولة متجددة ، أرسلها - ولا زال يفعل - عماد الدين خليل وانطلقت منها رؤاه النقدية ، وفاخر بها في كتاباته وتأصيلاته ، حيث يقول : "هل أقدر من الإسلام على أن يهبنا زاد (النقد) الخصب الثرّ الواضح البين المستقيم ، في دنيا من المعطيات ، اضطربت فيها مسالك السائرين ، وضاعت معالم الطريق .. وجفت العيون المتفجرة ، وراحت لفحات من جهنم تلفح قاطعي الطريق من كل حذب وصوب؟! هل أقدر من رسالة السماء على أن تحدّد مواقع أقدامنا في الأرض وتمنحنا أضواءها الثرة الكاشفة ، فنعرف تحت مدّها الإلهي العجيب مواطن النور والظلام ، ومواقع الحق والباطل ، ومظانّ القبح والجمال؟! "<sup>(٢)</sup> .

ويلمح في (القرآن الكريم) كتاب هذه الأمة ضبطا لهذه الرؤى فيقول : "لقد فتح القرآن مدرسته الكبرى لتخريج الناقدين .. وكان آباؤنا وأجدادنا أبناء عصرهم وبيئتهم وحضارتهم .. لكنّ القرآن الكريم نفسه لم يكن ، ولن يكون ، وليد عصر أو بيئة أو حضارة .. إنه كلام الله الخالد ، ومدرسته الفذة التي لن تسدّ أبوابها - أبدا - على توالي العصور والأزمان"<sup>(٣)</sup> .

والإسلام حين يفرض هيمنته في قلب المرء ، فإنه يمسك بيده ليهديه ويرشده وهو يقف ممارسا الجهد النقدي "الذي ينصبّ على العمل الإبداعي ، ويفتت بنيته

(١) يذهب الدكتور محمد بن سعد بن حسين - ونرى مارآه - إلى أن وصف (إسلامي) يقصد به النتاج لا الأديب ذاته ؛ بعدا عن الإشكاليات ، وأن الكاتب قد يزل فيتهم في زلته لا بالوصف العام .

انظر كتابه "قضايا في الأدب الإسلامي" (ص ٣٥-٣٧) ، وانظر تأييد ذلك في : نحو مسرح إسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ٥٠) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٥) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٢) .

الداخلية ، وعلاقاته بين الشكل والمضمون . خلفياته الرؤيوية ، ومكانه من المذهب الذي ينتمي إليه" (١) .

وحين يغوص النقد في شرايين النصوص الأدبية وأوردتها ، وتضئ له الدروب فإنه لا يحمل الحقيقة المطلقة ، أو الحقَّ الواحد في إخراج العملية النقدية وإثباتها ، بل يتلبس بالظنون ، وتظهر فيه الجوانب العلمية القيمة التي يفيد منها القارئ والمطلع ، والمثقفون عموماً (٢) .

وهذا الذي يجعله منضبطاً حين يتناول درساً نقدياً يختلف فيه غيره ، وقد يتجنون عليه فيه ، حيث يعلو - وهو بينهم - بمنهجه "وبصلاية الأرضية التي يتحرك عليها في سائر أنشطته العملية والمعرفية ، وهو يتلو الآية الكريمة التي تكاد تتحدث عن هذه المأساة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾" (٣) ، أما هو فإنه ينعم بالهدي الرباني الذي جاءه من السماء : متكاملاً شاملاً متوازناً (٤) ويثبت أن سلفنا لهم نظرة جمالية مرتبطة بالثقافة والدين ، وعناصر هذه النظرية متاحة محتاجة إلى بحث وتأليف بين شواهدنا (٥) .

ونقف في مسألة (الأدب الإسلامي) مع الناقد الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل عند قضية المصطلح ، وتقويم الواقع ، ثم طرح بعض الرؤى والمقترحات للنهوض والثبات ، ثم نختم ببعض النماذج لذلك .

أما مسألة (المصطلح) ، فإنه يذهب إلى أن (الأدب الإسلامي) يحمل التصور الصحيح للفن الذي يلج بابَه الأديب المسلم ، ويتميز به ، ويصبح شعاراً له . ويضع تعريفاً يرتضيه للأدب الإسلامي ؛ إذ يرى أنه "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور

(١) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص ٣١) .

(٢) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦٣) بتصرف .

(٣) سورة النجم : آية ٢٣ .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص ١٦٤) ، وفي التوازن انظر جميل ماسطره الدكتور محمد

رأفت سعيد في كتابه "التوازن في التصور الإسلامي" (ص ٥٥-٥٥) .

(٥) انظر : نحو نظرية للأدب الإسلامي ، د. محمد أحمد حمدون (ص ٦٦) .



الإسلامي للوجود"<sup>(١)</sup> ، وأن التجربة الإسلامية المنبثقة عن التصور الإسلامي داخلية ضمنا في هذا التعريف ؛ ولذا يرى العناصر الأساسية المكونة لهذا المصطلح بارزة في ركنين ، في كليهما عناصر تفريعية .

فالركن الأول : التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة لا بغيرها ، متلبسا بالجماليات الخاصة المتميزة ، مع قدرة على التأثير البالغ ، وإحداث هزّات تأثيرية فنية في المتلقين .

أما الركن الثاني فهو تصوّر الإسلامي<sup>(٢)</sup> للوجود كلّهُ ؛ حيث يتمثل الأديب الحياة من حوله برؤيته الشاملة إزاء الكون والحياة والإنسان ، صادرا عن الإسلام بمفاهيمه المتجذّرة في نفس الأديب المسلم طولا وعرضا وعمقا<sup>(٣)</sup> .

ويؤكد أن تجاهل هذين الركنين ، أو أحدهما - بل فرعياتهما الداخلية - يوقع النتائج في موقف بعيد عن دائرة الأدب الإسلامي المرتأى ؛ فقد نجد تصوّرا سليما يعرض بصورة غير فنية ، لجانب من الجوانب التصورية أو السلوكية (التجربة الإسلامية)<sup>(٤)</sup> ، وهذا لا يعده أدبا إسلاميا يشار إليه كما قد نجد عملا ذا معطيات

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٦٩) ، وانظر : مجلة الدعوة ، ع(١٦٢٩) (ص ٣٩) د. محمد خفاجي .

(٢) يرى الدكتور عبد الصبور السيّد الغندور أن أدب صدر الإسلام بتصوره ، باكورة (الأدب الإسلامي) المراد اليوم ، وأنه أمثلة لتكيف الأديب المسلم في إبداعه مع التصور السليم .

انظر : نحو أدب إسلامي ، إصدار كلية الدعوة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٨ هـ (ص ٢٥) ، و(الأدب الإسلامي) منبثق عن أمة مسلمة ، وسّدها الله ريادة البشرية وقيادها .

انظر : في الأدب الإسلامي تجارب ومواقف ، د. محمد عادل الهاشمي (ص ٩) .  
وممن مثل للأدب الإسلامي في التراث القديم الدكتور أحمد محمد قنّور . انظر : المختار من الأدب الإسلامي (ص ٥) .

(٣) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ٦٩) .

(٤) يفرق الدكتور علي صبح بين (التجربة) في المفهوم الإسلامي وفي غيره بثلاثة فروق جيدة .

انظر : الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، د. علي صبح وآخرون (ص ١٢-١٤) .  
وانظر رسالة الأديب المسلم في صدق تجربته : النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء ، د. عدنان النحوي (ص ٥٣-٧٠) ، وتجربتي الذاتية في القصة الإسلامية ، د. نجيب الكيلاني (ص ٧) .

جمالية قديرة بريشة وغيرها ، مما قد يعدُّ - في صورته تلك - فناً إسلامياً لا أدبا إسلامياً ؛ حيث اشتراط الكلمة ونحن واجدون كذلك قدرة جمالية ظاهرة ، تنطلق من مظانَّ إسلامية لكنها لا تلبس لبوس التأثير والتوصيل ، بل هو زخرف من القول . فلا بد - والأمر كذلك - من تحقق الركنين - مع توافر العناصر التفرعية الأخرى ، فلا بد - كذلك - من قدرة مبدعة ونقاء في التصوُّر الإسلامي الأصيل<sup>(١)</sup> . والصوت الإسلامي ذو قدرة على الوصول إلى طبقات المجتمع وتثبيت رؤاه من خلال صدق طرحه ، وجمال لبوسه ، إنَّ هو أخذ بهذين الركنين المهمين . وهذا هو الوضع الطبيعي الذي يراه كلُّ منصف .. أما من يستبطنون عداء هذا الدين ابتداءً ، فإنهم لا يطيقون طيِّ دفين حقدهم وشرِّقهم بتصوراته المتميزة ، ويرونها جسوراً إلى الفراغ ، وقيوداً أمام أبواب الحرية المشرعة ينطلقون من كراهية كلِّ ما عمس الدين وأهله .. ولو خرج نتاجهم بديباجة يعجب بها بنو قومي ؛ فإن انحراف تصوُّراتهم<sup>(٢)</sup> يلغي اعتبارها أدبا منضبطاً بميزان الإسلاميه ، ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> . ويسير على هذا كثيرون ممن يسمُّون أنفسهم "التقدميين" وهم يبدون إعجابهم برجال وقفوا مع الاستعمار ضد الحرية ، ومع العدوِّ ضد الأخ ، ومع

(١) انظر : المرجع السابق (ص ٦٩-٧٠) .

(٢) عند من يرى نتاج غير المسلمين داخلاً في دائرة الاعتبار حين يوافق التصور الإسلامي فإنه لا يعدّ - في الميزان الصحيح - غيره من الأدب المسفّ ، إلا انحرافاً شديداً حين لا يحمل خصائص الموضوعية المتوخاة ، على نحو ما صنع (فولتير) في مسرحية "محمد" حين صوّر قلمه رسول الهدى ﷺ راعياً للإبل ، صاحب ثورة ، (يزعم!) أنه كلّم جبريل ، وأمره بقتل الرجال وخطف النساء ، وأنه يفعل ذلك متجنّياً على الله ، تعالى الله عما يقول فولتير علواً كبيراً ، وصلى الله على من من الله علينا برسائله وأمانته .

بقي أن نعلم أنه قدّمها هدية إلى (البابا) حيث ركع أمامه مقبلاً قدميه الكريمتين ولم يحرك هذا (جاك جان روسو) - وهو ينتقد أعمال فولتير وإبداعاته!! - إلى أن يبرز هذه المغالطات ، والطيور على أشكالها تقع .

انظر للاستزادة : حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ٦٣-٦٩) ، مقال "العقدة السوداء" .

(٣) سورة الملك : آية ٢٢ .

الغزو الفكري ضد الأصالة ، وتراهم مترددين في توجيه لوم هادئ للمواقف السلبية الخاطئة التي ارتضاها أربابهم وسادتهم<sup>(١)</sup> .

ويشير عماد الدين إلى أنه "قد يكسب المفكر الجولة ، وقد يلتفّ حوله المريدون والأتباع ، وقد يوخي لفترة طويلة من الزمن أنه وضع يديه على مفاتيح الحقيقة ، وأنه سير غورها العميق ، ولكن الخاسر في هذه اللعبة ... هو الحقيقة ، والإنسان الذي يتوخى معرفتها وإدراكها في نهاية الأمر"<sup>(٢)</sup> .

وهؤلاء حين يرتضون هذه الغشاوة على قلوبهم وأعينهم ؛ فإنهم يسرون بلا هدى :

"مَشَوْا يَعْبرُونَ الظَّلَالُ"

بلا فكرةٍ أو حنينٍ ..

بلا خفقةٍ من فؤادٍ

ولانفتحةٍ من جوى العاشقين

سوى خفقةٍ الموت عند الرُّقادِ

وإماعةٍ الذابليْنِ ..."<sup>(٣)</sup>

ويردّ على هؤلاء الذين لا يرون مشاركة الإسلام في الأدب ، وفرض هيمنته عليه وفقا لمسلّمة كونه مسلّكا يسلكه الأديب (المسلم) الذي يجب أن يصطبغ توجّهه وحركته وفق منهج الإسلام في كلّ مجال .. بما نعلمه عن "توازن الإسلام ووسطيته ، قيمه الأخلاقية ، ثم رؤيته الشمولية وقدرته على منح المغزى لمسيرة الحياة البشرية في هذا العالم"<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر مثالا على هذا كلّ في : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٠-٢١) .

(٢) حوار في المعمار الكوني (ص ١٠٤) .

(٣) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٠) .

(٤) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٧) .

ويؤكد قدرة الإسلام على صد الهجمات ، وتأكيده الصبغة الإسلامية للمعطيات الثقافية المتنوعة خلال كل بيئة<sup>(١)</sup> .

ويشير إلى تفرد المنهج الإسلامي في النظرة ، في كيفية تعامله مع الأدب اليوناني وكيف كانت المناهج الأخرى تحاول المقاربة معه ، وبيان الوجه الحسن منه فحسب!

أما المنهج الإسلامي فقد أدان الأدب اليوناني من حيث البنية "الميثولوجية" ، وكشف خلفياته الفكرية ، "ووضع يديه - إبتداء - على الشرخ الذي يعاني منه هذا الأدب فيضعه موضعه الحق باعتباره نقيضا لرؤية الإسلام التوحيدية .. وهكذا تشكل المجالات التي يمكن أن تعكس الفاعلية المتميزة للمنهج الإسلامي"<sup>(٢)</sup> .

وهؤلاء الذين ينكرون هذا التميز ، ويقللون من شأنه تتساقط دعاواهم - في نظره - ويتحدث عن حالهم قائلا : "فليقولوا في الإسلام والإسلاميين مايشاؤون أن يقولوا - ومرة أخرى - فإنه لا يصح إلا الصحيح . ولطالما تساقطت مئات الشبهات الباطلة وألوفها وطاشت سهامها ذات اليمين وذات الشمال دون أن تصيب من الحقيقة الإسلامية مقتلا ، بل على العكس مازادت بها إلا صلابة وتفوقا"<sup>(٣)</sup> .

ويرى أن تشكل حركة الأدب الإسلامي بعدما يقرب من الأربعين عاما ، بعد صياغة الرواد الأوائل لها ، صار ظاهرا في النبع الذي أصبح يتدفق خصبا وعطاء<sup>(٤)</sup> ، وأنه واعد بالمزيد من ذلك ، وقد صار له حضوره المتميز ، عبر صور عديدة ، من المقالات والكتب ، والدراسات والبحوث ، وعبر سياقات إبداعية

(١) المرجع السابق (ص ١٦) ، وذكر نحوه في (ص ١٧، ١٨، ٣٧-٣٨، ٥١، ٨١-٨٢، ١٠١) .

وانظر نماذج الشعر والنثر في كتاب "الأدب الإسلامي عبر العصور" ، د. محمد بن سعد بن حسين (ص ٣٢) وما بعدها . وما هذا إلا لوضوح الغايات والأهداف . انظر : مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي ، عباس المناصرة (ص ٢٢) .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٥٩) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٩٨) .

(٤) أقيمت أول ندوة عالمية في الأدب الإسلامي عام ١٤٠١ هـ في دار العلوم ، ندوة العلماء ، ثم أقيمت الجامعات الإسلامية باهتماماتها المتتابة .

انظر : أدب الصحوة الإسلامية ، واضح رشيد الندوي (ص ٩) .

مختلفة كذلك<sup>(١)</sup> ، كما قدر هذا التوجه على تفعيل آليات الانتشار بقنواته المتعددة إذاعيا و"تلفازيا" وعبر شريط التسجيل الصوتي والمرئي ، ومن خلال المجلة والصحيفة والندوة والمؤتمر ، بل من خلال جدار الأكاديمية الذي اخترقه بإنجازات جيدة مبدعة<sup>(٢)</sup> .

"وبمرور الوقت أخذ الأصدقاء والخصوم معا ، ممن كانوا لا يعترفون بشئ اسمه (أدب إسلامي) "معاصر" يسلمون به على مضض أو بقوة الاقتناع ، ويقبلون تمثيله وحضوره في هذا المجال أو ذاك من مجالات الدراسة والبحث والخطاب"<sup>(٣)</sup> . ويرى عماد الدين خليل أن هذه الحركة "تجد نفسها أيضا إزاء تحديات ثقافية ومذهبية قاداته من مشارق الأرض ومغاربها .. معنى هذا أن عليها أن تعرف تماما ما الذي يجري .. أن تعاینه وتخبره جيدا من أجل أن تضعه في مكانه المناسب من خارطة المذهبية الإسلامية قريبا أو بعدا .. وبهذا وحده تتحمل مسؤوليتها إزاء أجيال القراء والأدباء الإسلاميين من خلال التأشير ، والتصنيف ، والمقارنة ، ورسم معالم الطريق"<sup>(٤)</sup> .

ويطلب في حياته - دوما - أدبيا يتمثل ذلك ، يسمع منه كلمات ، أو يُسمعه كلمات ؛ لأنه "بالفن الأصيل يتحرك الإيمان في الأعماق"<sup>(٥)</sup> .. وبه يتلاشى التكرار الرهيب بكل سخفه وعبثه ، وتفتح أمام الإنسان عوالم رائعة بلا حدود"<sup>(٦)</sup> .

(١) قد يكون بعض سياقات هذا الإبداع ضعيفا ، كالمسرح - مثلا - . انظر في هذا : نحو مسرح إسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ١٨-٥٥) ..

(٢) لا ينكر منصف الدور الريادي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في هذا الأمر وخاصة ما كان يوليه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - من الإشراف على الرسائل وتأليف الكتب وتبني مشاريع الأدب الإسلامي في جامعة دمشق وجامعة الإمام - الباحث - .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقفة لمراجعة الحساب ، د. عماد الدين خليل (ص ١) .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص ٦) .

(٥) مأجمل انطلاق الدكتور عبد الباسط بدر في بيان (التصور الإسلامي) من آي القرآن الكريم . انظر : قضايا أدبية .. رؤية إسلامية ، د. عبد الباسط بدر (ص ٣٦-٣٩) .

(٦) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩٧) .

ووفق هذا التصور الإسلامي في (الأدب) مجالا من مجالات التفكير والإبداع والثقافة يرى لزاما أن يكون الباحث فيه فقيها - بالمعنى اللغوي - بمقاصد الشريعة وثوابتها ليكون نتاجه موافقا للتصور الإسلامي الصحيح ، وليس فقيها - بالمعنى الاصطلاحي - "وإلا لحكمنا بالإعدام على أربعة أخماس المكتبة الإسلامية المعاصرة"<sup>(١)</sup> .

ومن هذه التحديات التي واجهها الأدب الإسلامي الجناية على الإسلام بدعوى وجوب عدم الزجّ به في ميدان ليس ميدانه! وينسى هؤلاء أن الأدب قدّر ، ومن ولج بابه وجب عليه أن لا ينسى المنهج الذي أتخذه على نفسه .. أن تكون حركات لسانه مضبوطة متابعة ومادام أنه يتفيا ظلال منهجه ؛ فإنه سيقرّ عينا بانطلاقاته ، حيث طرائق التعبير مشرعة بين يديه ، و"المسلم ، إذ يعيش كل أبعاد تجربته .. يخوض بحارها .. يعبر أنهارها .. يطير في سمواتها .. يعاني ثقل طينها وترابها .. يسمو إلى آفاقها .. يبحث الخطى إلى مشارفها في الأمداء البعيدة .. البعيدة .. المسلم ، إذ يجتاز تجارب التمحيص والخوف والإرهاب ، ويندمج في ليالي الدهشة والتبتل والشوق ، ويعيش ساعات الحب واللوعة والحنين ، ويدوب في لحظات التأمل في حقائق الكون وروعته وجماله ... يغدو - من حيث لم يتكلف أن يغدو - فنانا أدبيا ناقدًا .. وكل ما يصدر عنه ، إبداعا أو نقدا ، إنما يصدر عن بحر تجربته الإسلامية"<sup>(٢)</sup> .

ويرى أنه أدب متميز<sup>(٣)</sup> ، وجسر ممدود للمطالبة بنقد متميز ، يتجاوز خداع النقد (الإعلامي) وأضاليه .. التي تستهدف "الدعاية) للأصدقاء و(الإعلان) عن أعمالهم و(ترويجها) في السوق ، على حساب العلمية والموضوعية"<sup>(٤)</sup> .

(١) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١١٩) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٧) .

(٣) نعجب - وهذا زمن العجب - من تكرار مقولات فكرية موتورة ، كقول غالي شكري : "إن

العرب عاشوا أكثر من عشرة قرون (أي فترة الإسلام) في موات حضاري!" .

انظر : مسلمون لا نخجل ، د. حلمي القاعود (ص ٩٠) .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٧) .

لكنه يرى أن القراء وجدوا (الكتاب الإسلامي) قد قال قولته ، "بشهادة الناشرين والموزعين وأصحاب المكتبات ومنظمي المعارض المحلية والدولية"<sup>(١)</sup> .

وحول مصطلح الأدب الإسلامي فإن الخطوة - حسب نظر عماد الدين - تكشف تصوره المتميز والسعي الظاهر لتهيئة بلورة المنهج المتفرد الأصيل دراسة ونقدا ، وتنظيرا وإبداعا ، ويعلن أن (الأدب الإسلامي) يتجاوز فاصل الزمن ، ولا توصف لحظاته أو تحدد بفترة زمنية معينة ، بل تتجه صوب الرؤية الإسلامية المتوازنة ، على اختلاف الأشكال المتاحة ، والاستخدامات المتنوعة "ويبقى النهر واحدا ، متفرّدا في اسمه ، ومجرأ .. في منابعه ومصائره على السواء"<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد ذلك بقوله "فالأدب الإسلامي في بنيته التعبيرية هو كأي أدب في العالم لابد أن ينطوي على طبقتين أساسيتين هما : المعنى الذي يراد التعبير عن مكنوناته ، والتقنيات الجمالية"<sup>(٣)</sup> التي تمكّنه من الوصول إلى الطرف الآخر بأكبر قدر من التوتر والفاعلية والجمالية والتأثير"<sup>(٤)</sup> .

ويقف غير مستبعد نتاج غير العربي ، إذا وافق التصور الإسلامي ؛ حيث يرى أن الرضا القائل باشتراط العريية في النتاج الأدبي يقصي كثيرين من دائرة الأدب الإسلامي ، رغم أن نتاجهم - أو بعضه في الأقل - قد يقارب شرائط (الإسلامية) بدرجة أكبر من غيره مما كتب بالعربية"<sup>(٥)</sup> .

والرؤية الإسلامية للكون والحياة والإنسان"<sup>(٦)</sup> "رؤية تبدأ انقلابها هذا في صميم الإنسان .. في عقله وقلبه وروحه ووجدانه وغرائزه وميوله ونوازعه لكي

(١) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٢-١٥٣) .

(٣) إن نظرية (الأدب الإسلامي) تحمي القيم الفنية للنتاج . انظر : مقدّمة لنظرية الأدب الإسلامي د. عبد الباسط بدر (ص ٤٨) .

(٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٥) .

(٥) انظر : المرجع نفسه (ص ١٥٥-١٥٦) ، وريورتاج (ص ١٣) وفيه ضرب مثالا بالشاعر (إقبال) .

(٦) يعدّ الأستاذ محمد قطب من أوائل من قدّم تعريفا ملائما للأدب الإسلامي . انظر : في الأدب والأدب الإسلامي ، محمد الحسنوي (ص ٢١٧-٢٢٦) .

تصوغه إنسانا جديدا ، قديرا على تحقيق التغيير المطلوب في بنية العالم وصيرورة الحركة التاريخية<sup>(١)</sup> .

وهذا ما جعله يتساءل عن تأويل عدم انعكاس الرؤية الإسلامية المتميزة بهذه الخصائص ، في معطيات أسلافنا الأدبية التعبيرية ، في كثير من أطرافها<sup>(٢)</sup> .

وحين ينظر الناظر في أهمية التوجه عبر مسار الإسلامية في الأدب ، فإنه سيلغي ذلك ظاهرا حين يتناول وظيفة هذا الأدب في الحياة ، وقد قدم في هذه القضية ورقة عمل قرأها في مؤتمر الأدب الإسلامي المنعقد في المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - في رحاب الجامعة الإسلامية تحت عنوان "ندوة حوار حول الأدب الإسلامي" في مرتين متتابعتين : (١٤٠١-١٤٠٢هـ) <sup>(٣)</sup> ، وكان عنوان ورقته : "وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي" ويرى أنه "ليس أدبا أو فنا ذلك الذي يتشبث بالجمال وحده . ليس أدبا أو فنا ذلك الذي يعتمد على التأثير وحده"<sup>(٤)</sup> .

ويراها وظيفة حيوية خطيرة! كيف لا ، وقد جعل القرآن الكلمة مؤثرة جمالا ومضمونا؟!

ويجمل المجالات التي يقدمها هذا التصور الصحيح للأدب ودوره في المجالات الوظيفية الآتية<sup>(٥)</sup> :

- (١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٩) .
- (٢) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، وقد أجاب عن هذا في (ص ٩-٤١) مما سيأتي معنا في مبحث "الالتزام موقف الأديب" إن شاء الله .
- (٣) انظر : مجلة (الوعي الإسلامي) ، س (١٨) ، ع (٢١٤) (ص ٧٧) .
- (٤) مؤتمر الأدب الإسلامي ، بحث الدكتور عماد الدين خليل (ص ١) ، وهو مصور تحصلت عليه ضمن أوراق العمل الأخرى - كذلك - ، وقد ذكرها في مجلة الأمة ، عدد ربيع الآخر ١٤٠٣هـ (ص ٨) .
- (٥) وانظر المبحث الرائع للدكتور عبد الحميد بوزوينة في كتابه : نظرية الأدب في ضوء الإسلام (١/١٢٧-١٤٢) ، وكتاب "من بدائع الأدب الإسلامي" ، د. محمد بن سعد الدبل (ص ٨-١٦) .



(العقائدية) بتوصيل الرؤية الإسلامية الصحيحة للكون والإنسان والحياة والأدب من المراكب التي يصل بها الدين إلى نفوس الناس وألبابهم .  
 و(السياسية) - إن صح التعبير - ، بالتوحد الإنساني تجاه الرؤية والتجربة فيجمع ليدعو وينشر منهجه بذكر آلام الناس وآمالهم ، بالكلمات الصادقة ، والاهتافات المنادية بالحق في كل زمان ومكان .  
 و(الاجتماعية)<sup>(١)</sup> تكون بحماية ماتبقى من الوشائج والعلاقات بين الناس ، ومحاولة إعادة الناس من انسلاخهم ومروقهم ، ودعوتهم إلى ممارسة الدور المطلوب المنوط بهم .

و(النفسية) بطرد التشاؤم والهزائم النفسية المتجذرة في النفوس ، وضبط الضغوط الداخلية والخارجية ، بيانا ومقاومة ، ومحاولة كشف معاناة المسلمين وتصعيد هذه الآلام إلى طاقات إبداعية فاعلة .  
 و(التاريخية) أو (التوثيقية) بتصوير وتحليل التجارب والأحداث بلغة قديرة خاصة .

و(المنهجية) بالتوازن المنهجي حال الطرح ، جمعا بين أهمية المضمون وطريقة أدائه وإيصاله ، وفتح آفاق جديدة للإبداع والطرح .  
 و(التربوية) الأخلاقية المنضبطة ، وتنمية حسّ الجمال في النفوس ، والنقاء الروحي<sup>(٢)</sup> .

ولاريب فإن للإسلام تميزه في النظر ، " ويجد المرء نفسه مضطرا للمقارنة بين النظريات الوضعية التي تقوم على الأهواء والظنون فترتطم بالواقع والتاريخ والإنسان وبين العقيدة الإسلامية القائمة على العلم الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي يعرف كيف يتطابق بإعجاز مع الواقع والتاريخ والإنسان فلا يكون ثمة تراجع أو ارتطام"<sup>(٣)</sup> .

(١) في شئ من نماذج ذلك ، انظر : وصايا إسلامية في أدب الذرية ، د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي (ص ١٣-٥٩) .

(٢) انظر : مؤتمر الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٣-١٥) ، وانظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص ١٧٢-١٨٤) .

(٣) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ٥١) ، وانظر (ص ٥٧، ١٠٣، ١٥٤) .

وإن "شرف الإنسان ما كان يمكن أن يكون لولا القيم المتألفة التي صنعها الإسلام"<sup>(١)</sup>.

وحين نادى عماد الدين إلى نظرية (الأدب الإسلامي)<sup>(٢)</sup> جعل مناداته مدخلا وحافزا لأعمال أخرى ، تناول فيها تحليلا للأسس الجمالية واستعراضا لعناصر العمل الأدبي الإسلامي<sup>(٣)</sup> وقارنها بالمذاهب الأخرى على مستويي الشكل والمضمون ، وضرب لذلك نماذج من هنا وهناك قديما وحديثا ، جعل من هذه الخطوات سبيلا إلى غرس هذه القضية ابتداء ، بعد مجاوزة حدّ الرفض المسبق من فئات تتنكر لأصالتها وتراثها ، وتريد لبوسا آخر غير لبوسها!

وحين سئل عن (المصطلح) أجاب أن إطلاقه جامع بين التاريخية والمعاصرة ، فالأولى لما فيه من التجذر في معطيات التراث الخصب ، والثانية باتفاق الدعوة إلى التنظير مع جانب كبير لا يستهان به من النقد والدراسة ، ويجمع مع هذين ، أن التقاء مفردات إبداعية في نص ما برؤية إسلامية منضبطة ، كفيل برفادة الأدب الإسلامي<sup>(٤)</sup> ؛ ولهذا يرى تناغم النصّ في مسرحية (مركب بلا صياد) للكاتب الأسباني (اليخاندرو كاسونا) مع حشد من القيم والرؤى الإيمانية<sup>(٥)</sup> ، والحكمة ضالة المؤمن .

وقد دارت هذه المسألة خلافية بين جملة من النقاد ، بين مؤيد مطلقا ورافض مطلقا ، ومتوسّط ، ولعلّ الطرف الثالث ممسك بالصواب - حسب ظننا - ؛ وذلك لأن من أطلق التأييد توسع ووقع في أسر هذا القبول المطلق ، أما من أدار ظهره لمثل هذه الرفادة والالتقاء المتجانس ، فإنه قد حمل دائرة الأدب الإسلامي على أن تضيق مفقدا إياها نماذج جيدة معتبرة .

- 
- (١) المرجع السابق (ص ١٤٢) .
  - (٢) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي - على سبيل المثال - (ص ٦) .
  - (٣) وانظر - في ذلك - : في الأدب الإسلامي ، د. محمود شاكر سعيد (ص ٢٣-٧٤) .
  - (٤) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٧-٨) .
  - (٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

أما من توسط ، فقد أفاد مع ضبط وتوازن .. إلا إننا نأمل منه أن يحتفظ بذلك النموذج في الدائرة بلا توسع ؛ حتى إذا صدر نموذج منها لأحد الأدباء الذين انحرف كثير نتائجهم أبقى رؤيته ثابتة عن هذا الأديب ، وعن حجم الفجوة الفكرية لديه ، وهذا لا يمنع أن يستأنس بانضمام نتاجه إلى الدائرة<sup>(١)</sup> .

ويرى بعض الباحثين أن للأدب الإسلامي جانبين ، أحدهما خاص ، والآخر عام . ويلحق بالخاص ما ارتبط بالإسلام عقيدة وتصوّراً وعاطفة ، ويرى العام في التراث العربي القديم والتراث العالمي المشترك ، المتوافق في نظراته ، المتنوع في أساليبه<sup>(٢)</sup> .

ويعجب أحد الأدباء من (أحدهم) حين قال في مؤتمر ومهرجان شعري : إذا قلنا الأدب الإسلامي ، فكيف نعبر عن الوردة الجميلة والمنظر الطبيعي الخلاب؟ وعبر هذا الأديب عن هذا الموقف ، بأنه "التصور الناقص والفهم الكسح لمعنى اصطلاح الأدب الإسلامي"<sup>(٣)</sup> .

بهذا نعلم أن حصر التعريف بما كتب بالعربية نقص "ولا يستطيع عاقل منصف أن يقول إن أدب اليسار العربي أدب إسلامي . أو يقول إن أدب القومية

(١) ممن أسند هذا التوسط وارتأه الأستاذ محمد قطب في كتابه "منهج الفن الإسلامي" حيث استشهد بشئ من نتاج (طاغور) و(إقبال) وغيرهما . انظر (ص ١٨٤-١٩٢، ١٩٩-٢٠٢) فقال عن إقبال متوسطاً : "وهو في معظم حالاته يعبر عن تصوّر مسلم ، وإن شاب هذا التصور أحياناً أخلاطاً من تصوّرات صوفية هندية وغير هندية ، تخرج به قليلاً أو كثيراً عن التصوّر المستقيم للإسلام" انظر (ص ١٨٤) ، وقال عن طاغور : "ليس مسلماً بطبيعة الحال! والطابع الهندوكي واضح فيه شديد الوضوح" انظر (ص ١٨٩) وذكر أنه لا يلتقي في نقاط مع المنهج الإسلامي ، لكنه لا يخرج تماماً من دائرته . انظر (ص ٢٠٠) ، وارتضى أن يُذكر مع ذكر المنهج الإسلامي في حدود هذا الالتقاء ، وهذا توسط جيد . وقد آيد هذا عماد الدين . انظر مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ٢١٣-٢١٤، ٢١٩) .

وللاطلاع على نتاج طاغور انظر : أغان وأشعار ، طاغور ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، قصيدة "عالم الحشرة" (ص ١٢١) وغيرها .

(٢) انظر : مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ٢١-٢٢) .

(٣) مجلة البيان ، ع (٥٩) ، رجب ١٤١٣ هـ (ص ٥٢) ، مقال د. عبد الرحمن العشماوي .

العربية بمفهومها الضيق أدب إسلامي ، بحجة أنه كتب بالعربية" (١) .

ومن زعم ضيق أفق دعاة الأدب الإسلامي ، وأنهم يحللون ويحرمون ، فقد طغى وبغى ، ولم يتحل النصف ، "والأدب الإسلامي لا يملك قرار مصادرة الآداب الأخرى ... وإنما هو منهج واضح ، يرسم أمام الأجيال المسلمة طريقا أدبيا سليما حتى لا يتخبطوا في طرق الآداب المنحرفة عن منهج الإسلام" (٢) .

وكل أدب يتبنى فكرة ومنهجاً في النظر يستقل به ؛ فإنه ينسب إلى هذه الفكرة (٣) .

والأديب المسلم تثبت كلّماته من خلال رؤيته الواضحة ، ونفسه المستقرّة كما يظهر لنا - مثلاً - (الأدب الإسرائيلي) ، "فحين ينتسب هذا الأدب إلى ديانة كتابه ، فإنه يصبح (أدباً يهودياً) ومثل هذه التسمية لا تكون مقبولة ، لأننا سنجد كتاباً يعتقدون الديانة اليهودية ، في معظم بلدان العالم ، لكن أدبهم لا يحمل من ملامح هذه الديانة إلا بمقدار ما التصق بثقافتهم من تراثها" (٤) ، وهذا صحيح .

وفي ختام قضية المصطلح إثباتاً وردّاً و(ماهية) يقول عماد الدين : "فات الأوان على منكري الأدب الإسلامي وما أكثرهم!! وسُحب البساط ، كما يقول المثل ، من تحت أقدامهم بعد إذ أصبحت لهذا الأدب مكتبة غنية ببحوثها ودراساتها ومؤلفاتها وأعمالها الإبداعية والنقدية والتنظيرية ، وبعد إذ أصبحت له دوريات وصحف متخصصة تنطق باسمه ، ومؤسسات تتابع همومه" (٥) .

ويرى أنه من (الجدل العقيم) أن تطرح مسألة عدم وجوب تسمية (الأدب الإسلامي) حيث يقول أصحاب هذا الرأي : إن هذا تحصيل حاصل!!

(١) المرجع السابق (ص ٥٤) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) ومن هذا استقلال (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بتوجيهها المتميّز ، الذي تحافظ عليه ثابتة في الأهداف المرسومة لها ابتداء واستمراراً .

انظر : تعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية (ص ٦-١٧) ، وانظر : مقدّمة في دراسة الأدب الإسلامي ، د. مصطفى عليان (ص ١٢-١٣) .

(٤) صورة العربي في الأدب الإسرائيلي ، وليد أبو بكر (ص ٣) .

(٥) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص ١٠٣) .

ولا يميل إلى اعتبار الموروث الأدبي العربي بجملته أدبا إسلاميا ؛ فالانحراف فيه ظاهر<sup>(١)</sup> ويحكي دوافع ذلك فيقول : "الدوافع كثيرة ، بعضها جاد يبحث عن الحق ولعله يفتئ إليه بعد إذ يجد نفسه قبالة الوقائع المؤكدة ، وأكثرها عابث حيث يتذرع بهذه الحجة أو تلك لتأكيد الانفصال بين الإسلام والحياة ، حيناً عن طريق التشكيك بارتباطه بالعلم ، وحيناً عن طريق فك الارتباط بينه وبين الإبداع .. وهكذا .

والمهم أن قطار الأدب الإسلامي ماض إلى هدفه ، وقد اجتاز عبر العقود الثلاثة الأخيرة محطات عديدة ، وما سيتحقق في المستقبل القريب - بإذن الله - أكثر مما تحقق فعلاً"<sup>(٢)</sup> .

ولعل ما يقال في درجة خصوصية الأدب الإسلامية ، يقال في (النقد الإسلامي) وقد قطع فيه النقاد الإسلاميون أشواطاً طيبة من خلال حلقتي التنظير والتطبيق . فالحشود الهائلة من المحاولات - على تنوعها - تبين ذلك وتكشفه دون أن ننسى الحاجة إلى زيادة في الكمية والتنوعية<sup>(٣)</sup> .

ولهذا يوصي بعدم الخلود إلى (الأمن الكامل) من اعتقاد القيام بخطوات (الأدب الإسلامي) كلها ؛ لأن هذا الشعور ربما "يقود إلى نوع من الشلل والاسترخاء ولا بد من أجل تجاوزه من الاعتقاد بأننا لازلنا على خط البداية وأن علينا أن نعمل الكثير من أجل التحسين والتعميق والإنضاج"<sup>(٤)</sup> .

والدكتور عماد الدين خليل ممن خطا إلى وضع بعض الملحوظات والتقويم لكل ماهو داخل في دائرة (الأدب الإسلامي) في صورته العامة<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : المرجع السابق (ص ١٠٤) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) انظر : نفسه .

(٤) المرجع نفسه (ص ١٩) .

(٥) من علامات الإجابة في مسلك الإنسان نقده الذاتي لنفسه وما يدور حوله .

انظر : سليات يجب أن تختفي من حياة الإسلاميين ، د. محمد علي الهاشمي (ص ٢٣) ، وانظر رحلتي مع الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ٢١٠-٢١٢) .

ولاداعي لأن نناقش كثيراً مما أخذه محمد حسن بريغش على د. عماد الدين ، ففيه نوع من المجابهة والهجوم الشديد وتحميل الكلام - الذي قد يؤخذ عليه عمومته أحيانا كثيرة - مالا يحتمل . انظر مثلاً : الأدب الإسلامي ، أصوله وسماته (ص ٧٩-٨٠) .

وهي - في نظره - من المسؤوليات المهمة ، بالتوقف بين الحين والحين "لمراجعة الحساب وممارسة النقد الذاتي وتحديد المناقص والثغرات ثم مواصلة المسير بأكبر قدر ممكن من شروط الإتقان والإحسان من أجل التمكين لهذا الأدب في الأرض وإقناع "الآخر" بأنه أدب يستحق التقدير والاستمرار"<sup>(١)</sup> .

ومن هذه الوقفات مع حركة (الأدب الإسلامي) ملاحظة قلّة نتاج الكتاب الإسلاميين في أنواع أدبية غير الشعر .

ولئن كان الشعر تنفيساً عن الشعور و"محاولة ضرورية للمقاومة .. للدفاع عن الذات .. لاستعادة المواقع الجميلة الضائعة .. ولفتح ثغرة في جدار المادية الكالح"<sup>(٢)</sup> ؛ فإن هذا التنفيس يمكن أن يكون عبر بوابات أخرى ، منها ماعدّه بوابة غير مشرعة بتمام .. ألا وهي بوابة (أدب الرحلات)<sup>(٣)</sup> ، إذ يراه لونا "من الأدب ينتظر المزيد في زمن تشهد فيه حركة الأدب الإسلامي المعاصر تدفقاً في تياراتها الخصبية"<sup>(٤)</sup> .

وكذلك يرى غياب كثرة نماذج (السيرة الذاتية) في حركة الأدب الإسلامي نتاجاً إبداعياً ، ورؤى نقدية .. فالملاحظ أن الشعر والقصة القصيرة - نوعاً ما - والمقالة ، أنواع تطغى على الرواية والمسرحية والسيرة الذاتية<sup>(٥)</sup> .

فلا توازن في حقيقة الأمر بين خطّي (الإبداع) و(النقد) عند المنادين إلى (الأدب الإسلامي) السائرين تحت رايته<sup>(٦)</sup> ، وإن كانت بعض المجالات الفقيرة السابقة لاتشهد جذبا كاملا ، ولكنه شبه تصحّر - إن صحت العبارة - .

(١) حول حركة الأدب الإسلامي ، ورقة عمل ، د. عماد الدين خليل (ص ١) .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٦٨) .

(٣) انظر : لقاء الأردن (ص ٢٤) ، ونظرات في الأدب ، أبو الحسن الندوي (ص ٦٣-٦٧) .

(٤) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص ٤) .

(٥) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي (ص ٢٠) .

(٦) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٥) .

ولئن كان ثمة انفجار كمّي في الساحة (الإسلامية) المعاصرة ، ونقلات نوعية (رؤيوية)<sup>(١)</sup> ؛ فإنه بحاجة إلى توجيه تنوعه ، يجذب إلى صحة التوجّه وسلامة الفكر مجالات كثيرة من مجالات الإبداع المختلفة ؛ ليصلها الصوت النقي .

وهذا البيان مما يخدم الوجهة الإعلامية للأدب الإسلامي ، وفي هذا يقول عماد الدين : "هذا الدليل يأتي تأكيدا إحصائيا منظورا على حضور الأدب الإسلامي بمواجهة ، أو مع ، الآداب الأخرى في عصر صراع المذاهب والمبادئ والمعتقدات بكافة واجهاتها وصيغها الفكرية والأدبية .

يأتي - أيضا - استجابة لتحدي الصمت والإنكار والحصار القاسي .. يكسر بمنطق الأرقام تخمينات الخصوم وترهاتهم وأوهامهم في أنه ليس ثمة من أدب إسلامي في الساحة"<sup>(٢)</sup> .

وحين يطلب هذا التوازن ؛ فإنه يطلب لسوية النشاط الأدبي الإسلامي ونموه ومقابلة تحديات التنوع والتكامل .

بل يدعو إليه في مستويات النقد وتطبيقه ، فيقول : "ليس من المعقول أن يصدر في العام الواحد - على سبيل المثال - ثلاثون أو أربعون ديوانا شعريا على مدى عالم الإسلام ، ولا تشهد أسواق الكتاب قبالتها سوى رواية واحدة أو اثنتين .. وليس من المعقول - كذلك - أن يصدر في العالم نفسه سيل من الدراسات الأدبية ، في الوقت الذي يشح فيه النقد التطبيقي ، فلا يقدر على تحقيق الحد الأدنى من التغطية الضرورية للنشاط الإبداعي"<sup>(٣)</sup> .

(١) يشير الدكتور عماد الدين خليل دوما في التذليل على هذا التوسع الكمّي بالاستشهاد بدليل الدراسة والنقد الذي أعدّه الأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر من "دليل مكتبة الأدب الإسلامي" ، الذي حوى نتاج كثير من الإسلاميين .. وقد أفرد لهذا الدليل دراسة جيدة وعرضا متميزا في فصل "قراءات نقدية في أعمال إبداعية" في كتابه الذي لايزال مخطوطا "حول استراتيجية الأدب الإسلامي" (ص ١٧٢-١٧٥) ، كما يشير فيه إلى محاولة قبل هذه للأستاذ محمد الحسنوي في مجلة حضارة الإسلام .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٧٢) ، وانظر : تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر ، له (ص ٤٢) ، وحول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ١٣) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩) .

فدعوته إلى التنوع دعوة - في الطرف الآخر - إلى التوازن ، في مستويي (النشاط الدراسي التنظيري والنقدي) و(النشاط الإبداعي) ، بل هي دعوة إلى التوازن داخل دائرة كل مستوى ؛ إذ يلاحظ طغيان الدراسة الأدبية ودراسة تاريخ الأدب والتنظير على النقد التطبيقي والأدب المقارن!

وفي المستوى الثاني ، يلاحظ - كذلك - طغيان الشعر والقصة القصيرة والمقالة على غيرها من نماذج الإبداع - كما أسلفنا -<sup>(١)</sup> ، ويرجع ذلك إلى قصر عمر الأنواع الأدبية المذكورة في تاريخ الأدب العربي الحديث<sup>(٢)</sup> .

وليس ذلك دعوة إلى كف المبدعين عن قول الشعر ، "فليقل الشعراء الإسلاميون ما أتيتهم لهم القول ، وليدعوا ما سئحت لهم منازع الإبداع ، فإن الساحة ماتزال بحاجة إلى مئات أخرى من الدواوين التي تحمل القضية بالقصيدة الملحمية المقاتلة ، أو الكلمة المغناة التي تعرف كيف تجتاز دروب الحس والوجدان"<sup>(٣)</sup> .

فهو يدعو إلى العطاء المتوازن في الإبداع بين هذه الأنواع كلها ؛ لتستجيب له آذان وعيون مغطاة ؛ "لكي تصحو فتجد نفسها قبالة أدب إسلامي سخي في الأنواع كافة ، فتقول يومها إن<sup>(٤)</sup> هناك بحق أدبا إسلاميا"<sup>(٥)</sup> .

و حين يدعو إلى هذا التنوع ؛ فإنه يضع لنا استخداما رائعا ، وتحديدًا (رؤيويًا) لكيفية الإفادة من هذه الأنواع فيقول : "لحظة التوجه قد لا تجد فرصتها إلا بالشعر ، والشخصية أو الحدث العابر قد لا يجدها إلا في القصة القصيرة ، وصراع

(١) انظر : المرجع السابق (ص ٢٠) .

ويذكر الدكتور أن القصة القصيرة والرواية والمسرحية تتطلب صبرا أكثر ووقتا أطول وقد لا تتأقش شروطها الفنية بسهولة ؛ ولذا قلّ إبداعنا فيها ، انظر : المرجع نفسه (ص ٢١) . ويرى أن دخول بوابات أخرى (كالرواية) مثلا ؛ يفتح آفاق العالمية أكثر ويتجاوز المحلية . انظر : نفسه ، وانظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية (ص ٧٨-٧٩) .

(٢) انظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية (ص ٢٦) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٧) .

(٤) في الأصل : أن .

(٥) نفسه ، وانظر (ص ٤٦-٤٧، ٦١، ٦٩، ٩٠، ١٣٧) .



العواطف والمشاعر والرؤى والمواقف لن ترى مجالها إلا في الحوار الذي يعرف كيف يرسم بتركيزه المؤثر دراما التصادم بين الإنسان والإنسان ، وبينه وبين العالم والأشياء . أما التجربة الممتدة في الزمان والمكان ، المترعة بالشخص والأحداث والخبرات ، الغنية بالمشاعر والأحاسيس والمواقف فليس ثمة غير الرواية ميداناً للتعبير<sup>(١)</sup> .

ومما يأخذه عماد الدين على مسيرة الأدباء الإسلاميين عدم التوازن بين ثنائية الشكل والمضمون ، ويرى أن في هذا عرقلة للتنامي والقدرة على إقناع الآخرين . والعمل الإبداعي "خطاب مشحون بالقيم الفنية والجمالية ، منزاح عن الدلالات اليومية للكلمات والتعابير ، وإلا ما أصبح أدباً"<sup>(٢)</sup> .

وفي تراثنا لم يفصل بعض النقاد بين طرفي الإبداع ، ولعل نظرية النظم القائلة بالعلاقة الباطنية القائمة بين الألفاظ والمعاني ، شاهد يسير على ذلك<sup>(٣)</sup> .

يقول عماد الدين واصفاً خلل كثير من أدباء (الإسلامية) : "وفي الحالة الإسلامية فإن الذي يحدث هو ما يمكن اعتباره نقيضاً لخطيئة البرناسية .. أي الذهاب باتجاه المضمون دون بذل جهد كاف لتحسين قيم المعطى الأدبي وآلياته الفنية والجمالية ، وهي الخطيئة التي سبق وأن وقع في إسارها أدباء الماركسية بإدانتهم للشكلائية وانجرافهم باتجاه الأداء المباشر في التعامل مع الخبرة الاجتماعية"<sup>(٤)</sup> .

فظهرت لذلك التقريرية المباشرة ، والنزعة الخطابية ، وانكمشت جماليات الأداء لديهم ، فلم يقوموا بالاستخدامات الأدائية التي "تنزاح بالمعنى من دلالاته الاعتيادية في لغة الخطاب اليومي إلى مواضع جديدة تمنح المفردات والتعابير نبضا خفقا وألقا مدهشا ولكن شرط أن يتم هذا كله وفق منظومة من الضوابط البيانية والنحوية واللغوية"<sup>(٥)</sup> .

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩٧) .

(٢) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ٧) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) المرجع نفسه (ص ٨) .

(٥) نفسه .

وما ذلك إلا لأن "التكشف الكامل للعمل الإبداعي يقوده إلى التضحل ويفقده خصائصه الفنية ويؤول به إلى النثرية الباردة أو التقريرية أو ماشئنا من التسميات" (١).

ويمثل للتوازن المطلوب بديوان "ثلاثية الغيب والشهادة" (٢) الذي يراه ممثلاً للتعبير الأدبي عن الرؤية أو الحالة الإسلامية ، ويلغي الفجوة العميقة بين الشكلية والمضمونية (٣).

والدعوة إلى هذا التوازن هاجس وخاطر يأتيه دوماً دون استئذان (٤). ومكونات الإبداع والاستعمال الجمالي المتميز لديه تكمن في تضاًؤل فاصل الألم ورهافة الإحساس وقوة الخيال وتوقد العقل وتوهج الوجدان ، وغنى التجربة العاطفية ، وسعة المعرفة ، وتنوع المكونات الثقافية بالقراءة المتواصلة المتمعنة ، والحضور التأثيري لأكبر عدد من الأعمال الأدبية الكبيرة ، والقدرة الفذة على الإبداع والابتكار والتشكيل وغيرها .

ويرى أن النقص أو عدم الاكتمال في جانب من هذه الجوانب يجعل الأدب صعباً مناله أو قد يظهر لنا أديب لايفرض حضوره في الساحة الزمانية والمكانية (٥). ومن ملحوظات عماد الدين وتقويمه لمسيرة (الأدب الإسلامي) بيانه ضعف رواده في مجال إيصال أصواتهم إلى طبقات مختلفة من الناس عبر وسائل الإعلام المختلفة ، فيقول : "إعلامياً لا بد من الاعتراف بوجود نقص خطير رغم قيام صحافة إسلامية ، وظهور محاولات عديدة لصحافة الطفل والشباب والمرأة .. ومحاولات أخرى في مجال الإخراج المسرحي و(التلفازي) و(السينمائي) ... فإذا

(١) المرجع السابق (ص ٩) .

(٢) للشاعر الإسلامي المغربي الدكتور حسن الأمrani ، المشرف على مجلة (المشكاة) المغربية .

(٣) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٦) ، وقد أشار الدكتور إلى أن التناسق

بين الأسلوب والمعنى ينسحب على الفن الإسلامي . انظر : في النقد الإسلامي المعاصر (ص ٢٠٠-٢٠١) .

(٤) انظر : لقاء الأردن (ص ٣٨) .

(٥) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٧١-٧٢) .

تذكرنا أن الصحافة<sup>(١)</sup> و(التلفزيون) والمسرح و(السينما) قد تكون أكثر إغراء للجماهير والمثقفين من الكتاب ، وإذا تذكرنا - كذلك - مايفعله الإعلام خارج دائرة الإسلامية من هدم وتخريب ، في كثير من الأحيان أدر كنا كم هو ضروري أن يتداعى المعنيون للمزيد من الإنجاز في هذه الساحات<sup>(٢)</sup> .

وهذه العزلة التي قد تكون لرؤية قاصرة .. نجد أنه يقابلها عزلة من طرف آخر كما يقول عماد الدين مبینا عزلة غير الإسلاميين عن سماع الصوت النقي<sup>(٣)</sup> ، لأنهم يكادون يصمون آذانهم عن الصوت الأدبي الإسلامي ، الذي ينطلق بصدق وعمق وإيمان ، فإن جمع الأداء الحسن إلى ذلك ، ضمن فك هذه العزلة ، ولكن ماذا عن عزلة لا نملكها نحن ؛ وإنما هي بيد الطرف الآخر؟!<sup>(٤)</sup>

ولكنه ينطلق داعياً إلى التحسين في الأداء وإثبات الذات فوق ذلك كله "فعندما يصير لنا أدب أكثر قوة وفاعلية وحضوراً .. عندما نتمكن من اقتحام مواقع أكثر تقدماً ، فإن صوتنا سيرتفع وقامتنا ستطول ، وحينذاك ستضطر أجهزة الإعلام إلى أن تفتح لنا الطريق"<sup>(٥)</sup> .

والخفق والقتل بالصمت ، والإرغام على الانسحاب لا يراه مبرراً كافياً لتعليق الغياب عن الساحة الإعلامية ، فلا بد من التجذّر والعطاء المتصل ، وأدباؤنا الإسلاميون الكبار "أشبه بجزر منعزلة وسط محيط صاحب لاتكاد شطآنه ترى .. نحن بحاجة إلى عشرين وخمسين أميري وأمراني وبدر آخر من أجل أن نرغم النشاط

(١) نتذكر - شاكرين - جهود (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) في إصدار مجلة (الأدب الإسلامي) بالعربية و(قافلة الأدب) الأوردية و(منار الشرق) بينجلاديش وهي بالعربية و(الأدب الإسلامي) بالتركية . انظر : مجلة (أهلا وسهلا) يونيو ٩٨ (ص ٧٥) حوار مع أ.د. عبد القدوس أبو صالح.

(٢) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص ١٩) .

(٣) انطلاق هذا الصوت بصفاته ونقائه يزداد أهمية أمام التحديات الصعبة التي تطيف به من كل جانب . انظر : من سمات الأدب الإسلامي ، د. مصطفى عبد الواحد (ص ٧٤-٧٧) .

(٤) انظر : ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص ٦٠-٦١) .

(٥) المرجع نفسه (ص ٦٩) .

الإعلامي في العالم على أن يسمع صوتنا وأن يعطيه المساحة التي يستحقها ، أو يفرضها بعبارة أكثر دقة<sup>(١)</sup> .

ولهذا كان يحفل بالأصوات الإسلامية الثابتة ، المنطلقة بقوة نحو النضج من خلال العطاءات المتجددة .

حفل برابطة الأدب الإسلامي كثيرا<sup>(٢)</sup> ، وبالمعهد العالمي للفكر الإسلامي<sup>(٣)</sup> ، وبجهود بعض الجامعات والكليات وأقسام الأدب واللغة العربية<sup>(٤)</sup> في بلاد إسلامية وعربية عديدة . وأشاد ببعض الإصدارات الإعلامية المتميزة ، كالمشكاة (المغربية)<sup>(٥)</sup> و(سلسلة شعراء الدعوة الإسلامية)<sup>(٦)</sup> وهي انطلاقات نحو النضج وإيصال الصوت الإسلامي المتميز .

ولكنه يتساءل أين أدباء الإسلامية الكبار بحق في أجوائنا الثقافية؟! أين هم مقابل الدفع الإعلامي لكتاب اليهودية والنصرانية والقومية والماركسية؟

أين هم بأعمال كبيرة شكلا ومضمونا؟!<sup>(٧)</sup>

وهذا الأمر يعود بنا كذلك في مسيرة (الأدب الإسلامي) إلى عدم التوازن بين العطاء الإبداعي والتوجيه النقدي .. و"حركة الأدب الإسلامي هي بأمس الحاجة إلى مزيد من الجهد النقدي لإضاءة النصوص .. لقد أخذ يبدو أكثر فأكثر أن المعطيات الإبداعية أكبر بكثير من المتابعات النقدية ، فإن لم يتحقق قدر من التوازن المطلوب وتتم التغطية النقدية بنسبة معقولة فإننا سنخسر مرتين .. سنخسر

(١) المرجع السابق (ص ٧٠) ، وانظر فيه (ص ١٣٨) .

(٢) انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٨ب) ، تجربي مع النقد

الإسلامي المعاصر (ص ٤٢) ، ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص ٩٣، ٢٦) وغيرها .

(٣) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي (ص ٢٢، ٢٣) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص ٢٢، ٢٥) .

(٥) انظر : ريبورتاج (ص ٤٧-٤٨) .

(٦) انظر : لقاء الأردن (ص ٦١) وهي من إعداد أدهم جرّار ، وأحمد الجدد .

(٧) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩١) .

الطاقات الواعدة التي تنتظر من يعكس صوتها أو يسمعه في الأقل ، فتكف عن الخفقان .. وسنخسر الفرصة الضرورية لتحسين معطياتنا الإبداعية وجعلها أكثر قدرة في وتأثيرها الفنية ، ولتجاوز أخطائنا وقصورنا وعثراتنا وضعفنا من جهة أخرى (....) إنهم يعملون بروح الفريق فلماذا لا نتعلم منهم؟ لماذا لا نزال مصرين على مبدأ (اقتله بالصمت)؟" (١)

هذا الصمت (القاتل) ينهك القوى ، ويضعف العزائم ، ويحاصر الإبداع ؛ ولذا يقف عماد الدين منددا بهذه التصرفات ، متعجبا "إزاء النصوص الإبداعية التي ينسجها الإسلاميون بصمت فلا يكاد أحد يعرف عنها شيئا ، لأن صوت النقد الإسلامي لا يزال مغيبا .

عشرات من النصوص الإبداعية يقتلها الصمت ، وعشرات أخرى لا تجد فرصتها إلا في أبواب "كتب صدرت حديثا" على الصفحات الأخيرة من الصحف والمجلات" (٣)

ومما يلاحظه - كذلك - إغراق الأدباء الذين ينتمون إلى هذه التوجهات المباركة ، في أمور قد تقتل الإبداع - إذا خلد المرء إلى صلابتها وصلافتها - فيقول في ذلك :

"وأدباؤنا الإسلاميون تستغرقهم الهموم الأكاديمية حيناً ، وتحقيق المخطوطات العتيقة حيناً آخر .. والكسل العقلي يهيمن على الكثيرين منهم فلا يجدون ما يحفزهم لأن يبذلوا جهدا "إضافيا" لإضاءة الطريق بقوة النقد وآلياته أمام المبدعين الإسلاميين الذين ما يلبثون أن يجدوا أنفسهم محاصرين بالصمت فينطفئون!" (٤)

وإذا لم يستتر المبدع بآراء النقد وإجراءات غيره في نتاجه ؛ فإنه سيصبح ضعيفا متأرجحا ، و"لن يعرف الأديب مواقع قدميه ، ولن يحصل - في الوقت نفسه على الزيت الذي يمكنه من مواصلة المسير" (٥) .

(١) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٤٦) .

(٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧١) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٦) .

الإسلاميون أنفسهم جهدا ثنائيا مزدوجا في الوقت نفسه ، و"أن يعطوا شيئا من وقتهم للجهد النقدي ، وأن يمارسوا جنبا إلى جنب مع أنشطتهم الإبداعية محاولات في التعامل النقدي مع نصوص الآخرين للتحقق بقدر من التوازن بين النقد والإبداع"<sup>(١)</sup> .

وبهذا كله سيرى (النقد الإسلامي) - بإذن الله - طريقه إلى الخصب والثرء<sup>(٢)</sup> ولهذا يرى عماد الدين أنه لابد من برجة وتخطيط ، ومن تجاوز لحالات الجهد الفردية ، التي كان عليها أدباء الإسلامية عبر ستينيات هذا القرن . وهذا التخطيط تجاوز لإهدار الوقت ، وبعد عن حالات التكرار والتضخم في جوانب مع وجود الشح في أخرى ، وانطلاق نحو توزيع الأدوار أمام التحديات والتوجهات<sup>(٣)</sup> .

"إن التخطيط ورسم (الاستراتيجية) يمنح هذه الحركة توازنها المطلوب بين الدراسة والإبداع - وكذلك - بين الحلقات الأساسية لكل من هاتين الفعالتين ، كما أنه يرشد مسيرتها التي تزداد بمرور الوقت تجذرا وانتشارا ... ويعمق ملاحظتها من أجل أن تزداد تميزا عن المذاهب الأخرى ، وتحقق أكثر فأكثر بشخصيتها المستقلة"<sup>(٤)</sup> .

ويستدرك عماد الدين على أحد النقاد استخدامه مصطلح (أداة منهجية) بدل (منهج) توسيعا من هذا الناقد لنطاق الإفادة (المحايدة) من المنهج الغربي ؛ وليكون ذلك أيسر في الانتقائية من هذا (المنهج) وفق التصور المنضبط ، حيث يرى عماد الدين أن المنهج غير المذهب وغير النظرية ، فالمنهج "قد يرتبط بخلفيات

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٠٤) ، وانظر كذلك (ص ١٣٧، ٥٧-٥٨، ٨٣) .

وانظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ١٩-٢٠) ، وحول مسألة (التوازن) انظر

حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٢-١٥٠) ، وانظر : ريبورتاج ..

حوار في الهموم الإسلامية (ص ١٠، ١٢) .

(٣) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢١) .

(٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٣) .

تنظيرية أو مذهبية وقد يتحذر في الرؤية أو العقيدة ، لكن هذا يجب ألا يكون حكما نهائيا ؛ لأن هناك من المناهج ، أو بعبارة أدق مساحات ومفاصل في نسيج المناهج - ما يمكن أن تكون بمثابة أداة حيادية ، تقنية ، صرفة ، قد يكون التفريط بها تضييعا لفرصة ممتازة لإضاءة المسالك أمام الأنشطة النقدية الإسلامية ، وبخاصة في مجال النقد التطبيقي<sup>(١)</sup> .

ويذهب الدكتور عماد الدين إلى أن ساحة (الأدب الإسلامي) اليوم بحاجة إلى هذه الاستراتيجية الأدبية الإسلامية بصورتها الشاملة ، التي لا تقف عند دائرة النقد وحده ، ولكنها ترتب الأنشطة المنطوية عليها في حلقات الإبداع والتنظير (المذهبة) والدراسة والنقد ، تدليلا على وجوب استبعاد الأنشطة الفردية من التفرد في الساحة وأنه لا بد لنا - أمام سيل التحديات المختلفة - من برجة مرسومة يقف بها فريق جماعي من ذوي الاختصاص .. ويرى أن خير من يحمل عظم هذه الأمانة (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) فقد حملت هذا على عاتقها ، وبدأت بخطواته<sup>(٢)</sup> .. ويضع الدكتور عماد الدين خليل ضوابطه ومقترحاته مضيًا في تفعيل وقيام هذه (الاستراتيجية) الأدبية الإسلامية الشاملة ، ويجمعها في نقاط نستطيع أن نجعلها عبر هذا النسق<sup>(٣)</sup> :

**أولا :** وجوب تحديد طبقات المعمار الأدبي الغربي ، ومدى الارتباط بالتصورات والفكر ؛ لنقوم بعدها بمقدرتنا على الاستبعاد والانتقاء أو الرفض أو القبول .

**ثانيا :** محاولة جمع وفهرسة الضوابط الشرعية المرشدة لتعامل الساحة الإسلامية مع (غيرنا) عبر بوابات الوحيين الشريفيين ، والمعطيات الفقهية والسوابق التاريخية .

(١) المرجع السابق (ص ٧ب) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص ٨-٨ب) .

(٣) انظر في هذا : المرجع نفسه (ص ٨ب-١٠ب) ، ومجلة المسلم المعاصر ، س (١٧) ، ع (٦٥) -

(٦٦) (ص ١٦١) .

ثالثا : ضرورة تحقيق التوازن<sup>(١)</sup> في معطياتنا الأدبية في مستويين :

أ - النقد والدراسة والمنهج والمذهب والتنظير .

ب - الأنواع الأدبية فيما بينها خلال الساحة الإسلامية ، وتحقيق مطالب النشاط الأدبي كافة .

رابعا : تبني خطة زمنية (ولتكن خمسية مثلا) تقوم عليها مؤسسة جماعية (كالرابطة) لترتيب أولويات العمل<sup>(٢)</sup> في ظل المطالبة بالتوازن ، ويعهد إلى مجموعة من الأدباء الإسلاميين (مبدعين وغيرهم) تنفيذ ذلك كله .

خامسا : السعي الجاد لإصدار مجلة (شهرية) تستوعب مطالب النشاط الأدبي الإسلامي - على اختلافه - بخططه وحواراته وجدله مع غيره ، وصور إبداعاته وعرض المعطيات الأدبية دراسة ونقدا ، وتنظيرا وإبداعا (كمجلة الرابطة والمشكاة والمسلم المعاصر) ويمكن للأخيرة أن تخصص جانبا منها لذلك .

سادسا : السعي في التعارف وخطواته بين (الأدب الإسلامي المعاصر) و(الأصول التراثية لأدبنا)<sup>(٤)</sup> بمرونة وحرية في التمهيص والفحص ، بدون تقديس هذه الأصول تقديسا يصادر العقل الأدبي الإسلامي المعاصر أن يتسلط عليه ، ولكن بتوازن وخطوات متأنية ، يمكننا صياغتها وفق ما يأتي :

سابعا : تصعيد الحوار بين (الأدب الإسلامي المعاصر) و(الأصول التراثية لأدبنا)<sup>(٤)</sup> بمرونة وحرية في التمهيص والفحص ، بدون تقديس هذه الأصول تقديسا يصادر العقل الأدبي الإسلامي المعاصر أن يتسلط عليه ، ولكن بتوازن وخطوات متأنية ، يمكننا صياغتها وفق ما يأتي :

(١) الإسلام دين توازن . انظر - في هذا - : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٣-٩٦)

مجلة عالم الكتب ، مج (١١) ، ع (١) (ص ٤٨) ، مقال د. عماد الدين عن خصائص الشريعة .

(٢) انظر في المنهج عموما - كذلك - : لقاء الأردن (ص ٣٨) ، حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ١٠-١٥، ١٨) .

(٣) وانظر - في هذا - : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٥-١٨٦) .

(٤) ممن دعا إلى ذلك - بإلحاح - الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه : مبادئ في الأدب والدعوة (ص ٤٥-٤٦) .



- (١) فرز وفهرسة المعطيات الأدبية التراثية الرافدة للأدب الإسلامي في التحقيق والدراسة .
  - (٢) تحقيق النصوص المهمة التي لم تنل حظاً من ذلك .
  - (٣) دراسة وتحليل الأعمال الثرية التي لم تجر عليها هذه الخطوات ، ومحاولة الإفادة منها .
  - (٤) متابعة السياق النقدي للتراث ، وملاحظة الارتباط والانفصال من خلال الإسلامية ورؤاها .
  - (٥) تلمس العلاقة وفحصها بين الوحيين الشريفين وبين الدراسات الأدبية التراثية .
  - (٦) إقامة ندوات وفتح ملفات خاصة في عدد من الأماكن المتاحة لمعالجة الظواهر التراثية وصلتها بالإسلامية<sup>(١)</sup> ، مثل : (التراث الأدبي الصوفي وصلته بالإسلامية) و(مناهج المستشرقين في دراسة التراث الأدبي العربي) و(المرأة في تراثنا الأدبي) و(ملاحم المجتمع المسلم في تراثنا الأدبي) .
- وذلك لأن "التجذر في التراث ليس ترفاً أو اختياراً ، ولكنه قدرٌ كلّ فاعلية ثقافية تسعى لأن يكون لها مكان في العالم ، وثقل على خرائطه من خلال تشبثها بالشخصية المتفردة والملاحم ذات الخصوصية ، ولن يكون هذا بدون الامتداد صوب البعد التاريخي أو العمق التراثي للتحصن به<sup>(٢)</sup> والاستهداء بمعطياته جنباً إلى جنب مع الأصول العقيدية<sup>(٣)</sup> التي تشكّل قاعدة العمل الأساسية ، و(بوصلة) الانطلاق في بحار الدنيا"<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) انظر - كذلك - : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٢ - ١٨٤، ١٨٩، ١٩٠) .
  - (٢) انطلاق الباحثين والدارسين من غير التراث والتعمق فيه ضعف وقلة بضاعة - الباحث - .
  - (٣) هكذا في الأصل .
  - (٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٩ب - ١٠أ) .

ثامنا : لا بد من الاهتمام بالساحتين (الأكاديمية)<sup>(١)</sup> و(الإعلامية)<sup>(٢)</sup> بدفع الطلاب للاحتكاك بمطالب الأدب الإسلامي والتعرف عليه أو التعريف به من خلال أطروحاتهم وتخريج المتعمقين فيه ، وفتح دوائر الحوار خارج الإسلامية لإيصال الصوت المتميز ليفرض نفسه .

تاسعا : إيجاد قنوات مشتركة بين المعنيين بالأدب الإسلامي ليؤسسوا ضوابط تمنع الانحياز أو الغلو والتشردم ، وفتح حوارات المجالات لذلك .

عاشرا : فتح المجال أمام الاتجاهات كلها مادامت مخلصمة ملتزمة بالضوابط الشرعية مضيغة خبرات متقدمة للانتقال بالنشاط الأدبي الإسلامي نحو الأفضل . وذلك عن طريق المؤسسات الثقافية الإسلامية .

"إن الذي يحدث أننا نخطب أنفسنا ، وتبادل الحوار داخل الدائرة الإسلامية التي يفترض في العاملين فيها أن يكونوا قد امتلكوا - ابتداء - القنوات الأساسية بخصوص الأدب الإسلامي ... ولا بد من توسيع القاعدة وكسب عناصر جديدة من خارج دائرة الإسلامية ، أو تحويلها - في الأقل - إلى خط المناصرة والتأييد بدلا من الخصومة والعداء"<sup>(٣)</sup> .

وهذه خطوات عملية<sup>(٤)</sup> جيدة يدعو إليها الدكتور عماد الدين ، وقد ذكر في كتابه (مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي)<sup>(٥)</sup> ثلاثة عوامل فاعلة لدعم الأدب الإسلامي ، تلك هي : انتشار القراءات الأدبية ، وحضور حركة نقدية شاملة ، واعتماد نظرية مرنة في الالتزام<sup>(٦)</sup> ترفض المباشرة والتقريرية .

(١) وانظر - في هذا - محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٢) وحول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ٢٢، ٢٥) .

(٢) انظر - في هذا - : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص ١٩٩-٢٠٢) ، حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ١) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٦) .

(٤) في أهمية الخطوات والتخطيط ، انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٨، ٣-٨) .

(٥) انظر (ص ٧٤-٨١) من الكتاب نفسه .

(٦) ستأتي معنا هذه المسألة - بإذن الله تعالى - في البحث القادم .

ويذكر في (متابعات في دائرة الأدب الإسلامي)<sup>(١)</sup> إمكانية تبني دار نشر - ومجموعة غيرها - فكرة دعم حركة (الأدب الإسلامي) وفتح الصدر لمطبوعاته . كما يؤكد وجوب قيام جماعات أو اتحادات أدبية إسلامية تُعرّف بالأدب الإسلامي وتصل بين أديائه<sup>(٢)</sup> وتنتشر نتاجهم ، وتحلّ مشكلاتهم ، وتكون ندوة مفتوحة بذلك .

ومن مقترحاته هنا - كذلك - دعم مسيرة (الأدب الإسلامي) عن طريق المناهج<sup>(٣)</sup> الدراسية ، وخاصة مرحلة الثانوية والجامعة ، وتوزيع المناهج حسب المستويات الذهنية مراعاة للفوارق بين مراحل النمو المختلفة ، برؤية إسلامية واضحة ومن مقترحاته في كتابه هذا إعداد فهارس دورية تتضمن عرضاً دقيقاً لمعطيات الأدب الإسلامي المعاصر ، وتكون دائمة ، غير مكتفية بالعناوين والأسماء - فحسب - بل تكون ساعية إلى وضع نبذة موجزة ناقدة ، وتوضع قوائم بما يستحسن الاطلاع عليه من الأدبين الغربي والعربي مما يخدم الرؤية الإسلامية ، أو يعين على القدرات الإبداعية الجيدة .

وهذا يؤكد ما طرحه عماد الدين - ويطرحة باستمرار - بأن الحضارة عمل لانقل مجرّد ، وسبب خطئنا في عدم المسابقة الحضارية اليوم ؛ أننا "فهمنا الملاحقة أو التنافس الحضاري على أنه نقل عن المتفوقين وليس فعلاً يتحتم أن نمارسه بعقولنا وخبراتنا وأيدينا ، وأن نصوغه من عقيدتنا ورؤيتنا وإيماننا الخاص"<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) انظر (ص ٢٢٥-٢٢٨) منه .  
 (٢) الصلة البناءة خلاف الشللية المقيمة المنتشرة بين أوساط المثقفين - الباحث - ، وانظر : لقاء الأردن (ص ٣٧،٥٠) . وانظر في هذا : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٤-٢٥) ، وانظر مجلة الأمة ، س(١٤٠٦) ، ع(٧١) (ص ٤٤) .  
 (٣) في أهمية عمل المناهج ، انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٣٨، ١٤٩) .  
 (٤) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠) ، وانظر : التفسير الإسلامي للتاريخ ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧٠-٢٥١) ففيه تفصيل نفيس ، وانظر كذلك له : في النقد الإسلامي المعاصر (ص ٨-١١، ٢٨) .

وفي هذا كله دعوة إلى الاجتهاد<sup>(١)</sup> على بصيرة ، وفتح الأبواب أمام خيارات ومجالات عملية جديدة نافعة ، تختصر الجهود والأوقات ، ولاتنكفى على ذاتها<sup>(٢)</sup> . ولا بد من تقديم أنموذج من مسيرة (الأدب الإسلامي) مما أشار إليه الدكتور عماد الدين وارتضاه مثلاً مباركاً .

حقاً "إن الأدب الإسلامي هو واحد من أكثر الإعانات قدرة على الفاعلية في عملية الخروج المنتظرة للإنسان المتآكل ، من ضيق الدنيا إلى سعتها بكل ماتنطوي عليه الكلمة من معنى"<sup>(٣)</sup> .

والحق الذي لا يختلف فيه اثنان أن "الأدب الإسلامي ليس تياراً عابراً من تيارات المعرفة والفكر والشعور ، بل هو حقيقة راسخة في قلب المثقف المسلم الذي يؤمن بأن حمل القلم أمانة ، وربنا قد أمرنا بحفظ الأمانات وتأديتها إلى أهلها"<sup>(٤)</sup> . وصدق الشاعر إذ يقول :

|                                       |                                             |
|---------------------------------------|---------------------------------------------|
| أَدَبُ الْإِسْلَامِ حَفَقَةُ قَلْبٍ   | رَاعِشٌ يَخْشَى وَيَرْهَبُ رَبًّا           |
| وَوَجِيبٌ صَوْتُهُ مُسْتَكِينٌ        | ضَارِعٌ ، يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا      |
| وَتَسَائِيحٌ تُمَجِّدُ رَبًّا         | فِي اسْتِثْقَاءٍ تَغْمُرُ الْقُلُوبَ حُبًّا |
| أَدَبُ الْإِسْلَامِ إِشْرَاقٌ مَعْنَى | طَاهِرٌ ، وَاللَّفْظُ يَخْرُجُ عَذْبًا      |
| وَبَيَانٌ يَنْشُرُ الْخَيْرَ طُرًّا   | وَيُذَرُّ النُّورَ شَرْقًا وَغَرْبًا        |
| وَحُسَامٌ يَنْصُرُ الْحَقَّ دَوْمًا   | فِي مَضَاءٍ ، كَانَ ذَلِكَ دَأْبًا          |

- (١) يراجع في هذا - كذلك - : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩ - ٢٩، ٢١) ، وانظر في بيان ذلك : حوار في العمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٦ - ١٨٩، ١٦٦ - ١٨٠) ، وكذلك : تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٧ - ٧٨) ولقاء الأردن (ص ٣٨) .
- (٢) انظر في ذلك : في النقد الإسلامي المعاصر (ص ٢٠٧، ٢٠٨ - ) ، في أداء البلاغ والندارة ، وانظر كتابه : ريبورتاج (ص ٢٢، ٥٢، ٧٣، ١٢١ - ١٢٢) .
- (٣) ريبورتاج (ص ٦٨) .
- (٤) مجلة الفيصل ، س (١٩) ، ع (٢٢٣) (ص ٤٧) مقال "الأدب الإسلامي مفهومه وآفاقه" ، محمد العربي الخطابي .

أدبُ الإسلام دعوةٌ صِدْقُ      بهُدَى الرحمن تَزْدَادُ قُرْبَا  
هو رُوحٌ تَمَلُّأُ الكَوْنَ حُبًّا      ينتشيتها النَّاسُ عُجْمًا وَعُرْبًا<sup>(١)</sup>  
هو ضَرْبٌ في الأَرْضِ نِجَادًا      وَوَهَادًا لَا يُغَادِرُ شَعْبًا  
فَوْقَ هَامِ السُّحْبِ يَعْلُو نَقَاءً      وَصَفَاءً .. لَا يُضَيِّعُ دَرْبًا<sup>(٢)</sup>

و"في شعر الشعراء ، وحكمة الحكماء وخطب الخطباء ، ومواعظ الوعاظ ، وكتابات الكتّاب ، وأدب الأدباء ، في القصة والقصيدة والمسرحية ، في الحوار والسرد والوصف ، في المقال والتحرير .. في كلِّ ألوان الأدب ، يجب أن تكون نواميس القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> الروحية والفكرية ماثلة في كل حرف وكل كلمة ، وكل مبنى وكل معنى"<sup>(٤)</sup> .

وهكذا كانت رؤية عماد الدين ممتزجة بوجهة النظر الإسلامية والأدبية ، بحسّه الإسلامي الصادق ، ونظرفته العلمية ، وقدرته على التدليل<sup>(٥)</sup> .

(١) من أفضل ما كتب في نظرية الأدب الإسلامي إلى (الإنسان) كتاب (الإنسان في الأدب الإسلامي) د. محمد عادل الهاشمي ، فليراجع .  
وانظر كذلك : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، د. عبد لارحمٰن رأفت الباشا رحمه الله (ص ١١٠-١١٥) .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٥) ، ع(١٧) (ص ٥٤) ، الشاعر أحمد بن روان الجزائري .  
(٣) وهذا ما يميز - بجلاء - نظرية الأدب الإسلامي عن غيره ، وارتكازه على هذه الثوابت والمرجعيات اليقينية الثابتة المنضبطة . انظر : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، محمد الرابع الندوي (ص ٢٥-٢٧) .

(٤) مجلة الهداية ، س(١٧) ، ع(١٩٥) (ص ٢٣) مقال د. محمد عبد المنعم خفاجي .

(٥) انظر : الأدب الإسلامي قضية وبناء ، د. سعد أبو الرضا (ص ٣٧) .

وتستمر مسيرة الأدب الإسلامي .. ولئن كان كثيرون يخاطبونه بأنهم لن يذلفوا إلى ساحه ماسجع الحمام<sup>(١)</sup> ، وذراً شارق<sup>(٢)</sup> ؛ فإنه ماض بغيرهم<sup>(٣)</sup> !  
 أليس ينتسب إلى الإسلام ، فإنه - إذا - سيبقى غريبا هكذا عن قلوب هؤلاء المنكرين الشائنين ، الذين غاضهم هذا الفتح "ورأوا في هذا المولد كائنا يزاحمهم ، ويكاد يزحزحهم عن مواقعهم الأدبية التي تصوّروا أنفسهم محصّنين داخلها ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا"<sup>(٤)</sup> .  
 ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

- (١) مثل معناه أن الرجل لن يأتي أخاه أبدا .  
 انظر : موسوعة أمثال العرب ، د. إميل بديع يعقوب (١٠/٥) .  
 ومادام هؤلاء قد أعموا أبصارهم عن مطالعة وجه الحق فقد حكموا بأبدية انصرافهم - إلا أن يشاء الله - .
- (٢) مثل معناه كسابقه ، وذراً أي طلع ، والشارق : الشمس .  
 انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- (٣) تمثيلاً لذلك ، انظر النتائج الثرى في كتاب : الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية ، جراهام بيلي ، قدّم له وعلّق عليه الدكتور حسين مجيب مصري .
- (٤) من كلام للدكتور حسن الأمrani (عضو مجلس الأمناء برابطة الأدب الإسلامي العالمية) في مقال له بعنوان : "خطوة على طريق التأصيل" .  
 انظر : دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث ، إعداد الدكتور عبد الباسط بندر (ص ٥) .  
 ونشير إلى أن هذا الدليل كان بإسناد من الرابطة إلى الدكتور عبد الباسط ، انظر (ص ٦) .
- (٥) سورة يوسف : آية ٢١ .

## المبحث الثاني الالتزام وموقف الأديب

### البساط اللغوي :

يقال : لَزِمَهُ ، كَسَمَعَ<sup>(١)</sup> ، لَزَمًا وَلُزُومًا وَلِزَامًا وَلِزَامَةً وَلُزُومًا ، بضمَّهما ، ولازمه ملازمةً وَلِزَامًا والترمه وألزمه إياه فالتزمه . وهو لُزَمَةٌ ، كَهَمْزَةٍ ، أي : إذا لَزِمَ شيئًا لا يفارقه .  
والترمه : اعتنقه<sup>(٢)</sup> .  
واللَّزَام ، الفصلُ في القضية<sup>(٣)</sup> .

### الاصطلاح :

وتطلق فيه عبر مجالات الفكر والأدب والفن - على السواء - بمشاركات سياسية واجتماعية وفكرية<sup>(٤)</sup> .  
وقد يكون من أوفق التعريفات الاصطلاحية له في ذلك ما ذكره الباحث ناصر الخنين حين قال : "معنى الالتزام في الاصطلاح الأدبي هو : أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادئ أو فلسفة من الفلسفات"<sup>(٥)</sup> .

- (١) ذكرها صاحب اللسان (سَمِعَ) بكسر عين الفعل ولعله الصواب ، والله أعلم . وهكذا (لَزِمَ) .  
انظر : اللسان ، لابن منظور (٥٤١/١٢) .
- (٢) انظر - تفصيلاً - : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (١٥٢٤/٢) ، ولعل فتح (الزاي) في القاموس خطأ مطبعي - الباحث - .
- (٣) انظر : اللسان (٥٤١/١٢-٥٤٢) .  
ومعنى الالتزام هذا جاء في لغات أخرى ، مثل موسوعة (Larousse) تحت مادة (ملتزم Engage) وغيرها .. انظر تفصيل ذلك في : الالتزام في الشعر العربي ، د. أحمد أبو حاق (ص ١٢-١٣) .
- (٤) انظر : الالتزام في الشعر العربي ، د. أبو حاق (ص ١٣) ، وانظر : لقاء الأردن (ص ٥٠) .
- (٥) الالتزام الإسلامي في الشعر ، د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين (ص ٢٧) ، وقد سبقه في هذا أستاذه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في كتابه "نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد" (ص ١١٩) .

لذا لابد من ارتباطه بعقيدة معينة ينطلق من خلالها ونظراتها الثابتة ، ولا يحد عنها .

فالالتزام .. "أن يمتلك الفنان - أولا - تصوّراً شاملاً متكاملاً صحيحاً للكون والحياة ، والتاريخ والإنسان ، من خلال الرؤية الإسلامية المتفردة ، يوازيه انفتاح وجداني دائم وتوتر نفسي لا ينضب له معين إزاء الكون والحياة والتاريخ والإنسان .. ومن بعد هذا يحى الالتزام عفويا ، متساوقاً منساباً" <sup>(١)</sup> .

إذا يرتبط مفهوم (الالتزام) لدى الأديب المسلم بنظرته إلى العقيدة الثابتة التي يرضى الله عنها ، حين يثبت العبد انتماءه الصادق ، وعبوديته الحقّة .

و الفرق كبير بين (الالتزام) و(الإلزام) <sup>(٢)</sup> ، فالأول ناتج عن مبادرة ذاتية حرّة وبوعى واقتناع دون إكراه ، وهذا ما يجعل فيه شعوراً بالمسؤولية أمام النفس وإحساساً غامراً بالرضا ، أما الآخر فإكراه عبر بوابات الترهيب والترغيب <sup>(٣)</sup> .

ولهذا ينادي عماد الدين في العمل الأدبي "أن يكون إيقاع هذا العمل ، وطبيعة خيوطه ، ودرجته اللونية ، وخلاياه العصبية - إذا صح التعبير - كفاء لهذا المفهوم أو ذاك من مفاهيم الإسلام" <sup>(٤)</sup> ؛ لأن انطلاق المرء من ذلك يقنعه ويرضيه .

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٠٦) .

وانظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٣٢) .

(٢) ممن يرون الإلزام في سياق الاعتقاد والرؤى د. ريمون طحّان في كتابه "مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر" تحت عنوان "تيار النقد الملتزم المقيّد" (ص ٩٤-٩٥) .

بينما لا قيمة للالتزام إذا لم ينبع من الذات .. انظر : المنجد في الأدب العربي ، صالح ساسة (ص ٤٧) .

(٣) انظر في هذا : قضية الالتزام في الشعر العربي ، محمد عزّام (ص ٢٠-٢١) ، ونحوه في : الالتزام في الشعر العربي ، د. أحمد أبو حاقّة (ص ١٤) .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص ١٥٩) .

وبعض الباحثين يطلقون الالتزام وفق التوجهات القبلية والسياسية والاجتماعية ، وليست مرادنا هنا ، انظر مثالا عليها : قضية الالتزام في الشعر الأموي ، د. ميّ يوسف خليف (ص ١٣-٤٢) ، والشعر في إطار العصر الثوري ، د. عزّ الدين إسماعيل (ص ٦-١٣) ، وانظر كذلك : مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة ، د. عبد الله التطاوي (ص ٩-٥٧) .



فالالتزام - عنده - بناء اللوحة الإبداعية من أساسها ، وجزئياتها وخطوطها ، وظلالها وألوانها ، محدثة بالمنظور العقدي ، عبر انطلاقات الكلمة وريشة الرسم وغيرهما<sup>(١)</sup> .

كما يفتقر إليه المسرح - كذلك - ، والأديب المسلم - كما يقول عماد الدين "من حقه أن يرتاد الآفاق الجديدة الرحبة التي يطرحها هذا الفن ، ويعرض على قومه وأمتة صوراً تعتمد الحركة والإيماءة ، يقطعها من واقعها المرير .. صوراً تحيل الهمسة إلى صرخة ، والكلمة إلى انطلاقة ، والسكون إلى مزيج من التشابك الدائم بين الأضواء والظلال"<sup>(٢)</sup> .

وكل هذا يكون بالانتقاء واختيار ما يلائم التصور الإسلامي والضوابط المعلومة والعزل والفصل<sup>(٣)</sup> .

ويذهب إلى أن الأديب الملتزم لن يمارس التزامه قسراً أو إقحاماً واختراقاً للنص من الخارج ، ولكنه إذا تشرب بفكرته ، وصار مؤمناً بها حق الإيمان ؛ فإن شخوصه وحبكته الروائية ، وبناءه المسرحي ، سيضع لنفسه مكانة متوازنة غير متكلفة أو مقحمة<sup>(٤)</sup> .

والشعر كذلك محتاج إلى هذا الالتزام الذي يضبط حركته<sup>(٥)</sup> ؛ لأن الشعر - في حقيقته - "هو التمرد على القوى التي بعثرت الإنسان في العالم ، وأخرجته عن

(١) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٩) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر (ص ١٧٩-١٨٠) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص ١٨١) ، وقد ذكر الدكتور عماد الدين أنه لا ينطلق في مسرحياته من باب التاريخ فقط لإثبات الالتزام ، ولكنه يتعامل مع قضايا معاصرة ؛ لأنه يرى أن الرجوع إلى التاريخ ليس البوابة الوحيدة إلى الالتزام ، بل يتعامل مع الخبرات المعاصرة بالنبض الإسلامي . لقاء الأردن (ص ٤٠) .

(٤) انظر - باختصار - : لقاء الأردن (ص ٥٠) .

(٥) يطرح بعضهم (الالتزام) ويعني به ملاحظة ذوق العرب في الشعر خاصة ، حيث يربطون بين الشعر والسهولة المطلقة عبر هذه البوابة الذوقية من النقد . وانظر مثلاً على هذا ، ذكره الدكتور إحسان عباس في كتابه : تاريخ النقد الأدبي عند العرب (ص ٦٢٦) عن أشياخ ابن خلدون .

التوافق مع نواميس الكون .. الشعر هو هزة الفرح والإيمان التي يكسر بها الإنسان طوق الحصار ، وينطلق قويا عميقا رشيقا ، إلى عالم الحرية الحقيقية والخلود .. كل الشعراء الذين كتبوا عن النور وهم يتخبطون في الظلمة ، أو الذين عبروا عن الظلمة وهم يعيشون في النور .. وقعوا في الخدعة .. وزيفوا على أنفسهم وعلى قارئهم ؛ لأنهم كتبوا عن تجارب لم يحيوها ، ورسوموا لوحات عن عالم لم يستشرفوا ملامحه وآفاقه وحدوده" (١) .

بل يخاطب مخذلي صياغة نتاج الأدب والنقد وفق التصور الإسلامي بأن "تجربة المسلم تجربة حياة واحدة غير مجزأة .. والفنون والآداب هي الأخرى تجارب حياة واحدة غير مجزأة .. والجسر الذي يصل بين الحياتين ، أعني النقد ، وجب أن يكون هو الآخر حياة واحدة غير مجزأة .. ولن يكون لدى الناقد المسلم إلا ذاك .. مادام المسلم قد غدا مسلما بحق ، فلماذا لا يكون ميزانا صادقا في كل حال من الأحوال؟! " (٢)

ذلك أن الأديب المسلم ، بصفته مسلما مستسلما لله ، يختلف عن غيره بتميزه فهو "يعيش الحياة بقطاعيها الباطني والخارجي بتركيز أشد .. في الباطن يحرك الإسلام كل قوى الإنسان وفاعلياته وإمكاناته الذاتية : الحسية والعاطفية والخيالية والعقلية والانفعالية والروحية" (٣) ، ويسير بها صوب استجابة مكثفة مترعة إزاء كل مايجر كها ويهزها ويدفعها إلى مزيد من (الحياة) ، ومن ثمّ مزيد من المعطيات

(١) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ٧-٩) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٧-٨) .

وفي صدق العطاء وفق التصور الإسلامي يقول الرافعي رحمه الله : "وأنا رجل ليس فيّ أكثر مما فيّ ، كالنجم يستحيل أن يكون فيه مستنقع ؛ فما أعلم في طبعي موضعا للنفاق تتحول فيه البصلة إلى تفاحة ، ولا مكانا من الخوف تنقلب فيه التفاحة إلى بصلة ، ولست أهدي من كتيبي إلا إحدى هديتين : إما التحية لمن أثق بأدبهم وكفايتهم وسلامة قلوبهم ، وإما إنذار حرب لغير هؤلاء" . وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي (٣/١٨٤) .

(٣) يعزو بعض الباحثين انحرافات شعرية (صوفية) إلى الأدب الإسلامي (الملتزم) ! ولو عرضناها على حقيقة الالتزام المنضبط لم تكن كذلك . انظر - مثالا على هذا العزو غير الصحيح - : الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د. علي علي صبح .

التعبيرية . وفي الخارج يدفع الإسلام الإنسان إلى أن ينمي ويوسع متع واستجابات حواسه المختلفة عن طريق ربط هذه المتع والاستجابات ربطاً نفسياً وذهنياً فذا بتجربة الإيمان الكبرى<sup>(١)</sup> .

ولا يرى أن الإسلام بذلك - كما يقول مؤرِّدو الشبه - يكبت التعبير الجمالي الإبداعي ولكن "كما يعبر الإسلام عن مرونته الفنية في قضية المحتوى الفني ، فإنه يملك ذات المرونة في مسألة (الشكل) ، فهو مفتوح للتعبير عن التجربة الفنية بأية وسيلة كانت : الكلمة ، الصوت ، الحركة ، التشكيل .. ضمن الإطار الذي يرتضيه .. ذلك أن إحدى معجزات القرآن الكريم نفسه تقديمه أمثلة علياً للأداء الفني الذي يعتمد الكلمة والموسيقى<sup>(٢)</sup> والصورة الفنية<sup>(٣)</sup> .

ويفند شبهة ادعاء الكبت ؛ بأن الإسلام وضع التصورات حدوداً ومعالم محذراً من تجاوزها ، كيلا تقع الحرمة الشرعية<sup>(٤)</sup> ، وهي - حسب تعبيره - "ليست سوى إشارات تحذير للفنان المسلم كيلا يلصق بالمستنقعات ويتحوّل إلى أداة رخيصة ، مبتذلة ، تافهة .. بالأحرى إلى إمّعة تقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أسأؤوا أسأت .. إمّعة تمدح مع المدّاحين لغير ما سبب ، وتهجو مع الهجّائين لغير ما سبب .. إمّعة تكتب عن العفن والتفسّخ والفساد ، لا لكي تنفر

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٠-٣١) .

(٢) لعله يعني الجرس وموقع الحروف ، والأولى اجتناب هذه اللفظة في مقام كهذا - الباحث - .

(٣) المرجع نفسه (ص ٤٢) ويرى - لزوماً - تشبّع (الأديب المسلم) بالتوحيد ومرتكزات التصوّر الإسلامي كما يُتخّم (الأدب الماركسي) مثلاً بمفاهيم المادية (الديالكتيكية) و(التاريخية) .

انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص ١٥٩) .

ويرى الدكتور صلاح الخالدي في كتابه "نظرية التصوير الفني عند سيد قطب" أن سيّداً رحمه الله أسهم في نظرية التصوير هذه لتفنيد ادعاءات الفجوات بين الدين والفن . انظر (ص ٣٨٤-٣٨٥) من الكتاب ذاته .

(٤) كثير من مثقفي زماننا يرون من النشاط والرجعية تخطيطاً أديب حول فكرة ، أو مراجعة آخر في عبارة ، وليس في معجمهم هذا حلال وهذا حرام ولو كانت فكرة مصادمة للدين ! وأعجب ما قرأت لمنكري صلة الأخلاق بالأدب ما كتبه نبيل سليمان في كتابه "فتنة السرد والنقد" (ص ٩-٣٥) .

الناس من مستنقعاتها القذرة ، وتدفعه إلى أن يرتفع إلى فوق ، ولكن تكتب عنها محبة مغرية ، داعية أكبر قدر من الناس لكي يخوضوا في أوحالها إلى أعناقهم .. إمعة تصدر عنها الكلمة ، أو التعبير ، أو الصورة ، أو الصوت ، مبتذلة رخيصة ، دونما إحساس غامر أصيل<sup>(١)</sup> .

ويرى أن أوقات حكم المجتمع الضعيف في تطبيقه (الالتزام) الإسلامي ، دليل على أن الانحرافات الصريحة في التعبير - حينها - والتحدي السافر لقيم الإسلام الثابتة تشكّل في نفوسنا تصوّراً ظاهراً لعاقبة الحرية المطلقة غير المنضبطة في تعبيراتها الذاتية ويضرب مثلاً بانحرافات شعر الخمریات عند بعض الشعراء ، وانحراف الصوفية عبر بوابة تعبيرات أهل الحلول والاتحاد بين الخالق والإنسان<sup>(٢)</sup> .

ويثبت أن نشوء التجربة والدافع للتعبير يزداد انبعاثاً عند الأديب المسلم مادام قد قضى على آلامه وتوتره وعذابه ؛ لأن هذا معين لإثراء معطياته الأدبية التعبيرية . ويكون الإسلام بضبطه وتوازنه ومنهجه (الالتزامي) "فتح الطريق أمامه - بعد أن حقق الوئام بينه وبين العالم - إلى أن يطرق أبواباً أخرى ، ويجتاز دروباً جديدة ... ويعمّق برؤيته التي فتحت أمامها الأبواب الموصدة مدى تجربته ... لقد قضى الإسلام على التوتر بصيغته التي قد تؤثر على السوية النفسية ، وتقودها إلى الدمار ،

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٣-٣٤) .

وتمثيلاً لعلاقة الدين بالشعر ، انظر : الالتزام الإسلامي في الشعر ، د. ناصر الخنين (ص ٢٩٥-٣١٤) ، والإسلام والشعر دراسة موضوعية ، د. إخلاص فخري عمارة (ص ٧-١٠) مبحث "تهم باطلة" .

وفي التزام (المسرح) انظر كلام الأستاذ محمد حسن بريغش حول ظهور المرأة أمام الرجال على خشبة المسرح في كتابه : دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة (ص ١٦٣-١٧٥) وفيه يردّ على آراء د. نجيب الكيلاني في ذلك ، مع ملاحظة إقذاع بريغش في الهجاء حيناً مما لا يليق بالحوار العلمي الهادف ، وانظر : الندوة الثقافية الكبرى ، إصدار الحرس الوطني (ص ١٥٤-١٥٥) ورقة عمل للدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله - .

(٢) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٤-٢٥) .

ولكنه (خلق) <sup>(١)</sup> في أعماق المؤمنين توترا من نوع جديد ، يعرف هدفه معرفة يقينية <sup>(٢)</sup> .

وينظر إلى التصورات الإسلامية الملتزمة بكونها "تفجر في وجدان الفنان المسلم - أكثر من غيره - شعورا حادا بالزمن ، وتدفعه إلى مزيد من (التعبير) باعتباره عملا يتقرب به إلى الله على الطريقة الإسلامية المتوحدة ... انبثاق يؤدي بتوحد رائع هدفين اثنين : الاستجابة لحاجة الفنان الملحة إلى التعبير ، والتقرب إلى الله .. لأن هذه الاستجابة بذاتها ... ليست سوى حمد وتسبيح للخلاق الذي أتاح للإنسان هذه المساحات التي لاتحدها حدود" <sup>(٣)</sup> .

والإسلام لايقف أبدا أمام (الأشكال) والقوالب مادام المضمون متوافقا مع التصور الأصيل ، بل يرى عماد الدين أن إطلاق الحرية الشكلية قد انسحب على الحكم والإدارة والاقتصاد والاجتماع والآداب والفنون "والإسلام يرفض من الأشكال - فقط - تلك التي ارتبطت عضويًا بمضامينها ، وأصبح من الصعب فصل إحداها عن الأخرى ، وإلا تعرضتا للقتل ، أو أخرجتا المتشبهين بهما عن قواعدهم العقائدية الأصيلة" <sup>(٤)</sup> .

ويضرب مثلا على رفض الشكل المرتبط بالمضمون بجانب المسرح ، فيقول : "إذا كان الفنان المسلم يشعر باستعلائه إزاء مايطرحه الفن المسرحي من مضامين عبثية خاوية ، أو مادية مغرقة ، أو خيالية مريضة ، أو واقعية هابطة (Realism) أو طبيعية مسرفة ، أو رمزية وثنية (Symbolism) ؛ فإنه - من جهة أخرى - يفتح صدره للأشكال المسرحية (الدائنامية) التي بدأت في العراء المكشوف ، وظلت تتطور حتى بلغت - في العصر الحاضر - المسرح الآلي الدوار" <sup>(٥)</sup> .

(١) سبقت الإشارة إلى استخدام هذه اللفظة - الباحث - .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٥٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٥٨) وهذا ما لم تلق له بالا أنظمة البشر وأفكارهم .

انظر في تقرير هذا : تهافت العلمانية ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٧-٦٦) وقد ذكر فيها عشر نقاط قيمة في بيان اختراق منهج العلمانية في تعامله وماينبته من انفصام عجيب .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٤) .

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

والتقصير في الاستعمال والتوظيف مسؤولية هذه الأمة التي تحب الاتكالية والرتابة ، ونحن "إن لم نُعدْ تشكيل عقولنا لكي (تعمل) كما أراد لها الإسلام أن تعمل .. فلن تكون لنا خارطة أو مكان في هذا العالم"<sup>(١)</sup> .

ويمثل بضبط هذه التصورات لمسألة الخيار ، وأنه لا يدخل دائرة الحرمة إلا بالمضامين التي يلتصق بها ويطرحها "فإن كانت عبثاً وتحلاً وإثارة ، وتخريباً وهدماً وفجوراً فهو الحرام بعينه ، وإن كانت جدّاً وبناءً والتزاماً فكرياً وأخلاقياً كانت الحلال بعينه ، بل إنها لتغدو واحدة من الضرورات التربوية التي تعتمد الأدب وسيلة مؤثرة فاعلة لتحقيق أهدافها البنائية"<sup>(٢)</sup> .

ويلمح في هذا تأصيلاً لموقف المرء من (الأدب) عموماً في نشاطه ، وأنه نشاط محايد لا يحكم عليه ابتداءً قبل ممارسة دوره ووظيفته ، ولا يرى - لزماً - على الأديب أن ينتظر آراء الفقهاء ليُقدّم أو يحجم<sup>(٣)</sup> ، فإن أصاب فأجران ، وإن أخطأ فواحد!<sup>(٤)</sup>

ونراه - في جانب آخر - ينتقد أولئك المتعجلين ، من الدارسين المتشجنين ، الذين يريدون تنفيذ قوالب صارمة حين يقومون بتصنيف أعمال إبداعية لأناس يصنفون اجتماعياً تحت طبقة معينة ، ويرى أنه لا يلزم استبعاد التصنيف الطبقي بآخر فني ، ويذكر أنه اطلع على حكم بعضهم ، وحاول "أن يتثبت من هذا الذي يقوله الرجل"<sup>(٥)</sup> .. أن يصدّق استنتاجاته التي يكتبها بجرارة وإلحاح .. فلا يصل إلى مايرجوه"<sup>(٦)</sup> .

(١) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧٦) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦١) .

(٣) لكن انضباط الأديب يقتضي الاهتداء ابتداء بوصفه (ملتزماً) ، وإنما شفاء العي السؤال ، وليس الاجتهاد متاحاً إلا لمن ملك أدواته - الباحث - .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص ١٦٢) .

(٥) كثيراً ماتقرأ أو تسمع عن بعض الأحكام (العامة) بالفاظها غير المنضبطة وعباراتها الفضفاضة - حيناً آخر - ، وحين تتوجه إلى الأعمال التي أطلقت عليها هذه الأحكام ، وتقرب منها أكثر ، تجد أن هذه الأحكام متجنية .. قد تصيب في شيء من زواياها ، لكنها تعتمد العواطف وإثارتها ، وماهكذا يأسعد تورد الإبل!! - الباحث - .

(٦) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦٧-١٦٨) .

ويرى أن هؤلاء سيجنون على أنفسهم بأنفسهم ، وأنه "مهما يكن من أمر فإنهم إن لم يختاروا أن يتعلموا بأنفسهم من الوقائع والأحداث والمتغيرات ، فستتولى هذه إرغامهم على التعلم ماداموا لايؤمنون بالاختيار الثقافي ويصرون على منطق الحتميات!"<sup>(١)</sup> .

ويوقن بأن فتح الأعين جيّدا إزاء ماتعرضه الحضارات الجديدة ، والقيام بالانتقاء والفحص هو سبيل التقدم وفق سلامة التصوّر ، والتزام القيم الإسلامية<sup>(٢)</sup> وهو مايسميه (الاختيار الحضاري الإسلامي)<sup>(٣)</sup> .

ولعلّ من الالتزام في الاختيار الحضاري الإسلامي معالجة قضايا الأمة المصرية ومعالجة فقرها وجهلها ، وحرمانها وأمراضها ، تصويرا وعلاجاً .. وهو مما يُعدّ (عماد الدين) ميرزا فيه من خلال معالم شخصيته التي مرّت بنا آنفا .

وينقل عن (سارتر) قوله : "إن لم يكن الأديب حليفا للمظلومين ، فلن يكون إلا شريكا للظالمين" ، ويرى أن ليس أحد أجدر من أدباء الإسلامية - في التزامهم وعمق تصوّراتهم وبعد نظرهم - بمعرفة حقيقة أنهم إن لم يكونوا مع المظلومين فسيكونون مع الظالمين ؛ لأن الكلمة (فعل) يبرّر للظالم أو ينتصر للمظلوم وهي حدّ وسط بين فاعلية اليد ورفض الباطن الصامت<sup>(٤)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ١٦٩) .

(٢) حينما قال نقادنا : (أعذب الشعر أكذبه) ، فإنهم "إنما أرادوا الإشارة إلى الخيال الشعري لا إلى الكذب الذي هو ضد الصدق" ، انظر : قضايا في الأدب الإسلامي ، أ.د. محمد بن سعد ابن حسين (ص ٢٩) ، وانظر : رسالة الهناء ، لأبي العلاء المعريّ ، تحقيق كامل كيلاني (ص ٩) وانظر (ص ١٢-١٧) منه .

(٣) انظر - في هذا - : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨١) . أما إذا اعتقد الأديب مايعتقده غيره - مما يخالف تصوّراته وقيمه - فستكون لدينا أعمال تستنّ بما يعيها ، من أمثال رمزيّات الصراع بين الإله والإنسان في (أولاد حارتنا) على سبيل المثال . وانظر في ذلك الكتاب النفيس - بحق - للأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني "جوانيّات الرموز المستعارة لكبار (أولاد حارتنا)" .

(٤) يرى هذا من خلال الحديث النبوي الشريف "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليسهه ، فإن لم يستطع فليقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" . انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧٧) .

وحركة (الالتزام) تُحمّل الكلمة "مسؤوليتها في تاريخ الإنسان وحركته صوب الحق والعدل .. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية<sup>(١)</sup>) والوجودية<sup>(٢)</sup> ...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته .. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الإنسان إلى الطعام .. على طاعية يُتخَم وفقر يموت جوعاً .. والوجودية تراها كذلك ، بدافع من مركّب نقصها إزاء الماركسية ومن الانتماء اليهودي الواحد لمؤسسي الحركتين ، وتضيف إليها مسألة "الحرية" المتبادلة بالالتزام ... (و)<sup>(٣)</sup> الإسلام يرى أن (الظلم) هو في إخراج الإنسان عن موقعه (الطبيعي) و(الأساسي) في خارطة الكون ، في تدمير (انسجامه) مع نواميس العالم والخلقة ، في تحويله عن "حريته" و"توازنه" و"توحده" إلى العبودية والتأرجح والتمزق<sup>(٤)</sup> .

فيكون دور الأديب الملتزم مواجهة هذا الظلم وبعث روح النصر لإخوانه في كلّ مكان .

وأصدق تعبير عن (التزام) الكلمة - كما يراه عماد الدين - هو في قول الحقّ - جلّ في علاه - ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) تعدّ الماركسية الأدب مرآة للمجتمع ، ويلتزم الواقعيون الاشتراكيون أن الإنسان محكوم بالحمية الاقتصادية فهي التي تحدد التطورات الحضارية والاجتماعية وفق البنيتين العليا والدنيا ، انظر : قضية الالتزام في الشعر العربي ، محمد عزام (ص ٢١-٢٢) .

(٢) والإنسان فيها مصدر الوجود والقيمة الحقيقية فيه والإنسان حرّ يفعل ما يريد وهو مسؤول عن اختياره !! انظر : المرجع نفسه (ص ٢٢-٢٣) .

(٣) زيدت للحاجة بعد الحذف .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص ١٧٧-١٧٨) ، وانظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٩) ، ومدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص ٦٠-٦٥) .

(٥) سورة الشعراء : آية ٢٢٤-٢٢٧ . والشعراء المذمومون هم "الذين لا منهج لهم ولا هدف ، وهم يهيمون في كلّ وادٍ من وديان الشعور والتصور والقول ، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات" . في ظلال القرآن ، سيد قطب (٢٦٢١/٥) .



فهو فعل "يلتزم .. ويثور .. يؤمن .. ويتجرك .. ويظل دائما على خط المظلومين حتى يتحقق لهم الانتصار على الظالمين" (١) .

ويذهب إلى أن موقف هذه الآيات "قد رفض الشعر الذي لا يؤمن ولا يلتزم .. شعر التيه والهيمن في الضباب والفناء الذاتي .. الشعر الانهزامي "المغلق" على حدود "الأنا" الغامضة ، المتميزة الضائعة حيناً ، والطاغية الظالمية الأثرة ، المستبدّة حيناً آخر" (٢) .

ويشير إلى أن التعبير عن الجمال والحياة والروح لا يخالف الحديث عن قضايا الأمة وآلامها وهذا هو الفهم الصحيح للالتزام (٣) .

ورداً على من يرون في هذا (الالتزام) ردّاً لكثير من منابع التجربة ، وإيقافاً لتدققها صاحب يقول : "إن الدراسة النظرية لحرية التعبير الذاتي في القرآن والسنة وكتب الفقه توضح لنا معالم الطريق" (٤) .

ويرى أنه "ليس ثمة عبث ولا جدوى كما يرى (كامي) ، وليس ثمة لامعقولية للحياة والوجود كما يرى (كافكا) ، وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى (سارتر) ، وليس ثمة تناقضات نفسية ، لانهاية لها ، تنتهي دائما بالضياع كما يرى (دستوفسكي) وذلك أن (الفن الإسلامي) يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف ، ومن الاستقامة لا الانحراف ، فلوجود غاية

= ولئن أراد الدكتور غازي القصيبي بآخر الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون صاحب (الآيات الشيطانية) فإن أقرانه وأشكاله كثيرون على الطريق ، لا يقفون عند شخص معين .

انظر كلام د. غازي القصيبي في كتابه : من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون (ص ٨١-٨٤) وانظر : قضية الإسلام والشعر ، إدريس الناقوري (ص ٣١) .

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٨٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٨٨) .

والالتزام "لا يعني أن يعيش الأدباء المسلمون إحساساً واحداً واهتمامات متشابهة ، وعواطف وتصورات وانفعالات نفسية واحدة ، إن وحدة الفكر لاتعني أبداً وحدة الفن" . الواقعية

الإسلامية في الأدب والنقد ، د. أحمد بسام ساعي (ص ٣٥) .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٤) .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولكدح الإنسان جدوى  
 ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا  
 مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> ... وحرية الإنسان  
 عميقة في كيانه ، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التي تنتهي دائما بتهديم  
 الإنسان ، وتمزق علاقته مع الوجود الخارجي من حوله"<sup>(٤)</sup> .

وهذا ما يعتقده في حرية الفنان والأديب المسلم - مع التزامه - في التعبير عما  
 يدور في نفسه ؛ إذ "ليس ثمة ما يقف في طريقه صوب التعبير عن أكبر القضايا  
 وأصغرها .. عن أشدها قسوة وصلابة ، وأكثرها لنا ونداوة .. عن النجم الثاقب  
 في أعماق السماء ، وعن خطفة الإيمان الغائرة في ثنايا الوجدان .. عن الأكوان  
 والسدم والنجوم وهي تسبح في مداراتها الأبدية .. وعن الذرات التي لا تراها العيون  
 وهي تسبح بصمت وخفاء في تلايف الأشياء .. عن الملاء الأعلى ، والعوالم  
 الخفية"<sup>(٥)</sup> والأمم التي لا نعرف عنها إلا القليل القليل : جنا وملائكة ، أرواحا هائمة  
 في الملكوت ، وشياطين متحفزة متوثبة في الشيا والمنتعطفات .. وعن العالم الراهن  
 بكل ما يحويه من متناقضات وما يثقل به من حسّ وعذاب ، وما يؤرقه من رغبة عاتية  
 في الحرية الحقيقية والعدل والسلام ... الفنان المسلم يجد نفسه (مسؤولا) عن تجسيد  
 المأساة وتصويرها ، وعن تشخيص مافيها من أدواء ، وعن تحديد معالم الطريق  
 الذي يخلص الإنسان المعاصر من الدوامة التي تطحنه"<sup>(٦)</sup> .

- (١) سورة المؤمنون : آية ١١٥ .
  - (٢) سورة الانشقاق : آية ٦ .
  - (٣) سورة النجم : آية ٣٩-٤١ .
  - (٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٤١-٤٢) ، وانظر نماذج الحرية  
 المنضبطة التي ذكرها في (ص ٣٥-٣٦) .
  - (٥) لعله يعني - ولا شك - عرض ذلك مما جاء به النصّ ونزل به الوحي فحسب - الباحث - .
  - (٦) المرجع نفسه (ص ١٨٧-١٨٨) . وانظر : جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر ،  
 يحيى زكريا الآغا (ص ٢٦١-٢٦٨) .
- وانظر مناقشة شبهة نيل الالتزام من حرية الشاعر - في كلام نفيس - في : الالتزام الإسلامي في  
 الشعر ، د. ناصر الحنين (ص ٣١٥-٣٣٣) .

ويرى أن الأديب أو الفنان الذي لا ينتمي لأي فكر أو اعتقاد ، يقع في براثن الغواية دون رشد ، ويضرب مثالا بأولئك الذين "يأتون إلى ساحة التاريخ الإسلامي فيختارون بعض وقائعه ، ويعيدون صياغتها وتركيبها وعرضها فنيا من زاوية شخصية مزاجية حيناً ، تجارية مرتزقة أكثر الأحيان .. فإذا بأخطر وقائع هذا التاريخ تتحول في جوهرها إلى قصص حب جارف وغرام ملتهب يكون بمثابة السبب الأكبر والأهم وراء الأحداث والإنجازات التاريخية الكبيرة بما فيها المعطيات العقيدية الصرفة .. وإذا بالعديد من الشخصيات التاريخية التي نرفت - عبر كفاحها الطويل - عرقاً غزيراً ودماً كثيراً ، وانتهى بها الأمر - في بعض الأحيان - إلى الاستشهاد ، إذا بها لا "تتحرك" في كفاحها هذا إلا من خلال عاطفة حب جارف وهيام عنيف آسر بالمحسوب!"<sup>(١)</sup> .

ومن جميل مطروحه مادَّبجه حول علاقة الشكل بالمضمون في العمل التمثيلي من خلال مفهوم الالتزام وضوابطه المرنة المتميزة<sup>(٢)</sup> ، ووضع ستة مقترحات مهمة لتبني هذا الاتجاه تمثيلاً على قدرة (الأدب والفن الإسلامي) على التشكّل معرفياً وواقعياً أمام الناس<sup>(٣)</sup> .

وهكذا يكون نزول (الأدب الملتزم) إلى الساحة بقوته وقدرته على الإقناع ، متوافقاً مع الأطروحات التي تنحّي مذاهب أخرى قد تكون متناقضة - أساساً - مع هذا التوجّه المنسجم وطبيعة الإنسان في فطرته السوية ، المتناغمة مع حقيقة علاقته بالله . مما يجعله أهلاً للتأثير والفاعلية ، ملغياً شبهة (التقريرية) و(الوعظية) التي يتهمه بهما - وبغيرهما - كثير من مناوئي منهج (الأدب الإسلامي والالتزام) .

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٠٧) ، ويضرب مثلاً على الانفصام الذي يكون بهذه الصورة بمن يمثل دور خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم يأتي بعد شهرين فاسقاً شريراً أو متملقاً ذليلاً ، ومن تمثل دور الشيماء أخت الرسول عليه الصلاة والسلام ثم تمثل دور امرأة ساقطة . انظر (ص ٢١٠) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص ٢١٠-٢١٣) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص ٢١٣-٢١٦) .

فالأدب المشحون بهذا التصوّر المنضبط لا يمكن أن ندعوه إلى المباشرة والتقريبية وأن يفصح عنه بفجاجة عن مطالب العقيدة والتصوّر ، وظنّ مثل هذا مردود جملة وتفصيلاً ؛ لأن (الالتزام) "لن يتحقق بصيغته المقبولة إلا بأن يتفجر من الداخل .. أما إذا أقحم على العمل الأدبي إقحاماً فإنه لن يكون التزاماً ولكنه توظيف سئ للفن والأدب" (١) .

وحين يستقر هذا التصوّر في نفس المرء ؛ فإنه يهتدي به في ظلمات التيه التي تسحق غير المهتدين بهذا القبس !

"ومن ثم يحى الالتزام عجيباً فذاً ، لم تشهده مذاهب الفن الأخرى ومدارسه التي دعت إلى الالتزام ، لكنها سرعان ما مارست الضغط والإكراه ، والتكلف والثنائية ، والازدواج والوعظ والمدرسية .. لا لشيء إلا لأنها لم تطرح التصوّر الذي ينسجم وفطرة الكون والإنسان (٢) ، وإلا لأنها لم تشحن حسّ فنانيتها بما يفتح وجدانهم على ما يحيط بهم من مخلوقات!!" (٣) .

ويستغلّ (الالتزام) حتمية الصراع والتقابل بين الخير والشر ، والهدى والضلال ؛ لأنه يعلم علم اليقين أن هذا الصراع ضرورة من ضرورات الحياة البشرية ذاتها وهناك "صراع بين الإنسان ونفسه لمحاربة قوة الشرّ التي تستفزه من الداخل ، وهناك صراع بين الإنسان وبيئته لمحاربة قوى الضلال التي تتحداه من الخارج .

(١) المرجع السابق (ص ١٦٠) .

(٢) يحسن الاطلاع على مقال الروائية الأمريكية (ليليان سميث) تحت عنوان : "الروائي يجب أن يلتزم" . انظر : الفنان في عصر العلم ومقالات أخرى ، مجموعة من المؤلفين ، ترجمة فؤاد دؤارة (ص ٥٦-٦٣) .

(٣) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩١) .  
ويقول في موطن آخر : "إن الأدب والفن عموماً ، هو تعبير (جمالي) (مؤثر) عن الرؤى والتجارب والمواقف والقناعات والخبرات .  
ليس أدباً أو فناً ذلك الذي يتشبه بالجمال وحده .  
ليس أدباً أو فناً ذلك الذي يعتمد على التأثير وحده" . مؤتمر الأدب الإسلامي (١/١) ، بحث الدكتور عماد الدين خليل "وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي" .

وفي الحالتين تتحرك الحياة البشرية وتتجاوز مواقع السكون إلى التشكل المستمر والصيرورة المبدعة<sup>(١)</sup> ، والحياة التي لاتفيد من هذا الصراع في ذاتها وأفرادها حياة ثابتة "أتراها حينذاك تعدو أن تكون بحيرة راكدة؟ وهل تكون حينذاك جديرة بأن تعاش حقاً؟"<sup>(٢)</sup> .

ويتذكر (الملتزم) - في فعله وقوله - التزام رسوله ﷺ في فعله وحركة لسانه ؛ حيث "مضى ثلاثة<sup>(٣)</sup> وعشرين عاما يواصل التزامه ليلا ونهارا .. لم يتساهل ولم يرتح لحظة واحدة .. مضى لكي يؤدي المطالب الصعبة ويضرب بسلوكه النبوي مثلا للذين يعايشونه ، ولكل القادمين فيما بعد عليهم ينفذون عشر ما كان عليه الصلاة والسلام ينفذ"<sup>(٤)</sup> .

وهو تعامل مع نفس بشرية لها قوتها وضعفها ، وإحساسها بالخير ، وانسياقها مع الشر ، لكنه المنهج الذي يضبط هذه النفس ، ويعلي من قدرها بإعلاء توهجها وتوجُّهها<sup>(٥)</sup> .

ومما يذهب إليه - كذلك - الدكتور عماد الدين خليل أن الالتزام "أصبح في العقود الأخيرة بمخاض ، نظرية عالمية تأخذ بها وتبناها كبرى المذاهب والاتجاهات الأدبية"<sup>(٦)</sup> .

لكن فكرة الالتزام (الوجودي) - على سبيل المثال - التي نادى بها (سارتر) وتلامذته تقوم على النفي المطلق لكل القيم والمقولات والعقائد السابقة ؛ وبهذا ينتج الأديب (الوجودي) رأيا مستقلا تجاه كل واقعة جديدة تمر به ، والحكم مردود إلى رغباته ونزواته ونظراته!

(١) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١٣٨) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) في الأصل (ثلاثا) ولعل الصواب ما أثبتناه - الباحث - .

(٤) المرجع نفسه (ص ٤١) .

(٥) راجع كلام د. عماد الدين الرائع عن تعامل منهج الإسلام مع الروح والنفس في كتابه "العلم في مواجهة المادية" في تسع عشرة فقرة - الباحث - .

(٦) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦٠) ، وانظر : النقد الأدبي

قضايا واتجاهاته الحديثة ، د. عماد حاتم (ص ٣٨-٣٩) .

ويرى أنهم موصوفون بمثل قوله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾<sup>(١)</sup> .

يقول سارتر : "قد تسألون : ملتزم بماذا؟ إذا قلنا : بالدفاع عن الحرية كان جوابنا سريعاً : هل القضية أن نكون حراساً للقيم المثالية ، أم علينا أن نحمي الحرية العينية اليومية"<sup>(٢)</sup> .

و(سارتر) نفسه يرفض مقولة (الالتزام الشعري) ، ويذهب إلى أن الشاعر لا يمكن أن يلتزم<sup>(٣)</sup> ، فالشعر متفكّ عند من الشاعر بلا خطام أو زمام ، والالتزام لا يكون إلا عن إرادة وقدرة!<sup>(٤)</sup>

ويستدرك هذا الدكتور عماد الدين بالتفاته جميلة ؛ حيث يؤكد قدرة القوة الإيمانية والممارسة على "تطويع الأداة الشعرية لتحقيق الالتزام المرتجى .. ليس هذا فحسب ، بل إنها قادرة على تحقيق التوحد الكامل بين الشاعر والموقف

(١) سورة النجم : آية ٢٣ .

(٢) الأدب الملتزم (ص ١٠٣) نقلاً عن : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠٨) .

(٣) يعرض بعض الباحثين جانب التزام الشعر (قضايا المجتمع والأمة) على أنه (واقعية اشتراكية) وفي هذا مغالطات عديدة .

"صحيح أن الاشتراكيين يقتربون من هذا المفهوم ، لكن الأصح من ذلك أن الإسلام قرّر مذهب الالتزام قبل الاشتراكية ، فقد صور الشعراء وهم يهيمنون في كلّ واد ، واستثنى منهم الشعراء المؤمنين ، إيماناً يتجاوز الحناجر إلى الضمائر ، يؤمنون ، ويعملون الصالحات ، ويذكرون الله ، ليس ذكراً لسانياً بترديد لا إله إلا الله ، بل ينطلقون من منهج الله" .

انظر : اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، د. عبد الله الحامد (ص ١١) ، والحضور مقالات في الأدب والحياة ، أزراج عمر (ص ٢٢٥) .

وانظر : الأنواع الأدبية ، د. شفيق البقاعي (ص ٢٢٧-٢٣٠) ، وفي النقد والأدب ، ماكس أدريث ، ترجمة د. عبد الحميد شيحة (ص ١٥٢-١٥٤) في مسألة رفض الالتزام .

(٤) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠٩-١١٠) بتصرّف . ويقارب د. عماد الدين بين مفهوم التفكّك وانزلاقية الشعر إلى الازدواجية القاتلة الواردة في آيات (الشعراء) ولكن نظرة (سارتر) أحادية الجانب تمارس خطيئة التعميم . انظر : المرجع نفسه (ص ١١٠-١١١) .

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا  
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> " (٢)

والالتزام الإسلامي يتوسط في نظرتنا هنا ، فلا هو بالذي يخرج الشعر من دائرة الالتزام مدّعيًا عدم قدرته على تفعيله ، ولا بالذي يصنع منه أداة دعائية! ولكنه يضعه موضعه الحق على ضوء القدرة البشرية على تحويل المادة الشعرية إلى ممارسة تعبيرية ، يتوحد فيها القول بالعمل ، ويلتقي الظاهر بالباطن ، وتتحد الكلمة بالسلوك<sup>(٣)</sup> .

وهذه الحرية الإسلامية التعبيرية تنطلق وفق حضارة الإسلام المجيدة<sup>(٤)</sup> ، لاثميد عنها ، ولاتنفكّ منها ، ولئن كانت بداياتها - بلبوس الالتزام - قد تبدو ضعيفة من حيث التعامل الفني ، فتظهر البداية هشّة مسطّحة ؛ إلا إنها تتفاعل وتتنامى مع الزمن ، فتبدو أكثر أصالة وعمقا وتأثيرا ، ويرى أنه قد لا يكون حينها ثمة متسع للتحسين الجمالي ، والتزييق الفني ، لكنّ هذا النوع من التعبير المنضبط - بعد ذلك - "يتجاوز طرح المعاني المباشرة التي اقتضتها الضرورات التاريخية الأولى"<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٧ .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١١١) .

(٣) نفسه .. وهذا من الردود على من لا يرون الصلة بين الأدب والسلوك تفاعلا وتقويما بل يرون أن (الأدب) محايد! وأنه لم توجد فنونه لتخدم الأخلاق - الباحث - .

وانظر - مثالا على هؤلاء - : مع الشعراء ، د. زكي نجيب محمود (ص ١٨٧-١٩٧) .  
وما أجمل ما كتبه الدكتور محمد رجب البيومي حول الميزان الخلقي في النقد الأدبي في كتابه "بين الأدب والنقد" (ص ١٩٩-٢٠٦) ، وانظر كذلك (ص ٢٤٥-٢٥٢) ، وانظر : تلييس مردود في قضايا حية ، د. صالح بن حميد (ص ٢٢-٢٧) .

(٤) انظر في مقدرة هذه الحضارة على التأثير : قالوا عن الإسلام ، د. عماد الدين خليل (فصل الحضارة الإسلامية) (ص ٣٢٩-٤٠٦) ففيه نقولات معبرة ، وانظر : الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٥-١٥٣) مثالا على خصائص الإسلام .

(٥) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٣٢) .

ويميل عماد الدين إلى أن القرآن الكريم بهر عقول العرب وقلوبهم ،  
 فظهرت آياته مثلاً أعلى في التعبير لا يطبقونه ، فانساق الشعراء الرواد في لحظات  
 الانبهار هذه وراء تأثيره ، ثم لما ابتعدت الأجيال التالية عن لحظات الانبهار أكثر  
 من ذي قبل عاد تمثل الشعراء كما كان من جهة التجربة وظهورها بصورة أكثر  
 فنية وبهاء وجمالاً . وهو احتمال خطر في ذاكرته وهو يسترجع أدوار الزمان وعطاء  
 هذه الأمة فيها<sup>(١)</sup> ، ويراها تخميناً قد يتأكد وقد يبقى ظناً<sup>(٢)</sup> ، ولكنه قد لا يخفى أن  
 هناك نماذج ولحاحات قيمة في النتاج المبثوث بعد ذلك ، واكتسب الشعر بعدها خبرة  
 ومرونة وطول نفس ، "وإذا كنا في العقود الأولى لانكاد نعثر إلا على لحاحات مبعثرة  
 هنا وهناك ، تكدُّ العين في الوقوع عليها ، فإننا في القرون التالية نجد أنفسنا في إسار  
 صعوبة من نوع آخر تماماً : الكثرة المحيرة .. بحر من العطاء الشعري الذي لا يدري  
 الإنسان ماذا يأخذ منه وماذا يدع!"<sup>(٣)</sup>

وينادي - عبر مقترح جيد - إلى أن يتداعى أديب متفرغ أو لجنة من أدبائنا  
 ونقادنا ، لتنفيذ مشروع مهم - يخدم بيان هذا التوهج في النتاج الملتزم عبر تاريخنا -  
 حيث تقيد وتصنف الأعمال الشعرية عبر تاريخنا الأدبي كله ؛ وفق المعايير  
 والضوابط الإسلامية ، ثم تكون الدراسة والنقد والتحليل ، وقد يعنون لهذا المشروع  
 تحت شعار : (ديوان الشعر الإسلامي) .

"وحشود القصائد الإسلامية مطمورة هناك في خضم تراثنا الأدبي ، وليس  
 سهلاً الاطلاع عليها كما لو كانت منتقاة ومعرضة في مكان واحد"<sup>(٤)</sup> .

ومما يؤكد في خضم المعركة بين دعاة الالتزام الإسلامي في التصور والعمل  
 أن ضوابط الالتزام تتوافق مع موقف المسلم من (الجمال) المنبعث من ذاكرة التاريخ  
 أو حقيقة الواقع المشاهد ، فليس ثمة جمال رجعي أو تقدمي ، وإن كان يزداد  
 توهجاً ونضجاً مع الزمن والخبرة والممارسة .

(١) انظر في هذا : المرجع السابق (ص ٢٣٥) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص ٢٣٥-٢٣٦) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٣٦) .

(٤) المرجع نفسه (ص ٢٣٨) .



ولهذا يرى عماد الدين أن معارك ثلاثينيات هذا القرن وأربعينياته حول (القديم والجديد) لم تكن تصدر عن رؤية حقيقية متوازنة ، كما إن "كلا الطرفين كان مصيبا وكلا الطرفين كان مخطئا .. مصيبا من حيث إنه ينافح عما يرتفيه جمالا فيما بين يديه من قديم أو حديث .. مخطئا في إشاحة بصره عن حقيقة أن القديم الذي يرفضه ، أو الحديث الذي يتشنج إزاءه ولا يطبق التعامل معه ، يتضمن قدرا من الجمال ليس من السهولة بمكان إلغاؤه<sup>(١)</sup> من الحساب"<sup>(٢)</sup> .

ويقف متسائلا عن أولئك الذين يصابون في قدراتهم الحسية ونقائهم الروحي وعدم تمييزهم للجمال الحقيقي لا الموهوم ، كما هم "مصابون - أيضا - بما يمكن تسميته عمى الألوان .. فقدان القدرة الحسية على تمييز الحدود الفاصلة بين الألوان خلال معاينتهم العمل الفني فيتوهمونه يشع حمرة وردية بينما هو يعكس في الوقت نفسه ظلالا هادئة خضراء ، ويروونه يتلأأ بياضا<sup>(٣)</sup> بينما هو في بعض زواياه يعتمد إلى درجة السواد الكثيف"<sup>(٤)</sup> .

وإذا كان (الأدب الإسلامي) تعبيرا جميلا عن التصور الإسلامي للحياة ، فإن الجمالية شرط في تكوين هذا الأدب ؛ لأنه يقوم عليها في كثير من أجزائه ، وهذا لا يقف عند آدابنا ؛ بل يتعداها إلى غيرها .

وعلم الجمال<sup>(٥)</sup> (الاستتيك أو الاستطيقا) (Aesthetic) "يُعنى بالمفهوم اللغوي الحرفي وهو دراسة المدركات الحسية ، أو علم المعرفة الحسية التي تشكل قاعدة الفنون الجميلة"<sup>(٦)</sup> .

(١) في الأصل (إلغاؤه) ولعل الصواب ما أثبتناه - الباحث - .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص ١٧٠) .

(٣) يسوغ كثير من مثقفينا التحرر من (قيود) الالتزام التعسفية - في نظرهم - ادعاء للتنفيس عن (المواطن في البلاد الإسلامية والعربية) ! وكأن آلامه وآماله تنطلق مسارات العمل لها من خلال هذا الانعتاق (الفريد) ! - الباحث - .

(٤) المرجع نفسه (ص ١٧٢) .

(٥) يعبر بعضهم بمصطلح (الجماليات) خلوصا من إشكالية مصطلح (العلم) . انظر : في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن ، د. علي أبو ملحم (ص ٥) .

(٦) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٧-٣٨) .

ويذهب عماد الدين إلى أن الأسس الجمالية لحركة الأدب الإسلامي تركز على دائرة النشاط الأدبي والفني عموماً لكونه نشاطاً إبداعياً جمالياً ، ويحقق أن تميز منهج الأدب الإسلامي ذاته يوجب تميز الأسس الجمالية المنبثقة عنه ، ولا تهمل هذه الأسس - كذلك - مراعاة النظر إلى الكون والوجود والحياة والإنسان بحثاً عن طرائق الجمال ومعطياته . وبهاء الشكل وحسن الفعل ركيزتا الجمال المتلازمتان دوماً ، لا تنفك إحداهما عن أختها<sup>(١)</sup> .

ويثبت عماد الدين ما ذكره غير واحد من علماء العربية .. وهو أن الجمال ضربان :

أحدهما يُعنى بالجمال في ذاته ، والآخر يبحث في تأثير الجمال في الآخرين ويربط ذلك بسعيهم في بيان مصطلحات قريبة كالحسن والإحسان والإبداع والزينة<sup>(٢)</sup> .

ويخطئ أولئك الذين يعتقدون أن تحميل التعبير الأدبي والفني قد يتناسب عكسياً مع الارتباط بالتجارب المعاشة ، بالاجتماع والحياة ! ، ويؤكد أننا حين نتبين نظرتهم تلك "ندرك كيف أن دعاة الجمالية رفعوا الجمال فوق الحق وهي علاقة تبدو في التصور الإسلامي ... نوعاً من الافتراض الموهوم ، أو على الأقل ، الافتراض الذي يضحّي بالقيم ويعيد جدولتها بما يلحق ضرراً بموقع الإنسان ودوره في العالم وطبيعة ارتباطاته بالجماعة ، فضلاً عن أنه قد يضع الإبداع في مواجهة ضد القيم وليس في تساوق معها"<sup>(٣)</sup> .

ويشير إلى ذلك في الموطن ذاته فيقول : "تبدو مبالغة جمالية القرن التاسع عشر في السعي للتحرّر من ضغط القيم والضوابط الروحية والأخلاقية والاجتماعية ردّ فعل ضدّ ما يسميه (جونسون) فجاجة الأخلاقيين والنفعيين في ذلك الزمان ،

(١) انظر : المرجع السابق (ص ٣٨) .

(٢) انظر في هذا كله : المرجع نفسه (ص ٣٨-٤٦) .

وانظر تقسيم العرب للجمال في مقال الأستاذ حمد إبراهيم الحقييل في كتابه "صيد القلم" (ص ٨٢-٨٣) .

(٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٨-٤٩) .

وأن الفن في الواقع فن وليس شيئاً آخر ، وأن قيمة الفن توجد في ممارستها المباشرة له ، وليس فيما يقال عن تأثيره في السلوك" (١) .

وينقل عن (جونسون) نفسه استشهاده بمقولة لناقد الرسم المعروف (روجر فراي) "تؤكد ضرورة الارتباط بين الجمال والقيمة ، حتى في الفن ؛ من أجل أن تمنحه قدرة على التوغل والاستشراق ، فتزيده عمقا وخصبا وامتدادا" (٢) .

ويلمح اضمحلال أنصار (الجمالية) في القرن العشرين ، وأنهم انصرفوا صوب المذاهب الأدبية المندفعة بردّ فعل مضادّ ، ومنهم من حملها وفق تصوّراته ، كما فعل الماركسيون ؛ ذلك أن "الجمالية الماركسية تدّين ، وبصيغ تعميم قاطعة ، كافة المحاولات الجمالية خارج دائرة الماركسية ، تتهمها بالسطحية ، وبتجميع ملامح متفرقة ... وهي - أي الجمالية الماركسية - على طريقة المؤسسة الكهنوتية في العصور الوسطى ، تحصر الحق المقدس للبحث في الجمال في نطاق الكهنوت الماركسي الجديد وحده!" (٣) .

وقد كان لهذه النظرة الطبقية أثرها في تقويم مسيرة النقاد العرب ؛ حيث يرى (أوفسيا نيكوف وسمير نوبا) في (موجز تاريخ النظريات الجمالية) ، أن "تعاليم اللغويين والأدباء العرب هذه هي انعكاس وتعبير نظري عن المفاهيم الشكلية التي كانت منتشرة بشكل واسع في الأشعار الديوانية (نسبة إلى الديوان مكان جلوس الخليفة) وهي معظمها أشعار منمّقة هدفها المديح ... وقد ظهر هذا التحديد الطبقي أيضا في ترفعهم عن الإنتاج الشعبي المعاصر لهم مثل الأقاصيص الرائعة (ألف ليلة وليلة)" (٤) .

وفي سبيل دحض هذه الافتراءات ، ينقل عماد الدين كلام نقادنا القدماء وانقسامهم تجاه قضية الشكل والمضمون ؛ مما يضعنا أمام تصور بعيد عن أحادية الرؤية ، وخطأ التعميم في الأحكام النقدية (٥) .

(١) المرجع السابق (ص ٤٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٤٩-٥٠) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٥٢) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص ٥٩) .

(٥) انظر : المرجع نفسه (ص ٦٠-٦٢) .

ولا يرى (الفلسفة الغربية) بعيدة عن شطحات الماركسية والوجودية .. فأطروحات (كانت Kant)<sup>(١)</sup> و(هيجل Hegel)<sup>(٢)</sup> الألمانيين ، و(بيلنسكي) و(جرنفسكي)<sup>(٣)</sup> الروسيين كذلك - على سبيل المثال - دليل هذا الشطح . كما كانت كذلك عند (سانت أوغسطين) الذي يمثل (الاستطيقا النصرانية) التي ترى الجمال في الإله ، والإله لديها مكان الخير الأسمى أو الفكرة (Idea)<sup>(٤)</sup> .

خلافًا للنظرة السليمة للجمال في الإسلام ومنهجه القويم ؛ لأن "الجمال في المنظور الإسلامي ليس هدفًا بحد ذاته - كما قد يتبادر إلى الأذهان - وماثمة في الإسلام (برناسية) تدعو إلى مذهب (الفن للفن) أو (الجمال للجمال) ... الجمال في الإسلام جمال (قيمي) .. فما يقود إلى قيم إيجابية تبشيرا وتحقيقا وتعزيزا هو الجمال المطلوب ، وما يقود إلى قيم سلبية هو الجمال المخادع ، المرفوض"<sup>(٥)</sup> .

ويضرب أمثلة عديدة لذلك من كتاب الله تعالى ، مما يقود إلى تلمس الجمال في هذه الحياة ، "ومن خلال هذا الحوار الذي يفتحه الله سبحانه بين منافذ الإنسان الحسية والكون ، يبلغ أولئك الذين يملكون إحساسا عميقا ، وتوقفا متصلا ،

- (١) يرى (كانت) عزل العمل الفني عن الواقع ، وعزل الشكل عن المضمون ، وأن يجعل منه مطلقا في ذاته . انظر : المرجع السابق (ص ٦٤) ..
- وانظر : الاشتراكية والفن ، ارنست فيشر ، ترجمة أسعد سليم (ص ٣١-١١١) .
- (٢) يرى د. عماد الدين أن (هيجل) أبان ضعف شكلية (كانت) وأنه جاهر باتحاد الشكل والمضمون وسيطر على أفكار ألمانيا وشبابها ، ويرى أن طابع فلسفته مزدوجة لأنها مثالية المذهب جدلية المنهج . انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص ٦٥) .
- (٣) وقد طوراً فلسفة (هيجل) ، ورفض الأول أسس الجمالية لديه ، وأنكر (بيلنسكي) - كذلك - نظرية الفن للفن وعدّها رجعية . وألّف الآخر رسالة (الفن وعلاقته بالمجتمع) داخضا آراء (هيجل) باحثا عن الجمال في الوجود ذاته ، بينما كان (هيجل) لا يراه في أرض الواقع ، ويرى رسالة الفن في الحياة تربوياً واجتماعياً وفكرياً . انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص ٦٥-٦٦) .
- (٤) انظر : المرجع نفسه (ص ٦٣-٦٤) .
- (٥) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٤) ، وانظر (ص ٩-٣٣) ، (٤٨-٣٥) .

واستجابة مترعة .. يبلغون - في إطار تجربتهم الإسلامية - حدًا عاليًا مما يمكن أن نسميه (الحسية الفنية أو التعبيرية) تلك التي تحيل كل واحد منهم إلى آلة موسيقية مشدودة الأوتار ، تعزف ألحانها دوماً لكي تعبّر عن أشواقها ، أو ريشة سحرية ترسم بألوانها الفدّة لوحات عن العالم العبقري الذي صنعه الله سبحانه ، أو قلم يحترق ناراً لا تكفّ اليد التي تمسك به عن الخفقان" (١) .

وهكذا كان رسول الله ﷺ يفعل مع أصحابه ، محرّكا فيهم صفاتهم الخاصة وصدقهم الباطني ، وإيمانهم العجيب المطلق ، وفتح لكل واحد منهم ما يناسبه من الحال ، فمنهم من يتحدّى الغموض ويستعلي ، ومنهم من يغلب عليه الحياء والحلم ومنهم من يأنس بتخوم المعارك الفاصلة وساعات الملاحم ، ومنهم من يأوي إلى غير ذلك (٢) .

وهكذا شأن (الالتزام) في منظومة الدراسات الأخرى ، والفنون الإسلامية ذات التأثير الواضح بتصورات الإسلام وضوابطه .

ومما أعاد عماد الدين النظر فيه - حول هذه المسألة - ما كان قد ذكره في كتابه (في النقد الإسلامي المعاصر) (٣) حول الخط العربي وسيلة تزيينية ، فقد أشار إلى كونه لا يعكس رؤية إسلامية للعالم والوجود ، وأنه مسألة تاريخية .. لا يقدم قيمة إسلامية!

فلما جاءت أواخر الثمانينيات ، أعاد النظر في رؤيته ، وأخرج لنا كتاب (الفن والعقيدة) ؛ حيث جمع فيه ماله قيمة من النصوص الفريدة لجملة من المؤرخين والفلاسفة والآثاريين ، والنقاد والأدباء الغربيين ، ممن اكتشفوا الرؤية العقديّة في الخط العربي .

وكلّ ذلك من خلال كتابه (الفن والعقيدة) الذي جاء بعد كتابه (في النقد الإسلامي المعاصر) أي بعد ثلاثة عقود تقريباً (٤) .

(١) المرجع السابق (ص ٤٩) .

(٢) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٨-٢٩) .

(٣) انظر : (ص ٤٤-٤٦) .

(٤) انظر في هذا : لقاء الأردن (ص ٥٧) .

إن عماد الدين يقرر - بعد ذلك - أن العقيدة الإسلامية والتزاماتها وتصوراتها تضبط هذا الفن باتصالها بجبل من السماء .. وهذه التصورات المنضبطة هي التي صاغته ونفخت فيه روحها ، وجعلته يتميز سواء كان فناً معمارياً<sup>(١)</sup> أو فناً تزيينياً مثل الخط والزخرفة<sup>(٢)</sup> .

ومن جملة سياقات كتبه ، يطلّ علينا كتابه (الطبيعة)<sup>(٣)</sup> في الفن الغربي والإسلامي وهو دراسة في الفن التشكيلي عبر حلقة الرسم ، وقدرة الفنان (المسلم) على "أن يعتمد هذا التعبير عن رؤيته بمجرد أن يتجاوز التشخيص المحرم"<sup>(٤)</sup> ويمكن بعد هذا أن تفتح أمامه الآفاق للتعبير عن الكثير من الرؤى والمواقف والتصورات بقوة اللون وتوزيع المساحات على الطول والعرض في اللوحة الواحدة التي يمكن أن تقول الكثير مما لا تستطيع الكلمات أن تقوله ... بمجرد أن يتجاوز التشخيص المحرم أو أحياناً المكروه<sup>(٥)</sup> .

إن انطلاق التصور عبر بوابات الالتزام باستخدام لغة الفرشاة يحملنا على إدراج هذه المسائل وفق زمرتنا العلمية ؛ لأننا نتحدث عن ميزان هذه التصورات

- (١) انظر جميل ماكتبه (Christie. Arnold Briggs) وترجمه د. زكي محمد حسن في كتاب "تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة" (ص ١١١-١٦١) ، وكتاب الفن الإسلامي التزام وإبداع ، صالح أحمد الشامي (ص ٢٨٥-٣٤٢) .
- (٢) لقاء الأردن (ص ٥٨) .
- (٣) يعني بذلك مفهومها المتسع في الدراسات الجمالية والفلسفية في شمول (العالم) الخارجي ككله ، ولكنه قصد في الكتاب (المادة الخام) في الطبيعة التي خلقها الله . انظر : الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (ص ٥-٦) .
- (٤) كنحت ذوات الأرواح ونحوها من التماثيل - الباحث - .
- ومن أفضل ماسطر في ذلك كتاب الأستاذ الفاضل مصطفى عبده "أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي" (ص ١١٩-١٢٤) ، وانظر كذلك (ص ١٧١-١٧٧) .
- (٥) لقاء الأردن (ص ٥٩) .

لدى الفنان والأديب الملتزم<sup>(١)</sup> .

وإن هذه الرؤية الملتزمة تنقض تحبّطات الباحثين الغربيين في الفنون ، "فإننا لا بد وأن نعثر على نوع من الثنائية أو التقسيم التعسفي للإنسان والعالم .. وكأن تجربة آبائهم وأجدادهم إزاء الكون والطبيعة والعالم ، ألزمتهم بعبارة (إما هذا أو ذاك) ، دون أن يؤمنوا يوماً بأن هنالك بديلاً منطقياً لعبارة كهذه ، تلك هي (هذا .. وذاك) ! لأن الإنسان والطبيعة ، الروح والمادة ، الفكر والوجدان ، التأمل والعمل ، السكون والحركة ، الاندماج والانفصال ، التقبّل والصراع .. هي كلّها وحدة واحدة ، تسيّرهما نواميس واحدة ، وتشرف عليها من أقطارها الأربع إرادة الله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى .

إن تصوّر الفنان (المسلم) للفن وموقفه من الطبيعة ينبثق - أولاً وأخيراً - عن هذه القاعدة الكبرى التي أتيح للإنسان والطبيعة أن يتحرّكا على مسرحها"<sup>(٢)</sup> .

(١) وانظر في الفرق بين الطريقتين : المرجع السابق (ص ٥٨) .

ومن عجب أن يتبنّى بعض كتابنا ومثقفينا مقولة "خسر الفن الإسلامي ، بلا شك ، كثيراً من جرّاء موقفه المتشدّد من مسأّلتَي التصوير والتجسيم" وأنه استعاض عنها بالشعر والنثر و(الموسيقى!!) والزخرفة . انظر - من جملة هؤلاء - : النظريات الجمالية ، أ. نوّكس ، عربيّه وقدم له د. محمد شفيق شيا - والكلام السابق بين علامتي التنصيص من مقدّمة المعرّب!!

(٢) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٨١) .

وإن كان يؤخذ على الدكتور عماد الدين عدم تعليقه على بعض عبارات غيره مما جعله سنداً لما يراه من مثل رؤية (جارودي) أن الفن الإسلامي ينسحب من الجوامع الإسلامية والقباب على القبور ، من ضريح تيمور لنك إلى قبر تاج محلّ (المتألّي!) في الهند!

انظر : الفن والعقيدة ، د. عماد الدين خليل (ص ٥٥) .

والعجيب أن جارودي نفسه يعبر في نهاية مقولته التي نقلها عماد الدين عن أمر الله للإنسان ببناء مثل هذه المعالم! انظر : نفسه ، وانظر العبارات العجيبة التي لم يعلّق عليها عماد الدين أو كان في تعليقاته ثغرات قلمية لم يوفق في الاهتداء إليها - والله أعلم - حيث خلط في مسألة وجود الله في كل مكان بعلمه وبين وجوده (الحال) بذاته في كل مكان . انظر : المرجع نفسه (ص ٦٧-٧١) .

وانظر : إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء ، د. مصطفى حلمي (ص ٤١-٥٨) .

وما أحسن كلام الأستاذ فتحي بن الطيب خماسي عن الأصالة في كتابه القيم : إشكالية الأصالة وأخلاقيات المجتمع العربي في الفكر المعاصر (ص ٦٧-٦٩) ومواطن أخرى غيرها .

يتحرك الفنان والأديب المسلم (الملتزم) بكلّ تحرّر وراحة ، وقدرة في الميدان<sup>(١)</sup> .. يضع ريشته حيث تكون "الأرض بما فيها من جبال ووديان ، ومحيطات وبحار ، وجداول وأنهار .. وما في جوّها من أبخرة وسحب وأمطار .. وما عليها من نبات وحيوان وطيور وإنسان .. جميلة كلّها بديعة الجمال .  
هذه النقطة من الطلّ المتألّفة في ضوء الشمس ..  
هذا البرعم المتفتح تنطلق منه الحياة ..  
هذه الورقة النابتة كالطفلة الوديدة تهتزّ للنسمة الخافقة كما تهتزّ الطفلة بكل تجربة جديدة في الحياة ..

هذه الريشة البديعة في جناح الطائر ، منسّقة الألوان دقيقة التركيب ..  
هذا الفرخ الناقف من البيضة ، جميلا في ضعفه ، لطيفا في سداخته ..  
هذه الأضواء والظلال تقصر وتمتد في حركة دؤوب ..  
هذا الجدول الرقراق .. والنهر المتدفق .. والبحر المتلاطم .. والخضّم الموار ..  
هذه الهدأة في الليل الساكن الغافي النعسان ..  
والصبح إذا تنفّس من هدأته ، وتنفّست معه الأحياء ..  
كلّها ، كلّها جميلة بديعة الجمال .. " (٢) .

فهل لهذا الدفق من الصور البديعة - الممكنة لكلّ أديب أو فنان - من منكر أو

محجّر؟!

ولهذا كله "فإن ربط الأدب الذي ينتجه الأدباء المسلمون<sup>(٣)</sup> بالعقيدة أمر

(١) يقول أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري : "بقدره الأديب أن يلتزم مع بقاء حريته الجمالية . والالتزام لقيم الحق والخير يعوضه أكثر مما أخذ منه إذا كان نافذ البصيرة فيما التزم له . إنّ في محظورات الالتزام مضامين يبدع فيها الأديب فنيا إذا كان غير ملتزم" . جدلية العقل الأدبي (ص ٨٠) .

(٢) منهج الفن الإسلامي ، الأستاذ محمد قطب (ص ٨٩) .

(٣) في الأصل (المسلمين) ولعله خطأ في الطباعة ، والصواب ما أثبتناه - الباحث - . ويقول الدكتور محمد عمارة في كلام له - مع اختلافنا معه في جوانب فكرية عديدة - عن الانتماء الثقافي : إنّ الحديث فيه (لم يكن لونا من ألوان "الترف الفكري" ، وإنما كان سلاحا لمقاومة الاحتواء الاستعماري للأمة ، وتحقيقا لشرط من شروط التقدم الحقيقي ، الذي يخرج الأمة من مأزق "التخلف الموروث" و"الهيمنة الوافدة") . انظر : الانتماء الثقافي ، د. محمد عمارة (ص ١٣) .



لايشكّل أيّ خروج عن طبيعة الأدب ، بل إنه يصحّح مسار العلاقة بين الأدب والعقيدة ، فيربطه بأصدق عقيدة ، ويهيئ له أوسع مجال للتصوّر وأدقه وأكثره تلاؤماً مع الفطرة البشرية<sup>(١)</sup> .

ولئن سار الملتزم بهذه الضوابط كما أريدت منه ؛ فإنه مثبت مقدّراته وبراعته .. يقول أحد الباحثين - في كلام جميل - : "الفن هو الاقتدار على الضبط ، والبراعة في إحسان التحرك ، وإجادة التصرف والحركة في أضيق المساحات والمجالات ، وأدق الأطر دون المساس بها ، أو خدشها وتشويهها أو المروق عليها<sup>(٢)</sup> والاقتدار على الحركة داخل هذا الإطار الضيق المحدود<sup>(٣)</sup> هو وحده المقياس أو المعيار الذي نفرّق به بين الصادق والدّعي<sup>(٤)</sup> ، وبين الأصيل الراكز والدخيل المتطفّل!"<sup>(٥)</sup> . وإذا كان توفيق الحكيم يقول : "الفن الملتزم هو حبس الفنان في سجن المضمون"<sup>(٦)</sup> .

فإن استمداد البصر بوجوب الموازنة بين المضمون والتعبير المتجدد المواكب لحركة الحياة .. المتناسب معها .. العاكس قدرة هذه التصورات الفذة .. يثبت

= وتجدد الإشارة إلى أن مصطلحات "التنويريين" مصطلحات مخيفة في عمومها وتنازلاتها - الباحث - .

- (١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، د. عبد الباسط بدر (ص ٤٦) .
- (٢) لعل الأنصح هو (منها) . انظر : اللسان ، لابن منظور (٣٤٠/١٠ - ٣٤١) .
- (٣) لكأنه يريد ضيق ومحدودية التحذيرات والضوابط ذاتها ، لا مجالات عطاء الأدب الملتزم - الباحث - .
- (٤) ساق الدكتور أحمد محمد علي نماذج مؤكدة الادعاء في التوجهات .. انظر ذلك في كتابه النفيس - بحق - "الأدب الإسلامي ضرورة" (ص ٥٠-٥٥) .
- (٥) وهذه النماذج لننازك والسياب ومحمد الفيتوري ونصار عبد الله وأبي ماضي وأدونيس وغيرهم . من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو (ص ١١٨) .
- (٦) نقلا عن : الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي ، د. شلتاغ عبود (ص ٦٩) .

- يقيين - أن الدعوة لاحتفل بعبارات عامة .. فالأدب الإسلامي هو الأدب (الملتزم)<sup>(١)</sup> .. وهكذا يجب أن يكون .. متأثراً بالرؤية الإسلامية الربانية ، ذات القدرة والقوة . وإن نادى غير أهل الهدى بشعاراتهم الزائفة ؛ فإنها لا تتعدى مقالته أحدهم عن شعار (الحرية) مؤكداً أنهم يتخذون لأنفسهم "هدفاً ثابتاً ، وهو سيطرة الحرية في المستقبل البعيد عن طريق الاشتراكية"<sup>(٢)</sup> !  
وما أجمل ما أكدّه الأستاذ محمد قطب .. حين قال : "ونترك أوروبا تقول في دينها ماتشياء . ولا يعنينا هنا أن نصدّقه أو نكذّبه ، لأننا لا نتحدث عن الدين عامة ، وإنما نتحدث عن الإسلام"<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر - للاستزادة - في هذا الارتباط :

- الإسلام وقضايا الفن المعاصر ، د. ياسين محمد حسن (ص ٢٣-٣٣) .
  - في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص ١٧٧-١٧٨) .
  - نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث ، د. علي شلش (ص ٥٣-٥٤) .
  - مقدّمات نقدية في دراسة القصيدة القديمة ، د. عبد الله التطاوي (ص ٢٦-٤٠) .
  - أثر القرآن الكريم والحديث في شعر أبي العتاهية ، د. محمد بن علي الهرفي (ص ٤٥-٧٩) .
  - أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، د. مصطفى عبد الواحد (ص ٥٥-٨١) .
  - في القصيدة الجاهلية والأموية ، د. عبد الله التطاوي (ص ٨٩-١٠٣) .
  - أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي (ص ٢٨٣-٢٩٨) .
  - دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ، أ.د. محمود حسن زيني (ص ١٩٢-٢٨٢) .
  - في سبيل الإصلاح ، الأستاذ علي الطنطاوي (ص ١١، ١٠٣) .
  - مجلة الأدب الإسلامي ، ج (٤) ، ع (١٣) (ص ١٤، ٤٦، ٥٧، ١١٢) .
  - التأثير النفسي للإسلام في الشعر ، د. عبد الرحيم محمود زلط (ص ١٢٩-٢١٩) .
  - شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، د. وليد قصّاب (ص ١٨-١٩) .
  - إسلاميات أحمد شوقي ، د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم (ص ١١١-٢٢٥) .
  - النقد الأدبي في آثار أعلامه ، حسين الحاج حسن (ص ١٢٦-١٣١) .
- (٢) ما الأدب؟ ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال (ص ٢٣٠) ، وانظر : دراسات في المسرح والأدب ، د. هدى حبيشة (ص ٢٠٦-٢١٣) ، وانظر : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي د. رجاء عيد (ص ١٢١-١٤٠) .
- (٣) شبهات حول الإسلام (ص ١٨٤) .

ولو تركنا الأمر على عواهنه ، دون رعاية أو عناية بأدبنا وأصالتنا ؛ فإن الخرق سيتسع على الراقع .. "وإن مدينة محاصرة ، لاتسقط أمام وفرة المحاصرين ، في سهولة ، إنما تسقط في سهولة حين يتساءل حماؤها ماجدوى حمايتها؟! (١)  
 وحين نوقن أن ضوابط ديننا خيرٌ عميمٌ لنا ؛ نكون أهلاً لتسلم الراية وإعلائها .. ولا يكون ذلك إلا حين نوقن أن "الإسلام يهب للأمم الكسيحة أقداما تسعى بها ، بل يعطيها أجنحة تقدر بها على التحليق" (٢) .  
 فلا بد أن ينهض الأديب والفنان الملتزم بالتناج ، بعثا لثلاثة أسئلة مهمة :  
 لماذا أنتج ؟ .. وماذا ؟ .. ولمن ؟ (٣)  
 "وكيف يتأتى لفنان ما أن يتساقق بفطرته الصافية ، وحسّه الكوني العميق مع ماهو خارج عن الفطرة ، ومقيّد للحركة في مدى محدود تضيق معه الأنفاس"؟! (٤)

(١) دفاعا عن الأدب ، كلودروي ، ترجمة هندي زغيب (ص ١٣) .

(٢) الطريق من هنا ، محمد الغزالي (ص ٣٨) .

وانظر : التكريم الإلهي للإنسان ، د. محمد الزحيلي (ص ٤٥-٥٤) ، مبحث "تسخير مافي الكون للإنسان" .

وانظر - كذلك - : على الطريق .. لمحات وكلمات ، د. محمد أديب صالح (ص ١٨٣-١٩٠) ، ٢١٤-٢١٩ ، ٢٢٣-٢٢٧) ، والدافعية ، د. محمد رفقي عيسى (ص ٧٣-٧٦) .

(٣) انظر : محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، إصدار النادي ، المجموعة الثالثة (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) محاضرة الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين "الالتزام الإسلامي في الأدب" (ص ٣٥٦-٣٥٧) .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٠٢) .

وانظر : الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص ٣٢٨-٣٣٢) .

## المبحث الثالث التحديث والحداثة

زار شاعر أجنبي قرية نائية .. وعرف فيها شاعرا ردى الشعر ، أكرمه ومن معه طيلة إقامتهم في القرية ، فأثر الضيف - وهو يلتقي والدته مضيفه مودعا - أن يثني على ابنها ، ويمدح نتاجه ، وأنه شاعر تقدّمى ومع الحداثة! ولكنه دهش وهي تقول - مقاطعة - : قد يكون تقدّميا ولكنه بلا موهبة ، وقد يكون ساعيا وراء الحداثة ولكن الحداثة في الصّين وهو هنا ، وقد يحاول تجاوز نفسه ولكنه يراوح محله وقد يحاول في أشعاره معالجة موضوعات عصرية ، ولكني لأفهم حرفا واحدا منها وأعتقد أنه هو نفسه لا يفهم! <sup>(١)</sup>

لابد أن نطالب أنفسنا بالتحديث دوما .. أن نتجاوز النمط الواحد الثابت الذي لا يتحول .. ولكن يكون ذلك وفق (استراتيجية) معينة منضبطة ؛ حتى لا يكون ثمة عبث وتشتت .

نطالب بالتحديث "مادام أن (الشكل) في معظم حالاته صيغة حيادية ، يمكن أن تخدم أي تصور على اختلاف التصورات" <sup>(٢)</sup> .

يقول عماد الدين : "إن هنالك حدودا للتغير والتجديد يتوجب أن يقف عندها الأديب الجاد ، وإلا سقنا معطياتنا الأدبية إلى الضياع الذي لانصل في صحاريه المترامية إلى قطرة واحدة من ماء" <sup>(٣)</sup> .

فلم يكن النهج القويم - في أي مرحلة من مراحل عطائه - عائقا أمام الفاعلية والرقى .. ونحن نلمح "الموقف الوسطي للنظرية الإسلامية بصدد الثابت والمتحول .. (الستاتيك والدايناميك) ، في تيار الإبداع الأدبي .. إنه - بتركيز بالغ - رفض للسكون التام من جهة، وللحركة العمياء من جهة أخرى .. احترام لعناصر الديمومة والثبات من جهة ، وانفتاح على قوى التجديد والتغيير والتحول من جهة أخرى .

(١) انظر - ملخصا - في النقد الأدبي ، د. يوسف بكار (ص ١٥٥) .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٣٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٤٧) .

إن الأدب الإسلامي لا يجد أيما عائق يصده عن قبول الجديد المتغير مادام أنه لا يرتطم ورؤيته للكون والعالم والأشياء .. ولكنه لن يضحي - خلال تقبله ذاك - بأي من العناصر الثابتة التي تمثل عصب الإبداع الأدبي وهيكله العظمي - إذا صح التعبير - وإلا غدا العمل الأدبي رخوا متميعا ، رجراجا ، لا يشده رابط ، ولا تمسك به شخصية مستقلة متبلورة" (١) .

وعماد الدين ممن نادى إلى تحرر الأديب من عقدة الخوف من (الأشكال) الجديدة في المسرح والشعر والقصة والأقصوصة والرواية ؛ مادام المرء شامخا برؤاه الفكرية وتصوراتهِ وثوابته (٢) ، صامدا أمام رياح تغريبه وتغييبه .

ففي العمل الروائي ، و(تحديث) الشكل فيه جاء كتابه "محاولات جديدة في النقد الإسلامي" تطبيقا واقعيّا عبر مجال النقد لهذه المناداة (التحديثية) من خلال تناول رواية (عمالقة الشمال) لنجيب الكيلاني ، ومجموعات قصصية لآخرين (٣) .

فقد رأى في أعمال أحد هذين الأخيرين - وهو الأستاذ محمود مفلح (٤) - القصصية اتكاءً على نمط جديد في التعامل مع (الشكل) في العمل الإبداعي وهو "أن تندمج في الصورة الواحدة والموقف الواحد واللحظة الواحدة أحداث وتجارب وصور ومواقف تخلقت في أزمان وأماكن شتى ، وأن يعرضها علينا وقد تكسّرت فيها عقارب الساعة ومقياس الكيلومترات .. أن يصوغها بأبعادها الجديدة غير أبعادها المألوفة طولا وعرضا وارتفاعا" (٥) .

(١) المرجع السابق ، الصفحة فسها .

(٢) يقف - في مضممار الشعر - شعراء إسلاميون مجيدون ، برزوا في شعر التفعيلة إلى جانب الشعر

العمودي ، منهم : طاهر العتباني ، ود. حسن الأمراني ، ود. صابر عبد الدايم ، ود. مأمون فريز جرّار وغيرهم - حفظهم الله وبارك في جهودهم - الباحث - .

(٣) انظر : محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٠٩-٢٨٩) ، وانظر

مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص ١٤٣) .

(٣) ستأتي ترجمته في مبحث القصة في فصل التطبيق .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين أديب (ص ٢٧٧) .

ويؤكد هذا التوجه منه بقوله : "لأنذهب إلى النهاية مع (آلان روب جرييه) رائد مدرسة (الرواية الجديدة) التي تدعو إلى إلغاء وجود الزمن في العمل القصصي ، وتفكيك سلسلة الأحداث ، وإلغاء الشخصيات ، واستبدالها بأخرى لا تملك أسماء ولا وجوها .. ولا ماضيا ولا حاضرا ولا مستقبلا .. وتصفية العقدة والحبكة .. إلى آخره .. ولكننا في الوقت نفسه نرفض التشبث التقليدي بالرؤية الفنية أحادية الجانب ، والتي تعتمد شكلا سكونيا محمدا تنسج على نوله" (١) .

وهو السعي نفسه في مجال (التحديث) في الشعر .. حين يستخدم النوع الشعري الذي يتختم بالنفس الشعري ، ووقع الموسيقى الداخلية أو الخارجية .

أما (النثر الشعري) (٢) فبناؤه الفني معتمد الموسيقى الداخلية التي لا تتكئ على السُّلم الموحد للقافية ؛ ولكن على "الإيماءات المشحونة ، وتداعي المعاني والخواطر والأفكار ، وتداخل اللحظات الزمانية والمساحات المكانية ، في نسق معين يشده مجرى واحد ، يجري إلى مصيره هادئا حيناً ، صاخبا حيناً آخر" (٣) .

و(الموسيقى الخارجية) - أو التفعيلة - في المقطوعة النثرية الشعرية (٤) تلغي الصدى بل الأصدا الخافتة للموسيقى الداخلية إن هي أدخلت عليها بوضوحها وإيقاعها الرياضي .

وهذا ما يراه عماد الدين مُذهبا أثر المقطوعة النثرية ، وقد يصدر "عن عفوية حيناً ، وعن جهل تام بالتفعيلة أحيانا أخرى ، وعن تعمد في صياغتها وحشرها بين ثنايا المقطوعة أحيانا ثالثة ، بحيث إننا نجد بين حنايا المقطوعة النثرية مقاطع تقوم على تفعيلة من بحر معين ، بل ومن بحور عديدة في المقطوعة الواحدة!!" (٥)

- 
- (١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٤٥-١٤٦) ، ومحاولات جديدة في النقد الإسلامي ، له (ص ٢٨٥) .
  - (٢) انظر : جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦) ، وانظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص ١٣٧) ومابعدا .
  - (٣) جداول الحب واليقين ، الصفحة نفسها .
  - (٤) لإسماعيل العيسى مبحث جيد في المقبول والمرفوض من أوزان الشعر الحرّ . انظر : نقض أصول الشعر الحر ، له (ص ١٨٥-٢٠٠) .
  - (٥) انظر : جداول الحب واليقين (١٦) ، ومدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٣٧) وما يليها .

ويضرب مثالا على ذلك بما جاء في كتاب (رحلة الربيع والخريف) لتوفيق الحكيم؛ حيث جاء في القسم الأول من الكتاب عدد من المقطوعات الشعرية الشعرية، التي كتبها بنزعة (اللامعقول) المستوحاة من البيئة الأوروبية أواخر الحرب الأولى<sup>(١)</sup>.

وعن الأداء الشعري العروضي، وقدرته التعبيرية الفائقة، وروعته وجماله وبحوره ونظامه، كان القسم الثاني من (جداوله) .. موسقا عبر هذه البحور والتفعيلات، و"كل بحر منها يضع بين يديك عالما تقرر فيه أجراس ذات نبرة خاصة، ونداء مستقل .. كل بحر منها يصنع بحرسه وامتداده وتقطيعه وتفعيلاته، عالما موسيقيا شتان بينه وبين البحور الأخرى .. كل بحر منها يحمل الحروف والكلمات تارة إلى ضفاف الحزن، وتارة إلى شواطئ الفرح .. بحار شتى تصوغ بنيانها من تفعيلات<sup>(٢)</sup> اكتسبت ملامحها وإيقاعاتها من عبقرية لغة ... بإيقاع موحد يستمد نبرته من حرف من حروف اللغة، يعطي للقصيدة وحدتها الصوتية، بتكرار إيقاعها الموحد، وضرباتها التي لاتند عن النظام .. والقافية"<sup>(٣)</sup>.

ويرى الوجدان الشعري وجدانا ينأى عن الأسر والتكيد، مادام مربوطا بالفن ذاته .. "وشتائم النقاد وانتماءاتهم إلى القديم والحديث"<sup>(٤)</sup>، أو إلى المقيد والحر قضية غير مسلّم بها، مادام الشعر هو الحرية، ومادامت موسيقاه — بأشكالها التي لاحصر لها — لاتعرف قيда ولأسرا. كل ماهنالك أن مراهمي الشعر قذفوا إلى الأسواق في العقود الأخيرة، بسيل من كراريس ودواوين لاتحمل إلا زبدا، اختلط فيها الحابل بالنابل، وتداخل على صفحاتها الغث والسمين .. وبين قصائدهم

(١) انظر: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، د. عماد الدين خليل (ص ١٣٨) ومايلها ..

(٢) مما يميز الشعر العربي القديم موسيقاه الخاصة ونغماته المتتابعة المؤثرة، انظر - في ذلك - : الشعر

العربي بين الجمود والتطور، د. محمد الكفراوي (ص ١٧٨-١٨٦) ..

(٣) جداول الحب واليقين، د. عماد الدين خليل (ص ٢٠/١٩) ..

(٤) لازالت المذاهب الحديثة تنبت لنا - انطلاقا من أرض غريبة - توجهات جديدة، منها الدعوة

إلى نبذ الحداثة بعد انتقادات (لوكاس وهيدغر) لها في الفن والأدب!، والدعوة إلى (مابعد

الحداثة) في ظل النظام العالمي الجديد. انظر: من الحداثة إلى مابعد الحداثة، عفيف البهنسي

(ص ٩١-٩٧) ..

مقطوعات فقدت تفعيلاتها ، وسموها - مع ذلك - شعرا حرا .. وآخرون كتبوا نثرا شعريا غطوا على موسيقاه الداخلية الخافتة بتفعيلات صاحبة أنسوا بها جمالا ، فاختلطت الأصوات ولم تعد تدري أهذا الذي يقال شعر أم نثر ، أم مزيج عجيب من الشعر والنثر؟

وفئة ثالثة لم تمكنها قدراتها التعبيرية الهشة أن تصوغ رؤاها وتجاربها ومعاناتها صورا فنية واضحة المعالم والأبعاد ... هؤلاء وقد أحسوا بعجزهم عن البيان والصياغة ، لجأوا - مدفوعين بعجزهم دفعا - إلى التعمية والتعقيد والإغراب والإلغاز . ونقرأ مايكتبونه فإذا بنا لانقف على شئ مما يريدون أن يقولوه لنا<sup>(١)</sup> . ويذكر أساه وحزنه على هذه المغاليق المعنوية التي لا يستطيع أحد أن (يقتلع) منها معنى مستقيما يصلح أن يكون فكرة مستقرة في النفس حين يرتطم بالسمع أو تراه العين مسطرا أول مرة<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا المراد يقول الدكتور عماد الدين عن محاولاته في فك هذه الرموز : "وإذا بنا نعمل فكرنا وعقولنا علّأمرأ خفي علينا في القراءة الأولى يتكشف لنا في المرة الثانية .. أو الثالثة .. أو العاشرة ، فلا نحصل على مانريد . ونعود بعد يومين أو ثلاثة ، علّ قوة سحرية تكسر جدار اللغز ، ويحيى (علاء الدين) فيفتح بخاتمه العجيب باب الدهاليز ، ويدخل بنا الأروقة التي حفروها تحت الأرض .. ولا من جدوى!!"<sup>(٣)</sup>

ويرى في هذه الاستخدامات السيئة تغييبا للبحث عبر قوالب الجدة والتحديث ولا يعُدُّ ذلك مسوِّغا لأن يرفض النقاد ألوانا واستعمالات جديدة لاتلتزم البحر الواحد والثقافية الواحدة .

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤١) .

(٢) الغموض الذي هو من طبيعة بعض الاستخدامات والأساليب البيانية العربية مقبول ؛ ولهذا قال الجرجاني في وساطته : "لو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعرا لوجب أن لا يرى لأبي تمام بيت واحد" . الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني (ص ٤١٧) . والإفهام - كما يقول البلاغيون - أساس إلقاء الكلام . انظر : العربية والغموض ، د. حلمي خليل (ص ١٣٥-١٣٦) ، وانظر : دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر ، د. عز الدين منصور (ص ٩٧-١٢٢) .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٤١) .



كيف يكون ذلك؟ وفي عالم الشعر العمودي من لا يحسن استعماله ، ويعبث قريبا من هذا النوع ، حين يحشر في قالب البحر "ومن وراء إيقاعات القوافي كلاما لا وجدان فيه ، ولا توتر ، ولا انفعال ، أو نظما تختفي فيه عبقرية اللغة ، ويضيع البيان" (١) .

ولا يرى مبررا مقنعا لرفض بعض الإسلاميين صيغا من صيغ الشعر الحديثة (٢) فيرفضون الإفادة من (دايناميكية) الأشكال المتطورة ، مادامت - في نظره - حالات محددة لا يمكننا تحميلها اعتمادا شئ هجوم ضد الإسلام ولغته المجيدة (٣) .

أما التجديد والتحديث الرافض لكل قيد ، المتمرد على كل قاعدة ، الذي يجعل العمل الأدبي لغزا غامضا محيرا ؛ فلا ينبغي أن يحفل به أحد .

ويذكر مثالا على بعض الأعمال الأدبية المختلفة من هذا النوع ، بما كتبه أحدهم تحت عنوان (النافذة) إذ يقول : "الأقمشة الممزقة ممنوحة لي عبر الشمس ، والمدينة مخدوعة بمعاطف السبت . هذا الفسق ماذا يعرف عن يدي؟ في الباحة ، المعلم الهولندي يلتقط الجواهر - ويخسرهما أيضا - والساهرة اليتيمة تعتقل الرغبة هناك" (٤) .

- (١) المرجع نفسه (ص ١٤٢) .
- (٢) ينادي عماد الدين إلى وجوب احترام التفعيلة والقافية الموحدة ، ومن خالف التفعيلات والبحر الواحد في القصيدة الواحدة في شعر التفعيلة والشعر العمودي لم يكن شاعرا ، انظر : لقاء الأردن (ص ٤٩-٥٠) .
- (٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٢) . ويقول د. خليل عمايرة : "لسنا حقيقة ممن يحاولون إلصاق كل صيحة جديدة تبرز في المعاهد الغربية أو الشرقية بلغتنا الشريفة ، وليس هذا مما يشرفها ، فقد كفاهها تشريفا أن جاءت بها كلمات رب العزة ، وختمت بها رسالة أكرم خلق الله أجمعين" . محاضرات النادي الأدبي بمكة ، ج (٣) ، س (١٤٠٧) (ص ٥١١) .
- (٤) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٨) ، انظر : في النقد الإسلامي المعاصر له (ص ١٠٥) ، وفيه نماذج أخرى من خلال مبحث (أزمة التعبير في العراق) .

ويأسى من السخف الذي يغطي مساحات واسعة من الصحف والمجلات العربية ، والعبث بالمعطيات<sup>(١)</sup> ، بدوافع عرقية أو أسطورية<sup>(٢)</sup> ، كما كان في مجلة (شعر) اللبنانية التي كتب أحد أدعياء (التقدمية) في بغداد معلقاً على عدد منها ، وأنه أعجب به كثيراً وبخطواته (الواثقة) ! ، رغم النداءات اليتيمة التي يطلقها بعض الجاحدين (!)

ويرى هذا (التقدمي) أن قصيدة الشر الحديثة "كال كفر في رأي أدباء الأتربة والرفوف ، الذين لازالوا يلازمون الخطيئة وابن الأحنف ، متناسين وضعنا ولحظتنا الراهنة"<sup>(٣)</sup> .

ويرى عماد الدين أن هذا وأمثاله من أدباء (القفز في الفضاء) لا يواكبون لحظتنا الراهنة ! فيعرض لقصيدة أحدهم المنشورة باحثاً عن (لحظتنا الراهنة) هذه ! ، وقد جاء في هذه القصيدة :

(١) يقول العقاد رحمه الله : "خطأ الدعوة إلى الاستغناء عن القافية وتعديل أوزان العروض ظاهر لمن يكلف نفسه قليلاً من البحث في حقيقة الصعوبة التي يتوهمونها للأوزان العربية ومحسبونها حائلاً دون الشاعر وما يختاره من موضوعات النظم" . أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد (ص ٨٠) .

(٢) تعدّ كثير من الأساطير التي تشحن بها النصوص الإبداعية لونا من الإلغاز والإبهام في الطرح ؛ مما لا يثري النص ؛ لأن الإثراء لا يكون إلا بما يعلم . انظر - في المطالبة بها - :  
- (الأسطورة) ك.ك. راثفين ، ترجمة جعفر صادق الخليلي (ص ٨١-١٠٢) .  
- (الحضور) أزراج عمر (ص ١٥١-١٥٦) .

وتقول إحدى الأدبيات : "وتكشر عن حاجبيها بلقيس . ما الذي دفعك أن ترتدي ثوب شهرزاد . أوه ، حدثينا ولكن غير أحاديث شهريار . شهريار رمز الدم ، شهرزاد رمز الألعبوبة الدنيوية" .

انظر : الحداثة في ميزان الإسلام ، د. عوض القرني (ص ٤٤) .  
و"إنّ مثلاً أعلى لا ينهض من الواقع الاجتماعي ، هو مثل لا يمتلك إمكانية الإنجاز ؛ لأنه في الأساس لا يمتلك الشرعية الاجتماعية التاريخية" . القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث ، د. سعد الدين كليب (ص ٢٤) ، مخطوط رسالة دكتوراة من جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٩-١٥٠) .

سحرت نهرا . يصعد ظهر الغشاء . سحرت الغشاء  
حربي ذلك السعير لعاب سلاحي يخشخش فرحا  
رأس يوسف النجار على كتفي ، وجميع العصفير ترن فيه  
سحرت ذاكرتي ..<sup>(١)</sup>

ويؤكد عماد الدين أن التعقيد اللغوي والذهني في مثل هذه الأعمال ، "يضع  
العوائق والقيود في طريق الأعمال الأدبية ؛ لأنه يصرف الكثير عن الرغبة في قراءة  
وتتبع تلك الأعمال حتى النهاية ، ويؤدي إلى اضطراب في (التكنيك) الفني للعمل  
الأدبي ، ويضيع وحدة المعنى وهدفية العطاء"<sup>(٢)</sup> .  
فالعشبة بدعوى التحديث والتجديد أمر مرفوض ، "ولو سمح كل أديب  
لنفسه أن يعبر بعفوية مطلقة عما في نفسه ، لما بقي هناك أدب ، ولتحطمت أطره  
الفنية ، ولما بقيت هناك لغة"<sup>(٣)</sup> .

- (١) المرجع السابق (ص ١٥٠) .  
وانظر : مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإمارات ، ع (٥) ، س (١٤١٣هـ) ،  
(ص ١٣١-١٦٢) .  
بحث : الشعر العربي الحديث متى يسترد هويته؟ أ.د. وليد قصاب .  
مجلة (الرابطه) ع (٢٩٥) ، س (١٤١٠هـ) ، (ص ١٧) .  
مقال : "الصليبية من وراء الشعر الحر" ، بقلم : عضو الرابطة .  
ولابد من مطالعة فصول الكتاين القيمين :  
(أ) أسلوب جديد في حرب الإسلام ، جمعان بن عايش الزهراني .  
(ب) الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة ، أ.د. محمد خضر عريف .  
(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٥٠-١٥١) ، وانظر غموض مترجمي الأعمال الأدبية  
الغربية وزيوفهم في ذلك في : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، له (ص ١٧٤) .  
(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي \_ ص ١٥٠-١٥١) .  
وانظر - نحوه - الأدب العربي بين الحداثة والمعاصرة ، د. علي أحمد العريبي (ص ١٠٣-١٢١) .  
ويقول الدكتور غالي شكري في كلام غريب له : "ولولا أننا نمتلك تراثا عريقا في الشعر ،  
لكانت إحدى البدهيات أن نعود بشعرنا الحديث إلى أصوله الغريبة ، ولكن هذا التراث هو  
الذي تسبب في (البلبلة) التي أحاطت مولد الحركة الحديثة ، فمن أجل مسيرته تحمل الشعراء  
الجدد الشئ الكثير" .  
شعرنا الحديث إلى أين ، د. غالي شكري (ص ١١٣) .

أما البحث عن مركب الإلغاز والغموض بدعوى الجدة ، فهو منال سهل للراغب لكنه بحر عميق للمتلقي الذي يطوف هنا وهناك باحثاً عن مراده فلا يجده! ولكن الأديب البارع هو الذي يستطيع أن يستخدم التغطية و"إحاطة الخبرة التعبيرية بأكبر قدر ممكن من المضافات الفنية التي تبعد بها عن الكلام الاعتيادي ، وهذا - على الأغلب - قد يقودها إلى نوع من الإلغاز أو الغموض ، وهما في الحقيقة - وبالنسبة المعقولة - مما يميز الإبداع عن المعاني المطروحة على قارعة الطريق .

لكن المبالغة في الإغماض وفق قصد مسبق ، قد يقود التعبير إلى التشرنق ، والعزلة ، ويصده عن الوصول إلى المتلقي فيفقد وظيفته الفنية الأساسية . إن كثيراً من قصائد الشعر الحر - على سبيل المثال - تتحول على أيدي الأدعياء وأنصاف الشعراء من المولعين بالتقليد والملاحقة ، إلى نوع من لعبة الكلمات المتقاطعة<sup>(١)</sup> .

وقد ذمّ - في موطن آخر<sup>(٢)</sup> - هؤلاء الذين سماهم (الأدعياء) ، ممن يحثون خطواتهم جامعين من الناس أكبر عدد ممكن ، متبعين أي أسس لمدرسة جديدة في لون من ألوان الإبداع الأدبي والفني ، ومايسمونهم (الموجة الثالثة) ويجعلونها ألواناً ممسوخة ، برموز عجيبة ، فيكون عملهم "لغزاً محيراً غامضاً يعجز عن حل رموزه أي مفكر أو فيلسوف .. فضلاً عن الفنان والأديب!!"<sup>(٣)</sup> .

ولن يجد قارئ هذا النتاج السقيم الغامض لذة تهزّه .. "أما أولئك القراء الذين عايشوا أدب الكبار ، واستذوقوه وتعلموا منه ، أولئك الذين هزّتهم حتى الأعماق أيام (طه حسين) ورسائل (الرافعي) وتراجم (العقاد) وترجمات (الزيات) وشهر زاد (الحكيم) وثلاثية (محموظ) .. إلى آخره .. فإنهم سيجدون أنفسهم مضطربين لأن يبعدوا هذا الغثاء .. يدفعون أكداسه ذات اليمين وذات الشمال لكي يجدوا الطريق مفتوحاً أمامهم"<sup>(٤)</sup> .

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٩) .

(٢) النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠٣) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٠٥) .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢١٨) .

ويرى عماد الدين أن هؤلاء "الأدباء الكبار في الماضي البعيد والقريب ، ومن هو معاصر منهم ، لم يصلوا القمة بالغموض .. على العكس من ذلك ، كان (البيان) ركيزة أعمالهم الكبرى"<sup>(١)</sup> .

وهذا ما يُظهر خلاف أعمال هؤلاء ومنهجهم غامضا مبهما .. كما قال أحد الباحثين عن قصيدة حدائية "إن الموسيقى الداخلية للشاعر فيها إحياء ولكن هذا الإحياء غامض ، غموض الغموض وسكون السكون ... فقد أوحى لنا بموسيقى مشوشة قلق مضطربة ... أراد أن نلغي العقل في مهمات مبحوحة ، وألفاظ ضبابية أقرب إلى النثر منها للشعر ، فيها كلمات محشورة حشرا دون نسق؟ زهر ونجم وحلم وشجر وأمطار .. أهذا قول معتنق عقيدة وصاحب رأي يدعو له؟"<sup>(٢)</sup> ويرفض عماد الدين الشكل الذي يكون قد ارتبط عضوياً بمضامين معينة ، فأصبح لا يفصل بينها ، حتى عُرف أن من تبنى هذا الشكل .. في المسرح والرواية ، والقصة والقصيدة ، كان حاكما بانتمائه العضوي لمن يتبنى توجهها مثله ، فيحذو حذوه ، ويتقيل خطاه"<sup>(٣)</sup> .

وكأنه يؤكد بذلك ، تهافت النماذج الباردة غير المؤثرة ، التي يدّعي صاحبها اللحاق بركب الآخرين من غير بني قومه ، بتقديم هذه النماذج المبهمة شكلا ومضمونا .

وهنا يدخل بنا الدكتور عماد الدين إلى مسألة الأخذ عن (الآخر) ؛ للبناء والتحديث وهي القضية التي يراها من الثنائيات المتصارعة في عرف قطاع كبير من المثقفين : هل يأخذون عن (الآخر) أو لا يأخذون؟!

ويلمح غموضا واسعا وقلقا ظاهرا من الموقف في ثنائية (الأصالة والمعاصرة) أو (التراث والمعاصرة) ، وهو صراع بين الأصالة وماسمي في حلقات معاصرة (الحدائث) وفي هذا يقول : "تأخذ هذه الإشكاليات صيغا شتى من بينها - على سبيل

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٢) .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ، س (٢) ، ع (٦) ، (ص ٩٢-٩٣) مقال د. يوسف عز الدين .

(٣) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر (ص ١٨٤) .

المثال - ذلك الاعتقاد الخاطئ ، السائد لدى العديد من الأدباء الإسلاميين ، بأن احترام التراث يوجب رفض الحداثة والتنكر لها ، أو أن قبول بعض حلقات الحداثة يعني - بالضرورة - التنكر للتراث<sup>(١)</sup> . ويراها مسألة مبنية على أساس خاطئ لا يحاول التوفيق بين الجانبين بعيدا عن المنافرة .

فالمنهج الحق يقبل التحديث "مع التحفظ إزاء المفردات التي تبتدأ أو ترتطم بالرؤية الإسلامية ، ومع ملاحظة إلحاح العقل الغربي الذي صاغ معظم هذه المناهج أو وضع ملامحها النهائية ، على الرؤية الأحادية"<sup>(٢)</sup> التي تبالغ في تقدير قيمة (الحالة) التي تتعامل معها على حساب الحالات الأخرى"<sup>(٣)</sup> .

أما الذين ينقلون عن غيرهم ، ويجتزئون ما ينقلونه وتلوكة ألسنتهم كل حين ، فإنهم كثيرون ، "ولعلمهم كلفوا بحمل أسفار المتاعب والعقد الحضارية المستعصية من عالم الغرب إلى عالم الإسلام ... ليس هذا فحسب ، بل إنهم يضيفون عليها وينفخون فيها من أجل تضخيمها ومنحها حجما أكبر من حجمها الحقيقي مع إضافة بعض الأصباغ المحلية لكي تتحقق القناعة المطلوبة ويعتقد السذج من الناس بأن هذا من صنع الإسلام ، أو على الأقل من صنع المسلمين والبيئة الإسلامية"<sup>(٤)</sup> . فهذه التوجهات للفكر الغريب الوضعي<sup>(٥)</sup> . بمنهج ذي الوجه الواحد ملامح تفيد سقم هذا الفكر وضلاله وبعده عن واحة الإسلام الغناء .

- (١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢) .
- (٢) انظر : حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٧-١٥٤) مقالته الرائع : "حين يتساقط الوضعيون" ففيه كلام نفيس ، ومقالته "سخف الفلسفة الوضعية" (ص ٥٥-٦٠) ، و"شئ عن الفكر الوضعي" (ص ١٠٣-١١٠) .
- (٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧-١٨) ، وانظر نحوه : فن الشعر بين التراث والحداثة ، عبد العزيز النعماني (ص ٢٠٥-٢٠٨) ، وانظر كذلك : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، د. محمد عبد المطلب (ص ١-٣) .
- (٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٣) .
- (٥) المقصود بهذا كله ، المدلول اللغوي لكلمة (الوضعية) ، انظر : قالوا عن الإسلام ، د. عماد الدين خليل (ص ٣٩) .

ذلك السقم والضعف في التعامل مع الإنسان<sup>(١)</sup> ، بل حتى في النظرة للإله عز وجل .. حين تغالط نظرات هذا الفكر في رسم الصورة التي ينبغي أن تستقر في قلب المرء تجاه وجوده وعبوديته لهذا الخالق العظيم<sup>(٢)</sup> .

ألم يقل (درويش) :  
 "يا الله : جرّبناك ، جرّبناك  
 مَنْ أعطاك هذا السرّ؟ مَنْ سَمّاك؟  
 مَنْ أعلاك فوق جراحنا ليراك؟"<sup>(٣)</sup>  
 ثم ألم يقل غيره من أصحاب الشعر المُكَبِّ :  
 "الله في مدينتي يبيعه اليهود  
 الله في مدينتي مشرّد طريد  
 أرادته الغزاة أن يكون  
 لهم أجيّاً شاعراً قوّاً  
 يخذع في قيثاره المذهب العباد  
 لكنه أصيب بالجنون"<sup>(٤)</sup>

- (١) انظر : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ٥٣-٥٦) ، (ص ١٣٣-١٣٦) ، متابعات في دائرة الأدب الإسلامي له (ص ١٧٥-١٧٦) .
- (٢) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٣-١١٤) مخطوط ، وفيه تطبيق على الرواية الغربية ونظرتها إلى الإله .
- وعلى هذا من بيان أزمة الفكر الغربي المعاصر ، بنى الدكتور عماد الدين كتابه (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر) من خلال المسرح ومشكلات الإنسان والمجتمع والرؤية الكونية والقدر والحرية .
- ويبدأ أمل دنقل عمله (كلمات سبارتاكوس الأخيرة) بقوله :  
 "المجد للشيطان معبود الرياح  
 مَنْ قال (لا) في وجه مَنْ قالوا (نعم)؟  
 مَنْ علّم الإنسان تمزيق العدم؟"  
 انظر : الحداثة في الشعر المعاصر ، محمد القدوسي (ص ٢٧-٢٨) .
- (٣) المرجع نفسه (ص ٢٥) .
- (٤) المرجع نفسه (ص ١٢) .

نعوذ بالله من هذا كله .. وصدق الله - جلّ في علاه -

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

أما مسألة الأخذ عن (الآخر) فإن عماد الدين يفرق فيها بين (التأثر والانبهار) مصطلحين متوازيين - في نظره - تجاه المعطيات الغربية ثقافة وآداباً وفنوناً وبين محاولة (التوظيف) المنصب على هذه المعطيات وفق سياقات التصور الإسلامي "وبخاصة في مجال الدراسات المقارنة التي تقضي بحكم المنهج بضرورة الرجوع إلى الوجه الآخر للظاهرة: الوجه الغربي"<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هذا بقوله: "إذا كانت الرؤية الإسلامية للظاهرة هي الأكثر مقاربة للحق فإن ذلك لن يتكشف ويزداد تألقاً إلا بعرضها ومقارنتها ومجادلتها بوجهات النظر الوضعية"<sup>(٣)</sup>.

ويرى أن النشاط الأدبي الغربي - إبداعاً ونقداً ودراسة - خبرة بشرية عامة ، كغيره من الخبرات المختلفة ، وأن إمكانية (التوظيف) قائمة غير منكورة .. "فهل ينكر أحد مثلاً التفوق الغربي في التقنيات الفنية للعديد من الأنواع الأدبية وبخاصة المسرح والقصة والرواية؟ وهل ينكر أحد مدى هذا التفوق في الأنشطة النقدية ، كأساليب عمل وليس كمضامين مذهبية بطبيعة الحال؟ ... وهل يخطر على بال أحد من الإسلاميين - الجادّين - أن توظيف المعطى الغربي يمكن أن يقوده إلى التنازل ، بدرجة أو أخرى ، عن مقوماته كأديب أو ناقد يملك رؤيته المستقلة ومنظوره للعالم والحياة والأشياء؟"<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الملك : آية (٢٢) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦٤) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٦٥) .

(٤) نفسه ، وذكر نحواً منه د. محمد حسين دكروب في كتابه : أنثروبولوجيا الحداثة العربية

(ص ٢٢-٢٣) وبعض الباحثين ينطلق في هذا من منطلقات قومية ، مثل د. خليل أبو جهجة

في كتابه : الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد (ص ٢٧٧-٢٨١) ، ود. عفيف

البهنسي في : الفن العربي الحديث بين الهوية والتبعية (ص ١١٠-١١٤) .



فلا بد من التحلية فيما نأخذ ، بأن نكون جادين في التلقي بالإفادة دون الانبهار والتأثر الظاهر ، ونسيان معطياتنا التي نفاخر بها ، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

"وسيكون من فضول القول التأكيد على أن التعامل مع الثقافة الغربية ، ليس في مجال الأدب وحده وإنما في سائر العلوم الإنسانية ، لن يجيء سليم العواقب ، ناضج الثمار ؛ إلا بعد أن يكون المثقف أو الباحث المسلم ، قد تحقق بالحصانة العقيدية والثقافية في دائرة (الإسلامية)"<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان للثقافة الغربية وجهان .. أبيض وأسود ؛ فإن أخذ أولهما يغني تجاربنا وخبراتنا ، وأخذ الآخر يظهر موقفنا الإسلامي مشعاً متألقاً حال عرضه للناس<sup>(٣)</sup> .

ولعل دعوة عماد الدين إلى الأخذ عن الآخر ، دعوة للإفادة من خلال الإجراءات الفنية والشكلية دون مساس جانب المضمون المنحرف ؛ لأن المضامين المتفق عليها تمثل أرضية مشتركة لاختلاف فيها .

ولكنه يشد النكير لمن يتشرنقون داخل نسيجهم فيرفضون الحوار تماماً دون علة مقبولة ؛ ولذا يقول : "إن التلاحق بين الأفكار المتغيرة في إطار الرؤية المشتركة يقود إلى مزيد من الخصب والتنوع والعطاء ، وهذا أمر بدهي ، مادام هناك قاسم مشترك يجمع المتحاورين على الخطوط العريضة .

لكن الأمر قد لا يقف عند هذا الحد ، فقد يمضي إلى ما هو أبعد فيتحول ، وهذا هو الجانب الخطر في الظاهرة ، إلى نوع من الفصام التام ، وإلى التشرذم في نهاية الأمر داخل توجهات متغيرة ترفض الحوار ، وتشرنق داخل نسيجها الخاص دونما أية محاولة جادة لسماع صوت الآخرين ، فلعل في بعض مفرداته إضاءة أو إضافة ما تعين على النمو المأمول"<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة البقرة : آية (١٣٨) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦٦) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٦٧) . وانظر - في مسألة اكتشاف الذات في صورة الآخر - : أطيف

الحدائث ما بين علمانية النخبة وإسلامية الأمة ، محمد جمال باروت (ص ٤٦-٥٩) .

(٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (٦أ) مخطوط .

ولدينا تياران - في الدائرة الإسلامية - متباينان في مسألة الأخذ عن (الآخر) والتعامل معه ، أولهما يرفضه ابتداء ، وقد يتهم المنادين إليه بالتدخل والتنازل وقد يرفض استعارة بعض المصطلحات وتوظيفها إسلامياً ، ريثما يوجد وينحت مصطلح إسلامي خاص بنا .

وثاني هذين التيارين يبالغ في الأخذ دون تمييز في التعامل<sup>(١)</sup> .  
ومن جميل تنبيهات الدكتور عماد الدين في هذه القضية قوله : "وأجدني مضطراً للتأكيد على وجود خارطة ، أو معمار ذي طبقات عديدة في دائرة النشاط الأدب الغربي ؛ لأنها ليست كلها سواء في مدى تماسها مع المنظور الفكري أو العقيدي ، أو حتى الثقافي ، وبالتالي فإن وضعها في سلة واحدة ، والحكم عليها بصيغة المصادرة ، سيقود إلى خطأ في الموقف من التعامل معها في الحالتين ، أي في حالة الرفض الكامل أو القبول الكامل"<sup>(٢)</sup> .

فليس صحيحاً أن يكون موقفنا متشنجاً أمام هذه الأمداء الواسعة من الطرائق والوسائل المختلفة ، التي تنمي القدرة ، وتزيد في العطاء ؛ "لأن هناك من المناهج - أو بعبارة أدق مساحات ومفاصل في نسيج المناهج - ما يمكن أن تكون بمثابة أداة حيادية ، تقنية ، صرفة ، قد يكون التفريط بها تضييعاً لفرصة ممتازة لإضاءة المسلك أمام الأنشطة النقدية الإسلامية ، وبخاصة في مجال النقد التطبيقي"<sup>(٣)</sup> .

أما ما يترجم إلى العربية في النقل عن الآخر ، "فالمشكلة ليست ذات طابع (كمي) يقوم على شحّة ما ينقل إلى المثقف العربي من تلك العلوم ، ولكنها مشكلة (نوعية) تكمن في الانتقاء غير المدمج أو المدروس من جهة ، وفي صيغ الترجمة

(١) وقد سمّاه (الانتحار الثقافي) ؛ لأنه يُفقد الهوية ويذيب في منظور "الآخر" ، انظر : المرجع السابق (٨أ) .

(٢) المرجع نفسه (٦ب) .

(٣) المرجع نفسه (٧ب) .

ولغتها وطرائقها الفنية من جهة أخرى" (١) ، و"من العيب والإفلاس أن يكون دور الناقد الحدائي ... أن يقول أي كلام ليس من صريح النص ولا من إشاراته ثم يضيفه إلى النص الأعجم ليكون من مناقبه؟! " (٢) .  
و"كان بعض العلماء يقولون : إن ترجمة كتاب ترجمة أمينة واعية أصعب من تأليفه" (٣) .

ومن الضوابط في التعامل مع (الآخر) يقول عماد الدين : "وثمة من يتوجس خيفة مما قد يؤول إليه التعامل مع المعطيات الأدبية عامة ، والغريبة منها على وجه الخصوص ، من تدمير لمثلنا ، وأخلاقنا وتخريب لبداهتنا وأفكارنا ، وتشويش لتصوراتنا ورؤانا ، بسبب ما تحمله مضامينها وأشكالها أحيانا ، من قيم تخريبية مضادة على كل المستويات . هذا صحيح إلى حد كبير ، وبخاصة في دائرة مثقفينا الناشئين ، ولاسيما أنه مامن مرآة كمرآة الأدب والفن ، تنعكس عليها تصورات أمة ما من الأمم وقيمها وممارستها ... وبتركيز بالغ فإن مجابهة هذه الاحتمالات قد تتحقق بمزيد من التحصن بعوامل الصحة والعافية والسلامة الفكرية والوضوح العقائدي ... وحينذاك لن يكون التوغل في معطيات الآخرين (المضادة) مما يخشى منه .. على العكس إنه سيفيد مثقفينا" (٤) .

- 
- (١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧٣) .  
ويشير في هذا الموطن إلى أن كثيرا من مراكز النشر والترجمة تقف وراءها الصهيونية والاستعمار الجديد - شرقيا كان أم غربيا - مستغلة ارتجال السوق العربي لتمرر أفكارها وغزوها ، وفي حشر الأساطير والتغريب في الترجمة . انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص ١٥١) .  
وفي خطر التأثر بالفكر الآخر انظر : مجلة الأمة ، س(١) ، ع(٤) ، (ص ٥-١٢) ، مقال : "المبتعثون إلى الغرب" ، د. عماد الدين خليل .  
(٢) جدلية العقل الأدبي ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (ص ١٣) .  
(٣) الأدب والأنواع الأدبية ، نخبة من الأساتذة ، ترجمة طاهر حجّار (ص ٩) .  
(٤) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ٧٧) .

ويرى أن هذا من باب أخذ المؤمن بالحكمة أنى وجدها ؛ لأنه أحق بها على الدوام<sup>(١)</sup> ، فيأخذ بالتزامه وحسن توجهه ما يراه عند غيره ممن سبقه في تقنية معينة أو تناول فريد ظاهر ، وتبقى له خصوصيته وثقافته الأصيلة .  
ونحن اليوم "أمم متحد هو التحدي الغربي ، وما يسمى بالحدثة"<sup>(٢)</sup> ، التي يعلى رموزها بين الناشئة ، وهم في مقام لايسر الناظرين<sup>(٣)</sup> .

)

- (١) نسب عماد الدين هذا المعنى حديثاً إلى رسول الله ﷺ . انظر : المرجع السابق (ص ٨٢) .  
وهذا المعنى مشهور عند الناس ، وهو معنى سليم ؛ ولكن كونه حديثاً غير صحيح ، فقد جاء عند الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ "الكلمة الحكمة ضالة الحكيم ، فحيث وجدها فهو أحقّ بها" وضعفه الترمذي وقال حديث غريب . انظر : سنن الترمذي ، كتاب العلم برقم (٢٩٨٧) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد (٤١٦٩) وضعفه الشيخ الألباني ، انظر : مشكاة المصابيح للتبريزي ، تحقيق الشيخ الألباني (٧٥/١) ، وضعيف سنن ابن ماجه للشيخ الألباني (٣٤٣) ، وضعيف سنن الترمذي للشيخ الألباني (٣٢٠) . وقد جاء مراسلاً عن زيد بن أسلم ، وحكمة تضعيفه فيه ظاهرة ، انظر : فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب ، لأحمد الغماري (٥٦/١) .  
(٢) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٢) .  
(٣) يرى أدونيس أن النص ذاتي بلا حدود ولا قيود! ولقد كان شاعرهم الفرنسي شارل بودلير ماجناً في ديوانه "زهو الشر" ومثله الشاعر الروائي الأمريك (ادجار ألكن بو) حيث مات مدمناً للكحول .

ومن رموزهم العربية (أمل دنقل) الذي كان يقول :  
(عرفت هذه المدينة .. سكرت في حاناتها .. وزرت أوكار البغاء واللصوص) .  
انظر في هذا كله : مجلّة الدعوة ، ع (١٦٢٩) ١٥ شوال ١٤١٨ هـ (ص ٤٠-٤١) ، مقال الأستاذ سعد بن خلف الغفنان .  
وانظر : الإعلام والتغريب الثقافي ، د. عبد القادر طاش (ص ٨-١١) .  
ونماذج من إبراز الخطيئة بصورة جريئة في شعر بعض الحدائين تظهر في مثل كتاب :  
الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة ، د. نزار أبابطة  
(ص ٢١٧-٢٢١) .

=

وفي مجال النقد - مذاهب ونظريات - يبين عماد الدين مدى تضيق هذه المذاهب - الأكثر حداثة - خناقها على القارئ ، حين تعزله عن النص الإبداعي ؛ لتستأثر هي بالتأويل والتفسير ، "و لم يعد من حق القارئ أن يمارس التجوال الحر عبر النص بعيدا عن رقابة النقد وأثرته ، ذلك الذي يبلغ في أكثر النظريات حداثة ، كالبنوية والسيميائية والتفسير الانزياحي ! ، وباسم المنهج العلمي في النقد ، حدا كادت تطرح معه مقولة فرعون التي أوردها القرآن الكريم على لسانه ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ (١) " (٢) .

ويطالب عماد الدين بالموازنة والاعتزان في تلقي هذه التوجهات النقدية الحديثة ، فالأمر - في نظره - "يستحق محاولات جادة من النقاد والدارسين الإسلاميين تؤشر على مظان الإيجاب والسلب في دعوات أو كشف كهذه ، فتضئ بالإيجاب منهجها النقدي الذي يطمح لأن يكون متميزا ، وتتخذ من السلب مؤشرا مدعما بالحجة والجدل والبرهان على أن مآكل ما يجيئنا من الغرب ، في هذه الدائرة أو تلك من دوائر المعرفة الإنسانية ، يمكن أن يبهرنا ، أو يجعلنا نلهث وراءه متخلين عن أولويات في العمل والمنهج قد تكون أكثر أهمية وإلحاحا وجدوى" (٣) . ويرى - كذلك - أن تشريح النص الإبداعي الأدبي بطريقة مختبرية صارمة تنفر المثقف الواعي ، وقد تجر - غالبا - إلى "احتمال الانقلاب عليها باتجاه النقد الذاتي الانطباعي الحر ، كرة أخرى ، وتلك هي مأساة أحادية الرؤية لدى الغربيين ليس في مجال النقد فقط ، وإنما في سائر الأنشطة والكشف" (٤) .

= ولا زالت أصوات غربية تعارض الحداثة ، انظر : الحداثة في الشعر العربي المعاصر حقيقتها وقضاياها ، د. وليد قصاب (ص ١٠٩-١١٢) ، والحداثة أزمة الخطاب الأدبي المعاصر ، د. حلمي بدير (ص ٨-١٤) ، وملحق الأربعاء (٢١ ذي الحجة ١٤١٩ هـ) ، مقال عماد فؤاد عن كتاب فيليب لاركن "مختارات شعرية" في رفض الحداثة المتطرفة (ص ٢٦) .

- (١) سورة غافر : آية (٢٩) .
- (٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢) .
- (٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- (٤) نفسه .

ثم إن هذا التحليل الصارم يدعي القول الفصل الذي لامرية فيه ، و"تدعي صيحات الحداثيين ، الذين يزح بعضهم بعضا ، العلمية والمنهج العلمي ، رغم أنهم يعملون في دائرة العلوم الإنسانية التي هي في نهاية الأمر نشاط احتمالي كسائر الأنشطة الإنسانية الأخرى"<sup>(١)</sup> ، ويؤكد هذا الأمر بقوله :

"إن كل حركة نقدية تطلع في الغرب تمثل ولا ريب كشفا ذا قيمة ، وغضاء جديدة ستخدم الأنشطة النقدية من أجل التحقق بإيغال أعمق وأكثر انضباطا في شرايين النص .

هذا أمر يكاد يكون متفقاً عليه ، لكن محاولة العقل الغربي المعهودة ... هي محاولة مط الاكتشاف لكي يفسر أكبر قدر من الحقائق سواء في حقله الخاص ، أو - حتى - في الحقول الأبعد نسبيا عن تخصصه ، فيقع في الخطأ"<sup>(٢)</sup> .

وحين يتعامل المرء مع هذه الكشوف والتوجهات الحديثة في مجال النقد ، فإنه يفرق بين ما كان له صلة فكرية ، أو ما كان منفصلا مستقلا ، وتقنيا خاصا .. وفي هذا يقول عماد الدين : "إن الناقد الإسلامي ، وهو يتعامل مع نظريات وكشوف ومذاهب كهذه ، يمكن أن يلحظ كيف أن بعض محاولات الحداثة النقدية كالانزياحية مثلا ، لا ترتبط بأية رؤية أو منظور ذي طابع عقدي ، وإنما هي تقنيات منهجية صرفة تضع أدواتها في خدمة النص ، بغض النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وقدرته على التحليل والتفسير ، بينما تنسج محاولات أخرى ، كالبنوية مثلا ، حول نفسها منظومة من المفاهيم التي تخرج عن دائرة التقنية باتجاه التعامل مع الإنسان ووضعه في العالم ، وقد يصل بها الأمر حافات العقائدية"<sup>(٣)</sup> .

ومن خلال هذه المفارقة بين هاتين الحالين فإن موقف الناقد البصير يختلف ، حيث "يفيد ماوسعه الجهد من الحالة الأولى ، ذات الطابع الحرفي الجزئي الذي يتحاشى الشمولية و(الأيديولوجية) ، وأن يكون حذرا من الحالة الثانية ، رغم أن

(١) المرجع السابق (ص ١٣) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٨-١٩) ، وانظر : دراسات في الغزو الفكري والتبعية الفكرية ، د. أمير

عبد العزيز .

حذره من الخفيات يجب ألا يصده عن المضي للإفادة من الجوانب الحرفية الصرفة للمحاولة ، وهي على ثغراتها وادعاءاتها وإلحاحها ذي الطابع (الميكانيكي) الذي تقود إليه (العلمية) يمكن أن تقدم إضاءات ذات قيمة بالغة في التعامل مع النص<sup>(١)</sup>. ويمكننا أن نوجز موقف عماد الدين الوسيط من الحداثة بكلماته التي جاء فيها "والمهم هو تجاوز الوقوع في إحدى اثنتين : التقبل الكامل لمعطيات الحداثة بدافع الإعجاب والتزام العلمية في العمل النقدي ، أو الرفض الكامل لها بحجة ارتباطها بخلفيات قد ترتطم في مفرداتها ، أو بعضها ، مع المنظور الإسلامي للكون والعالم والإنسان ، ولطبيعة النشاط الإبداعي"<sup>(٢)</sup>.

وتبقى مسألة (التراث)<sup>(٣)</sup> والرجوع إليه - كل آن - مسألة ذات أهمية ، قبالة هذه التحديات المتتابة .. والأدب الإسلامي المعاصر "لايشكل ملامحه ويأخذ شخصيته المتميزة إلا بالتجذر في اثنتين : العقيدة والتراث ، وإلا فقد خصوصيته ،

- (١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨-١٩) .
- (٢) المرجع نفسه (ص ١٩) ، ويحذر من "إلحاح العقل الغربي على تجاوز الثوابت والنزوع إلى التحول والتغيير ليس فقط في دائرة الأدب ، وإنما في جلّ سياقات الفكر والحياة" . حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، له (ص ٢) .
- (٣) لا يلحق بالتراث (الدين) فإن الدين ثابت لا يصبوب ولا يخطأ ، والتراث خزان الحضارة شعرا ونثرا وحقائق حياتية وفلسفات وطبائع وعادات ولا يحمل صفة الإلزام . انظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢) .
- وممن يرى الدين مضمنا في مصطلح التراث د. محمد عابد الجابري في كتابه : "التراث والحداثة" ، ولانوافق في ذلك .
- وانظر في مصطلح التراث Legacy وفق المنظومة المترنة الكلام النفيس في : التراث . والمعاصرة د. أكرم ضياء العمري (ص ٢٩-٣٠) .
- و : أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر ، د. ربيعي محمد علي عبد الخالق (ص ١١-١٢) .
- وللدكتور عماد الدين مقال رائع يسمي فيه القرآن والسنة أصولا إسلامية ، ولا يدخلها في التراث . انظر : مجلة عالم الكتب ، ج(١٣) ، ع(٢) ، رمضان - شوال ١٤١٢ هـ (ص ١٣٩-١٤١) .

فإذا كانت الأصول العقدية للأدب الإسلامي مما لا يختلف عليه اثنان ، فإن التراث باعتباره معطى وضعيا ينطوي على هامش من الحرية تفسح المجال للانتقاء"<sup>(١)</sup> . وبهذه النظرة صوب التراث ، يرى الدكتور عماد الدين أنه "لم يبق ثمة حجة للاصطراع الموهوم بين فئتين من أدباء الإسلامية تلتصق إحداها بالتراث بأكثر مما يجب"<sup>(٢)</sup> بحيث إنها لا تكاد تترك بينها وبينه فاصلا مناسبا للرؤية الصائبة التي تتيح الأخذ أو الرفض على هدى وبينه .. وتبعد الفئة الأخرى صوب الطرف النقيض مدعية أن الأدب الإسلامي مادام يحمل لافتة (المعاصرة) فإن عليه أن يفك ارتباطه بالتراث!"<sup>(٣)</sup>

والتصالح الموزون قائم بين التراث والمعاصرة .. فحركة الأدب الإسلامي "معاصرة بقدر ما يتعلق الأمر بتطبيقاتها وجانب كبير من ممارساتها النقدية والدراسية كما إنها (معاصرة) باستعارتها العديد من التقنيات الإبداعية المتقدمة لدى الغرب . وهي (تاريخية) بقدر تجذرها في المعطى التراثي الخصب ذي الخبرات المتراكمة عبر العصور"<sup>(٤)</sup> .

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢) .

(٢) لعل بعض كلمات عماد الدين خليل في مقاله "ألا يستعبدنا التراث .. ذلك هو الجواب" في كتابه : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، توحى بأمر لا يقصد ظاهرها ؛ ولهذا عقب في نهاية مقاله بأنه لا يدعو إلى رفض التراث لأن هذا تنازل عن الهوية ولا يُظَنُّ من عاقل ذلك ، ولكن لو أنه استخدم عبارات أخرى لكان حسنا - الباحث - . انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي له (ص ١٩١-١٩٤) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ومن نظر في بعض الدراسات المتعلقة بالتراث وجدها بعيدة عن الربط بالأصول والثوابت منطلقة من قواعد القومية العربية مبتوتة عن المنطلقات السليمة ، ومثال هذه الدراسات أوراق العمل المقدمة إلى (الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية) - الباحث - . انظر هذه الأوراق في : التراث وتحديات العصر في الوطن العربي ، مجموعة مؤلفين في (٨٧٢) صفحة .



فالمطلوب أن نتحرك بتراثنا ونمارس فعلا حضاريا بنية صالحة مخلصة وفق الضوابط الشرعية "فذلك هو الضمان بخلاف أولئك الذين يتعاملون مع تراثنا من خارج دائرة الإسلامية .. الذين يدسون رؤوسهم في المعطيات التراثية برؤية انتقائية مسبقة لا يحكمها ضابط أو معيار ، ويسوقها الظن والهوى ، فتكون النتيجة عبثا بمقدرات هذا التراث وتزييفا لخصائصه"<sup>(١)</sup> ، ويؤكد هذا بقوله :

"إننا أحرار في تعاملنا مع التراث شرط أن نكون مخلصين لحضور حياتنا وعقيدتنا وثوابتنا وتاريخنا"<sup>(٢)</sup> ، وأن يتجاوز هذا التعامل الصيغ المتخفية الساكنة ، أو حتى (الأكاديمية) البحتة ، وأن يعين - بدلا من ذلك - على تحريك حياتنا الراهنة وإعادة تركيبها في ضوء الخبرة التاريخية من أجل أن نتجاوز حالة التفكك وانعدام الوزن وضياح الشخصية"<sup>(٣)</sup> .

والمفردات اللغوية - على سبيل المثال - من المعطيات التراثية التي يفاخر بها كل من ينتسب إلى لغة الضاد ، ولكنها قد تشيخ وتهرم ، فكيف يكون ذلك؟ وكيف نتعامل معها حينذاك؟!

= وما أجمل مقاله أستاذنا د. محمد أبو موسى حين ذكر أنه قد "غابت عن الأذهان فكرة انبثاق الجديد من غيب القديم ، وإشاعة طرائق المفكرين المسلمين ... وكيف كانوا يصبون عقولهم على القليل الخافت فيصبح كثيرا نافعا" . القوس العذراء وقراءة التراث ، د. محمد أبو موسى (ص ٦٢) .

ويحسن الرجوع كذلك إلى كلام نفيس للأستاذ محمد قطب في كتابه : حول التفسير الإسلامي للتاريخ (ص ٢٤٤-٢٦٣) بعنوان : "الثابت والمتطور في حياة البشرية" .

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٦) .

(٢) يقول الأستاذ عبد العزيز الرفاعي : "إن أية أمة تحرص على أن يكون لها كيان خاص بها وشخصية بارزة المعالم لا بد وأن تتركز على تراث ، تستمد منه عزيمتها ، وتلتف حوله ، وتنطلق من مركزه ، وتبلور مستقبلها على قواعده" .

توثيق الارتباط بالتراث ، الرفاعي (ص ٥) ، نقلا عن : عبد العزيز الرفاعي أدبيا ، د. محمد بن مريسي الحارثي (ص ٢٠٣) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٦) .

يجيب عن هذا عماد الدين بقوله : "شتان بين أن تعطيك (الكلمة) بعفوية ودونما تكلف ، روحها وجوهرها ، وبين أن تسعى أنت ، بأساليب غير مباشرة إلى التوصل لحقيقة هذه الروح .. وربما لن تصل أبدا!!

وليس مر الأيام والسنين وحده هو الذي يرهق الكلمات ، ويقودها إلى الشيخوخة والتلفع بالأردية خوفا من البرد ، فهناك التكرار الذي يرين بغباره المدوم على روح الكلمات ونفسها العميق ، فيقرب بها يوما بعد يوم من السطح ، ويبعدها عن أعماقها وجذورها .

وما أسهل - من ثم - أن تتحرك الأشياء ، وهي تطفو على السطح ، دونما جذور تشدها إلى مواقعها الحقيقية الثابتة ... وهكذا فقدت كثير من كلماتنا شخصيتها ونفسها ، وليست أردية ، وتزيت بأزياء اختفت في طياتها تلك الشخصية واحتنقت تلك الأنفاس!!" (١) .

وعن سبب ذلك يقول : "يجب ألا نلقي التبعة على اللمة وحدها ، التي قطعت آلاف الأميال ومئات السنين حتى وصلت إلينا متعبة مكدودة .. ولكننا نحن أيضا نسهم بنصيب فيها لأننا - وقد شخنا وتعبنا - آل تعاملنا مع الكلمات إلى التشبث السهل بظواهرها وأرديتها الخارجية ، دونما سعي جاد حريص على الكشف عن جوهرها ومعانقة روحها الأصيلة .. ومن ثم فإن هذه العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الإنسان والكلمة وبين الكلمة والبيئة هي التي تحدد موقع الكلمة قربا أو بعدا عنه" (٢) .

وعن الدور المناط بنا تجاه هذه المسألة في جانب التراث يرى عماد الدين أنه "بأيدينا نحن أن نعيد الحياة إلى الكلمة ، وأن نفجر فيها مرة أخرى روحها الأولى ، بمجرد أن نكون أكثر جدية وإيجابية في تعاملنا مع الكلمات ، أو بمجرد أن نتخلى عن مواقع الكسل والخمول في هذا التعامل ، وأن نحمل في عقولنا ووجدانا وأفئدتنا فكرا عميقا ، وثقافة واسعة وحسافيا تنأى بنا عن العلاقات الآلية مع لغتنا" (٣) .

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٢) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٨٣) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٨٣-١٨٤) .

حقاً .. إنه لابد من الارتباط بالتراث<sup>(١)</sup> ، ورفض التحديث غير المنضبط ، الذي يتنازل عن الثوابت أو يقبل أنصاف الحلول فيها مدهانة ومجاملة .  
لابد من العطاء الدؤوب المتميز ؛ "لأن الأدباء الكبار يبرزون دائماً من قلب الهزائم .. وعلى وهج النار المحمصة تلتهم قرائحهم ، كالنجوم الوضاعة في أعماق الليل ، لكي تبث ضوءها الأزرق الجميل على الكائنات ، وتمنح إبداعها وروعها لكل راء"<sup>(٢)</sup> .

وتراثنا ثر أمام أيدينا ؛ فلم لانهل منه متحصنين ، آخذين الحكمة حيث كانت بعد ذلك ، "ومرفوضة كل محاولة تسعى إلى اتخاذ ممارسات الأمم والجماعات الأخرى مشجبا لتعليق هذه الهزائم وتبريرها .. ولن ينقذنا إلا فعلنا الخاص ، ولن يعيدنا إلى موقعنا المتقدم إلا تحملنا الكامل لمسؤوليتنا"<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) لاتعارض بين التراث والمعاصرة ، وفي هذا انظر : نحو أدب إسلامي ، محاضرة الدكتور محمد مصطفى هدارة "التراث والمعاصرة وثام لا خصام" (ص ٤٣-٦٦) .
- (٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩١) .
- (٣) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧٥) . وانظر - في هذا التشكيل والتراث - :
- \* مدخل إلى إسلامية المعرفة ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥-٢٢) .
  - \* مؤشرات إسلامية في زمن السرعة ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٢-١٨٤ ، ٢٠-٢٣) .
  - \* مجلة إسلامية المعرفة ، تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بماليزيا (ص ١٠٩-١٢٠) .
  - \* كلمتي للمثقفين ، جمال سلطان (ص ٥٧-٦٤) ، وانظر كذلك (ص ٧٥-٨١) .
  - \* في معركة التراث ، د. عون الشريف قاسم (ص ٩-٤٠) ، وانظر (ص ٦١-٧١) .
  - \* علل وأدوية ، محمد الغزالي (ص ٢٠٦-٢١٦) .
  - \* الحق الطبيعي وقوانينه ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (ص ١٦-١٧) .
  - \* الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان (ص ٥-٣٨) .
  - \* الرقابة على التراث ، د. بكر بن عبد الله أبو زيد (ص ٥-٩) .
  - \* تجديد الفكر الإسلامي ، جمال سلطان (ص ٣٨-٤٢) .
  - \* جهادنا الثقافي ، جمال سلطان (ص ٨٠-٨٩) .
  - \* الإسلام والوعي الحضاري ، د. أكرم ضياء العمري (ص ٩٩-١٢٨) .
  - \* ابن تيمية وإسلامية المعرفة ، د. طه جابر العلواني (ص ٧٢-٨٣) . =

يقول أحد الباحثين عن مناقشة التراث وبعض مراجعاته :

"وعلى الرغم من أن هذا الموقف يبدو مقنعا ومنطقيا ، إلا أنه يفتح الباب لمناقشة التراث ومحاكمته ، مما يجري بعضهم على الوقوف عند جوانبه السلبية<sup>(١)</sup> كما فعل أدونيس وغيره"<sup>(٢)</sup> .

ويرى أن الأمة "التي تسمح بتشويه أي من ثوابتها التراثية ، تخسر خسارة موازية وربما أشد خطرا من تشبثها بتراثها دونما تمييز"<sup>(٣)</sup> .

وتراثنا العريق له أثره الكبير في نهضة شعوب كثيرة ، استرقدت من معينه في مجالات عديدة<sup>(٤)</sup> ، تبين أن هذه الأمة ودود ولود ، تنبت في رحم الزمان من يحمل اللواء بصمود وثبات أمام كل مطمع صغير ، أو مطمح حقير . والحادثة التي تحفظ التراث مقبولة بل يسعى إليها ، أما الحادثة الفكرية المنحرفة ذات الخصائص الخاصة التي تميزها عن غيرها بالتوجه المقصود ، والمآرب التفجيرية المخالفة ، فلها أهلها المنافحون عنها بلا هدى وبيان<sup>(٥)</sup> .

\* معالم في الطريق ، سيد قطب (ص ١١٦-١٤٨) .

\* مفاهيم ينبغي أن تصحّح ، محمد قطب (ص ٣٣٥-٣٦٢) .

\* التراث .. واجبنا نحوه ، د. كامل سغفان (ص ١٣-١٥) .

\* في الغزو الفكري ، د. أحمد عبد الرحيم السايح (ص ١١٧-١٤٤) .

\* الهزيمة النفسية عند المسلمين ، د. عبد الله خاطر (ص ٥٣-٦٢) .

\* الفكر الإسلامي بين الأصالة والتجديد ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص ٤٧-٥١) ،

٢٠٣-٢٠٩) .

(١) لعله يعني ذم الوقوف عند هذه الجوانب وعدم توظيفها في التقويم وتخطيط المنهج - الباحث - .

(٢) التراث في شعر رواد الشعر الحديث ، د. أحمد عرفات الضاوي (ص ٦) ، رسالة دكتوراة في

الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) انظر : ملحق الأربعاء (٢١ ذو الحجة ١٤١٩هـ) عرض كريم محمد لكتاب : الماضي المشترك

بين العرب والغرب ، أ.ل. رانيل ، ترجمة د. نبيلة إبراهيم (ص ٣٩) .

(٥) انظر في خصائص الحادثة المرفوضة : مجلة البعث الإسلامي ، الهند ، ج (٣٥) ع (٧) (ص ٧٥-

٨٤) مقال : "ولادة الحادثة ونشأتها" د. عدنان علي رضا النحوي .

رمزهم في التطور التغريب  
يتخفى وراءها التخريب<sup>(١)</sup>

أي رزء أصاب قومي فأضحى  
إنما يفسد البلاد دعاوى

= ولا ننسى أن الشيوعية نشرت أفكارها عبر الواقعية الاشتراكية ، وأن الرأسمالية الغربية نشرت فكرها بالتزويج لقيم الحرية الفردية ونحو ذلك . انظر : المجلة العربية ، ربيع الآخر ١٤١٢ هـ ، مقال : "الأدب الإسلامي الأولي والمصطلح" ، د. حلمي محمد القاعود (ص ٩٣-٩٤) .  
(١) نقوش على واجهة القرن الخامس عشر ، د. عبد الرحمن صالح العشماوي (ص ٦٧) .

## المبحث الرابع المذاهب الأدبية<sup>(١)</sup>

يتصل حديثنا - هنا - من باب ذكر العام بعد الخاص ؛ امتدادا للأرضية السابقة حيث عرضنا الأخذ عن (الآخر) ، ثم يكون تأصيل الحديث في هذا المبحث حول مسألة المذاهب والتفصيل في مسارات معينة منها ، كالانزياحية والبنوية ونحوهما ، ومع ذلك يكون التداول حول انطلاقات التصور الإسلامي في سبيل تكوين منهج ومذهب متميز .

ولعلنا نغفل إلى ما رآه أحد الباحثين ظاهرا في سياقات عماد الدين في مجال التنظير النقدي ، حيث ينطلق ممارسا الإبداع في هذه السياقات النقدية ، بطرحها وتنضيدها في صفحات طويلة ، قد يظهر فيها (التكرار) - ولا شك - فيغمس ريشته الإبداعية ويرسم بها لوحاته النقدية ، وقد تحتفي بعض هذه الآراء في ذلك الدفق الإبداعي ، وقد رآها هذا الباحث سلبية كبيرة<sup>(٢)</sup> .

وفي تأسيس تناول الحديث عن المذاهب - في السياق العام - يؤكد عماد الدين - ابتداء - أن "النشاط الأدبي ليس إبداعا فحسب كما أنه ليس قراءة نقدية للنص فحسب ، وإنما هو - فضلا عن هذا وذاك - مذاهب أو مدارس في الإبداع تتشكل وفق المنظور أو الإطار الشامل الذي يتكون العمل الأدبي في رحمه ، كما إنه "مناهج" و"طرائق" لدراسة الأدب وتصنيفه وفق سياقاته في الزمن والمكان ، وفي ضوء قوانينه وارتباطاته الداخلية ، ثم هو - في نهاية الأمر - (نظرية) شاملة تلمّ هذا كله ، وتبحث عناصر الارتباط والتأثير بين طبقاته ، وتؤشّر على النسب والأبعاد

(١) وقد يعبر عنها عماد الدين بالفنية بإرادة (الفنية الشكلية) وأنها أداة قد تحور وفق توجه معين ، وليس بمعنى (الفن) الخاص . وانظر - مثالا عليه - : في النقد الإسلامي المعاصر (ص ٤٠) .

(٢) انظر - في ذلك - : مجلة الأدب الإسلامي ، س (٢) ، ع (٦) ، ١٤١٥ هـ - (ص ١٧) دراسة الأستاذ محمد إقبال عروي بعنوان "قراءة في نظرية الأدب الإسلامي" لعماد الدين خليل ، ولعل هذه الظاهرة بادية من خلال كتابه "مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي" ففيه تكرار كان يجمل أن ترتب موطنه وتأتلف أجزاؤه ليبدو في صورة أكثر حسنا إلى حسنه - الباحث - .

بين معطياته ، ثم تسعى لاستخلاص التوجهات الشمولية التي تندرج فيها وتصبّ مفردات النشاط الأدبي كافة لكي تصوغ توجّها ذا شخصية محدّدة وملامح متميزة<sup>(١)</sup> .

ويؤكد أن المناهج "أدوات حيادية قد تكون صالحة لتسخيرها من قبل هذا المذهب ، أو التيار الأدبي ، أو ذاك ؛ من أجل إضاءة الدراسة الأدبية ومنح الدارسين فرصا أكثر لإتقان مهمتهم والوصول إلى نتائج أكثر سلامة"<sup>(٢)</sup> .

ويتساءل عماد الدين عن المنهج الإسلامي ، والتوجه الشامل المتميّز ! يتساءل عنه .. "ألا يجدر به أن يستمد مقوماته من شمولية العقيدة التي ينبثق عنها ، لاسيما وأنه يتعامل مع صيغ التعبير عن التجربة البشرية ، وبالتالي ينسج حيثياته من مطالب هذه الشمولية فيأخذ بكافة الصيغ التي تضيئ النشاط الدراسي لأداب الأمم والجماعات والشعوب ، فلا يكاد يغفل عاملا منها مادام أنه يخدم هذا التوجه الشمولي ، ولا يرتطم في أساسه ببداهات العقيدة وتوجهاتها؟"<sup>(٣)</sup>

وإذا كان المعطى الأدبي - في نظر عماد الدين - معمارا ذا طبقات عديدة مرتبطة متصلة فإنه يؤكد أن تميّز الأدب يكون في انطوائه على الطبقات جميعا ، ومحاولة استكمال الحلقات المفقودة بكلّ جهد ممكن ، بل يرى أن تأمل ذلك كلّه بيقين ، يثير التحدي ، ويحفز لاستكمال البنيان الذي يتكوّن من :

- (١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠) .
- (٢) المرجع نفسه (ص ١٥) ، وانظر : مبادئ في الأدب والدعوة ، عيد الرحمن حسن حنكة الميداني (ص ٣١) ، والتيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة (ص ٤٦-٤٩، ٤٤٥-٤٥٢) ، وآفاق الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ٩٠-٩٣) .
- وانظر : مجلة الوعي الإسلامي ، ع (٣٤٧) رجب ١٤١٥ هـ. (ص ١٥) مقابلة د. نجيب الكيلاني ، وفي البحث عن الواقع ، د. منصور إبراهيم الحازمي (ص ٨٧-٨٩) ، والأدب الإسلامي ضرورة ، د. أحمد محمد علي (ص ١١٣-١١٥) .
- ومن جميل قول الأستاذ الكبير علي الطنطاوي - رحمه الله - : "أنا لأدعو إلى نبذ الحضارة الغربية ، بل أدعو إلى أخذ ماينفعنا منها ، وأن لاناخذها أخذ العامي للراد (الراديو) ، لا يفهم منه إلا أنه يأتيه بالأصوات فيفتحها على مصراعيه ، ويزعج به الجيران!" . في سبيل الإصلاح (ص ٤٣) .

- (٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ١٧) .

- (١) المعطى الإبداعي المتنوع وهو أساس هذا المعمار .
- (٢) الرؤية الشمولية التي تشكّل هذا المعطى فينتج عنها ما بعدها .
- (٣) المدرسة أو المذهب الأدبي .
- (٤) الجهد النقدي الذي يضئ الأسس الجمالية للنصّ الإبداعيّ ، ويتقدّم هذا الجهد واضعا المبادئ والقواعد ثم ينفذها بالتحليل باحثا عن القيم الفنيّة والمضمونيّة للنصّ ، ومدى الارتباط بالمذهب .
- (٥) المنهج الذي يدرس ويتتبّع الظاهرة الأدبيّة عبر شمولها الزمانيّ والمكانيّ .
- (٦) النظرية التي تجمع ذلك كلّهُ<sup>(١)</sup> .

"فإذا كانت الإسلامية قد أبدعت أدبا وفق هذا النوع أو ذاك ، أي في دائرة الشعر أو القصة أو الرواية أو المسرح .. إلى آخره ، وإذا كان هذا الأدب ينبثق بالضرورة عن منظور متميّز ، أو رؤية متفرّدة ، هي الرؤية الإسلاميّة بخصائصها وميزاتها جميعا ، أفلا تكون الإسلاميّة بالتالي ، مدرسة أو مذهباً متميّزا بين الآداب بمذاهبها كافة؟"<sup>(٢)</sup>

ويؤكد ذلك بقوله : "يبدو أنه من قبيل الأمور المحتومة أو المسلّم بها ، أن تكون الإسلاميّة مذهباً وليست مجرد معيار رؤيويّ تقاس به أو تحال إليه الأعمال أو النصوص الإبداعية . وليس صعباً أن يتأكد المرء من هذا بمجرد أن يتابع الملامح المتميزة للمعطيات الإبداعية الإسلاميّة التي أخذت تمتدّ عمقا ومساحة عبر العقدين الأخيرين على وجه الخصوص . فإذا تذكرنا أنها شكّلت في الأساس لكي تعبّر عن المنظور الإسلامي ولكي تقدّم البديل (المذهبي) لآداب الغرب التي استأثرت بالساحة الأدبية عبر القرون الأخيرة وجعلت من العالم كلّهُ "محالا" لظنونها وأوهامها ،

(١) يُضللّ (المثقف) - حيناً طويلاً - ذلكم التعقيد الظاهر في تأصيل بعض النظريات ، وخاصة الحديثة منها .

يقول يوسف وغليسي : "إن إشكالية المصطلح قد نقلت الخطاب من معركة الآليات إلى معركة المفاهيم" . مجلة قوافل ، س(٥) ، م(٥) ، ع(٩) ١٤١٨هـ - (ص٥٣) ، مقال : التفكيكية في الخطاب النقدي العربي المعاصر .

(٢) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١١-١٢) .



وأحيانا نزواتها وعبثها الرؤيوي ، عرفنا أن المسألة أكبر من أن تكون مجرد معيار تقاس به أو تحال عليه هذه المفردة الإبداعية أو تلك" <sup>(١)</sup> .

والحدود الفاصلة بين (المعياريّة) و(المذهبيّة) في حالة الإسلامية ، كامنة في الدرجة لا في النوع ؛ وهذا لا ينفي (مذهبيّة) الأدب الإسلامي ، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك كله التناسق والجهود القائمة في طبقات البناء السّت السابقة .

فالجهد النقديّ يراه عماد الدين متمثلاً حين نطلع على القائمة (البليوغرافية) بعنوان (دليل مكتبة الأدب الإسلامي) <sup>(٢)</sup> ، التي تظهر فيها "المساحة الواسعة للأعمال النقديّة ، التنظيرية والتطبيقية ، التي تحتلها في القائمة ، وإن كان الأمر يتطلب - إذا أردنا الحق - المزيد من الجهد والعطاء على المستويين من أجل تأصيل هذه الحركة وتثبيت ملامحها الإسلامية المتميزة ، وبخاصة على مستوى التقنيات والأسلوبيات" <sup>(٣)</sup> .

وهكذا الأمر فيما يتعلّق بالدائرة أو الطبقة السادسة (النظرية الجامعة) ، حيث يرى عماد الدين أن تأسيس هذه النظرية وبيان مفرداتها ومطالبها قد انطلق به الأدباء الإسلاميون وفق الخبرات والمعطيات المتأنيّة من خلال الطبقات السابقة ، وأن الرجوع إلى الدليل السابق (دليل مكتبة الأدب الإسلامي) يبرز عديداً من الإصدارات المثبتة لذلك .

وعند القفول باتجاه الدائرة الخامسة (المنهج الدراسي المتميّز) يلحظ عماد الدين خلافاً ظاهراً في هذه الدائرة لدى الحركة الأدبيّة الإسلاميّة ، وإن كانت الخطوات في بدايات الطريق "وإذا كان لهذا الأدب منظوره المتميّز : أ - للإبداع ، ب - للتأثيرات الزمنية ، ج - للتأثيرات البيئية ، فإنّ منهجاً متميّزاً للدراسة الأدبيّة سيتمخض بالضرورة عن هذا كلّه ، وقد يحتاج الأمر إلى وقت كاف لبلورة الملامح" <sup>(٤)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ١٢-١٣) ، وانظر : مجلة الأدب الإسلامي ، ج (٤) ، ع (١٥) ، (ص ٤٠ -

(٤١) لقاء مع عماد الدين خليل .

(٢) وهي للأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر حفظه الله .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٣) .

(٤) المرجع نفسه (ص ١٤) .

عبر هذه الحلقات ، يتدفق التيار لتأسيس هذه المنهجية المتميزة ، التي تفيد من تجارب الآخرين عبر دوائر المنهج .

ويفرق عماد الدين بين (المنهج) و(المذهب) ؛ ليضع - ابتداء - مدخلا للحديث عن الموقف من (المذاهب) .

فالمذهب - عنده - "يعبر بشكل ما عن رؤية للكون والحياة والعالم والوجود ، ينبثق عن فلسفة أو تصور أو عقيدة متميزة"<sup>(١)</sup> . وفي هذه الحالة فإن الإسلامية ترفض الإذعان - ابتداء - للانسحاق وراء المذاهب الأدبية ؛ لأنها عند ذاك ستتنازل عن الكثير من مقوماتها وستفقد شخصيتها المستقلة .

أما المنهج فهو أداة عمل ، وهو في بعض الأحيان قد يعكس تمذهباً ما بدرجة ما ، ولكنه يظل في معظم الأحيان حيادياً يمكن توظيفه لهذا المذهب أو ذاك"<sup>(٢)</sup> .

ويضرب مثالا على استخدام المنهج بما يوظف من نظرة (سارتر) إلى مسألة الالتزام ، إذ لم يقل أحد إن مسألة الالتزام معطى (سارتر) أو (وجودي صرف) "لأن أحدا لم يخطر على باله بأن التزامية الماركسية"<sup>(٣)</sup> تمثل انحيازاً للوجودية وهي التي سبقتها بكثير ، ثم إن الالتزام الأدبي والفني عموماً ليس أمراً جديداً في عالمنا الحديث ، لكي يكون حكراً على هذا المذهب أو ذاك"<sup>(٤)</sup> .

ويخلص إلى أن "الأدب الإسلامي أدب مذهبي ، بمعنى أنه يعبر إبداعياً عن منظور متميز للكون والحياة والإنسان ، يلتزم بمعطيات هذا المنظور ، ويرفض قبول أو احتواء كل مامن شأنه أن يعارض أو يصدم هذه المعطيات"<sup>(٥)</sup> .

(١) تصفح - مثالا على هذا التلبس الفكري - : أساطير اليونان ، د. عماد حاتم ؛ تجد خلفيات من يُعمل الأسطورة في نتاجه ، وآثار ذلك على التضييل والتعمية ، وانظر : الفكر الفرنسي المعاصر ، إدوار موروسير ، ترجمة د. عادل العوا (ص ١٦١-١٨٩) .

وانظر : المبحث الرائع النفيس "جذور المذاهب" من كتاب : مذاهب الأدب الغربي رؤية إسلامية ، أ.د. عبد الباسط بدر (ص ٢٦-٣٢) .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٤) ، ع(١٣) ١٤١٧هـ (ص ١٤-١٥) لقاء العدد مع الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل .

(٣) سبق تناول (الالتزام) في النظرة الماركسية في مبحث (الالتزام) فليراجع - تفصيلاً - هناك .

(٤) مجلة الأدب الإسلامي ، الإحالات السابقة .

(٥) نفسه .

وعن المصطلحات الغريبة - بدلالاتها المختلفة - يقول عماد الدين : "إذا كان المصطلح عموماً جسراً للتواصل ، للعبور إلى الآخرين وتقديم رؤيتنا إليهم ، فإن اعتماده بصيغته غير الإسلامية ليس جرماً ، بل قد يكون ضرورة من الضرورات ، وهو في الوقت نفسه يمثل تحدياً ملحاً يتطلب منا أن نشكل مصطلحاتنا الأدبية والنقدية والجمالية الخاصة بنا ، وألا نقف عند هذا الحد ، بل أن ننشرها على الناس وأن نزيد من فاعليتها في ساحات النقد والأدب ، وأن نجعلها عالمية ماوسعنا الجهد" (١) .

وعند هذه النقطة يقف عماد الدين طويلاً - في أكثر من موطن - ليكشف عن ظاهرة تصاب بها الانطلاقات الحركية الغربية في الدراسات الإنسانية ، حين يكون التعميم والنظرات الأحادية من زاوية واحدة ، بل يتعدى الأمر ذلك صوب زعم هذه الانطلاقات القدرة على عمل المستحيل ، بتحويل الكشف الجزئي إلى مذهبية شاملة لاتقف عاجزة أمام كل سؤال! (٢)

ويأتي هنا دور من ينقل هذه النظرات من بني العرب إلى الساحة الثقافية ، حيث "تجد نفسك وأنت تقرأها تعاني الكثير من غموضها وأغازها ومعمياتها" (٣) .

(١) المرجع السابق ، ومن دعا إلى ذلك الناقد الأستاذ سعيد الوالي ، انظر : ج(٤) ، ع(١٥) ١٤١٨ هـ (ص ٨٨-٩١) .

(٢) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص ٤-٥) ، وانظر آثار ذلك في : الفكر المادي في ميزان الإسلام ، للدكتور صابر طعيمة (ص ٣٢-٤٤) ، وانظر : الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب (ص ٦٩-١٠٩) ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لأبي الحسن الندوي (١٧٨-١٩٥) .

(٣) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧٤) .

وفي جولة قام بها المستشرق الفرنسي المعاصر (شارل بيللا) في عدد من الأقطار العربية ، سأله أديب : أيهما تقرأ : الأدب العربي القديم أم الحديث؟ فأجاب : بل أقرأ الأدب العربي القديم وحده . فسأله الأديب : ولماذا لاتقرأ الأدب العربي الحديث؟

فأجاب (بيللا) : لأنه أدب أوروبي مكتوب باللغة العربية!!

انظر : مجلة المسلم المعاصر ، س(١٤) ، ع(٥٤) ١٤٠٩ هـ (ص ١١٧) ، مقال : الأدب الإسلامي المعاصر ، أ. جمال سلطان .

وفي نقلة إلى بعض المذاهب والنظريات الحديثة يسجل عماد الدين خواطره ونظراته حول هذا المذهب أو ذاك .

فالانزياحية - في نظره - "ليست في نهاية الأمر كشفاً جديداً بالكلية ، ولكنها تأكيد وبلورة ، وتنظير لممارسات جمالية ومعطيات بلاغية ، نفذها الشعراء منذ اللحظات الأولى لولادة الشعر في هذا العالم"<sup>(١)</sup> .

ويؤكد أنّ هؤلاء القدماء نقلوا المفردات والعبارات اللفظية من حالاتها اليومية المباشرة - عبر تقنيات وأدوات بلاغية - إلى حالات جديدة ، ترفض المباشرة واللفظ القريب<sup>(٢)</sup> ، فكانوا - بذلك - قد نقلوا اللفظ عن محله إلى تشكيل جديد وأفق جديد ، جعل الفرق ظاهراً بين الشعر والنثر .

= ومن الكتابات الجيدة في هذا النقل "المشكلات الثقافية في ترجمة المصطلح النقدي" لإيمان أحمد عكور ، وهو بحث استكمالي لمتطلبات درجة (الماجستير) في الترجمة من جامعة اليرموك بالأردن ١٩٨٨م ، انظر - على درجة من الأهمية - (ص ١-٦) منها .

وانظر : الترجمة إلى العربية قضايا وآراء ، د. بشير العيسوي (ص ٨٥-١٠٤) .

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧) .

(٢) وهذا - لاشك - مخالف لمذهب الرمزية الذي يوغل في الانحراف الأدائي للغة ؛ استناداً على

خلفيات فكرية مبطنّة . انظر : آفاق الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ٧٣-٨٠) ،

ولغة الشعراء ، ونفرد نوتني ، ترجمة د. عيسى العاكوب وآخر (ص ٢١٣-٢٧٠) ، والشعر

الجاهلي ، د. محمد خفاجي (ص ٥٧-٦٣) وكثير من دعاة الرمز المنحرف يرفضون ما يسمونه

بزعمهم (تناظرية الأبيات) وسهولتها!! انظر : النثرة والقصيدة المضادة ، محمد ياسر شرف

(ص ٩٨) ، وقد ذكر عبد الرحمن شكري في كتابه "دراسات في الشعر العربي" (ص ٢٢٥-

٢٢٧) ثلاثة عشر سبباً لنصرة (الرمز) عند أصحابه ، وانظر : القناع في الشعر العربي الحديث

رعد أحمد الزبيدي (ص ٥-٦) ، ومجلة الجامعة المستنصرية ع (٧) ١٩٨٣م (ص ١٦٧) ، مقال

"القناع في الشعر العربي الحديث" للدكتور عبد الرضا علي .

ومن الدراسات الجادة في هذا "بحوث في النص الأدبي" ، للدكتور محمد الهادي الطرابلسي

(ص ١٥٧-١٨٠) ، وانظر : أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم ، تسعديت حمودي

(ص ١٣-٦٤) .

والاطلاع على تراث أمتنا النقدي والبلاغي يجعل هذا الأمر ظاهراً لكل بصير . ولكنّ "الإلحاح في تحمّل النظرية أو الكشف أكثر مما تحتلّ يجعلها تتجاوز حدود المقنع إلى نوع من التمحّل الذي يفرض على الفاعلية النقدية تعميمات قد تكون على حساب الإبداع ، وقد تبلغ في حالاتها القصوى حدّ المصادرة للنصّ ، وإرغامه على الدخول من عنق الزجاجة" (١) .

ويؤشر على ثلاث ملحوظات سجّلها أحد النقاد حول (الانزياح) يرى أنها تضيء الموضوع ، وتكشف عن ثغرات ظاهرة في كتاب (جان كوهين) تحت عنوان (بنية اللغة الشعرية) حيث يثبت فيه وجوب تمزيق بدايات التعبير اللغوي وإعادة تشكيل علاقات جديدة بين المفردات (تنزاح) وتكاد العلاقة تغيب بين التركيب الجملي للمقاطع والتعبير وبين الدلالة القرينة الظاهرة .

يسجّل عماد الدين ملحوظات (شعرية الانزياح) (٢) الثلاث ، وهي كما يأتي :

أولاً : ظهرت شواهد الانزياح بأنواعه جملاً أو أبياتاً أو أجزاء من الأبيات ، وبهذا يتبين أن الانزياح في جزء من القصيدة أو أجزاء ، وماتبقى فإنه يكون على النسق الاعتيادي للغة ؛ ولذا لا يوجد ديوان كامل يعيش هذا الانزياح .  
ثانياً : كانت جداول (كوهين) وإحصاءاته تبين أن (الانزياح) كثير في نماذج شعرية ، قليل في أخرى ، وفي هذا تجزئ واضح وتضييق لدائرة الشعر .

= وانظر الملحوظة القيمة للدكتور محمد محمد حسين في كتابه "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" (٢٩٥/٢-٢٩٦) ، وصحيفة الرياض ، ع(١١٢٨٢) (س) ١٤٢٠هـ (ص ١٩) ، الخيال الرمزي ، ج. روبرت بارت ، ترجمة د. عيسى العاكوب (ص ١٥-٣١) ، النقد الأدبي الحديث ، د. العربي حسن درويش (ص ٢٦٧-٢٧٥) ، والمذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة فريد أنطونيوس (ص ٢٧٤-٢٨٨) ، والصورة الشعرية ، د. ساسين عسّاف (١٠١/٩٢) .

وانظر : "الفن الرمزي ، الكلاسيكي ، الرومانسي" ، هيغل ، ترجمة جورج طرايشي (ص ١٠-٢٥) .

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧) .

(٢) وهو كتاب للأستاذ عبد الجبار داود البصري .

ثالثاً : إذا عُدتَّ الشاعريّة بكثرة الانزياحات ، فمعنى ذلك أن قصائد متلههلة في موضوع الشكوى ، ستفوق رائعة (الحمى) لأبي الطيب<sup>(١)</sup> ، ولاشك أن في هذا "مصادرة قد يضحى فيها بالعديد من القيم النقدية والجمالية ، بل قد يضحى فيها بجانب خطير من الفاعلية الشعرية ، من أجل التأكيد على أن الانزياحات المتتابعة هي عصب الإبداع الشعري"<sup>(٢)</sup> .

ويرى أن نظرية كالانزياحية ، حين لا ترتبط بأية رؤية أو منظور عقديّ ، فإنه لا يمانع - حينها - من التعامل معها ، مادامت مجرد تقنيات منهجية يفاد منها بنسب ممتدة ، بقطع النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وقدرته التحليلية<sup>(٣)</sup> .

ويصوّر لنا مثلاً على الانحراف في بعض المذاهب والنظريات الأدبية ذات الخلفيات المنحرفة ، وما كان منها حديثاً فإن رواه قد تكون أشدّ انحرافاً ؛ نظراً للهوّة السحيقة التي يقع فيها المرء حين يتعد عن هدى الله لعباده في الأرض .

"وبمجرد إلقاء نظرية سريعة على أيّ عمل أدبي واقعي ، أو طبعي ، أو واقعي اشتراكي ، أو سريالي ، أو طليعي .. فإننا سنجد أنفسنا إزاء تيارات تتدفق ، في معظمها باتجاه مناقض لمجرى القيم ، والرؤية ، والتصور الذي ينبثق عن الإسلام .. وهذا يؤكّد ، أكثر فأكثر ، ضرورة أن يكون للإسلاميين مذهبهم الأدبي المتميز وألا يتلفتوا ذات اليمين وذات الشمال طالبين المعونة من هذا المذهب أو ذاك ، اللهم إلا بقدر ما يمكنهم ذلك من أدواتهم الفنية ، ويزيدهم قدرة على (التعبير

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي المعروف بالمتنبي ، ولد سنة ٣٠٣هـ بالكوفة وهو من شعراء العربية المشاهير ، مدح كثيراً ، ومن أشهر ممدوحيه سيف الدولة الحمداني ، وقد نشأ فقيراً ، وقتل في رمضان سنة ٣٥٤هـ .

انظر : المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس ، د. محمد التونجي (ص ١٦-١٩، ١٥٣-١٥٦) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨) .

(٣) انظر المرجع نفسه (ص ١٩) .

الجمالي المؤثر) للتصور المتفرد الذي يحملونه ، أو التجربة الخصوصية التي يعيشونها  
أفرادا وجماعات" (١) .

ويقف عند معطيات (الطليعية) ؛ لأنه يرى أن سواها - كالواقعية الاشتراكية  
قد أصبحت معروفة لدى كل قارئ ، سواء في البنيان الداخلي أو في مقارناتها  
بالإسلامية (٢) .

ويذكر أن (الطليعية) تسمى - كذلك - (مذهب العبث) و(اللامعقول) .  
"ومنذ البدء فإننا نجد أنفسنا بإزاء موقف تصوّريّ نقيض بالكلية لموقف  
(الإسلامية) القائم على ارتباطية الكون ، وغائية الحياة ، وجدوى الكدح البشري ،  
وعدالة المصير" (٣) .

فقيام هذه المدرسة المستقلة - في نظره - لا يكون إلا على الفوضى والبعث  
واللامعقول منذ أن بدأ (ألبير كامي) (٤) أساسها وبداياتها ، من خلال النظرات  
المضادة لسيطرة العقل قرنين من الزمان ، فأصبح الوجود في نظر هؤلاء (الطليعيين)  
وجودا لا يبرره منطق ، بل هو عبث من العبث!!

ولهذا دعا (ريتشارد - كو) إلى صدّ هذا الاجترار حين أبان أن كتاب  
(الطليعية) يكتبون دراما الساعات المكسورة ، فأبطالهم يحيون عالما توقفت ساعاته  
فالزمن - بذلك - مفقود ، بل غير معتبر ؛ مما يلغي تراكمية التجارب والنفع من  
ورائها .

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٦) ، وانظر : المذاهب

الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د. شكري عياد (ص ١٤٣-١٩٩) .

(٢) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٥٧) ، و"القول بعشية الوجود يجعل الوجودية فلسفة إلحادية لاتؤمن بما  
وراء الحياة من ناحية ، ولاتقنع بغاياتها الكريمة من ناحية أخرى" .

قراءة النص وجماليات التلقي ، د. محمود عباس عبد الواحد (ص ٦١) .

(٤) يعد كامي Camus أول من كرّس جلّ مسرحياته للتعبير عن فوضى الكون - في نظره -  
وجعل أبطال أعماله يعبرون عن رؤاه الخاصة . انظر : فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر  
د. عماد الدين خليل (ص ١١٥) .

والطليعيون - كذلك - يعرضون في نتاجهم الفني والأدبي ما يترأى لهم واقعا شاملا بكل ما فيه من خواء وعبث ، وتبدو الدنيا في نظرهم بلا طعم ولا لون ، ويكون الوجود عبثاً بلا هدف ، ومادام الأمر كذلك ، فلماذا لا يضحك المرء من كل شيء!!<sup>(١)</sup>

ولهم موقف من (الموت) ؛ حيث يرونه سببا رئيسا في سلبية الحياة ، وعدم جدواها ، ويؤكدون عبثية العالم حين يؤول إلى هذه النهاية!  
هكذا يتأملون الموت في أعمالهم المختلفة ، كما عند (يونسكو) في (قاتل بلا أجر) ، أو (الملك يحتضر) ، و(صموئيل بيكت) في (الأيام السعيدة) .  
والإنسان - في قياسهم - يركض للخلاص دون جدوى ، فهو لا يستطيع نقل خطواته ويصرخ دون جواب ؛ لأنه لا يقدر أن يخرج كلماته من شذقيه!  
وهذا هو تعبيرهم عن الكون والحياة في مظلة (العبث) ، فقد تحطمت أسس الزمان والمكان ، ولم يعد للشخصيات وجود ، في ظل التناقض بين المأساة والمهابة .  
ولكل ماضى ؛ يعلل عماد الدين سعي الطليعيين إلى التعلق المسرحي بالأحلام و(الكوايس) في الشكل والمضمون ، حيث يتبنونها "لاعتقادهم العميق أنه مامن إطار يجعل الناس يرون واقعهم اليومي الذي يتخبطون فيه كالأسماك ، مثل الحلم ... مادام الكون والعالم يفتقدان - أساسا - الخط الفاصل بين المعقول واللامعقول ، فلماذا يرتكب الإنسان خطأ الفصل بين اليقظة والمنام؟"<sup>(٢)</sup>  
ويؤكد أن ادعاء اليقين - في نظر الطليعيين - أمر مجوج ؛ فلا يقين في أي شيء ولذا كان الخيال مفرأ لهم في كل حين<sup>(٣)</sup> .

ومن جملة هؤلاء (صموئيل بيكت) الذي يرى العداء متأصلا بين الإنسان والكون من حوله ، فالوجود للإنسان فحسب ، والكون أعمى أصم أبكم! وهي

(١) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٧-١٥٩) ،

ومدارس النقد الأدبي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص ١٨٧-١٨٩) .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٦١) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص ١٦٢) .



فلسفة إمام الوجودية النصرانية (بسكال) التي يدين بها (بيكت) . والكون - في نظر بسكال - "إن أهلك الإنسان ، فإن الإنسان يكون أشرف ممن يهلكه ؛ لأن الإنسان يعلم أنه يموت ، أما الكون فلا يدري ماذا يفعل؟" <sup>(١)</sup>

ويجمل عماد الدين رؤى (الطليعية) تجاه الحياة كلها بأنها "فوضى تعمّ الكون والعالم ، ولاتدع لحركة الإنسان فيهما هدفا محدداً أو مصيراً معلوماً . كون أنشأته الصدفة العمياء!! وعالم لا يقوم على قاعدة من العقل .. وإذا كان الناس طيلة تاريخهم قد اتفقوا على مواضع وأخلاق وقيم وتقاليد ، فما ذلك إلا لأنهم مجانين ، أو عميان لم يروا بوضوح عبث الكون ، أو يعقلوا سخف العالم . إذ أنى لهم أن يصطلحوا على ماهو ثابت في حياتهم ، وليس هنالك شئ يمتلك عناصر الثبات" <sup>(٢)</sup> !!

فكانت لذلك إجاباتهم المحزنة عن كثير من الأسئلة المتعلقة بالوجود والإنسان والمصير ، والحكمة من خلق الكون ونحو ذلك ! وهذا نابع عن الأرضية الفكرية التي انبثقت منها (الطليعية) بانحرافاتهما المختلفة تجاه الإنسان ووجوده ؛ لأن "المضامين في معظم الأحيان ، ألصق بالنسيج الحضاري الذي تخلّقت آدابها فيه : تصوّراً وفلسفة ، ورؤية للحياة والوجود ، وسلوكاً وخبرات ، وعملاً يومياً .. قد تلتقي هذه المضامين عند الإنسان ، ولكنها تفرّق في الرؤية التي تقدمها عن مركز الإنسان في الكون ، وفي فلسفتها إزاء وجوده ومصيره" <sup>(٣)</sup> .

وهذا ما أكّده عماد الدين - في أكثر من موطن - حيث إن "المذهبية في الأدب الغربي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتصوّر الغربي للكون والإنسان" <sup>(٤)</sup> .

(١) صموئيل بيكت والأيام السعيدة ، مقال : جلال العشري ، مجلة المسرح ، ع(٨) (ص ١٠٤) .

نقلاً عن مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦٢-١٦٣) .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٦٣) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٢٣) .

(٤) محاضرة : تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (٤٠) .

وغالبا ماتكون هذه الارتباطات وثيقة بالنظرة الأحاديّة ، وهذا مايجعلها تفقد توازنها ، وتخرج نتائج بعيدة مهزوزة ، تسقط المذهب أو تظهر تهافته فيفقد مصداقيته "كما حدث مع الماركسية والوجودية والفرويدية .. وغيرها وصولا إلى البنيوية التي أخذت منذ الستينيات تتلقى ضربات قاسية"<sup>(١)</sup> .

وهذا خلاف نظرة الإسلام ورؤيته المتميّزة لمسألة وجود الإنسان ومصيره<sup>(٢)</sup> لأنها نظرة شمولية "بل إن مايميز الإسلام نفسه عن سائر المذاهب والأديان المحرفة والوضعية إنما هو شموليته .. قدرته على لم سائر الأطراف والقضايا في معادلة وضع الإنسان في العالم"<sup>(٣)</sup> .

وفي مسألة تعامل الإنسان مع هذا الكون ، يوقفنا عماد الدين في جملة من كتبه عند كشفٍ لضلال الفكر المنحرف ، الذي تتبناه جملة من المذاهب في علاقة الإنسان ومايدور حوله .

يقف بنا عبر بوابة (المسرح الغربي) في كتابه النفيس : (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر) على نماذج عديدة من الرؤى المنحرفة في هذا الجانب الفكري الذي تتكشف فيه الحقائق ، ويبدو فيه التوازن ، ويبدع فيه المنهج ثبوتا وإقناعا .

هذا الكون بآياته وعجائبه وغرائبه ، وبنسقه وتوازنه ، لايستطيع أحد أن يجد فيه ثغرة أو عيبا ، كما قال الحقّ - جلّ في علاه - ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٥) .

(٢) ترتبط - ولاشك - مسألة القدر بحرية الإنسان ، وموقفه من أفعاله وحركات الزمان وأحداثه انظر مثالا على هذا الارتباط في : فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٨٠-١٨٣) ، وانظر الكتاب النفيس : دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا ، عبد الله محمد المهنا (ص ١١١-١١٤ ، ١٤٩-١٥٩) .

(٣) مجلة الأدب الإسلامي ، ج (٤) ، ع (١٥) (ص ٤٣) ، د. عماد الدين خليل (سؤال في التأصيل) .

(٤) سورة الملك : آية (٣-٤) .

"أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا" (١). هذا الكون كله .. لم يخلق عبثا ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢) ، و"خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة ... لأنه لما كان إنكارهم للعبث والحساب ، والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه" (٣) .

ويقف بنا عند الجانب التصوري العقدي ، ولا يعني بالحديث عن جانب الاشتراك في الناحية المادية ؛ لأن الناس كلهم يجمعون على إبداع هذا الكون ونسقه العظيم وإن اختلفوا في المصدر ، أهو الله؟ أم الروح المطلق؟! أم الطبيعة؟! ويعبر عن هذا العبث من خلال مسرحيات (كامي) التي جاءت تحت هذه اللافئات (كاليغولا) ، و(سوء التفاهم) ، و(حالة الحصار) ، و(العادلون) . وتناول أعمال غيره من أمثال (سلاكرو) ، و(هارولد بنتر) ، و(ديرنمات) ، و(بيتر فايس) (٤) .

وقد خاطب هؤلاء العابثين بلفظ (العبث) . خاطبهم بقوله في قصيدة (إلى اللا منتمين) :

وَتَشْكُونُ .. رَغْمَ السَّنَى وَالْجَمَالِ  
وإِشْرَاقَةٍ فِي لِيَالِي الْقَمَرِ  
عَلَى زَوْرَقٍ مِنْ خَيَالِ  
يَسِيرُ بِكُمْ فِي بَحَارِ السَّحَرِ  
وَتَبْكُونُ .. رَغْمَ غِنَاءِ الشَّجَرِ!! (٥)

(١) تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ ابن كثير (٣٩٦/٤) .

(٢) سورة (ص) : آية (٢٧) .

(٣) تفسير النسفي ، للإمام عبد الله بن أحمد النسفي ، تحقيق مروان الشعار (٦١/٤) .

(٤) انظر : فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١١٦-١٢٧) .

(٥) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص ١٣٩) .

ويخبر عن هؤلاء بأنهم :

مَشَوْا يَعْبُرُونَ الظَّلَالَ

بلا فكرةٍ أو حَنِينٍ ..

بلا خَفَقَةٍ من فُؤَادٍ

ولانفثةٍ من جَوَى العاشقين

سوى خَفَقَةِ الموتِ عندَ الرُّقَادِ

وإيماءِ الذَّابِلِينَ<sup>(١)</sup>

ويشهد بتفاؤله واعتقاده ، منددا بهذه التشاؤمات حيث يقول :

من اللَّيْلِ يَنْسَابُ ضَوْءُ الشُّرُوقِ

وِيرْكُضُ خَلْفَ الظَّلَامِ

لِيَجْلُوهُ عَنْ مَسْرَحِ الكَائِنَاتِ

ومن باكيات الغمام

تَشُقُّ الْوَرُودُ الطَّرِيقُ

فِي زَهْرٍ دَرَبُ الْحَيَاةِ!!<sup>(٢)</sup>

وَيَصِمُ هؤلاء (اللامتمين) - حسب تعبيره - بأنهم لم يتخذوا موقفا واضحا

يختارونه بل أعلنوا فلسفة خاصة ، يوهمون الناس أنها الحق وماوراءها الضلالُ  
المبين!<sup>(٣)</sup>

وهذا مايؤكد لديه فقدان الفلسفات الوضعية - والمذاهب الأدبية والفنية

المنطلقة منها - النظرات المتوازنة ، الساعية إلى "العمل من أجل تنمية قيم البطولة

وتعميق مواقف الرفض والثورة ، يقابلها العمل من أجل تحقيق الصفاء والانسجام

والإحساس الغامر مع سُنَنِ الكون والعالم ونواميسها وموجوداتها"<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق (ص ١٤٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٤٤) .

(٣) انظر : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص ١١١-١١٣) ، وانظر : حوار في المعمار

الكوني ، له (ص ٧٧-٧٨) ، وانظر - كذلك - : قالوا عن الإسلام ، له (ص ٣٥-٣٨) .

(٤) مجلة الأمة ، ع/ربيع الآخر ١٤٠٣ هـ (ص ١٣) مقال د. عماد الدين خليل : وظيفة الأدب في

المفهوم الإسلامي .

ولذلك سعى عماد الدين إلى كشف زيوف نظرات هذه المذاهب ، من خلال المجهر المسرحي ، حين تكون الفرصة مواتية "لاكتشاف تناقضات الحياة الغربية على مستوى الفكر والواقع ، وعلى مستوى الإنسان والمجتمع والرؤية للكون والحياة والوجود والمصير .. تناقضات مترعة بالشروخ لا يمكن أن تنسجم وبدهييات العقل البشري"<sup>(١)</sup> .

وفي تعليقه لظاهرة التأزم والتمزق الذي تعيشه كثير من هذه المذاهب ، يقول "إن هذه الأزمة تعكس مأساتها بشكل حتمي في معطيات الفكر والفن المعاصرين ، حيث لا تستطيع أقلام المتأزمين إلا أن تخط كلمات كالضياع والعبث واللاجدوى والتمرد والتمزق والغثيان والهجر والقلق واللامعقولية والعدم ، وغيرها كثير .. وكلها تشير في مداها البعيد إلى فقدان الإنسان لعنصري فاعليته وإيجابيته وهما وحدة الذات الإنسانية والإيمان اليقيني بالخلود"<sup>(٢)</sup> .

ويعتقد "أن مايقوله هؤلاء ، ويعيدون فيه ويبدئون"<sup>(٣)</sup> ، لا يظلم منطق الوجود والعالم وإنما يظلم الإنسان؟ يصبّ عليه عذابا وهميا لا وجود له .. وينصب في طريقه مارآه في (الكوايس)؟ يريد أن يقول له : إن واقعك ليس سوى كابوس ، وإنك لا تستطيع أن تركز أو أن تصرخ ، لأن الجدران تقف أمامك ، تمنعك من الصراخ .. من أن تصل إلى الآخرين .. أن تصافحهم وأن تتقدم معهم إلى مشارف الملكوت"<sup>(٤)</sup> .

(١) لقاء الأردن (ص ٤٢) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٦١) .

(٣) في الأصل "ويبدأون" ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب - الباحث - .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ١٩٩) .

وانظر تقويمه لفلسفات التفسير المثالي عند هيغل ، والمادي عند ماركس وإنجلز ، والحضاري

لتويني في كتابه القيم "التفسير الإسلامي للتاريخ" (ص ٢٣-٩٤) .

وتقويمه لغيرها في : العلم في مواجهة المادية (ص ١١٨-١٢٤) يظهر لك - بعد رؤيتها - عمق

الرجل في استخلاص الاستدراك وترتيب أجزائه - الباحث - .

وهذا التصادم بين الفطرة والانحراف التصوريّ عند هؤلاء وغيرهم في النظر إلى الكون ، وعدم التوازن بين الوجود الإنساني وما سخر حوله من مقدّرات وإمكانات ، يقودنا إلى الحديث عن انحراف تصوّريّ آخر ، يقع فيه الفكر الغربيّ ، ألا وهو النظر إلى القدر والحرية .

وقد هيأ لذلك عماد الدين فصلا كاملا في كتابه (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر)<sup>(١)</sup> ، وطبع مستقلا في كتيب خاصّ بذلك .

وقضية (القدر والحرية) محور أساس تنطلق من أرضه كثير من المذاهب وتشكلت به أعمال أدبية متنوعة ، يقف (المسرح) في مقدمتها .

يقول عماد الدين : "المسرح أساسا من معطيات القارّة الأوربية ، تميّزت به منذ أن طلعت (أثينا) على العالم بتراجيدياتها الكبرى ، وإلى اليوم ، حيث يطلع من هذه القارة بالذات رواد مدارس ومذاهب مسرحية لا يقرّ لها قرار ، حتى تطلع بعدها موجات جديدة تكتسحها وتطغى عليها . ومعروف أن علاقة هذه القارّة الصغيرة بالله ، منذ فجر التاريخ وحتى الآن ، لم تقم يوما على أساس صحيح مما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الخالق والعباد"<sup>(٢)</sup> .

ويركّز الحديث في سبب نشوء الصراع بين الإنسان وربّه - في نظر الغربيين باختلاف فلسفاتهم وتنوعها - ، حيث "ظلت أعين الأوربيين مركزة في الأرض ، وأقدامهم مغروزة في الطين ، وظلت أمكنتهم وأزمنتهم نهبا للصراع القاسي المرير الذي كانت أوروبا تشهده طيلة عصورها بلا استثناء ، ومن ثمّ جاءت نظرة الأوربي إلى العلاقة بين الله والإنسان ، وليدة هذه الظروف الصعبة القاسية : مطبوعة بطابع الصراع ، وموسومة بميسمه الذي لا يزول"<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر (ص ١٤٥-١٨٣) ، ويحمل أن يعود قارئ هذه الصفحات المشار إليها إلى فصل (مشكلة

الإنسان في المسرح الغربي المعاصر) ؛ لتكون البدايات التأصيلية هناك - الباحث - .

وانظر - كذلك - : الاتجاهات الأدبية الحديثة ، ر.م. ألبيريس ، ترجمة جورج طرابيشي

(ص ٢٢-٣٧) ، وفي الأدب الفرنسي المعاصر ، د. سامية أحمد أسعد (ص ٧-١٢) .

(٢) فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (ص ١٤٨) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٤٩) ، وانظر : قضايا أدبية رؤية إسلامية ، أ.د. عبد الباسط بدر (ص ٣٩-

٥٧) ، والصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث ، د. صالح بن

عبد الله الخضير (ص ٤٩٤-٤٩٧) .

ويذكر أن العصر (الكلاسيكي) شهد آلهة كثيرة مزعومة ، تمتلئ (صراعا مع الإنسان) بل قام الصراع بينها في العصر (المسيحي) وفق التخبط المصاحب لفكرة الخطيئة والتكفير والفداء ، ثم في العصر (العلماني) المادي الحديث برفض فكرة وجود إله! وفي بعض دوائرها قام رفض (الإله) في الأرض ، وحصره في السماء! ولكنه يؤكّد مع ذلك ، أن فكرة وجود قوة ما تسيطر وتملّك ، لازالت تسيطر على عصب الأوروبي وفكره ؛ مما أظهر ذلك على خشبة المسرح مثلاً .

ويبقى من المسلّمات لدينا أن أحفاد (سوفوكليس) و(اسخيلوس) و(يوريبيدس) لازالوا - وهم في العصر الحديث - يستقون من منبع النظرة إلى حتمية الصراع بين الإنسان وهذه القوة الغيبية .

ولكن المسرح الغربي المعاصر حين يعترف بالقدر وفق قدرة هذه القوة الغيبية يختلف في نظراته إليه يمنة ويسرة لدى كاتب وآخر .

فكاتب مثل (آرمان سلاكرو Arman Salacrou)<sup>(١)</sup> يرى الجبرية المطلقة على رقاب الناس ، بينما (سارتر Sartre) يرفض وجود قدرة فوق قدرة الإنسان ؛ لذا يدعو إلى الحرية المطلقة (المفتوحة) للإنسان من الوجود الفوقي والقدر! ويقف بينهما كتاب ومفكرون متباينون بين هذا وذاك<sup>(٢)</sup> .

والحرية لدى المدرسة (السارترية الوجودية) لا تتحقق إلا بشجاعة الإنسان النابعة من قدراته الذاتية ، ومعطيته وملكاته ، عبر دوائر الإرادة والعقل والحكمة ، والخيال الذي يشدّ مسرحياته كلّها هو (الحرية) والاختيار الراض لكلّ المواصفات السابقة الحادة من حرية المرء! إذ "ليس هناك من مرشد ، ليس هناك من قاض ولا مُعذّر ، ليس هناك من جبرية ، لا من الطبيعة ولا من فوق الطبيعة .. الإنسان حرّ الإنسان هو الحرية"<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر كلامه عنه في فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (ص ١٥١-١٥٧) ، ويرى أن كامي تظهر لديه في مسرحياته صورة أشدّ قتامة ومأساوية تجاه القدر ، انظر (ص ١٥٨-١٦٤) .

(٢) انظر بعضاً من آرائهم في المرجع نفسه (ص ١٦٤-١٧٨) .

(٣) الذباب ، سارتر ، ترجمة د. محمد القصاص (ص ١٦-١٧) ، نقلًا عن : المرجع نفسه (ص ١٧٩) .

ولذا يحمل سارتر الإنسان مسؤوليته تجاه نفسه وتصرفاته ، وماتؤول إليه .  
وهذه النظرة إلى مسألة القدر والحرية تبين فوضى الفكر الغربي المعاصر ..  
تلك الفوضى التي "تبدأ من أعماق أعماق الإنسان ، وتنتهي بالكون وخالق الكون .  
تبدأ بالإنسان فتمزقه ، وتصعد صوب العلاقات الاجتماعية فتدمرها ، ثم تلقي  
ظلالها على العالم والكون فتخيّل للناظر أن البعث يلفهما في طياته ، وتصل أخيرا  
إلى العلاقة بين الإنسان وخالقه فتسمّمها وتسفوها بالرماد ، علاقة خصام أبدي بين  
إرادة الله وإرادة الإنسان" (١) .

ويقف بنا عماد الدين عند مسألة مهمّة ، وهي أن هؤلاء المسرحيين جعلوا  
رؤاهم مذاهب شاملة لتفسير الوجود الكوني والإنساني ، وطبيعة علاقة الإنسان بما  
حوله ، بنظرات ملزمة ؛ فحادوا بذلك عن الخط الصحيح والمسار المستقيم ؛ مما  
أفقد كثيرا من أعمالهم مقوّمات الفنيّة كالحركة والحيويّة والبعد عن التجريد  
الفكريّ . ولاغرو في هذا التأكيد لمسألة القسر الفكري لدى هؤلاء الكتاب ؛ حيث  
انطلق جلّهم من تجارب شخصيّة مؤثّرة ، كان لها بصمات ظاهرة في نفوسهم  
وأفعالهم فالعبث واللاجدوى عند (كامي) كان بعد إصابته بالسّل ، وعمّه اليأس  
من الشفاء أمدا طويلا .

والطليعيّون أرادوا ذلك حصون العقل ودكتاتوريته التي سيطرت على الفكر  
الأوربيّ قرابة القرنين ؛ وهذا ما جعلهم يأرزون إلى الأحلام والكوابيس! (٢)  
ويؤكد مسألة ثابتة حيث يقول : "ليس الأمر إذن سواء في معطيات المسرح  
الغربي المعاصر .. فبقدر ما كان هذا المسرح صادقا وعميقا ورائعا لدى حركته في  
مدى الإنسان وعالمه ، بقدر ما كان كاذبا وتلفيقيا وبشعا لدى تحبّطه في أمداء  
الكون والعلاقة بين الله والإنسان" (٣) .

(١) المرجع السابق (ص ١٨٧) .

(٢) انظر في ذلك - باختصار - : المرجع نفسه (ص ١٩٢-١٩٤) .

(٣) المرجع نفسه (ص ١٩٧) . وانظر كلامه الجميل حول أزمة الفكر وأزمة العصر (ص ١٩٨-٢٢٧) ، وكذلك : في النقد الإسلامي المعاصر ، له (ص ٦١-٦٣) .



و حين يكتب لمذهب ما انتشار و ذبوع ؛ فإن ذلك لا يعني - بالتأكيد - قدرته و براعته ، و اتساقه و توازنه ، ولكنه من (غياب البديل) - كما سماه عماد الدين - أو ضعفه حين يوجد متهافتا مرتطما بقناعات الإنسان و مسلّمات التصور . و يضرب مثلا بالماركسيّة .. حيث بقيت منتشبة منتفشة بين عشرينيّات و ثلاثينيّات هذا القرن حين كانت عقيدة متفرّدة لأوروبا "ونقطة الجذب ذات البريق المثير ، والكعبة التي كان معظم المثقفين : مفكرين و فنانين و أدباء ، يجدون أنفسهم مسوقين للحج إليها!"<sup>(١)</sup> .

و هذا ما جعل كثيرا من هؤلاء - على اختلاف توجهاتهم - يميلون إلى الامتلاء بالانتماء ، فهرعوا إلى الماركسيّة ليربطوا بها مصائرهم<sup>(٢)</sup> .

و حين يسدل الستار على الفطرة القويمة ، بعيدا عن الغبش و التضليل ، و التعمية و تجزئ النظر ؛ فإن الإنسان عائد - لاحالة - إلى تميّزه و بريقه الخاص ، لأننا نعلم أنه "ستظلّ البشرية تعاني ، و تزداد أزما تها تعقيدا و إرهابا ، يوما بعد يوم ، حتى يتأتى لها - يوما ما - أن تؤمن بالنور الذي تنزل من السماء ، و انصبّ ، عبر فترات من التاريخ ، على الظلمات التي ظلت البشرية تتخبط فيها"<sup>(٣)</sup> .

ولهذا كان للتصور السليم نظراته المتوازنة المنضبطة تجاه هذه المذاهب المختلفة و قياس أمدائها و أبعادها ، وفق ميزان ثابت ، يراعي سلّم الإيجاب و السلب ، و يقف - بعيد نظر - عند الاتصال الفكري لهذا المذهب أو عدمه ، و وفق منظومة التصوّرات المنضبطة ، فإن النظرية الثابتة في الفكر و الفن و الأدب تحافي الانحراف و تنأى عن التميّع ، و تدعو - في الوقت ذاته - إلى التميّز الذي يعكس أثر الالتزام و تأثيره في الرؤى .

(١) مجلة الأمة ، ع/ذو القعدة ١٤٠٦ هـ ، (ص ٨) ، مقال "غياب البديل" ، د. عماد الدين خليل .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٢٦-٢٢٧) .

و انظر : أجيال ضد الماركسية ، علاء الدين وحيد (ص ٣٤/٢٩) .

فالتصوّر الإسلامي ومذهبه المتميّز ، قد يكون ثمة التقاء بينه وبين بعض المذاهب الأدبية والفنية من جهة ما ، "ولكنه يبقى مذهباً إسلامياً مستقلاً ؛ لأنه في الأصول والكليات لا يمكن بحال أن يلتقي مع أي من المذاهب الأدبية الأخرى .. إنه إذا حدث أن تمّ لقاء ما في (الشكل) ، فإنه يندر على مستوى (المضمون) .. والمذهب عموماً" (١) .

فالخلاف كبير في الأصول ؛ حيث ينبعث المذهب المنضبط من خلال الرؤى الموافقة للفطرة السليمة ، في الوقت الذي تصدر رؤى المذاهب الأدبية الأخرى "عن رؤى بشرية وضعية قاصرة" (٢) ، تتضمن الكثير من المناقص ، والأخطاء والثغرات والأحكام النسبية ، والاختلال والتطرّف والشذوذ" (٣) .

ويرى هذا - بادياً - على مستوى المضمون بصورة كاملة ، خلافاً للشكل لأنه (حيادي) في كثير من مواطنه ، "ومادام أن المضمون يتلبس (المذهب) ويدخل في صميم نسيجه ، في سُداه ولحمته ، فإن التباعد بين (الإسلامية) والمذاهب الأخرى يصبح أمراً محتوماً إلا في حالات عرضية لاتصلح أن تكون قاعدة يقاس عليها" (٤) .

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٣) .

(٢) أشار د. محمد خفاجي في مجلة الدعوة ع(١٦٢٩) شوال ١٤١٨هـ إلى أهمية النظر إلى خلفيات المذاهب الأدبية الغربية . انظر (ص ٣٩) ، وانظر : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، محمد خلف الله أحمد (ص ١٥-١٨) ، وفي الأثر الأجنبي انظر : صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص ٦٥-٧٥) ، والمؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر ، د. يوسف حلاوي (ص ٢١-٩٨) ففيهما بيان لنماذج من آثار هذه الخلفيات الفكرية في الطرف المتلقّي ، وانظر - كذلك - : دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر ، د. محمد غنيمي هلال (ص ٤٨-٦٤) ، وانظر : سيرة القارئ ، نبيل سليمان (ص ٢٣-٢٧ ، ١٨٥-١٩٠) ، وقلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها ، د. محمد هنادي (ص ٥٢) وما بعدها .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٥٣) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ويرى الدكتور عماد الدين أن الأستاذ محمد قطب يتفرد بذلك الطرح الموسّع للملامح التصوّر الإسلامي التي ينبثق عنها المذهب الإسلامي في الأدب والفن عموماً . انظر : نفسه . ويشير فيها إلى كتاب محمد قطب الشهير (منهج الفن الإسلامي) .

ويؤكد أن هذا الفرق يكون ظاهرا حين تجري المقارنة مع المذاهب الأكثر حداثة لتغلغل الرؤية الفكرية فيها بدرجة كبيرة ، فيتساءل مثلا : "تري هل ثمة مساحة ولو ضيقة تجمع بين (الطليعية) هذه وبين (الإسلامية)؟ إن ما يقال هنا يمكن أن يقال بالنسبة لمعظم المذاهب الغربية الأكثر حداثة"<sup>(١)</sup> .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذا لا يعبر عن نظرة (التشنج) تجاه ماهو حديث وجديد من المذاهب ، وقد سبقت الإشارة إلى موقف عماد الدين من (الآخر) ، ولكنه الشعور بالتميز والارتباط بالمنهج المنضبط العادل ، النابع من وحي السماء<sup>(٢)</sup> ؛ لأن عزته توحى إليه أن خطوات الركض وراء سراب التجديد غير المنضبط "لاتقدر على إقناع المبصرين بأن الأسود الفاحم أبيض ناصع ، ولاتقدر على إقناع المتذوقين بأن الزقوم تمر وزبد"<sup>(٣)</sup> .

وهاهو عماد الدين يتحدث عن (النبوية) في كتابه المخطوط (متابعات في دائرة الأدب الإسلامي)<sup>(٤)</sup> وأنه من خلال متابعة صحف وندوات عالمنا العربي خلال السنوات الأخيرة يتبين لنا مدى الحفاوة التي يلقاها مذهب (النبوية) ، كما كان (سارتر) يلقي من حفاوة صارخة في عواصم البلاد العربية ، ثم مالبث أن شكّ هو في أفكاره ، واثارت علامات تعجب كثيرة ، وهكذا يبدأ بريق هذه المذاهب حين "تحمل في البدء بريقها الذي يهر الأبصار ثم مايلبث أن يخفت الوهج فيتراجع الأتباع ، ويجد المذهب نفسه منساقا إلى زوايا الظلمة والنسيان"<sup>(٥)</sup> .

وقد بدأ بريق (النبوية) يخفت بعد خمسة عشر عاما من انبثاقها حركة ومذهبا في فرنسا ، ولكن لازال عنفوانها دائما لدينا في كثير من البلاد ؛ لأن "مثقفي اليوم لايجروا على رفض ، أو حتى الشك فيما يعتبره منهجا علميا صارما في التعامل مع النص ، لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه"<sup>(٦)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ١٦٣) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص ١٦٤) ، وانظر : الأدب الإسلامي ضرورة ، د. أحمد محمد علي (ص ١٠٨-١١٥) .

(٣) في الفكر والأدب ، د. حسن الهويل (ص ٤١) .

(٤) انظر (ص ١٣٦-١٥٠) من الكتاب .

(٥) المرجع نفسه (ص ١٣٦-١٣٧) .

(٦) نفسه .

والبنوية حين تكون فلسفة خاصّة في تعاملها مع الإنسان<sup>(١)</sup> ، وحين تكون - في مستوى النقد - منهجا لاعتبار النصّ الحكم الأول والأخير في عمليّة التقويم ؛ مما يتطلّب تشعّبا كبيرا في الحاجة المعرفيّة من علم اللغة والجنس والفلسفة والاجتماع والنفس والتاريخ ونحوها ؛ فإن ذلك كلّه لايسوّغ وقوعها في الخطيئة العظيمة من ممارسة العقل الغربي<sup>(٢)</sup> بالتعميم والتمطيط والتحصّر على الضوابط والقياسات العلمية ، مما يراه المرء في كتابات الغربيين ويسمّى (مابعد البنوية) . ويرى عماد الدين أن (البنوية) ردّة فعل ضدّ الماركسيّة والوجوديّة ، وأنها مندفعة نحو "التخلّي عن النزعة الإنسانيّة ونزوعها إلى التعالي الذي يلغي التاريخ ويعتقل الإنسان في أقبية النسق والبنية والوحدة والنظام"<sup>(٣)</sup> . فكان هذا سببا في التمرّد عليها من خلال بدايات مظاهرات الطلبة الفرنسيّين في عام ١٩٦٨م ضدّ البنوية مذهبها فكريّا ، ومن ثمّ تحوّلت كتابات (البنويّين) الفرنسيّين ؛ مما دعا (رولان بارت) عام ١٩٧٠م إلى إعلان هجر البنويّة فكتب مدخله إلى (التحليل البنيوي للنص) . وعند مطالع السبعينيّات أفلّت (البنويّة) هناك ، وظهرت حركة (جاك ديريدا) لتدمير البنوية حسب فهم البنيويّين السقيم!<sup>(٤)</sup>

(١) انظر : فن القصة في النظرية والتطبيق ، د. نبيلة إبراهيم (ص٧-٦٨) ، والتفكيكية النظرية والتطبيقي ، كريستوفر نورس ، ترجمة رعد جواد (ص٧-٩) ، ومجلة فصول ، ج(٤) ، ع(١) ١٩٨٣م (ص١٤٣-١٥٢) مقال : "النقد البنيوي بين الأيديولوجيا والنظرية" لمحمد علي الكردي .

وانظر : النقد البنيوي للحكاية ، رولان بارت ، ترجمة انطوان أبو زيد (ص٩٣-١٠٠) ، ومدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، رولان بارت ، ترجمة د. منذر عيّاش (ص٢٥-٢٩) ، والبنوية ، جان بياجيه ، ترجمة عارف منيمنة وآخر (ص٩٧-١١٧) .

(٢) بهذا تنسج (البنوية) حول نفسها منظومة من المفاهيم التي تخرج بها عن دائرة التقنية باتجاه التعامل مع الإنسان ووضعه في العالم ، انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٩) .

(٣) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٤٠) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

والناقد البنيوي يتخلّى عن النقد المعياريّ عبر عصوره العديدة ، ويتكئ كثيرا على المنهج اللغويّ في تقويم النصّ ، والمقدّمات الجماليّة مرفوضة عنده في تقويم النصّ بنيويّا ، و(التناصّ) هو الأداة الشرعيّة لديه لفهم الأثر الفني ، وتجريد اللّغة يجب فيه التخلّي عن العواطف والأفكار ، والتركيز على مقدار ماتتبناه اللّغة من رموز وشفرات . والأرقام العدديّة لاعواطف لها!

وفي (البنيويّة) لاجتهاد خارج النصّ ، والنص لا يتبنّى الوظيفة الأخلاقيّة ، فالنصّ - في نظرهم - سياق في النظام الصوّتي لا الفكريّ ، حيث يجرّدون النصّ من التاريخ والاجتماع الخاصّين به ، وفي هذا كله إهانة لإرادة الكاتب حيث هو - بلا ارتياب - يعبر عن فكرة أو فلسفة معينة .

وهذا التوجّه الذي يتبنّونه يكشف عن زيفه بذاته ، واللّغة (وهي رأس مال البنيوي) وعاء الأدب ، والأدب (النصّ عند البنيويّة) "نشاط فكريّ يجري في الذهن والحواس . وإذا ماطبّقنا المنهج البنيوي على نص معين فسنجده يحيل النصّ إلى علاقات لاإنسانية ، بل إلى أصوات بدائية ... ولهذا لايعترف البنيويون بجودة نص أو رداءته لأنهم يتعاملون مع أصوات ، ولهذا فإنهم لا يقيمون وزنا للتكنيك لأنه في رأيهم لعبة لخداع القارئ . ولهذا فإن الناقد البنيوي حينما يحلّل نصا أو يكتب عنه فإن حكمه يأتي تجريديا ... ومعنى ذلك أن تصبح كلّ النصوص لغة لا أدبا"<sup>(١)</sup> .

أما إلغاء البنيويّة للمعيارية فإنه - في حقيقته - إلغاء للإبداع ذاته وللتراكم المعرفيّ بقدمه!

ولئن كانت (البنيويّة) تقترب بالعمل الإبداعي نحو المنهجية العلميّة ، وتتوغّل في البنية اللفظية والدلالية (السيمائية) في جدولة وتشريح ؛ فإنها تبقى نظرة أحاديّة تجزيئية ، تتناسى تراكم الخبرات النقديّة السابقة التي تزيد النصّ وضوحا وفهما في تحليله والنظر إليه .

(١) المرجع السابق (ص ١٤٣) .

وانظر - في هذه المسألة - : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، إبراهيم عبد الله

عبد الجواد (ص ١٦٦-١٦٧) .

كما تقود (البنويّة) الإبداع إلى المختبرات الصوتية وعلم اللغة والبحث عن  
العنصر والمركّب مما يضيق الخناق على الإجراءات النقدية ، ويفقدها (الحسّ  
الجمالي) الذي يحتاج شيئاً من الفسحة والانطلاق .

ويقول عماد الدين في كلام نفيس له ننقله - على طوله - : "والبنويّة -  
بسعيها إلى فكّ الارتباط بين الأديب وعمله لم تأت بأمر جديد بالكليّة ، لقد  
سبقتها محاولات متواصلة لتحقيق هذا الانفصال في مجالي الآداب والفنون التشكيلية  
(كذلك الذي قال به - مثلاً - سوريو وباير في مجال الرسم) وكلّ الذي فعلته هو  
إلحاحها على هذا الفصل فيما يمكن اعتباره "قتلاً للإنسان" إذا اعتمدنا عبارة  
غارودي وسحبناها من الفلسفة إلى النقد ، فما دام العمل الإبداعي هو نفحة الفنان  
أو الأديب نفسه ، هو تعبيره الخاصّ الذي يتخلّق في أتون تجربته الخاصّة أو رؤيته  
الذاتية للظواهر والأشياء ، فإن فصله عن صاحبه قد يقود إلى نتائج مآخض على  
بال الأديب أو الفنان .

بل إن الأمر يتضمن خطأ ما على مستوى الأنشطة الجمالية إذ لا يمكن بحال  
فصل البنية التركيبية للعمل الإبداعي عن التصاميم الواعية للأديب وحتى عن  
معطياته (اللاوعية) .

ومعظم النقاد مارسوا تجربة الإبداع ، وهم يعرفون جيداً كيف يتخلّق العمل  
يعيداً ، فيما يبدو للوهلة الأولى ، عن صاحبه ، مستقلاً ، يقيم بنيانه بمنطقه الخاص  
الذي طالما دهش لمعمار الأديب نفسه .. هذا حق ، وحق كذلك أن عملية التخلّق  
هذه لا يمكنها إلا أن تتدفق بين صفتين لاتندّ عنهما : خيرات الأديب ، وتوجّهه  
التعبيريّ ، أي أسلوبه الإبداعي ولغته المنتقاة<sup>(١)</sup> إلى حدّ كبير من الوعي المسبق على  
مستوى النوع الأدبي والتركيب اللغوي<sup>(٢)</sup> .

(١) يرى عماد الدين أن نويّات البنوية المبكرة قد تُلَمَّح من خلال بعض معطيات نقادنا القدامى  
في مثل نظرية النظم عند الجرجاني . انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص ١٧) ،  
وانظر : لقاء الأردن (ص ٥٢) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٤٧) .

وهكذا يرى عماد الدين القضية متصلة غير منفصلة ، فما دام النصّ معبراً عن صاحبه فلا فصل - حينها - بينه وبين تكوينه نفسياً واجتماعياً ، وانتمائه عقدياً وفكرياً ومالديه من المعرفة والثوابت ؛ لأن هذه كلّها "منسوبة هناك في نسيج إبداعه موعلة في شبكة مفرداته وجمله وتعابيرهِ . ومن ثمّ فإنّ إضاءة العمل النقدي لخلفيات الأديب النفسية والاجتماعية والمعرفية والعقدية والبيئية والوراثية ، تعدّ ضرورية لفهم هذا العمل وإدراك أبعاده ومضامينه" (١) .

ويذهب إلى الموازنة بين هذه النظرة وفصل النصّ لمتابعة مفرداته ووحداته تقابلاً وتضاداً ، وأننا بهذين المسارين نكون متوسّطين ، خارجين بنتائج أفضل ؛ مادام أنّنا نعلم أنّ العلوم الإنسانية هذه - والنقد جزء منها - ليس فيها حقيقة نهائية لاتعقب عليها ، ومادام أصحاب النظريات والدراسات والمذاهب يؤوَّبون للمراجعة كلّ حين! (٢)

وحينما يتحدث عن مقارنة (الإسلاميّة) و(البرناسيّة) (٣) يذكر أنّ (الجمال) في الإسلام ليس هدفاً بذاته ، وليس لدينا (برناسيّة) خاصّة تدعو إلى مذهب (الفنّ) للفنّ) أو (الجمال للجمال) ، ولكنّ (الجمال) حياة مؤثّرة تحقّق أهدافاً نافعة للإنسان ، فهو انطلاق (قيميّ) يعزز الجمال الحقيقي المطلوب ؛ حيث الجمال المخادع .. ذلك الذي يقود إلى السلبية والتمويه والتغطية .

والإسلام - كما يثبت عماد الدين - "واقعيّ في أحكامه الجمالية ، كما هو واقعيّ في مواقفه كافّة ، إنه لايسم بالقبح والبشاعة ماهو جميل بذاته ، ولكنه يذهب

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) وانظر في هذا - كذلك - : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل

(ص ١٣) .

(٣) (البرناسيّة) مذهب يتّبعه مذهب (الفنّ للفنّ) وميدانها - ابتداء - الشعر الغنائي ، وقد برزا مع الواقعية - وميدانها الأساس القصة والمسرحية - بعد اضمحلال الرومانسية الأوروبية أواسط القرن التاسع عشر الميلادي .

انظر : الدراما ومذاهب الأدب ، د. فايز ترخيني (ص ٢١٤) ، والنقد الأدبي ، لأحمد أمين

(ص ٤٣٢) .

إلى ما وراء الوجه الجميل ، ويتجاوز (الديكور) الخارجي للشئ المتزيّن ، بحثاً عن الهدف الذي يؤول إليه"<sup>(١)</sup> .

- (١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ٣٤) .
- ومن أهم الدراسات التي تثبت ذلك كتاب الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ، د. أحمد بسّام ساعي ، انظر (ص ٣٦-٧) ، وكذلك انظر : الشعر الجاهلي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص ٥٥-٥٧) .
- وانظر زيف الواقعية الاشتراكية وأصول الكاتب لديها في كتاب "غزو في الصميم" عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ص ٣٢٤-٣٢٥) ، ويصف رينيه ويلك (Rene Wellek) الواقعية الغربية بأنها رديئة فاسدة .
- انظر - في هذا وغيره - البحث القيم للدكتور عدنان محمد وزّان عن المذهب الواقعي في مجلة بحوث كلية اللغة العربية ، بجامعة أم القرى ، الصادرة عن الجامعة س(٤) ، ع(٤) ، ١٤٠٧ - ١٤٠٩ هـ (ص ٣١٧-٣٤٣) .
- وانظر : مدخل إلى الأدب الروائي الانجليزي ، لأرنولد كيتل ، ترجمة أ.د. لطيفة عاشور (١/٢٨-٤١) ، وفصول في النقد الأدبي وتاريخه ، د. ضياء الصديقي وآخر (ص ٢٢٢-٢٢٧ ، ٢٢٩-٢٣١) .
- ويؤكد الدكتور عبد الباسط بدر انقسام الواقعية إلى الواقعية الحرفية والواقعية الاشتراكية والمذهب الطبيعي .
- انظر ذلك في ورقة عمله المتميزة التي قدمها لمؤتمر الأدب الإسلامي بالمدينة النبوية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٩/٢-٢٤) .
- ومن أيد الدكتور عبد الباسط في هذا التفرع (دريني خشبة) في كتابه "أشهر المذاهب المسرحية" (ص ١٢٣-١٢٤) .
- وانظر - كذلك - : مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ١٤٤-١٤٦) ، والقصة العربية ٩٤ ، صادر عن دار ومطابع المستقبل بالاسكندرية (ص ٩٦-١٠١) ، ودراسات في الأدب المسرحي ، د. سمير سرحان (ص ٥٥-٩٧) .
- ويقول دريني خشبة في كتابه "أشهر المذاهب المسرحية" : "إنه مذهب لا يحمل رسالة ولا ينطوي على فلسفة ولا يهدف إلى إصلاح" (ص ١٦١) .
- وانظر - لتقف على الحقيقة - النقد الأدبي ، ويليام . ك . ويمزات وآخر ، ترجمة د. حسام الخطيب ومحبي الدين صبحي (ص ٦٥٠-٦٧١) ، وانظر نماذج تسير وراء الواقعية حذو النعل بالنعل في كتاب "أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية" ، د. محبة حاج معتوق ، وحركة نقد القصة القصيرة في العراق ، حمزة فاضل يوسف (ص ٢٥-٤٧) ، والأدب الإيطالي ، لبول أريغي ترجمة هنري زغيب (ص ١١٦-١٢٤) .



ويقول في موطن آخر : "إن (الواقعية) و(الطبيعية) بصفة خاصة لتبالغان في تحميل القبيح وإلقاء رداء الكلمة الحلوة والفن الجميل على جسده البشع .. ولشدة التأكيد على ممارسة فنية كهذه ، يتجاوز القبيح دماسته في نظر الناس ، ويتحوّل بكلّ ما يحمل من قيم لا أخلاقية ، وتراكيب دميمة ، إلى قيمة مطلوبة وشئ جميل" (١) .

ويتحدّث عن (السريالية) معتمدا كتاب (عصر السريالية) للكاتب الأمريكي الدكتور (والاس فاولي) ليدلّل على الارتباط الثابت بين (المذهب) و(التصوّر الفكريّ) من خلال التأشير على محاور ثلاثة ، أولها العلاقة بين (السريالية) و(اليهودية) ، وثانيها ما بينها وبين (الفرويدية) إلى حدّ العدميّة ، وثالثها دعوتها بالحاح شديد إلى التفكيك والتخريب للغة ؛ مما يؤكّد هذا الارتباط ويوثّقه .

أما العلاقة بين (السريالية) و(اليهودية) فظاهر من خلال (عصر السريالية) ومافيه من تأكيد دور اليهود في المسيرة الفنية والفكرية ؛ مما جعلهم يركبون مطيّتها لتحقيق مآربهم حيث "السريالية تبلغ من العنف والنزعة التخريبية للإجهاز على كلّ القواعد والقيم والعلاقات والمؤسّسات اللغوية والدينية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية" (٢) .

ويذكر أن (ماركس) و(فرويد) اليهوديين قد صنفا ضمن قائمة السرياليين (فوق الواقعيين) ، وأن السريالية مرتبطة بالشيوعية في أشدّ حالاتها الانحرافية ، مستخدمة المظهر التحرري ، موجهة العقل العام نحو النظريات المبهرجة . ويدلّل على ذلك بأن سحق الموازين البنائية منهج لهم ، حين يفقدونها توازنها المعتاد (٣) .

= وانظر : الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني ، د. حلمي القاعود (ص ١٣-٨٠) نموذجاً للواقعية المنضبطة .

- (١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٤١-٤٢) .
- (٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢٢) .
- (٣) انظر : المرجع نفسه (ص ١٢٣) ، والرومانتيكية مالها وما عليها ، روبرت جلكنر وإنسكو ، ترجمة د. أحمد حمدي محمود (ص ١٥٧-١٧١) .

وتركز السريالية على (اللاوعي) أسطورة تؤرجح الفكرة بالحدس وتلغي مقاييس المجتمع! <sup>(١)</sup>

ويشير عماد الدين إلى انطلاق النتاج السريالي من منطلق الشوق إلى الكهنوت الإسرائيلي وسحره وتعازيمه <sup>(٢)</sup>.

وصلة (السريالية) و(الفرويدية) ظاهرة عبر نظرية (اللاوعي) والفكر الفرويدي الذي يعيد الأمور كلها إلى الجنس بدعوى التحرر من الكبت والعقد ، وتدميراً للثقة بالعقل والوعي ، حيث يرون في (اللاوعي) سعة أفق تفسّر الإنسان لنفسه!

ويرى (متبعو هذه النظرية) أن نماذج الواقعيين أملتها عوامل المجتمع ، لا رغبتنا وذواتنا ، ويعتقدون أن التكشف من خلال الأحلام والغريزة أصدق وأكثر واقعية منه في السلوك اليومي الظاهر ، وهذا أساس ثابت لدى (السرياليين) <sup>(٣)</sup> . ويرون حسب وصف (فاولي) أن "البطل الجديد إذن هو الإنسان غير المنسجم ، هو الجوّاب أو الحالم ، أو مقترف الأفعال اللا منطقية" <sup>(٤)</sup>.

يقول (فاولي) - كما نقل ذلك عماد الدين - : "يمكننا أن نعثر ، فيما يعتبره العالم حالات جنون ، على قوة داخلية مكبوتة معذبة ، ويمكن للإنسان إذا مالبى رغائبه الإنسانية ، أن يعيش تجربة أكثر حقيقية من واقع العالم المنطقي الموضوعي" <sup>(٥)</sup>.

(١) يشير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي إلى أن هناك مذهباً عصرياً حديثاً يسميه (المودرنزم) وهو خليط بين (السريالية) و(الواقعية) سائد في أمريكا .

انظر : الشعر الجاهلي (ص ٦٥) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص ١٢٤) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص ١٢٤-١٢٥) ، والمدارس الأدبية ومذاهبها ، د. يوسف عيد (١٨٠/١) .

(٤) عصر السريالية ، د. والاس فاولي (ص ٢٠) نقلاً عن "متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢٥) .

(٥) المرجع نفسه (ص ١٢٧) .

إذن فالوصف اللازم هو التفكيك والتدمير لكلّ العوائق!! ولذا تحارب (السريالية) الفكرة التي تنادي إلى أن يكون الأدب صورة تعبيرية عن المجتمع ، يتحدث عما يهّمه ويفيده!

ولئن كانت (الدادائية)<sup>(١)</sup> في أوائل عشرينيات هذا القرن تشد الحريّة ، وتثور ضدّ المجتمع واللغة والدين والذكاء ؛ فإن (السريالية) قد حلّت محلّها في هذا الهدم . فنراها تنادي إلى رفض المجتمع والعائلة حيث نشأ الإنسان بلا اختيار! وتدعو إلى رفض الحياة والاستقرار ، حتى إن الفتى السريالي (جاك فاشيه) يُعدّ - في نظرهم - شهيدا ، بعد أن انتحر بجرعة كبيرة من المخدرات! ولم يقف الأمر عند حدّ إعلان استشهاده! بل تعدّى ذلك إلى المفاخرة بشعره وتمجيده ، واعتباره تحقيقا شعريّا أو سرياليا للذات!<sup>(٢)</sup>

أما اللغة أداة التواصل البشريّ ، فلم تسلم من عبثهم وتدميرهم ، حتى جعلوها فريسة سهلة لمن جاء بعدهم من (رواد العبث) ، وآخرهم الطليعيّون . واستعرض عماد الدين شيئا من دراسة (فاولي) للشاعر الفرنسي (رامبو) الذي يمثل أنموذجا لفقد إحسان التعبير عن التجربة من خلال الشعر ؛ إذ هو ممن "جُلّ همّهم هو أن يقدّموا طيفا قرحيا للحياة ، وأن يتكروا نسقا جديدا للإشارات وترتيا غريبا مدهشا للصيغ"<sup>(٣)</sup> .

إنهم يرون البداية بالكلمات بدل الموضوع أو الفكرة<sup>(٤)</sup> ؛ ولهذا تراهم يحاربون (الواقع) ويهربون من عبودية البلاغة إلى إكساب الكلمات حريّة الحركة بتمارين الكتابة الآليّة ، وهكذا لا يحسنون التعامل مع هذه اللّغة العظيمة ، أداة

(١) حركة هدمية في أوائل العشرينيات من هذا القرن ، وهي حركة خاطفة كانت عام (١٩١٦-١٩١٧م) ، انظر : المرجع السابق (ص١٢٧) ، ومواقف نقدية ، د. منصور الحازمي (ص٢٠٤) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلام ي، د. عماد الدين خليل (ص١٢٨) ، وانظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، د. نجيب الكيلاني (ص١١٥-١١٦) .

(٣) متابعات في دائرة الأدب الإسلام ي (ص١٣٠) .

(٤) انظر - في هذا - : المدارس الأدبية ومذاهبها ، د. يوسف عيد (ص٣٠٨-٣٠٩) .

التواصل والعطاء ، ويفقدون القدرة على تطويرها ، فيتسابقون إلى تفكيكها وتدميرها !!

"إن النحات - على سبيل المثال - عندما تجابهه تحديات ومصاعب الكتلة التي يعمل فيها إزميله ، لا يسعى إلى تحطيم هذه الكتلة ، ولكن إلى الالتفاف حولها ، وتطويرها ، وإرغامها على أن تستجيب لإرادة الإنسان وإصراره وتطلّعاته .. وهذا هو الفرق بين الفعل المجاني ، الرخيص السهل المتبدل ، وبين التفنن والإبداع" (١) .  
حقاً إن "السريالية بنت الجنون والدجنة" (٢) .

ويقول عماد الدين عن قدرة لغتنا العربية على الإبداع والإيصال بلا انحسار "إن لغتنا العربية الشاعرة الحساسة ، الخصبة بمفرداتها ومجازاتها واستعاراتها التي ماها من نفاذ .. لا يمكن بذلك أن تبخل بقدراتها الإبداعية وأدواتها الفنية لتوصيل التجربة ، فليس إلا العجز والانحسار في قدرات الأديب نفسه ، ذلك الذي يغمض في التجربة فيمنعها من الوصول إلى الآخرين" (٣) .

ويخلص عماد الدين إلى أن (الإسلامية) - أخيراً - ليست كالمذاهب الأدبية الأخرى تماماً .. "وبمجرد إلقاء نظرة سريعة على أي عمل أدبي واقعي ، أو طبيعي أو واقعي اشتراكي أو سريالي أو طليعي .. فإننا سنجد أنفسنا إزاء تيارات تتدفق في معظمها باتجاه مناقض لمجرى القيم والرؤية والتصور الذي ينبثق عن الإسلام .. وهذا يؤكد ، أكثر فأكثر ، ضرورة أن يكون للإسلاميين مذهبهم الأدبي المتميز ، وألا يتلفتوا ذات اليمين وذات الشمال طالبن المعونة من هذا المذهب أو ذاك ، اللهم إلا بقدر ما يمكنهم ذلك من أدواتهم الفنية ، ويزيدهم قدرة على (التعبير الجمالي المؤثر)

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٣٥) .

(٢) كلمة قالها (أراغون) في روايته (فلاح باريس) ، انظر : نفسه .

وانظر : نماذج من هذيان السريالية في كتاب "حول استراتيجية الأدب الإسلامي" ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥-١٦) .

(٣) مجلة الأدب الإسلامي ، ج (٤) ، ع (١٣) (ص ١٧) لقاء العدد مع د. عماد الدين خليل ، حوار محمد رشدي عبيد .

للتصور المتفرد الذي يحملونه ، أو التجربة الخصوصية التي يعيشونها أفراداً وجماعات" (١) .

و حين يكون انطلاق مسيرة هذا التصور راسخاً ثابتاً عزيزاً ؛ فإنه - ولاريب - يصبح عصياً على الزعزعة والميلان ، والنكوص والتقهر ، فهو "فنّ يأبى الانحراف .. يأبى - مثلاً - تأليه الإنسان (كلاسيكياً) ، وإغراقه الذاتي الأناني (رومانسياً) ، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعيًا) ، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي" (٢) (وجودياً) ... ذلك أن الفن الإسلامي يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف ، ومن الاستقامة لا الانحراف" (٣) .

والمذهبيّة الإسلاميّة نقيض - ابتداءً - للمذاهب الغربيّة ؛ حيث إنها "ترفع خطاباً يختلف في بنيته وفي خلفيّاته تصوّرية الفكرية عن الخطاب الذي ترفعه ... المذاهب الأخرى التي تختلف في الفلسفات الصادرة عنها جذرياً عن الرؤية الإسلامية" (٤) .

ولعلنا نختم بمثال واحد على هذا الخلاف الأصيل ، بما ذكره عماد الدين عن (الواقعية الإسلامية) ، وأن المذاهب الوضعية تحجر المرء في واقع ضيق بلا أمل يقصد أو تجعله حالماً غارقاً في غير واقعه!

أما التصور الإسلاميّ الفريد فإنه يحیی الإنسان هذه الواقعية بتوازن ، وبدون نظرة أحادية .

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٦) ، وانظر : الأدب

الإسلامي إنسانيته وعالميته ، د. عدنان النحوي (ص ٣٣١-٣٤٥) .

(٢) حين أنشأ الدكتور أحمد زكي أبو شادي جماعة (أبوللو) وأصدر مجلّتها ، كان ينحرف

بقصائده ؛ حيث ينشرها مذيلة أو مجاورة لبعض الصور العارية والمناظر الجنسية المثيرة ، وسار

على هذا النهج كثير من تلاميذه الشباب !! انظر : جذور الانحراف في الفكر الإسلامي

الحديث ، جمال سلطان (ص ١١٨-١١٩) .

(٣) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٤٢) .

(٤) لقاء الأردن (ص ٥٦) بتصرف يسير .

وانظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ١٢٦-١٣٦) .

"فإذا ما أحلنا هذه الأطروحة على دائرة الأدب الإسلامي استطعنا أن نعرف - ابتداء - ملامح الواقعية الإسلامية ، وصبغتها وشعارها الذي تتميز به على سائر الواقعيات . وسواء كان الأمر على مستوى التنظير أم النقد التطبيقي أم الإبداع .. فإن الأديب المسلم يجد نفسه ، وهو يتعامل مع الواقعية ، إزاء مساحة واسعة ممتدة لحركته وحركة شخصه ، ماعرفتها سائر الواقعيات الأخرى على اختلاف الصيغ والمسميات ، ... فهناك فيما وراء الواقع ، تلك الضفاف البعيدة المفتوحة التي تناديه"<sup>(١)</sup> .

وهذا يؤكد ما يتميز به التصور الصحيح من قدرة على العطاء ، مما يكون دليلا على تفرده وبراعته وإقناعه ، ويبقى تألقه كلما كتب لثقاف دارس أن يقارنه بغيره عطاء وثباتا<sup>(٢)</sup> ، في ظل المواجهة بين الحق والباطل ..

- (١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٥٦) .  
وانظر أثر (الواقعية) الإيجابية في : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد محمد حسين (٢٥٠-٢٦٥) .
- (٢) لعل من الطريف ، أن يكون كثير من أتباع المذاهب الأدبية الغربية أنفسهم ، في أوائل الصفوف المعارضة لهذه المذاهب ؛ ومن ذلك قول الناقد الماركسي (جورج لوكاتش) : "إن الأدب الذي أنتجته الواقعية الاشتراكية أدب يتميز بالجمود وضيق الأفق" . انظر : معنى الواقعية المعاصرة ، جورج لوكاتش ، نقلا عن : مؤتمر الأدب الإسلامي ، بالجامعة الإسلامية (٢٤/٢) ، ورقة الأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر بعنوان "مذاهب الأدب الغربي .. رؤية إسلامية" .

وانظر - كذلك - مايلي :

- \* الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال (ص ٣٩٦-٤٠٠) .
- \* بين الأصالة والتغريب ، د. حسين سعد (ص ٣١-٣٦) .
- \* مجلة الأدب الإسلامي ، س(٢) ، ع(٦) (ص ٨٢) عرض من مكتبة الأدب الإسلامي .
- \* كيف نفهم الإسلام ، محمد الغزالي (ص ١٥٩-١٨٨) .
- \* مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ١٤٢-١٤٧) .
- \* معالم الهدى إلى فهم الإسلام ، مروان القيسي (ص ١٤٥-١٥٤) .
- \* في سبيل الإصلاح ، علي الطنطاوي (ص ١٧-١٨) .
- \* حول القصة الإسلامية ، د. نجيب الكيلاني (ص ٢٠-٢٢) .

## بين التثبيت والتطبيع! <sup>(١)</sup>

وسيفلّ المذهب المستقيم شامخاً عزيزاً ، يتميز بصموده ، ويستعلي بثفرده  
وصلاحيته ، وإنْ أخذَ وأفاد ، فإنما هو الامتلاء باستيعاب وفحص ، وسبر  
وتقسيم <sup>(٢)</sup> .

- \* العقل المسلم ، د: عبد الحليم عويس (ص ٦٣-٦٥، ١٧٧) .
- \* الإسلامية والقوى المضادة ، د: نجيب الكيلاني (ص ١٦٢-١٦٥) .
- وانظر ادعاء (الجمود الفكري) في الانطلاقات السليمة القويمة ، حيث يعرض بعض كتاب  
التنوير والتقدمية بضاعتهم المزجاة مدعين السعي وراء الحرية .
- انظر - مثلاً - : عربي بين ثقافتين ، د: زكي نجيب محمود (ص ٢٧١-٢٨٤) ، وبلاغة الخطاب  
وعلم النص ، د: صلاح فضل (ص ٧٣-٩٧، ١٧٨) .
- ويقول جهاد فاضل في كتابه "قضايا الشعر الحديث" عن الشعراء الذين يتبعون فكر غيرهم "إن  
عدداً من هؤلاء ... ينتمي إلى أقليات عرقية ودينية ومذهبية في العالم العربي تتميز عادة  
بمحاولة تخطي الحواجز المعوقة والالتقاء على أصعدة أيديولوجية جديدة ، وفي هذه المحاولة  
يصبح التاريخ العربي عبئاً والتخلص منه ضرورياً" . (ص ٩) وإن كنا نفاخر بتاريخ إسلامنا  
لابجد عروبتنا - الباحث - .
- (١) انظر حقيقة التطبيع في : كلمات غريبة ، منصور إبراهيم الخميس (ص ١٤٨-١٤٩) .
- ويقول جبران خليل جبران في كتابه : البدائع والطرائف (ص ٥٧-٥٨) : "إن الغربيين كانوا في  
الماضي يتناولون مانطبخه فيمضغونه ويتلغونه محولين الصالح منه إلى كيانهم الغربي ، أما  
الشرقيون في الوقت الحاضر ، فيتناولون مايطبخه الغرب ويتلغونه ولكنه لايتحول إلى كيانهم  
بل يحولهم إلى شبه غربيين ، وهي حالة أخشاشها وأتبرم منها ، لأنها تبين لي الشرق تارة  
كعجوز فقد أضراسه وطورا كطفل بدون أضراس" .
- (٢) يتحدث الأستاذ الكبير محمود شاكر رحمه الله عن أولئك الذين لايفرقون بين (الحضارة  
و(المدنية) وتراهم يواجهون حضارة الغرب بطيش وغفلة واستكانة ، وينقلون الأصول الفكرية  
للحضارة الغربية ظانين أنهم ينقذون العباد والبلاد من التأخر والانحطاط!! ويطيل الحديث في  
بيان ذلك بجلاء وسناء .
- انظر : دراسات عربية وإسلامية ، إعداد أيمن فؤاد سيد وآخرين (ص ٤٢٦-٤٣٠) . وهذا  
الكتاب جدير بالقراءة والمطالعة والتمثل - الباحث - .
- وانظر في تفرد المنهج الإسلامي وطريقة إفادته من الآخر وكيف تخلى عنه أبناؤه : =

- \* ظلام من الغرب ، محمد الغزالي (ص ٤٥-٥٥ ، ٣١٥-٣٢٥) .
- \* على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودور كايم ، أنور الجندي (ص ٥-٣١) .
- \* نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها ، أنور الجندي (ص ٣-٢٢) .
- \* حصاد الغرور ، محمد الغزالي (ص ٦٧-٧٢) .
- \* دلالات التراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى (ص ٣-٦) .
- \* التصوير البياني ، د. محمد محمد أبو موسى (ص ١٨-١٩) .
- \* نحن والآخر ، د. عاصم حمدان علي حمدان (ص ١٣٩-١٧١) .
- \* وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي (٧٩-٧٧/٢) .
- \* واقعنا المعاصر ، محمد قطب (ص ٢٩٥-٣٠٤ ، ٣٤١-٣٥١) .
- \* الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ، أنور الجندي (ص ١٠٣-١٢٠) .
- \* مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب (ص ٤٨٧-٤٩٥) .
- ويندب محمد قطب أحوال أولئك الذين لا يربطون أدب وفن أوروبا بتصورها المنحرف ، وينسون أن الأدب والفن الأوروبي - في جميع أدواره التاريخية - كان مشغولا بالمعبود عبر الفن الإغريقي ثم ما كان من الأدب الكنسي وعبودية الطبيعة والإنسان ثم فوضى الفكر والتوجهات في العصر الحديث . انظر : المرجع نفسه (ص ٤٨٧-٤٨٨) .



## الفصل الثاني

### المنظور النقدي والأعمال الإبداعية

## الفصل الثاني

### المنظور النقدي والأعمال الإبداعية

ينطلق الدكتور عماد الدين في كثير من دراساته وكتابه من خلال ملاحظة طغيان الجوانب الإبداعية على الوجود التطبيقي ، والدراسات التفصيلية التي تتبع ملامح الإبداع هنا وهناك ، بل يذكر أن التوازن ذاته في العمل الإبداعي يتأرجح فلا يمكن أن نسم به الحركة بصفة عامة<sup>(١)</sup> .

ولهذا لزم إخراج دراسات تضبط ذلك ، أو تشارك في هذا الضبط ؛ لتبرز عددا من محاولات التطبيق الذي يتقصى إبداعات مختلفة في دائرة الشعر والقصة وغيرهما ؛ لأن "محاولة إحصائها وتغطيتها النقدية تكاد تكون مستحيلة ما لم ينهض نقادنا كافة ، ويفعلوا مايفعله الآخرون خارج الإسلامية .. أن نمسك بأيدي بعضنا .. أن نشدّ عليها .. أن نشير بضوابط النقد وإضاءاته الكاشفة إلى مظانّ التآلق والخمود .. وأن نبين عناصر القوة والضعف في هذا العمل أو ذاك .. أن نصغي جيّدا إلى الأصوات المبدعة ، وأن ندخل معها في حوار يكسر جدران القطيعة ويضع يده على النبض الذي يعد بالكثير"<sup>(٢)</sup> .

ويرى أن على (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) مسؤولية تقويم هذا الإبداع الذي يسير بدرجة سريعة<sup>(٣)</sup> ، ويمضي قدما وهو بحاجة أكيدة للإرشاد والتوجيه .

(١) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ١) ، ويقول الشاعر الفلسطيني إبراهيم نصر الله : "قطار الشعر يسير بالطاقة النووية ، وقطار النقد يزحف بالفحم" صحيفة المدينة ، ع(١٢٣٦٨) ، (ص ١٦) ١٦ شوال ١٤١٧ هـ .

(٢) في النقد التطبيقي ، الصفحة نفسها .  
وقد أشار د. نجيب الكيلاني رحمه الله إلى أن الدكتور عماد الدين ممن قدّموا العديد من الدراسات التطبيقية الجادة ، وأشاد بهذه الدراسات .

انظر : رحلي مع الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص ٤٩) .  
(٣) في النقد التطبيقي (ص ٢) .

ولا يخفى علينا أن النصّ الأدبيّ يعدّ "تعبيراً عن تجربة خاصّة يرمي المبدع إلى إيصالها إلى القارئ ليستخلص منها قيمتها وبنحو شامل" (١).

ولا يمكن أن نتهم النقد التطبيقيّ الذي يبيّن الانحراف الفكريّ والزيغ النفسيّ نوعاً من الكبت والمقاييس الجاهزة ، والهيمنة والمصادرة ، والتقسيم المتعسف كما يذهب إلى هذا جملة من النقاد المحدثين (٢).

والناقد - في نظر عماد الدين - يتعامل مع (النصّ الأدبيّ) (٣) بتوجّهات مختلفة إذ هو حيناً يحاول مقارنة النصّ فلا يدع نسيج النصّ إلا بعد أن يظهر فيه كلّ صغيرة وكبيرة حسب رؤيته الخاصّة ، فينظر إليها من جهة استقلالها وتشكّلها فيه ، ومن جهة الارتباط الأكيد بالمعطيات الأخرى للنصّ .

وهو - مع خروجه بنتائج - يعتقد أنه يمارس نشاطاً معرفياً إنسانياً "قد يكون احتمالاً أكثر منه منضبطاً - كما هو الحال في بعض العلوم الصّرفة أو التطبيقية (Exact Sciences) ، وقد يكون تذوّقيّاً يمنح مذاقات متغيرةً بين ناقد وآخر ، وبين متلقٍّ وآخر" (٤).

ولاشك أن دائرة المتذوّقين تتسع بالنقد ، حيث يسطرسلطانه على النفوس رغبة في النهوض بالروح البشرية ؛ لتصبح حيّة بعد أن أنهكتها التوجّهات المادية الزائلة (٥).

- (١) حركة نقد القصة القصيرة في العراق ١٩٦٨-١٩٨٠ م ، حمزة فاضل يوسف (ص ٢) .  
وانظر المحاضرة النقدية القيمة (كيف أفهم النقد؟) في كتاب : كيف أفهم النقد؟ نقد ورد ، د. جبرائيل سليمان جبّور (ص ١٢-٣٧) ، وانظر : النقد الأدبي ، سيد قطب (ص ١١٤-١١٦) ومجلة (آداب الرافدين) ع (٢٥) (ص ١١٠-١٢٤) .
- (٢) منهم اعتدال عثمان في كتابها : إضاءة النص (ص ١٠٥-١٠٦) .
- (٣) كتب الدكتور إبراهيم خليل كتابه : النصّ الأدبي - تحليله وبناءؤه ، مدخل إجرائي ، وهو من أجود ما كتب في هذا الباب حديثاً - الباحث - .
- (٤) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٤) ، وانظر : فكر ومباحث ، علي الطنطاوي (ص ٤٣) ، وما أجمل ما كتبه الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه : النقد الأدبي ، مبحث "قواعد النقد الأدبي بين الفلسفة والعلم" (ص ١٠٥-١١٣) فراجع هناك .
- (٥) فصول في تدريس الأدب والبلاغة والنقد ، د. إبراهيم طه الجعلي (ص ١١٧) .

ولهذا يعد كثير من النقاد عملية النقد إبداعاً وضرباً آخر من ضروب النتاج الأدبي ؛ لما فيه من فطنة ونفاذ بعيد إلى الرؤى والأسرار ، وحاجة إلى الخبرة والثقافة<sup>(١)</sup> .

وينادي عماد الدين في تطبيقاته كلها إلى التوازن ، وتحقيق قدر منه "بين الموضوع والذات .. بين القانون والحرية .. بين العلم والذوق .. بين التشريح والرؤية الشمولية ، مادام الأمر ينصبّ على المعطى الإبداعي الذي يصعب ، بل يستحيل ، إدخاله من عنق زجاجة العلم أو القانون أو المعادلة الرياضية .. وبدون التحقق بتوازن كهذا فقد يخشى من حدوث ردّ الفعل المتوقع ، بل المؤكّد ؛ لأنّ المسألة - ببساطة - أن قراء النقد وجمهور الأدب يريدون أن يقرأوا شيئاً ممتعاً ومجدياً في الوقت نفسه .. شيئاً يفسّر لهم النصّ ويضعهم فيه - كذلك - أي يجعلهم يفعلون به ويتأثرون ، ويدركون بلمسة التعامل المشترك بين الناقد والقارئ ، الملامح الجمالية للنص وأبعاده التعبيرية"<sup>(٢)</sup> .

وقلّما يُستخدم منهج واحد في النقد التطبيقي يتيّسر تحديده ، فربما جُمع بين الخبر والتفسير والإيضاح والتقريظ وغيرها في تقويم نصّ أدبيّ واحد<sup>(٣)</sup> .

ويؤسّس عماد الدين قضية مهمّة في ممارسة التطبيق والموازنة الثابتة ، إذ يقول "إن هذه الممارسة النقدية تحاذر أن تقع في ثنائية الشكل والمضمون ؛ لأنها تدرك تماماً - في الحالات الأكثر اتساعاً - أن ليس ثمة أيُّ خندق ، أو فاصلٍ ، يعزل

(١) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٤) ، ودراسات في النقد الأدبي ، د. وليد قصاب (ص ٢٦) ، ويرى د. محمد مندور أن نقد العمل الأدبي للحكم عليه يعطينا نقداً قيمياً ، وأن نقده بغير نظر إلى الحكم يعدّ نقداً وصفياً ، وهذا تقسيم جيد .

انظر ذلك في : النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور (ص ٣٧٥) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢-١٣) .

(٣) انظر - في هذا - مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ديفد ديتشس ، ترجمة د. محمد يوسف نجم (ص ٤٣٣) .

المضمون عن التقنيات الفنية التي يتلبّسها ويتشكّل فيها"<sup>(١)</sup> .  
 فمع هذه الوقفات التطبيقية التي تكشف جوانب عديدة مما سبق ذكره على  
 مستوى التأصيل والتنظير .

- 
- (١) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٤) ، وانظر كذلك : فكر ومباحث ، علي الطنطاوي (ص٥٦) .  
 ويرى الدكتور محمد مندور وجوب الفصل بينهما في العمل النقدي أثناء الدراسة التقييمية دون إهمال لتلاحمهما وإتصاهما الأكيد ، انظر : الأدب وفنونه (ص١٤٤-١٤٥) .  
 وانظر : النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين ، د. العربي حسن درويش (ص١٨٤) في بيان اهتمام كثير من النقاد بالمضمون .

## أولاً : في (الرواية) .. من خلال نموذج مختار من نقده .

يتحدث عماد الدين عن الاحتمال الخاطيء بأن الإسلام حرّم أعمالاً إبداعية يجود فيها الشعر ، وتنشط القرائح ، ويجود القلم ، ويؤكد أن هذا الاحتمال متهافت "بمجرد أن نتذكر كيف أن الإسلام إذ سدّ نوافذ تتلقّى منها شرايين الشعر الدم الأزرق الفاسد فتتدافق بالزيف والخديعة والكذب ، وتنفت نفسها المحترق ضدّ الإنسان وقيم الإنسان .. الإسلام إذ سدّ هذه النوافذ فتح - في المقابل - أبواباً عريضة واسعة على مصاريعها ، فتدفع عبرها الدم النقيّ القاني إلى رئاتٍ لو عرفت كيف تتمثل الدم الجديد الصافي لحلقت في السماوات بألف جناح ، ولذهبت إلى آفاق بعيدة نائية ما حلم بها يوماً شاعر من الشعراء أو فنان من الفنانين" (١) .

ومما رآه يمثل ذلك من الأعمال الإبداعية ، ويثبت هذا الانطلاق عبر الأبواب العريضة الواسعة ، رواية (عمالقة الشمال) (٢) للكاتب الإسلامي الكبير (نجيب الكيلاني) (٣) - رحمه الله رحمة واسعة - ، وهي من أهم أعماله الروائية ، ويعدها عماد الدين من أكثرها نضجاً (٤) .

ويلتمس عماد الدين المناخ الشعري المشجي ، وحضور القارئ صميم بحري الرواية من خلال إشارته إلى استعمال الكيلاني ضمير المتحدث (٥) في هذا العمل ،

- (١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ١٢) .
- (٢) نشرت دراسته هذه في كتابه : محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢١١-٢٥٦) . وقد سرّ بهذه الدراسة الدكتور نجيب نفسه حيث نقل أجزاء منها في كتابه : رحلتي مع الأدب الإسلامي (ص ١١١-١٢٦) .
- (٣) حين نتحدث عن التزام أديب ما فإنه ينبغي أن نستصحب معنا إحساساً بعدم العصمة حيث لا بد من الزلّة والأخرى ، خاصّة في باب الأدب ومساحاته الخيالية الواسعة - الباحث - .
- (٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢١١) .
- (٥) قد يكون استخدام ضمير المتحدث - المتكلم - سيلاً إلى الوقوع في إفسار الذاتية ؛ مما يلجئ كثيراً من الروائيين إلى التخلص من هذا المزلق ، ومن ذلك استخدام أسلوب (الراوي الشاهد) الذي لا يتدخل ولا يحلل ويكون بمثابة العين الناقلة ، انظر في ذلك : الرؤية السياسية في الرواية الواقعية ، د. حمدي حسين (ص ٢٥٩-٢٦٩) ، وبحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ترجمة فريد أنطونيوس (ص ٦٤-٦٧) .

ومما جاء فيه مستشهدا به :

"اسمي عثمان أمينو ، انحدرت من قبائل الفولاني في شمال نيجيريا ... وقد كانت لنا حروب وغزوات وممالك"<sup>(١)</sup> .

ويصور عماد الدين هذه المقدمة متدفقة كواحد من أنهار أفريقيا غزارة وحلاوة وروعة ، ويذكر طريقة الكيلاني في فرش إضاءة لأفكاره المطروحة . كما يبين أنه سيضطر إلى (التلخيص) الذي سيعالج به الرواية ابتداء في عرضها والحديث عن فكرتها العامة ، وفي هذا يقول :

"إن التلخيص سيقتلها ولاشك .. ولكن لابد مما ليس منه بُد .. ويبدو أن جريمة القتل الوحيدة التي لا يحاسب عليها إنسان هي هذه .. تلخيص العمل الفني .. ومن ثم سأحاول أن أخلص من جريمتي بأسرع وقت ، لا خوفا من القانون ... ولكن .. تخلصا من الإحساس الثقيل بالذنب!!"<sup>(٢)</sup> .

وفي بيان إبداع الكتاب ذوي التوجهات الجادة ، والتصوّرات الأصيلة ، في استخدام الأحداث ، ورسم الصور ، ينقل عماد الدين إعجابه بدقة التصوير في الرواية في جانب الشخص والبطال .

"(لم أتزوج بعد!) وبهذه الضربة"<sup>(٣)</sup> يلج بنا الكيلاني عالم أبطاله الخاص .. ومنذ هذه اللحظة وحتى نهاية الرواية ، سيتعانق الخاص والعام ، الإنسان والأمة ، الضمير والعقيدة ، البطل والتاريخ ، عثمان أمينو ونيجيريا .. وستتابع مأساة هذا البلد من خلال حركة أبطاله .. والتوافق بين الطرفين مرسوم بعناية فائقة .. فلم يشأ القاص أن يستسلم لإغراء التاريخ فتفقد حبكة روايته شدّها وكثافتها وتركيزها وتتميّع العلاقات الدرامية بين أبطاله"<sup>(٤)</sup> .

(١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢١١) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢١٣) .

(٣) يقول أحد الكتاب : "أعطني الكلمة الصحيحة باللهجة الصحيحة ، وسوف أحرك العالم" .

انظر : الرواية والقصة القصيرة في الإمارات ، ثابت ملكاوي (ص ٦٦) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢١٢) .

ويذهب إلى أن الكيلاني استطاع - بدقة بالغة - أن يرسم ملامح شخصه ، ويبيدها متميزة على المستوى النفسي ، في طريقة التفكير والسلوك والتجربة ، وأنه ركز على هذه القضايا تاركاً الألبسة المادية للشخص ؛ لأنه لا يحفل بذلك كثيراً ، "والمهم هو صميم التركيب الشخصاني لأبطال الرواية .. الأعماق التي تصطرع وتتوحد ، وترفض وتريد" (١) .

وأخذ يعدّد شخصه الرئيسة التي تظهر وتضطرع عبر الأحداث .. أما (عثمان أمينو) فمسلم واقعي ، وداعية محترق من أجل عقيدته ، مكافح من أجل توحد المسلمين ، لا يسمح لنفسه أن تفقد توازنها يوماً ، ولم يعتزل الناس والأحداث بل سار بينهم مكافحاً ومنافحاً .

وأما (الشيخ عبد الله) فقيادة صامدة ، وواقعية فاعلة ، مطمئن ثابت ، يقف مع (عمالقة الشمال) وجنوده ثابتين أمام الأعاصير الداخلية والخارجية ، ويراه شخصية مقنعة مؤثرة .

وأما (نور) فيمثل تأرجح المسلم المعاصر في هذا القرن ؛ لأنه "ظلّ هناك في أسفل السفح يتأرجح بين السلب والإيجاب ، ولم يقم بمحاولة جادة لوقف مأساة تأرجحه ، فما لبث أن سقط في نهاية الأمر وداسته الأقدام" (٢) .

(١) المرجع السابق (ص ٢٤٩) .

وتؤدّي الشخص دوراً مهماً في عمل أدبي كالرواية ، وانظر في ذلك :

\* بناء الرواية ، د. سيزا أحمد قاسم (ص ١٤٠-١٤١، ١٦٥) .

\* تقنيات الرواية في النقد العربي المعاصر ، د. أحمد الحسن (ص ٢٧٧) .

\* نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة ، د. نبيلة إبراهيم (ص ٨٤-٩٢) .

\* تذوق النص الأدبي ، د. رجاء عيد (ص ٢٠٦-٢١١) .

\* نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر ، د. أحمد إبراهيم الهواري (ص ١٤١-١٥١) .

(ص ١٦٩-١٨٨) .

\* تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف ، ص ٢٥) .

\* الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام ، د. إبراهيم حسين الفيومي (ص ٦٨-٨٢) .

(٢) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٥٠-٢٥١) .



ويتساءل عماد الدين عن سبب تسميته "لماذا سمي بنور؟ لست أدري!!" (١)  
وكأنه يستدرك مقترحا تسمية أخرى ، - وإن لم يُشِرْ إليها - لكنه أضاء هذه  
الإضاءة باستفهامه ونفيه معرفة العلة والهدف .

وأما (جاماكا) فيراها شخصية تبعث التوازن في شخصية (عثمان أمينو) من  
الناحية الوجدانية ؛ حيث ترفض النصرانية ومحاولاتها اليائسة ، وتقف مسلمة ثابتة ،  
صانعة للأحداث ، يرى من خلال لقائها في نهاية المطاف رمزا يشير إلى التقاء أبناء  
نيجيريا العذاب والمأساة .

وأما (الأب توم) فمُنَصَّرٌ ماكر خبيث ، لا يرتاح للمنافسة الحرّة ، والمجابهة  
المكشوفة ، يقصم ظهور خصومه ولو بارتضاء الدناءة والخسّة! (٢)  
ويتابع عماد الدين حركة هذه الشخص في تسجيل الحدث وانتقال الصورة  
وإبانة الفكرة ، بتوازن ظاهر ، في الحكمة الفنية الرائعة بين جانبي السرد والحوار في  
الرواية .

ويراه حوارا مسرحيا متميزا ، مركّزا متوتّرا متصارعا ، مع استخدام ضمير  
المتحدّث الذي ينقل القارئ "من مقطع حواريّ إلى آخر .. يفرش الخلفيات ويصل  
بين المقاطع ويسلّط الأضواء على المساحات كافة .. على السطح وفي الأعماق" .  
ويمتدّ النفس الشعريّ إلى هذا الحوار - كما يراه عماد الدين - فيذكرنا  
بروايات نجيب محفوظ في الستينيّات (٣) .

ويؤكد قدرة الكيلاني - وهو أحد كتّاب الإسلاميه - على صنع الأرضيات  
المناسبة لروايته عبر مسالك عديدة .

ومسلك (الصراع) من المسالك المهمّة التي يراها عنصرا (دراميا) مؤثرا ظاهرا  
في هذه الرواية ، فالصراع فعل سائر في أكثر من اتجاه ، قد يكون أبرزه صراع  
عاشه بطل الرواية (عثمان أمينو) مع نفسه في حبه (جاماكا) فهو صراع شديد ،  
يزيده اشتعالا وحركة ذلك التوقّد والأزّ العجيب من صديقه (نور) .

(١) المرجع السابق (ص ٢٥١) .

(٢) انظر تفاصيل تحليل شخوص الرواية في الصفحات (٢٤٩-٢٥١) من دراسة الدكتور عماد  
الدين في المرجع نفسه .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص ٢٥٤) .

ومن شواهد هذا الصراع قول (أمينو) :

"كنت أعرف أن التجوّل في (سابون غري) مدعاة للشبهة وسوء السمعة ، وأن الاقتراب من بيت موبوء قد يلحق بي عدوى المرض .. لكنّ دافعاً داخلياً يجرّضني على الذهاب ، وصوت خافت في وجداني يصرخ بي : اذهب ، تعلم ، يجب أن تعرف الحياة بكلّ جوانبها ... ولاحظ صديقي نور ما أعانيه من حيرة وتمزّق فهتف :

- لاقيمة لعفتك ما لم تكن صامدا في وجه الإغراء .. إنك لم ترَ الإثم ، ومن ثمّ فأنت تفتقد لذّة الصّراع"<sup>(١)</sup> .

فهو - في نظر عماد الدين - صراعاً بين البطل ونفسه ، يأخذ شكلاً فنياً آخر . ومن جميل ملحوظاته ، أن هذا الصراع امتدّ إلى المكان ، حيث الحيّان المختلفان .. حيّ قديم شرقيّ ملتزم ، وآخر حديث غربيّ منحرف<sup>(٢)</sup> . يقول عماد الدين عن هذا الصّراع :

"ويمتد الصّراع - من ثمّ - ويتسع .. تنداح دوائره لكي تغطّي مساحة الحدث الروائي"<sup>(٣)</sup> كلّهُ فتمنحه القدرة على الحركة الفنية حتى آخر لحظة ... وثمة - فضلاً عن هذا وذاك - صراعُ المواقف إزاء التجربة الواحدة ... وهذا الصراع الذاتي يصل حدّ الرعب في بعض لحظاته ، خوفاً من فقدان التوازن والسقوط النهائي"<sup>(٤)</sup> . ويؤكد أنه صراع منذ بداية العمل حتى منتهاه ؛ مما كان له أثر في قدرة الرواية على تجاوز الرتابة والسردية ؛ حيث يبدأ الصراع ثم ينطفئ ثم يشتعل ، ولا يكون في جهة دون أخرى ، أو شخصيّة دون أخرى ، ولكنه يسير متوازناً هنا وهناك في لحظات الرواية الحاسمة ، وفي أحداثها المختلفة .

(١) المرجع السابق (ص ٢٢٢) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٢٣) .

(٣) يذكر الدكتور حلمي القاعود - ضمن ملحوظاته - أن الدكتور عماد الدين يعتمد الحدث ويتكئ عليه في روايته (الإعصار والمثدنة) في ثورة (الشوّاف) ضدّ الحكومة في بغداد أيام عبدالكريم قاسم .

انظر : الرواية الإسلامية المعاصرة دراسة تطبيقية ، د. حلمي القاعود (ص ٦٦-٧١) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢٢٣-٢٢٤) .

يلاحظ ذلك في مستوى التاريخ ، حيث اختار الكيلاني السنوات (١٩٦٥-١٩٧٠م) زمناً لروايته ، ويثبت أن الأحداث العظيمة في هذه السنوات جعلته يختار هذا الزمن ليمد الصراع إلى أقصى نقطة .

كما يلاحظ هذا في مستوى الشخصوص ، ويستدلّ عليه بالتقاء (عثمان) (جاماكا) حيث "لم يُتَحَ له أن ينطفئ قبل أن يمضي به إلى نهاية المطاف .. ومن ثمّ كان يصنع من الأحداث مايفرقّ به بين الطرفين .. حتى اللحظات الأخيرة .. كان يتجاوز تنفيذ اللقاء ، بل إنه أباقه كأمل .. كرمز .. على وحدة نيجيريا"<sup>(١)</sup> .

وهكذا مسألة (المكان) كذلك ، حيث تبدأ الرواية عند منابع نهرها ، بالحديث - عن طريق بطل الرواية - عن نيجيريا وملامح البيئة ؛ بيانا لمسرح الأحداث ، يختم الحديث فيها (عثمان أمينو) بأسطر محدّدة ، وهي ضرورة فنيّة ؛ "إذ الفنان ليس جغرافياً ، وعليه إذا ماأراد تجاوز الخطر أن يكثف معطيات البيئة بأقلّ قدر من الكلمات"<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يكون الحدث مرتبطاً بالمكان<sup>(٣)</sup> والزمان ؛ ليكون محالاً يمتح منه الأديب ويصوغ لوحاته الفنية لتبدو بصورة قريبة منظورة مشاهدة . بل إنه "لا يمكن للراوي أن يبيّن حكايته مجردة من البيئة المكانية بل يجب عليه أن يرصد مايطرأ عليها من متغيّرات أثناء الزمن"<sup>(٤)</sup> .

أما (الرؤى الإسلامية) فيرى عماد الدين أن الكيلاني قد استطاع توزيعها على مساحات الرواية بنجاح ، دون وعظ أو تقرير يخرج بالرواية عن دائرة الفنيّة ، وهذا ماكان ينادي إليه دوماً في حديثه عن الإبداع في الدائرة الإسلاميّة .

(١) المرجع السابق (ص ٢٣١) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢١٢) .

(٣) تقوم اللغة بتعدّي مرحلة التصوير الجغرافي للمكان إلى جعله حقيقة معاشة ، تعرف أبعاد العمل الإبداعي من خلاله . وانظر في هذا : المكان في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف ، للباحثة غدير عثمان الخروبي (ص ١١١-١٣٤) .

(٤) فنّ الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور ، د. السيد محمد ديب (ص ٢٩٧) .

فقد كان (الكيلاني) يدخل هذه اللّمسات في لحظات التوتر أو المناخ المناسب "وتلك الرؤى تغدو حينذاك استمراراً طبيعياً للحظة أو المناخ .. يتناغم معهما ويتجاوب ، ويظلّ - من ثمّ - يحمل حيويته وتعبيرته الفنية وقدرته على التأثير وذلك هو التنفيذ الأكثر براعة لمفهوم الالتزام"<sup>(١)</sup> .

ويصوّر معالجة (الكيلاني) للالتزام من خلال الرواية بوجه عامّ حيث تعالج موضوعاً إسلامياً ، ومن خلال الرؤى الإيمانية المشحونة التي تؤكّد نجاحه في هذا العمل أكثر من غيره من الأعمال الإبداعية الأخرى .

ويسوق عماد الدين نماذج من الرواية تؤكّد ماذهب إليه في هذه النظرة<sup>(٢)</sup> . بل يميل إلى أن اللّمسات الاجتماعية التي تعالج بها قضايا الأمة المصيرية قد ظهرت وبرزت في رواية (عمالقة الشمال)<sup>(٣)</sup> ، حيث كانت تعرّى فيها مواقف الظلم من الجريمة والهدم ، وأفعال المخربين الذين يشير إليهم (الكيلاني) في الرواية وأحداثها .

ويؤكّد عماد الدين أن مستوى الأداء الفني المصوّر لهذه الأحداث واللّمسات ليس سواء "فحيناً يجيئ لمسات موحية غير مباشرة ، مرسومة بعناية في خلفيتها المناسبة ، وحيناً آخر سرداً تقريرياً وحملاً نقدياً قاسيةً أشبه بتلك التي تشنها الأقلام في ساحات الصحافة والإعلام"<sup>(٤)</sup> .

وبناء الرواية الذي قامت عليه يحكي هذا الالتزام في شخصية الرجل النظيف الداعية المسلم (عثمان أمينو) الذي يغريه صديقه فيتعرف على (جاماكا) الممرضة النصرانية ، ثم تستمرّ الأحداث حاكية إسلام (جاماكا) وسجن (عثمان) وصووراً أخرى.

(١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٣٢) .

(٢) انظر ذلك في المرجع نفسه (ص ٢٣٢-٢٤٠) .

(٣) يسمي بعض النقاد هذا النوع من الروايات (روايات النضال) ، انظر مثلاً : اتجاهات الرواية العربية ، د. شفيع السيد (ص ٢٠٣-٢٢٢) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢٤١-٢٤٢) .

ومنطلق تفكير (عثمان) بصورة (جاماكا) كثيرا مفسّر عند (الكيلاني) بالرمز إلى الأمل ، والتقاء فصائل بلاده نيجيريا الأمّ ، فهو همّ يسير معه أنى سار ، فالسلام الحقيقي - في نظره - أن تكبر نيجيريا لله وحده ، حيث الإيمان وحرية النفس . فلم يمل به حبه لجاماكا صوب الجسدية .

إلا إن إشارة كان يجدر بالدكتور عماد الدين خليل أن يرتضيها في هذا المجال ، وهي أن تصوير هذا الأمل يمكن أن تتاح له المساحة دون إخلال بالأصول المعتمدة في السلوك الإسلاميّ ، الذي ينكر التقاء مفتحا لدرجة كبيرة وبخلوة تامة قبل عقد الزواج ، ولعلّ المقطع الآتي يصوّر شيئا من هذا الإخلال .

"وصممت عن الكلام ، وانبعث أنفاسها هادئة رتيبة ، فتناولت ملاءة بيضاء نظيفة وسبّلتها عليها وجلست إلى جوارها وهي نائمة أنظر إلى وجهها الملائكيّ .. وبقيت متيقظا حتى الصّباح" (١) !!

ولعلّ مايشفع للكيلانيّ رحمه الله أنه ينطلق من خلال بيئته التي عاش فيها وكان لها أثر في بناء أعماله ، وإن كان لزاما على الأديب في الدائرة الإسلامية أن يجافي نفسه عن ذلك ؛ حتى يكون عمله صافيا خالصا ليس فيه خلل من النواحي الفكرية والتصورية .

ويتحدّث عماد الدين عن التزام (الكيلانيّ) وتوازنه ، وأنه "يعرف كيف يناغم بين الخاصّ والعام ، فلا يطغى الخاصّ ويستأثر فيغدو العمل الفني ترفيها محضا .. ولايمتد العام ويطول فيجعل العمل الفني منبرا للوعظ أو كرسيّا مدرسيّا" (٢) .

وهذا الالتزام يقودنا إلى أهمية روايات نجيب الكيلانيّ (٣) ، وهذه خاتمة توصّل إليها عماد الدين حيث تكشف للمسلم مايدور حوله في صورة قشبية .

(١) المرجع السابق (ص ٢٢٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٤٨) .

(٣) وما يحمل الحسّ العام منها بوجه خاصّ مثل : "طلائع الفجر" ، و"عذراء جاكرتا" ، و"ليالي تركستان" ، و"دم لفطير صهيون" ، و"أرض الأنبياء" وغيرها - الباحث - .

"والصوت الذي يمكن أن يسهم اليوم في إسماعنا هذه الشكوى ويجعلنا نُحَمُّ من أجلها هو صوت جدير بالتقدير حقا .. فلعلَّ حرارة الحمى تهزّنا"<sup>(١)</sup> .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٥٦) ، وهذه السطور تكتب في زمن يهتك فيه الروس الغاشمون حرّيات إخواننا المسلمين في الشيشان ، ومامن سميع ولا يجيب إلا ما يقذفه الله من رحمة ومن أصوات مباركة تصور هذه المأساة شعرا وشعورا ، ودفقا أدبيا إسلاميا متميزا . - الباحث - .

## ثانيا : في (المسرحية) .. من خلال نموذج من نقده .

لم يكن نتاج عماد الدين غزيرا كما كان في المسرح<sup>(١)</sup> ؛ حيث نجد له رواية واحدة مطبوعة<sup>(٢)</sup> . بينما "كتب مجموعة من المسرحيات الطويلة ، وأخرى من ذات الفصل الواحد"<sup>(٣)</sup> .

وهذا أمر غير خاف على من استعرض سلسلة مؤلفاته ودراساته ؛ حيث نجد مجموعة جيدة من نتاجه المسرحي إبداعا وتناولا بالدرس النقدي . ولعل ذلك عائد إلى ما يطرحه بعض الأدباء من كون "طابع المسرحية والقصة القصيرة بما فيه من ضغط وتركيز وإيجاز وتلميح"<sup>(٤)</sup> هو الأدنى إلى طابع العصر الحديث في مستقبله القريب"<sup>(٥)</sup> .

(١) الكتابة في فن المسرحية تستعصي على كثير من الأدباء ، وتحتاج مهارة فنية متميزة . انظر - في هذا - دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، د. محمد زكي العشماوي (ص ٣٥-٥٥) .

(٢) وهي (الإعصار والمثدنة) كما سبق ذكره .

(٣) الرواية الإسلامية المعاصرة دراسة تطبيقية ، د. حلمي محمد القاعود (ص ٥٩) .

والمسرحية ذات الفصل الواحد (One-act play) نوع من المسرحيات كتب بعد أواخر القرن التاسع عشر ، وشخصها معدودة ، ومنظرها الذي تدور فيه الأحداث واحد ، وحدثها واحد بلا حركات ثانوية ، وقد تقدم مقدمة لمسرحية طويلة ، أو يجمع بين اثنتين أو ثلاث منها ويقوم بتمثيلها هواة لسهولتها وقلة تكاليفها وحوارها .

انظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس (ص ٣٦٢) .  
(٤) طبيعة الحوار في القصة قد يكون لها مقاربة للمسرح ، وكذلك يكون الأمر في بناء الشخصيات والحديث عن البيئة المحيطة ، مما يكون لذلك كله بناء درامياً يشكل القصة بثوب مسرحي ، ومن أشار إلى شيء من هذا خيرى شلي في كتابه : في المسرح المصري المعاصر (ص ٥٠) ، ود. عصام بهي في بحثه : "فن المسرحية" (ص ١٢٧) من كتاب : المدخل لدراسة الفنون ، إصدار قسم اللغة ، جامعة قطر .

(٥) ليلة الزفاف ، توفيق الحكيم (ص ٨) ، وانظر : تقنية المسرح ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة بهيج شعبان (ص ٧-٨) .

ويذكر الدكتور علي شلق أن المسرحية تصعيد للحياة مداره أفق الجماهير تتناول هموم الناس وتحكي واقعهم تصعيداً أو سخرية من عبثه .

ويمكن أن نردّ سبب هذا التناج الغزير في مسرح عماد الدين إلى استعداده الفنيّ لذلك ، وكونه يمارس جوانب من ضروب الفكر والفلسفة<sup>(١)</sup> والحوار<sup>(٢)</sup> حول قضايا مطروحة يتسع لها التناول من خلال المسرح وطبيعته ومساحته .  
ولاننسى أن "الخطاب الفكري ينطوي - بالضرورة - على أدواته الجمالية حتى وهو يتعامل مع أكثر القضايا جدية وثقلا . ذلك هو قدر اللغة العربية التي سماها العقاد يوما : (اللغة الشاعرة)"<sup>(٣)</sup> .

ومن الظاهر للدارس ، أن إجراءات عماد الدين التطبيقية في جانب المسرح أقلّ عددا منها في جانب الشعر والرواية والقصة ، ولعلّ هذا من محاكاة واقع الدرس النقديّ الحديث ، وماتوّثر به الساحة المحيطة للناقد .

والنموذج الذي بين أيدينا - في جانب النقد المسرحي - تقويم لمسرحية (مركب بلا صياد)<sup>(٤)</sup> للكاتب الأسباني المعاصر (اليخاندرو كاستونا) التي تحكي وتسلسل قصة البطل (ريكاردو - رجل أعمال له وجوده في سوق البورصة) حين يتعرّض للعبة خبيثة ماكرة من مُضارب يهودي اسمه (يوشع مندل) ؛ مما يسبّب لهذا البطل مواقف محرّجة ، حيث ينفر عنه الأصدقاء والموظفون ، والأحباب والعملاء ، واحدا تلو الآخر ، ومجموعة بعد مجموعة ، بل أقرب الناس منه ، تتركه وترتمي في أحضان اليهودي الماكر!<sup>(٥)</sup>

- = انظر : نقاط التطور في الأدب العربي ، د. علي شلق (ص ٤٧٣-٤٧٤) ، وحيرة النص المسرحي بين الترجمة والاقتباس والإعداد والتأليف ، د. أبو الحسن سلام (ص ٢٣-٢٥) ، وسينوغرافيا المسرح عبر العصور ، د. كمال عيد (ص ١٢٩-١٥٣) ، وفنّ التمثيل ، محمد ماهر فهم (ص ١٣) ، والمدخل إلى المسرح العربي ، د. هند قوّاص (ص ١٣٨-١٤٠) .
- (١) انظر ارتباط الفلسفة بالمسرح في : المسرح بين الفن والفكر ، د. نهاد صليحة (ص ٣٥-٥٧) .
- (٢) يعدّ (الحوار) من أخطر عناصر المسرحية وأكبر قيد على الكاتب المسرحي .
- انظر : النقد التطبيقي التحليلي ، د. عدنان خالد عبد الله (ص ١٢٩) .
- (٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٢٥) .
- (٤) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٦٩) .
- (٥) لعلّ تتابع الأحداث بطريقة بنائية ظاهرة في هذه المسرحية أوجد فيها حبكة رائعة تجعل من هذا النموذج مثالا رائعا للصياغة الجيدة ، والحبكة مدار يقوم عليه جانب المسرح . انظر في ذلك : مدخل إلى فنّ كتابة الدراما ، عادل النادي (ص ٥٦-٦٨) .



وفي هذا الموقف الحرج ، يلج الشيطان باب الحدث ، بل يصنع أحداثا أخرى حين يصوره الكاتب رجلا أنيقا في زيّه وهندامه ، يدلف إلى ساح البطل في ظلّ هذه الأزمة ، وهنا يبارك عماد الدين للكاتب هذا الاختيار الزمنيّ المناسب ؛ لأنها "لحظة مناسبة للاختيار .. لحظة الضعف والخوف من المصير .. المصيدة التي أوقع فيها الشيطان ملايين من بني آدم .. ولبلاقته المعهودة ومنطقه المغربي يجر (ريكاردو) إلى حافة الهاوية حيث يوافق هذا على ارتكاب جريمة قتل مقابل أن يُرجع إليه الشيطان ماله وذهبه!"<sup>(١)</sup>

وما إن توافرت هذه النية - نية القتل - لدى (ريكاردو) حتى كان ذلك كافيا لانتصار الشيطان في هذه اللحظة التي أزر فيها البطل ؛ إذ ليس المهم في عالم المبادئ والقيم أن يكون الفعل ماديا - كما يقرّر عماد الدين - ، بل مجرد ولوج هذه النية في القلب شاهد لانتصار الرجل الأنيق!!

وخطّط الشيطان للجريمة مكانا بعيدا .. قرية صغيرة على بحر الشمال ، يُعرف أهلها بصيد السمك .

وتظهر هنا شخصية جديدة ، إنه (بيتر اندرسون) صياد كادح ، اشترى مركبه الجديد بعد كدح وتعب ، وهو من يُغرّ (ريكاردو) بالفتك به إرضاء للشيطان ووعدا منه بإعادة مافاته من مال وثروة ، وأحباب وأصحاب!! وبعدها يتحطم المنافس اليهودي (مندل) كما وعد الشيطان!!

ولكن الصرخة التي سمعها (ريكاردو) وهو ينفذ مأملاه الشيطان - انطلقت من امرأة نادت : بيتر!! - غيرت الأحداث كثيرا ؛ حيث لازالت هذه الصرخة تعيش في أعماق بطل المسرحية .

ويسدل ستار الفصل الأول من المسرحية كما أراد (كاسونا) على هذه النفس القلقة الوجلة ، حيث يتساءل (ريكاردو) :

"هل في العالم كلّ مال يكفي لإزالة هذه البقعة من الدماء؟ ... بكم يستطيع المرء أن ينزع من أذنيه صرخة مذعورة أطلقتها امرأة؟ أيّ نهر من الذهب يستطيع أن يعيد النور إلى هذه العيون الزرق التي جمدت فيها النجوم من برّد الموت؟"<sup>(٢)</sup>

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٧٧) .

وهكذا يقف الفصل الأول من هذه المسرحية عند هذه النقطة الحرجة من سلسلة الحدث وسرده المسرحي<sup>(١)</sup>؛ ليقف معها السامع أو القارئ أو المشاهد متأزماً مشدوداً .

ويبدأ مابعده من تتابع يحكي قصة القرية التي شهدت الجريمة بعد سنتين ، حيث (استيلا) الأرملة الشابة وجدّتها التي أعدت طعاماً لاثنتين لا ثلاثة . ثم تخرج علينا (فريدا) أختنا تحاول مساعدة وعون (استيلا) التي تعرض عن ذلك بإصرار عجيب! فلماذا؟

يأتي الجواب : إنها تشكُّ في زوج أختها ؛ لأنه كان رفيقاً ملاصقاً لـ(بيتر) وكانا متنافسين دوماً .. والغلبة ملازمة (بيتر) أبداً .. في زواجه ممن رغب رفيقه الزواج بها ، وفي شراء مركبه الحديد بعد كدّ السنين ، ولم تكن تُعلم أختها بهذه التداعيات في النفس .

ولكن عبر حوار أثار روح التحقيق تكشف (استيلا) لأختها شكوكها في (كريستيان) زوجها ، وأنها على يقين بأن الريح لم تُسقط زوجها من سفح الجبل ، ولكن شخصاً ما - رأته (استيلا) في جناح الظلام - قذف به بعد أن غدر به واغتاله غيلة من وراء ظهره!

ويقف الحدث هنا متأزماً ؛ إذ تطلب (استيلا) من أختها ألا تغادر المكان هكذا ، كما يلاحظ المتابع تأثر (فريدا) بما سمعت ، بل إن ماسمعت حطم فؤادها ؛ إذ تخاطب أختها عن هذا الجرح الغائر ، فتقول لها :

"ماالذي تريدني لي أن أنتظر؟ إنني حينما خرجت من بيتي تركت هناك رجلاً كان مستودع إيماني ، رجلاً كنت أستطيع تقبيله والسعادة تغمر نفسي . والآن أعود حاملة إليه صمتاً حزينا يلقي بالبرودة الثقيلة على مائدة طعامنا .. لقد ألحقت بي شرّاً مايمكن أن يصيبني من أذى ، وأسوأ مافيه أنه أذى لا طائل منه

(١) يأخذ السرد في المسرح أشكالاً عدّة ، انظر - في ذلك - :

المعجم المسرحي ، د. ماري الياس ، ود. حنان قصّاب حسن (ص ٢٤٩-٢٥١) .

ولاجدوى من ورائه ، إذ إنه لم يؤدِّ بك إلى استعادة ما كنت تتوقن إليه من طمأنينة وسلام ، وكل ماوصلت إليه هو أنك سَمَّمت طمأنينتي وسلامي!!" <sup>(١)</sup>

وهنا ينتقل الكاتب إلى شخصية (ريكاردو) الذي ظلّ يراجع نفسه والصمت المطبق يلفها ، وينقلنا إلى صوت الضمير <sup>(٢)</sup> وهو يهزّ وجدانه ووجوده .

"وهاهي سفينة ركاب تلقي مرساتها ذات يوم على ساحل القرية . ينزل (ريكاردو) ويعلن لأحد مقربَي العائلة المنكودة أن صديقا (لبيتر اندرسون) يريد أن يزور أهله .. تتفتح أبواب البيت وقلوب المرأتين الوحيدتين لهذا الذي جاء يذكرهما بالفقيد العزيز!" <sup>(٣)</sup> ويتجاذبون أطراف الحديث ، وإحياء عبق الذكريات ، ويبقى (ريكاردو) ضيف القرية لمدة أسبوعين ريثما تعود السفينة <sup>(٤)</sup>!!

و حين يتجاوب هواه مع ما في القرية ، ويحلم أن ينسى الذكريات المرة ، تذكره (استيلا) أن الزمن يُنسى الإنسان همومه وأوجاعه ، ويقول مجيئا عن سؤال لها :

- نعم . الراحة . ومن يدري فلعلّ هنا - أي القرية - السلام الذي أسعى إليه.

و حين تحين ساعة الوداع يدور حوار بين (الجدّة) و(استيلا) تشكو فيه الثانية غموض (ريكاردو) والتواءه وتستره ، وبينما يدور الحوار ، ينقلنا الكاتب (كاسونا) إلى سعي (ريكاردو) إلى الاعتراف بكلّ ماجرى!

- (إن حياة رجل واحد تعني حياة البشر جميعا) هكذا سُرّت حين سمعت هذا الحديث من (ريكاردو) قبل أن يهَمّ بالاعتراف الذي عقد عزمه عليه .

- 
- (١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٩) .  
 (٢) انظر المقال الرائع : "العدل وخطوط الدفاع الأربعة" ، من كتاب : الرؤية الإسلامية للدكتور عماد الدين خليل (ص ١٠٥-١٠٩) .  
 (٣) في النقد الإسلامي المعاصر ، الصفحة نفسها .  
 (٤) يمثل (الحدث) وتسلسله وطبيعته حجرَ الزاوية في البناء المسرحي ، والقارئ حين يتابع الحدث يلمح هذا التطور الطبيعيّ مما يكون له أثر في تلقيه وتقبّله .  
 انظر - في ذلك - : دراسات في الأدب المسرحي ، د. سمير سرحان (ص ٢٣-٢٤) .

ولكن! تعلن السفينة أهبتها للرحيل ، والوداع!  
 وحين يبدأ بالاعتراف ، تدخل (فريدا) - أخت استيلا - مذعورة وجلة ؛  
 حيث خرج زوجها (كريستيان) - المتهم في نفس استيلا - ليحرب عجلة القيادة  
 الجديدة في مركبه ، ولكن أمواج البحر علقته وقذفت به يلفظ أنفاسه ، ولا ينطق إلا  
 باسم (استيلا) ويتركهما (ريكاردو) ليذهبا ويقتي وحيدا متعجبا!! أكرستيان هو  
 القاتل؟<sup>(١)</sup>

وهنا يدخل إليه الشيطان رجلا أنيقا ، فيواجهه ريكاردو ويعنف عليه بشدة.  
 "(الشيطان) : هنا موضع خطئك . صحيح أنك لم تقتل .. ولكنك أردت  
 القتل ، وهذه هي الحقيقة ذات القيمة بالنسبة لي .. لأنني أردت أن أعرف مدى  
 القوة الخلاقة التي تتضمنها فكرة مجردة!"<sup>(٢)</sup>  
 ويودّ الشيطان أن يلزم (ريكاردو) بتنفيذ ما اشترطه عليه ليعود إليه ذهبه  
 وماله ، وأن عليه أن يقتل مادام وعد بذلك!!  
 يعلن (ريكاردو) أنه سيقتل ، ولكن من؟!

إنه سيقتل الذي "يستسهل التجارة في عرق الآخرين ولو لم يبدل قطرة عرق  
 ... لايهمه أن يُلقى في ماء البحر بمحاصيله كاملة دون أن يفكر في جوع من  
 يذلون حياتهم من أجلها وجمعها"<sup>(٣)</sup> .

نعم ، إنه يعني قتل نفسه السابقة بكل سلوكياتها وتصوراتها واهتماماتها!!  
 ولهذا قال : "اليوم الذي لا يبقى فيه من روحي أثر لذلك الرجل هو اليوم  
 الذي يمكن أن أقول فيه : إن ريكاردو قد قتل ريكاردو بلا دماء"<sup>(٤)</sup> .

(١) وهذا مايسميه النقاد (التحول) في الحدث ، انظر : دراسة في نظرية الدراما الإغريقية ، محمد  
 حمدي إبراهيم (ص٦٧-٧٢) ، وكتابات في المسرح ، د. سمير سرحان (ص٥٧-٥٨) ،  
 ودينامية النص ، د. محمد مفتاح (ص١٦١-١٦٤) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٨٤-٨٥) .

(٣) المرجع نفسه (ص٨٥) .

(٤) نفسه .

وهنا تنتصر القيم والمبادئ ، وينتصر (ريكاردو) على (الشیطان) .. وتعود (استيلا) بعد إعلانها مسامحة (كرستيان) وموقفها من ذلك بالقبول الكامل . وترحل السفينة دون أن يكون (ريكاردو) على ظهرها !! فقد قرّر الزواج .. وبناء علاقة المحبة التامة مع مَنْ منحته الحياة .

"وينزل الستار الأخير ونار الموقد تشتعل بورقة العقد الذي كان (ريكاردو) قد وقّعه مع الشيطان يوما"<sup>(١)</sup> .

ويلمح عماد الدين من هذا كله .. ومن وراء تداعيات الأحداث واتّصالها قيمًا ورؤى إيمانية ، يتلمّسها الدارس في ثنايا هذه الأحداث ، وأعطاف ماجرى . يلمح انتصار الخير على الشرّ ، "والحياة على الموت والقيم على الانحلال ، في غنائية تنساب في جنبات الوجدان"<sup>(٢)</sup> .

ويلمح الإدراك الموافق للفطرة في النظر إلى موقع الإنسان في الكون ، وكيف يكون قدرُ الله عونًا بأسبابه ؛ لإنقاذ مصير الإنسان من أزمة ومحنة ، إلى فرج ومنحة وأن هذه الأسباب قد تتأخّر عن إدراكه ؛ "لا لكي يحطّم الإنسان ويُدخله صراعا غير متكافئ ، ولكن لكي يُعلّمه أن ينظر إلى بعيد وأن يستبطن الأحداث والأقدار لكي يصل إلى هدفها ومداهما ، ولكي يعرف أن الله سبحانه قد وضع له في كلّ حادثة أو مأساة أو فرحة أو انتصار فجائي"<sup>(٣)</sup> عنيف : أملا أو مصيرا عظيما"<sup>(٤)</sup> .

ويؤكد عماد الدين أن "هذه الرؤية بعيدة الحدود ، عميقة الأغوار ، ممتدة المساحات"<sup>(٥)</sup> .

ومما قرّره كذلك أن هذه المسرحيّة ، تحكي (الوضع الطّبعي للأشياء) .. وأن إرادة<sup>(٦)</sup> الإنسان قد تتخلّف حيناً من الزمن ، وتسير بها أهداف الشيطان صوب

(١) المرجع السابق (ص ٨٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٦٩) .

(٣) هو فجائي بالنسبة إلى نظر الإنسان ، وإلا فهو في سابق علم العليم الحكيم سبحانه - الباحث -

(٤) المرجع نفسه (ص ٧٠) .

(٥) المرجع نفسه (ص ٧١) .

(٦) لعل المقصود بالإرادة هنا الإرادة الممكنة التي يحاسب عليها العبد ويعاتب ، لأن الله هداه التجدين ، وحين تتخلّف إرادته يكون مقصرا في عدم تعريضها للطريق المستقيم - الباحث - .

هدف ما ، مما قد لا يكون نفعه ظاهرا ، بل قد تكون صورته شوهاء .. ثم يكون الإياب في يوم ما ، "وعندئذ يعيد الإنسان تشكيل هذا الواقع من زاوية رؤياه الجديدة وقيمته الإيمانية ، ومن ثم يضع كل شئ في مكانه الطبيعي"<sup>(١)</sup> .

ومن الرؤى الإيمانية التي يراها عماد الدين في هذه المسرحية ، تلك الدعوة المبطنّة في ثنايا الأحداث - خفيّتها وظاهرها - إلى الجمال ، والهيام به أنى كان ، وإشاعة روح الأمل ، والصور المتفائلة<sup>(٢)</sup> ، والوعد الدائم بانتصار الخير على الشر . ورؤية مسرحية (مركب بلا صياد) تجاه (الشیطان)<sup>(٣)</sup> ، حقيقة غيبيّة أكيدة

تنطلق من خلال التصوير الدقيق لإثارة الصّراع في وجدان البطل ، حتى يقع في الجريمة ، ثم يمتدّ هذا الصراع وتطول ساحته ، وتشطر حياة البطل شطرين ، يمثل الشيطان في أحدهما ، ويتضاءل حضوره حين يحسّ من نفسه الفشل فيقول : "ولكنني أرجوك ألا تقصّ على أحد مادار بيننا ، فالناس يعجبهم دائما أن يروني في موقف يبعث على السخرية والضحك ، بل إن أكثرهم نفاقا لا يتورّعون عن أن يستنبطوا من مثل هذا الموقف ما يدعونه عظة أو عبرة"<sup>(٤)</sup> .

ومن الرؤى الإيمانيّة التي تملّحها الفطرة ، وتحكيها أحداث المسرحيّة ، إدانة الإنسان لحضارة التكاثر الماديّ ، التي تدعو المرء للتكاثر من أجل التكاثر .

"إن كاسّونا يسهم - قدر ما يسمح به بناء المسرحية - بهذا النقد وهذه السخرية من الحضارة التي ضيّعت الإنسان ، إنه يقدم لنا نماذج مجسدة من حضارة الأثرة والكراهية والتكاثر ، هذه النماذج التي طالعتنا في بدء المسرحية ، والتي تطالعنا في كلّ مكان منها"<sup>(٥)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ٨٦) .

(٢) خلافا لمن يزرع التشاؤم والنفور من الزمن والحدث ، وممن ساق نماذج غريبة أمثلة على ذلك

الدكتور محمد مندور في كتابه : في المسرح العالمي ، انظر مثلا (ص ١٤٤-١٤٥) .

(٣) يذكر الدكتور عماد الدين أن دخول الشيطان خشبة المسرح وقع قبل ذلك لدى (جوته)

و(مارلو) و(فاليري) و(هواتينج) وغيرهم ، وذهب إلى أن دخوله يشكّل حلقة كبيرة من

حلقات الصراع الذي يمثل أساسا معلوما في المسرح .

انظر : في النقد الإسلامي المعاصر (ص ٨٧) .

(٤) المرجع نفسه (ص ٨٨) .

(٥) المرجع نفسه (ص ٩٠) .

وَيَصَوِّرُ (كَاسُونَا) الْقَدْرَ فِي مَسْرَحِيَّتِهِ .. رَحْمَةً تَوَاسِي الْمُنْكَودِينَ الْمَكْدُودِينَ فِي الْأَرْضِ ، الَّذِينَ حَطَّمَتَهُمُ الدُّنْيَا ، وَأَرْهَقَتَهُمْ بِكُلِّكُلِهَا .  
فَالْقَدْرُ عِنْدَهُ يُوَافِقُ الرُّؤْيَا السَّلِيمَةَ ، حِينَ يَكُونُ "نَفْحَةٌ رَحْمَةً تَنْزِلُ عَلَى الْخَاطِئِينَ وَهُمْ يَتَخَبَّطُونَ فِي الدَّرَكِ ، وَضَرْبَةٌ سَرِيعَةٌ حَاسِمَةٌ تَقْصِمُ ظُهُورَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ .. اسْمَعُوا أَبْطَالَ (كَاسُونَا) وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ .. إِنَّ الْقَدْرَ يَدُو مِنْ كَلَامِهِمْ مَنَحَةٌ عَظْمَى لِلْإِنْسَانِ فِي سَاعَاتِ حَزْنِهِ وَوَحْدَتِهِ وَاكْتِتَابِهِ"<sup>(١)</sup> .  
وَيَسُوقُ عِمَادُ الدِّينِ أَمْثَلَةً مِنْ عِبَارَاتِ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ مِمَّا جَاءَ فِي الْمَسْرَحِيَّةِ وَسِيَاقَاتِهَا ، مِنْ مِثْلِ :

(يَا مَنْ سَاقَهُ إِلَيْنَا اللَّهُ) ، (حَاكِمَا وَحِيدَا لِتَصْرِيفِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ) ، وَ(يَهْدِي الْكَادِحِينَ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) .  
يَقُولُ عِمَادُ الدِّينِ : "وَالْحَقُّ إِنَّمَا إِذَا مَارَجَعْنَا إِلَى الْمَسْرَحِيَّةِ لِنَقْرَأَهَا مِنْ جَدِيدٍ ، بَاخِثِينَ عَنِ الْقَدْرِ"<sup>(٢)</sup> فِيهَا فَإِنَّمَا سَنَجِدُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَقِفُ الْإِنْسَانُ فِيهِ عَاجِزًا حَائِرًا وَحِيدًا .. كَمَا سَنَجِدُهُ فِي لَحْظَاتِ الصُّعُودِ وَالْهَبُوطِ وَالْيَأْسِ وَالْإِنْتِصَارِ ، وَالْحُبِّ

(١) المرجع السابق (ص ٩٥-٩٦) .

(٢) وارتضاء هذه المسرحية نموذجاً لكشف هذا الجانب (القدر) جعل عِمَادُ الدِّينِ يبرز هذه الرؤية ويسجل هذا المثال على غياب النظرة الصحيحة المنضبطة في الآداب غير الإسلامية في مسائل كثيرة ، منها (القدر) .

ويذكر أن المسرح بالذات منذ عهد اسخيلوس وسوفوكليس وغيرهما ، وحتى عصر الطليعيين الحديث له قصة مع القدر ، بل قصص وأحداث ، سلبي وإيجابي ، "وجاءت نظرة الأوربي إلى العلاقة بين الله والإنسان ، وليدة هذه الظروف الصعبة القاسية : مطبوعة بطابع الصراع ، وموسومة بميسمه الذي لا يزول" وساق على هذا أمثلة معبرة ، يحسن أن تراجع في موطنها هناك .

انظر - في ذلك كله - : فوزي العالم في المسرح الغربي المعاصر (ص ١٤٧-١٨٣) .  
وانظر - كذلك - : في النقد الإسلامي المعاصر (ص ٩٧-٩٨) ، والتمثيل والتمثيلية وفن التمثيل زكي طليمات (ص ٤٤-٥٣) ، وفن المسرح ، أوديت أصلان ، ترجمة د. سامية أحمد أسعد (١٦٣/١-١٦٦) .

والكراهية ، يحدو الهابطين إلى الصعود ، واليائسين إلى الأمل ، والخاطئين إلى التوبة"<sup>(١)</sup> .

وهذا ما جعله يقرّر ابتداء في حديثه أنّ في هذه المسرحية "نموذجاً للأدب والفن اللذين ينبثقان عن تصوّر إيماني للحياة والعالم والأشياء دون اعتساف ولا مباشرة ولا روح تعليمية"<sup>(٢)</sup> .

وفي ظلّ هذه الرؤية الواضحة تكون واقعية الفنان الملتزم ، حين يصوّر ضعف المرء وقوته ، ولا يقف عند نقاط الضعف ، ويلقي الضوء عليها طويلاً ، بل يعرضها في سقوطها وضعفها ، لتعود من جديد وتنتصر .

و"هذه الواقعية التي تستند إلى خلفية صامدة من القيم الثابتة التي لا يضيع معها الإنسان ولا يتيه في زحمة الواقع وثقله وتمخضه"<sup>(٣)</sup> هي الواقعية المطلوبة المرغوبة .

وهذا البعد في الرؤية ، والطريقة الثابتة في العرض ، هو كلّ "الذي نريد أن نراه من الإسلاميين في القصيدة والقصة ، في المسرح والرواية والتجريد ؛ لكي نقول إن الفن الإنساني حقيقة واقعة ، وإن الإسلام صنع القاعدة البشرية التي ستقدّم للحضارة (فناً) لم يشهده التاريخ ، فناً يربط الأرض بالسماء ، والإنسان بالكون والعالم ، والقدر بالحرية ، والواقع بما وراء الواقع ، والحقيقة بالخيال ، والظاهر بالباطن ، والخطيئة بالتوبة ، والسقوط بالانتصار .. فناً يعمّق العاطفة الإنسانية ، ويوسّع أبعاد الجمال ، ويقدم - بغير ما مباشرة ولا تعليم أو وعظ - تجربة المؤمنين الذين يسعون دائماً إلى حياة أشدّ تركيزاً ، ويطمحون أبداً إلى رؤية أبعد مدى ، ويعرضون لنا الحياة من خلال تعبيرهم الذاتي : ساحة رائعة جيّاشة من الصراع

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص ٩٦-٩٧) .

وهذا يحكي ما يسميه النقاد (الصراع الداخلي) الذي يجسّد التناقضات الداخلية عند البطل ، ويحرّك الحدث .

انظر : مجلة آداب الرافدين ، ع (١٧) ، ١٩٧٧ م (ص ٨٧) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر (ص ٦٩) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٦٩-٧٠) .



والتوحد<sup>(١)</sup>، والتنافر والانسجام، والخير والشر، والحب والكراهية... لا لكي تقف عند هذا الحد لا تتعداه ولكن لكي تقول لنا - عن ثقة و يقين - إن الصراع سيؤول إلى الانسجام، والخير سيغلب الشر، والحب سيكتسح الكراهية"<sup>(٢)</sup>. وهذا جزء من مفهوم الالتزام الشامل الذي يسعى إليه الأدب الإسلامي وماسبق بيانه في مبحث الالتزام سلفا.

واختيار عماد الدين لركب (كاسونا) ما كان إلا لأنه يلتقي - التقاء جزئيا على الأقل<sup>(٣)</sup> - التصور الإسلامي، فاختارها ارتضاء لهذا مما مال إليه قبل ذلك غيره من الدارسين حين اختاروا نماذج توافق التصور الإسلامي وتلقيه ولو في جوانب منه.

- 
- (١) عرض هذا في نقطة تفضيلية سماها (الحضور والغياب). انظر: المرجع السابق (ص ٨٨-٩٠).
- (٢) المرجع نفسه (ص ٧٠-٧١)، وانظر: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، د. عماد الدين خليل (ص ٢١٦).
- (٣) انظر: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص ٢١٣-٢١٩).

### ثالثاً : في (الشعر) : من خلال نموذج من نقده<sup>(١)</sup>

نقف هنا مع نموذج يطالعنا فيه الدكتور عماد الدين خليل بإشارات غير دراسة لأحد الشعراء السابقين ، وهو الرحالة الأندلسي المعروف (ابن جبير)<sup>(٢)</sup> ؛ ليكون الحديث عنه ، ممثلاً عطاء المغرب الإسلامي بعد أن أخذ من المشرق ، "ولقد كان عطاؤه - بحق - سخياً موفوراً"<sup>(٣)</sup> .

ولماذا يكون هذا الاختيار والتوجيه؟ يجب عن ذلك عماد الدين بأنه "ليس بمقدور باحث يكتب عن عصر الحروب الصليبية إلا ويجد نفسه مضطراً للرجوع إلى واحد من أكثر شهود هذا العصر أهمية : ابن جبير ، الذي قدّم بلغة الشاهد الجغرافي المعايين عن كثر الكثير من التفاصيل عن عالم الإسلام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري"<sup>(٤)</sup> .

فمع هذه الوقفات التي دلف بها عماد الدين إلى هذا النصّ القديم ، لتكوين هذه الرحلة الظرفية مع الرحالة المسلم ابن جبير<sup>(٥)</sup> .

ويؤكد عماد الدين - ابتداءً - أن الأمر يختلف في الحديث عن رحلات ابن جبير وإشاراته لأن "ما هو ليس بمعروف للكثيرين ممن تعاملوا مع الرحلة الخصبة ، أن صاحبها شاعر وأن شهادته أطلت على العصر بمنظور آخر مواز هو المنظور

(١) نقف هنا مع نموذج لنصّ قديم وآخر حديث ؛ لاختلاف البيئتين وطريقة الأداء - الباحث - .

(٢) هو محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسي ، رحّالة أديب ، نظم الشعر الرقيق ، زار المشرق ثلاث مرات إحداها سنة ٥٧٨هـ وألف فيها "رحلة ابن جبير" ومات بالاسكندرية في رحلته الثالثة ، وله ديوان شعر هو "نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان" ، وله ديوان آخر رثى به زوجته أم المجد . ولد سنة ٥٤٠هـ وتوفي سنة ٦١٤هـ .

انظر : الأعلام ، للزركلي (٣١٩/٥ - ٣٢٠) .

(٣) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٥١) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) ذكر لي الأستاذ الدكتور (منجد مصطفى بهجت) محقق ديوان ابن جبير - في رسالة جميلة أتخفي بها - أن دراسة الدكتور عماد الدين كانت مقدّمة لتحقيقه للديوان السابق - الباحث - .

الشعري<sup>(١)</sup> الذي مهما تضخمت في زجاجته الذات على حساب الموضوع فإنه يبقى ضروريًا للمؤرخ الذي يريد أن يعرف أكثر عن هذا العصر<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر - كذلك - أن الاطلاع على هذا الثراء الشعري يجعل الأمر مهمًا من جهة ملاحظة الأحداث والوقائع ؛ لأنها شهادة على العصر ، وانعكاس لما يتكوّن فيه ، ويكون النفع ظاهرًا حين يتولّى ذلك محقق يلتزم التصوّر الإسلامي المنضبط ، ويقف على قضايا التراث بوثوق ودقّة ؛ مما يسجّل خطوة بل خطوات للأدب الإسلامي الملتزم الذي نادى إليه الدكتور عماد الدين خليل في إثراءاته وكتاباتاته ، ومشاركاته وحواراته كلّها ؛ مما يحقق - بطريقة مباشرة - معقد كثير من آماله ومايرجوه ، ويكون من الخطوات التي تسهم "في تجذير حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، وتعدّ امتدادًا لمحاولات أخرى تمّت وسوف تتم بإذن الله في هذا السياق"<sup>(٣)</sup>.

ومما أبرزه عماد الدين دليلًا على أهميّة هذا الديوان - لبنة في طريق الأدب الإسلامي - أنه يؤكّد حقيقة الالتزام الأدبي الرفيع ، وأنّ ذلك لا يحجب أبوابًا من الإبداع يحقّ للأديب أن يطرقها ويلج من خلالها إلى من يتذوّقون هذا النتاج ، ويقول - وهو يتحدث عن ذلك - :

"إن الشعر الذي يطرحه ابن جبير في ديوانه المجموع هذا ، يوسّع مدى المعطيات الأدبية الإسلامية ، فهي كما تؤكّد متابعة أغراض هذا الشعر ، ليست مقتصرة على موضوع دون موضوع ، كما أنها بالضرورة ليست مأسورة في زمن دون زمن ولا مقيدة بمكان دون مكان"<sup>(٤)</sup>.

(١) لعلّ مما يزيد هذا المنظور الشعري أهمية أنه يكاد يربو على الخمسمائة بيت . انظر : في النقد

التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٥١) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه (ص ٥٢) .

(٤) نفسه .

وفي تشكيل العمل الشعري من جهة الزمان والمكان ، انظر : التفسير النفسي للأدب ، د. عزّ

الدين إسماعيل (ص ٤٧-٦٨) .

ومما يلحظه كذلك - انطلاقاً من هذه الوقفة المتأنية - أن كثيراً من موضوعات الديوان لم تقف عند قضية الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية - على عظم وقعها وأثرها في الأمة حينئذ - ، حيث إنها "لا تقف عندها ، وإنما تمضي لكي تتحدث عن مواضيع شتى بالالتزام نفسه ، بالحرص ذاته على كل ما هو إسلامي أصيل" <sup>(١)</sup> .

فعلى مستوى المكان يُلمح عماد الدين إلى كون الهاجس الإيماني والهدف الإسلامي هو هو لم يتبدل مع تبدل المكان ، فنحن في هذا الديوان مع هموم الأندلس في أقصى الغرب ، ولكننا "نستمع إلى النداء نفسه ، ونتعامل مع الوجدان الإيماني ذاته ، ذلك الذي صنعه الإسلام ، والذي يحكي بلغة الشعر عن الهموم نفسها ، تلك التي تحدث بها صحابة رسول الله ﷺ زمن النبوة .. المجاهدون في سبيل الله أيام الفتح .. المدافعون عن حرمانه عصر الغزو الصليبي .. الواقفون على التحوم قبالة الرعب المغولي .. الموغلون في أعماق أوروبا تحت رايات العثمانيين .. المتصدون لهجمات الاستعمار في مشارق الأرض الإسلامية ومغاربها في القرون الأخيرة" <sup>(٢)</sup> .

ومما يرصده عماد الدين في حقل أغراض ابن جبير الشعرية احتفاؤه بغرض (الحكمة) مما جعل مقاربتة للإمام الشافعي <sup>(٣)</sup> - رحمه الله - ظاهرة بادية .

(١) في النقد التطبيقي ، وهذا ما يؤكد أثر الخصائص الموضوعية في دراسة النصوص جنباً إلى جنب مع السمات الفنية ، وممن مارس ذلك د. يوسف حسين بكار في كتابه : قراءات نقدية (ص ١٦٧-١٧٧) .

وسماه بعضهم (التجاوب الفكري) ، ومنهم د. حسن جاد حسن في كتابه : الأدب العربي في المهجر (ص ٤٢٣) .

(٢) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٥٣) .

(٣) هو محمد بن إدريس بن العباس الشافعي الهاشمي القرشي ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ ، كان فقيهاً أديباً يجيد الرماية ، وأفتى وهو ابن عشرين سنة ، له (الأم) في الفقه ، و(المسند) في الحديث وغيرهما . انظر : الأعلام ، للزركلي (٢٦/٦) .

ويستدرك فيقول : "ولا يذهبن إلى الظنّ أن الأمر مادام كذلك فإننا سنقرأ نظاماً لا شعراً ، أو أننا بإزاء توظيف للأداة الشعرية يبعد بها شيئاً فشيئاً عن مطالبها الفنية ونبضها الوجداني باتجاه الدعوة إلى هذه القيمة الخلقية والإرشاد الاجتماعي أو تلك .. هنالك حيث يتضخم المضمون على حساب الشكل ونجد أنفسنا إزاء مقطوعات من الشعر تفتقر إلى الدم وتعاني من التضلل والهزال" (١) .

ويؤكد أن الحكمة غرض مستعمل بحدّين متنافرين ؛ إذ يمكن أن يتوصل إليه بسلوك سبيل المباشرة مما تميل معه الصياغة الشعرية صوب نقص النواحي الفنية ، وقد يكون قافراً إلى القمة عبر هذه الصياغة الشعرية المتميزة .

ويضرب على ذلك مثالا بحكم المتنبي "فإنها من بين شعره الخصب الجزل ، ظلّت متألّقة تهزّ وجدان الأجيال ، وتملاً إحساسها بطعم الفنّ العذب المؤثر الجميل" (٢) .

وليس الأمر محاولة تعليميّة صرفة كما يكون في النظم ؛ لأن باب الحكمة - كما يذكر عماد الدين - باب آخر ، حيث هي خبرة حيويّة يتعامل الشاعر عبرها فيعيد تركيب الحكمة في باب الشعر ، فتبدو بصورة مختلفة ، وفي هذا يقول :

"وطالما تعامل الشاعر مع الحياة ، وكان يمتلك في الوقت نفسه أدواته الفنيّة بشكل جيد ، قدر على اجتياز التجربة بنجاح وارتفع بالتعبير الشعري إلى المستوى المطلوب الذي لا يخفت فيه نبض الشاعرية .. بالعكس ، فإنه بتركيزه البالغ الذي هو أحد المطالب الفنية ، قد يجعل البيت والبيتين يهزان العقل والوجدان .

وبالمقابل فإن التعامل بفجاجة فنية مع الحكمة سيؤوّل ولاريب إلى مثلبة كهذه وسنجد أنفسنا إزاء شعر تعليميّ قد يعيننا على حفظ سلّم القيم الخلقية بسرعة أكثر ولكنه لا يمنحنا طعماً شعرياً" (٣) .

(١) في النقد التطبيقي (ص ٥٣) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٥٤) .

(٣) نفسه .

ويذكر أن الباحث الغربي (رينيه ويليك) الذي يؤكد الفرق بين الأفكار والأدب ولكنه يثبت العلاقة بينهما في حالتي الخصب الفني والضمور "وذلك يكمن في طبيعة تلبس الفكر في نسيج العمل الأدبي .. فإذا عرف الأديب كيف يحقق التطعيم بشكل عفوي ، دونما أي قدر من المباشرة أو التقحّم .. إذا عرف كيف يحقن الكلمات والتعابير والموسيقى بالأفكار والخبرات كطبيب متمرس ، لا يكاد يجعل المرء يحسّ بأن هنالك تحميلاً للبناء الفني بما هو فوق طاقته ، أو خارج عن مقتضياته ، فإنه سيبعث إلى الوجود بعمل جليل حقاً ، وإلا فإنه التوظيف السيئ الذي قد يقود العمل إلى التئس ويضعه في خانة التعليم" (١) .

وثلاثون قطعة شعرية من باب الحكمة خاصة - يضاف إليها مقطوعات طويلة أخرى ، تكون الحكمة من بين ثنائياها - كل ذلك شاهد على هذه الملحوظة . ونلمس النصف والعدل في الحكم النقدي حين نقرأ لعماد الدين قوله عن مقطوعات ابن جبير هذه :

"ولن نكون موضوعيين إذا قلنا بأنها جميعاً قد اجتازت تجربة التعامل مع الخبرة بنجاح ، أو أنها جميعاً تنحدر باتجاه التعليمية والمباشرة ، وبالتالي فإننا قد نقرأ ما يمنحنا بالفعل شعراً ، وقد نقرأ ما يعلّمنا ولكنه يخرج بنا من مملكة الشعر" (٢) . ويمثل على تفاوت شعر الحكمة لديه بعدة أبيات صاغها (ابن جبير) ، منها قوله :

|                                 |                                    |
|---------------------------------|------------------------------------|
| أَمَّا فِي الدَّهْرِ مُعْتَبَرٌ | فَفِيهِ الصَّفْوُ وَالْكَدَرُ      |
| فَسَلَّنِي عَنْ تَقَلُّبِهِ     | فَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ      |
| صَحِينَاهُ إِلَى أَجَلٍ         | نُرَاقِبُهُ وَنَحْتَذِرُ           |
| فَيَا عَجَبًا لِمُرْتَحِلٍ      | وَلَا يَدْرِي مَتَى السَّفَرُ! (٣) |

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه (ص ٥٥) .

(٣) نفسه .

وقوله :

عَلَيْكَ بِكُتْمَانَ الْمَصَائِبِ وَاصْطَبْرْ  
كَفَاكَ مِنَ الشُّكُوى إِلَى النَّاسِ إِنَّهَا

وقوله :

النَّاسُ مِثْلُ ظُرُوفٍ حَشَوُهَا صَبْرٌ  
تَغُرُّ ذَائِقَهَا حَتَّى إِذَا أَنْكَشَفَتْ

وقوله :

تَنْزَهُ عَنِ الْعَوْرَاءِ مَهْمَا سَمِعَتْهَا  
إِذَا أَنْتَ جَاوَبْتَ السَّفِيهَةَ مُشَاتِمًا

صَيَانَةَ نَفْسٍ فَهَوٍ بِالْحُرِّ أَشْبَهُ  
فَمَنْ يَتَلَقَّى الشَّتْمَ بِالشَّتْمِ أَسْفَهُ<sup>(٣)</sup>

ويتجاوز بنا إلى ملاحظة قِيَمَةِ - عبر باب الحكمة - ومافيه من وجوب الموازنة بين مستوى الأداء وقيمة الفكر إذ يقول :

"الشاعر الجيد هو ذلك الذي يعرف كيف يتحاور مع الخبرات الأكثر عمقاً وتأثيراً ، والأقدر على دخول ساحة الشعر ، وأن يتجاوز الجزئيات الأخلاقية الاجتماعية الصّرفة لكي لا تهبط بشعره عن سويّته المطلوبة ، فإن جزئيات كهذه ليست من مهمة الشاعر على أية حال"<sup>(٤)</sup> .

وفي باب الطرح الإسلاميّ أثناء المعالجات الشعرية لابن جبير ، يقف عماد الدين مبيّن ارتفاع منحني الشعرية بالأفكار الجيدة ، ولكنه يلاحظ أن ذلك "يرقّ ويشفّ ويدوب وجدانية حيناً ، ويغلظ ويياشر ويحشد الأفكار حيناً آخر ، حتى ليكاد يغدو ناظماً لا يأخذ من مطالب الشعر إلا تفعيلاته وبحوره وقوافيه"<sup>(٥)</sup> .

ويجد أن قصيدة (ابن جبير) الثالثة والعشرين من أعذب وأصدق قصائده ، "وقد زادها بحر المتقارب المشجي ، الذي يكثر الرجل منه في ديوانه ، جمالا

(١) المرجع السابق (ص ٥٥-٥٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٥٦) .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص ٥٦-٥٧) .

شعريا" (١) . ورائيته الطويلة - كذلك - معلم في حنايا هذا الطريق ؛ حيث استطاع ابن جبير - رحمه الله - أن يوظف - من خلالها - الموقف والحدث ، حين اقترب من مدينة رسول الله ﷺ فاكتوى بنار التجربة ، فكانت كالجمر متوهجة ، وكيف لا!! "فمن ذا من شعراء عالم الإسلام كله ، يوشك أن يبلغ مدينة نبيه وقائده ومعلمه ، ثم هو لا يكاد يذوب وجدا ، وتذوب معه في نار الشعر كلماته وأبياته وقوافيه؟" (٢)

وينقل عنه شيئا من هذا الحنين الذي جعله يبكي ، "ويقينا فإن العمل الشعري الذي يبكي هو الشعر" (٣) ، إذ يقول :

أَقُولُ وَأَنْسْتُ بِاللَّيْلِ نَارًا      لَعَلَّ سِرَاجَ الْهَدَى قَدْ أَنْارَا  
وَالْإِلا فَمَا بَالُ أَفْقِ الدُّجَى      كَأَنَّ سَنَا الْبَرْقِ فِيهِ اسْتَطَارَا  
وَنَحْنُ مِنَ اللَّيْلِ فِي حُنْدَسٍ      فَمَا بَالُهُ قَدْ تَجَلَّى نَهَارَا؟ (٤)

ويضرب مثلا لتلك القصائد التي أبحرت صوب المباشرة ، ولم تكن على حد من الفنية الشاعرية ، و"يمكن أن يضع المرء يديه على قصائد كثيرة تهبط بدرجة أو أخرى صوب المباشرة .. تحمل قيما إسلامية .. نعم .. ولكن ليس بالمستوى الذي تتطلبه تقنية الشعر ومطالبه الفنية .. لنستمع - مثلا - إلى هذه الأبيات :

بَنِي الْإِسْلَامِ جُدُّوْا فِي الْجِهَادِ      بِسُمْرِ الْخَطِّ وَالْبَيْضِ الْحِدَادِ  
وَبِيعُوهَا فَرُبُّكُمْ اشْتَرَاهَا      نَفُوسًا تَرْبِحُوهَا فِي الْمَعَادِ  
عُدُّوْكُمْ بِعُقْرِكُمْ مُقِيمٌ      لَيْسَتْوَلِي عَلَى مُلْكِ الْبِلَادِ (٥)

(١) المرجع السابق (ص ٥٧) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص ٥٨) .



ومن الأمثلة الرائعة لمديحه ضمن دائرة العطاء للأمة خطابه لصالح الدين الأيوبي<sup>(١)</sup> حين يناديه :

وَحُبُّكَ أَنْطَقَنِي بِالْقَرِيضِ وَمَا أَبْتَغِي صِلَةَ الشَّاعِرِ! <sup>(٢)</sup>

ويؤكد عماد الدين أن هذا نوع من المديح الصادق المجاني سبل الإطراء والترجية الرخيصة ، ولكنه الصدق الظاهر في أبيات هذه المقطوعة الرائية<sup>(٣)</sup> .

أما محاور وتوجهات مقطوعات (ابن جبير) ، التي كان فيها شاهدا على عصره فلا تخرج عن محورين اثنين - كما يؤكد عماد الدين - وهما :

أ- الجهاد ضد خصوم الإسلام من صليبي المشرق .

ب- إعلان الحرب ضد الحركة الفلسفية وما كان عليه زعماءها<sup>(٤)</sup> .

ومما يمثل المحور الأول ، رائيته السابقة التي يمدح فيها (صالح الدين) عبر بحر المتقارب الذي يولع به الشاعر ، وفيها :

أَطَلْتُ عَلَى أَفْقِكَ الزَّاهِرِ سَعُودٌ مِنَ الْفَلَكَ الدَّائِرِ  
فَأَبَشِّرْ فَإِنَّ رِقَابَ الْعِدَا تُمَدُّ إِلَى سَيْفِكَ الْبَاتِرِ! <sup>(٥)</sup>

وفي مسألة (الفلسفة) والرد على تيارها المبالغ ، الذي يأخذ بأمور العقل ويدع ماضح من النقل ، يفسر (عماد الدين) توجهه (ابن جبير) في ذلك ، ويبرز احتفائه بهذا التأكيد المستمر ، حين يتحدث في قصائده عن ذم الفلسفة ، وفي هذا

(١) هو يوسف بن أيوب أبو المظفر ، صلاح الدين الأيوبي ، الملقب بالملك الناصر ، وهو من الأكراد ، نشأ في دمشق وتفقه وتأدب ، خاض معارك كثيرة ، كان أعظمها انتصاره على الفرنج يوم حطين ثم افتتاح القدس سنة ٥٨٣هـ ، كان رقيق النفس والقلب ، بعيد النظر متواضعا مع جنده ، ولد عام ٥٣٢هـ ، وتوفي عام ٥٨٩هـ وخلف من الأولاد سبعة عشر ذكرا وأنثى واحدة .

انظر : الأعلام ، الزركلي (٢٢٠/٨) .

(٢) في النقد التطبيقي (ص ٥٨) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص ٥٩) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص ٦٠) .

(٥) نفسه .

يؤكد (عماد الدين) : "أن كثيرا من فلاسفة المسلمين ومن خلال انبهارهم بالفلسفة اليونانية اندفعوا أكثر مما يجب في تقبل سائر معطياتها حتى ولو كانت تستضيف أجساما وثنية غريبة أو عروقا طبيعية أو دهرية ، وتوجهات قد تصطدم مع مراكز الثقل الغيبية في عقيدة الإسلام ، بل إن بعضهم أوشك أن يصير (عقلانيا) صرفا فيما هو مرادف اليوم (للعلمانية) ، الأمر الذي قاد أو كاد يقود المجتمع الإسلامي إلى ماهو ليس في صلب تكوينه أساسا : ثنائية مأنزل الله بها من سلطان بين الوحي والعقل ، بين الفلسفة والدين .. وهو أمر معروف في سائر المجتمعات البشرية إلا في مجتمع كمجتمع الإسلام ، يشهد تأكيدا يوميا للالتحام بين العقل والدين ، بين السماء والأرض ، وبين الوحي والمنطق ، بل بين سائر الثنائيات على امتدادها"<sup>(١)</sup> .

أما النص الحديث ، فنقف مع (عتبات الجنة السمراء)<sup>(٢)</sup> ، حيث يتغاير فيه المناخ الشعري مع ديوانين آخرين للشاعر نفسه<sup>(٣)</sup> .

وتكون انطلاقة عماد الدين متوجهة في ابتدائها نحو تساؤل مهم ، يحكي أسباب تراجع الأدب الإسلامي - بشتى توجهاته وأنواعه - عن طرح فكرة مماثلة لهذا الديوان!

لم لا يدخل الأدب الإسلامي - وهو قادر - دوائر فكرية معينة ، يحاور ويجادل ويكون له وجوده وحضوره المميز ، الذي يشار إليه؟! وفي هذا يقول عماد الدين :

"نجد مثلا أن الشعر الإسلامي المعاصر ، والأدب الإسلامي عموما ، اتخذ موقفه ، وقال كلمته في كثير من القضايا والمعضلات الراهنة ، بل إنه أعاد القول في بعضها فيما وضعه على حافة التكرار ، لكنه لم يحاول - لماذا؟ لا أدري - أن يتوقف

(١) المرجع السابق (ص ٦١-٦٢) .

(٢) ديوان شعري حديث للشاعر حكمت صالح ، انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٠٧-١١٧) ، ومنه استقيت مادة هذه الوقفات .

(٣) هو حكمت صالح ، شاعر إسلامي معاصر ، له طرح متميز ، وله من دواوين الشعر : (الفرار إلى الله) ، و(حي على الفلاح) ، و(عتبات الجنة السمراء) .

انظر : المرجع نفسه (ص ١٠٧) .

ولو لحظات عند مسائل لاتقل أهمية وخطورة ، بل لاتقل قدرة على إثارة الاستجابة الفنية بما تمتلكه من شحنات ونقاط توتر إنساني قد تبلغ بها حدّ المأساة" (١) .

وهذه وقفة تبين ما ذكرناه سابقا من تأثيرات عماد الدين على هذه المسألة المهمة ، في وجوب التفاعل والإثراء ، وهو ما يصور - بظهور - وظيفة الأدب الإسلامي خاصة ، والأدب بوجه عام ، ومما يجدر بأصحاب الفكر السليم ، والمنهج القويم أن يتبنوه ويسلكوه .

والفلك الذي يدور حوله الديوان ، يتابع بدقّة مسألة من المسائل المخرجة لحضارة الغرب الماديّة ، التي تتخذ من المنفعة شعارا ، ومن المصلحة دثارا ! وهذا يكشف الزيف وينير الدرب ، ويوضح السبيل ، ويعري الوجه القبيح لهذه الحضارة المزيّفة ، التي تحتّم بإطلاق الشعارات ، وتختبئ خلف دروب التعمية والتمويه . هذه المسألة هي (وضع السّود في العالم) وليس في منطقة معيّنة كإفريقيا أو غيرها ، حيث إثارة العجب والاشمئزاز في الوقت ذاته .

و"إنه تناقض من الطول إلى الطول ، بين ما طرحه الرؤية الإسلامية لموقع الإنسان في العالم ، حيث يقف الجميع أمام الله ، سواسية كأسنان المشط ولا تفصلهم طبقة عن طبقة ، ولا يعزلهم لون عن لون ، وبين هذه الواقعة المبهضة التي تدفع بهذا الإنسان أو ذاك ، وبهذه الفئة أو تلك إلى الخط الثاني والثالث ، وربما العشرين ، حيث يكون الاستبعاد ، وحيث يباع الإنسان ويشترى بالأشياء وكالأشياء ، لا لشيء إلا لأنه خلق هكذا : أسود اللون ، أو بعبارة أكثر صراحة : لأنه خلق يحمل قشرة تختلف درجاتها اللونية عن سائر الناس!" (٢) .

ويثني عماد الدين على براعة (حكمت صالح) في إهداء ديوانه ، حين وجّهه إلى الصوت المؤمن الحرّ ، الذي يجار بالعبودية ونداء الله بالوحدانية ، ممثلا ذلك في شخص الصحابيّ الجليل بلال - رضي الله عنه - ؛ ذلك لأنه - رضي الله عنه -

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه (ص ١٠٧-١٠٨) .

"يسكن فينا جميعا ، يتحرك لكي يرفع صوته النديّ المؤمن ، المحرّر ، عند كل نداء ،  
قبالة ألف من محاولات الرّدّة التي تفتك بالإنسان ، تريده أن يرجع إلى عصور  
الاستعباد والمهانة والاحتقار .. أن يتجاوز موقع (الكرامة) و(التفرد) الذي أراده له  
الله ، فيكون اللّون ، من بين عشرات من عوامل الشّدّة الأخرى ، عاملا لشرط  
البشرية نصفين ، وتقسيمها إلى فوق ودون .. إنها قضيتنا إذن ، قضية أدبنا الإيماني  
الواقف إلى جانب الإنسان ، بمواجهة كل محاولات الغش والتدليس والزيف التي تجد  
في لون القشرة مبرّرا وطريقا للمرور إلى أهدافها المضادة للإنسان"<sup>(١)</sup> .

وإزاء هذا كلّه يستشهد (عماد الدين) بعمل أدبيّ خدم هذه القضية - مع  
اختلاف الأسلوب الأدائيّ .. إنه (الجدور) للكاتب الأديب (اليكس هيلي) حين  
استطاع أن يشدّ الأبصار نحو عمله رغم اقترابه من (السيرة الذاتية) !  
وحين تقوم المقارنة نجد أن عمله قد خرج بصورة "بعيدة إلى حدّ ما عن  
دائرة الإبداع المؤثر الجميل"<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد (عماد الدين خليل) - في المسار ذاته - أن الإسلام سبق (الماركسيّة)  
التي طرحت شيئا ما في هذه المضمار ، وسبق الأطروحات العرقية والوطنية الأخرى  
بصوته الواضح النقيّ ، الطاهر الممتدّ ، العميق الأصيل ، الذي يصعق هؤلاء المدّعين  
حين يبيّن انعدام العبث في ساحته ؛ حيث يأمن الإنسان في ظلّ الإسلام وكنفه .  
وفي أهمية هذا الصوت ، ووجوب وصوله ، يقول (عماد الدين) :

"فمن أجل التحقق بالتوازي المطلوب بين أدبنا الإسلامي وقضايانا الملحة ،  
ومن أجل الإعلان عن هذه الحقائق "الموضوعية" كافة ، كان لابد من صدور ديوان  
كهذا يتحدّث ، في دائرة الرؤية الإسلامية ، عن السّود ، يحكي عن أوجاعهم ،  
يبيّن همومهم وأحزانهم ، ويعدّهم بالغد المرتجى حيث لاتستطيع قوة في الأرض إلا  
هذا الدين ، ولايقدر كائنٌ مَنْ كان إلا الله وحده ، على الاستجابة لأشواقهم  
وإعادتهم - بحق - إلى مواقعهم الصحيحة في خارطة العالم ، حيث يجد المرء نفسه

(١) المرجع السابق (ص ١٠٨) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

مضطرباً لأن يتذكر كيف أنهم في ظلّ الإسلام ، وربما لأول مرة ، أقاموا دولاً وحضارات دفعت بإفريقيا خطوات واسعة إلى الأمام"<sup>(١)</sup> .

وينقل في هذا واقعة من مذكرات (أديب أسود) هو الروائي الأمريكي (ريتشارد رايت) ، تكشف زيف الشيوعية وعجزها في تجاوز عقدة التفريق بين الأبيض والأسود ، حين يذكر (رايت) أنه في ربيع عام (١٩٣٥م) أخذ يُعدُّ شأنه لمؤتمر الكتاب الأمريكيين اليساريين ، فسافر إلى (نيويورك) برفقة بعض المندوبين ، وحين وصلوا في المساء سجّلت الأسماء لإعداد الجلسات وترتيبها ، ثم أخذ يعدّ نفسه للنوم والراحة ، ولكن!

سأل عن معدات النوم وأماكنه ، فاختلط الأمر على أعضاء نادي (جون ريد) وهم شيوعيون (بيض!!) ، يقول (رايت) :

"أنا الشيوعي الزنجي الأسود ، لقد كنت خلال رحلتي قد نسيت أنني أسود والآن وأنا أرى رفيقا أبيض يتحدث بعصبية إلى آخر عن لون جلدي بدأت أشعر بالاشمئزاز"<sup>(٢)</sup> .

وبعد السؤال والانتظار ، وبَحْث أحدهم عن (مكان مناسب!!) جاءه صاحبه "الشيوعي الأبيض زائغ النظرات يغطيه العرق ، فقلت له : لعلك وجدت شيئاً؟ فأجاب وهو يلهث : لا ، ما وجدت شيئاً بعد ، ولكن انتظر لحظة فسوف أتحدّث إلى شخص أعرفه . قلت : لاتزعج نفسك . سوف أجد لي مكاناً . فقال بلهفة لم يفلح في إخفائها : أعتقد حقاً أنك تستطيع أن تجد مكاناً؟"<sup>(٣)</sup>

ثم سار الرجل بدهشة!! وهو يحمل جلده الأسود ولا يكاد يحمل نقوداً!! ثم تساءل قائلاً :

"إن المشكلة التي بدت لي على جانب من الأهمية هي : هل يستطيع الزنجي في هذا البلد أن يحيا حياة قريية من حياة البشر؟"<sup>(٤)</sup> ، هكذا!!

(١) المرجع السابق (ص ١٠٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص ١١٠) .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

وهي حقاً صورة متباينة ، بين رجلين أسودين ، أحدهما تمتع بحلاوة المساواة في ظلّ الإسلام ، والآخر ظلّ في حزب الشيوعيين فضلاً ونسي واحتقر بين بني ديانته وتوجّهه !

وفي ديوان حكمت صالح يوقفنا (عماد الدين) - عبر رؤيته المتميّزة - عند مايسميه "الإدانة الشعرية للابتزاز الذي مارسه الغربي الأبيض ولايزال للإفريقي الأسود .. لإهدار قيمة الإنسان في الإنسان نفسه .. للاستلاب الذي يبني ناطحة سحاب من جماجم الملونين .. يقيم مزارع ومصانع ومؤسسات ومدناً من آلامهم وأوجاعهم" (١) .

ومن مقطوعات (حكمت صالح) في هذا قوله :

بَاعُوا الْإِنْسَانَ بِمَشْرُوبَاتِ رُوحِيَّةٍ  
بَزْجَاجَاتِ نَبِيذٍ وَبِجُرْعَةِ خَمَرٍ  
بَاعُوهُ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَاتٍ

\* \* \*

قَدْ يُقْلَعُ بَعْدَ قَلِيلٍ  
تُجَارُ الْبَحْرُ  
وَيَرَفُ شِرَاعُ  
لَكِنْ أَيْنَ سَتَنْغَرُ الشَّوْكَةُ؟  
فِي تُرْبَةٍ مِنْ مَنْ مُلَّاكِ الْإِقْطَاعِ؟  
أَمْزِرْعَةِ إِسْبَانِيَّةٍ  
أَمْ فِي حَقْلٍ فِي جُزُرِ الْهِنْدِ الْغَرِبِيَّةِ؟

\* \* \*

الْأَيْدِي الْمَشْدُودَةُ بِالْعَصَبِ الصُّلْبِ  
تُنْجِبُ مَوْلُودَ حَضَارَاتِ الْغَرْبِ  
وَعَلَى أَنْقَاضِ شَوَاطِي "سِيرَالْيُون"

(١) المرجع السابق (ص ١١٠-١١١) .

وَعَلَى الْأَكْتافِ الزَّنْجِيَّةُ  
 شَمَخَتْ نَاطِحَةُ السُّحْبِ الأُورُوبِيَّةُ  
 وَمَحَطَّاتُ فِضَاءِ أَمْرِيكِيَّةٍ ... (١)  
 وينقل عنه قوله في قصيدة أخرى :  
 دَمٌّ نَازِفٌ بِقَنَانِي النَّبِيذِ  
 مَعَ الْأَمْنَعَةِ  
 تُصَدِّرُهُ سَفُنُ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ  
 إِلَى الْمَدُنِ الْقَابِعَةِ  
 عَلَى وَحْشَةِ الْأَرْحَمِيلِ ... (٢)  
 وفي ثالثة من روائعه يقول :  
 تَأْفَرَقْتُ عَيْنَانِ صَارَتَا هُنَا  
 لَافِتَةً زَرْقَاءُ  
 يَقْرَأُهَا الصَّبَاحُ وَالْمَسَاءُ  
 (يُسَمِّحُ لِلْبَيْضِ ، وَلِلْبَيْضِ فَقَطُ  
 تَنْسُمُ الْهَوَاءُ)  
 تُشَرِّعُ الْأَبْوَابَ لِلسَّيِّدَةِ الْغَرِيبَةِ  
 تَسْحَبُ حَبْلَ فِضَّةٍ  
 بِطَوْقِهِ كَلْبٌ مِنَ الْكِلابِ  
 وَنَحْنُ يُؤْصِدُونَ فِي وُجُوهِنَا  
 مَدَاخِلَ الْأَبْوَابِ (٣)

ومما يلحظه عماد الدين في هذا الديوان الشعري ، أن شهادة الشعر تتضامن مع شهادة التاريخ في ردّ شبهة خطيرة ، يتهم فيها الإسلام بتردي ثوب ملطخ بالدم في إفريقيا .

- 
- (١) المرجع السابق (ص ١١١) .  
 (٢) المرجع نفسه (ص ١١١) .  
 (٣) المرجع نفسه (ص ١١٢) .

فتجئ هذه الشهادة الشعرية المثبتة "لكي تمارس هي الأخرى دورها في  
التكشف .. في إعادة الأمر إلى نصابه الحق .. فما دام أن الموقف يتضمن في نسيجه  
بعداً مأساوياً ، فإن للقصيدة الحق كله في أن ترفع صوتها محتجة هي الأخرى" (١) .  
وفي هذا يصور (حكمت) وحشية وتسليط الغرب ، فيقول :

مِنْ أْبْشَعَ مَفْهُومٍ لِلْوَحْشِيَّةِ  
مِنْ كَهْفِ كَوَالِيسِ الْبَشَرِيَّةِ  
تَنْطَلِقُ الْأَسْهُمُ عَبْرَ مَهَبِّ رِيَاخٍ  
يَنْطَلِقُ الْأُورُوبِيُّ الْمَلَاخُ  
يَتَحَشَّمُ بَحْرَ الظُّلُمَاتِ  
فِي عَهْدِ الرِّقِّ  
لِيَسْتَعْبِدَ آلاَفَ الْأَطْفَالِ الْأَفْرِيقِيِّينَ  
\* \* \*

الأوروبي .. الأمريكي .. الأبيض  
والوسطاء المأجورون  
يَقْتَنَصُونَ بِكَلْبِ الصَّيْدِ الْمَشْدُودِ إِلَى الْعَرَبَاتِ  
طِفْلاً .. شَابَاً .. رَجُلًا مَقْتُولَ الْعَضَلَاتِ  
عَادُوا بِالْأَسْرَى لِلشَّاطِئِ  
وَالشَّمْسُ تُلْفُ عَلَى الْأُفُقِ  
خُيُوطَ الْحَسَرَاتِ (٢)

ويسطر (عماد الدين) شهادته للشاعر بالبراعة والتفوق ، حين يظهر بجلاء  
صدقه الفني رغم المسافات الزمانية والمكانية بينه وبين إفريقيًا ؛ لأن الشاعر - كما  
يقول (عماد الدين) - "استطاع - بمهارة - أن يوظف أدواته الفنية وخبرته ، لتحقيق  
هذا الهدف الصعب : الكلمة ، التعبير ، الصورة ، المفردات ذات النكهة

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه (ص ١١٢-١١٣) .



المحلية ، الأفكار المتأقلمة ، الاستشهادات الإفريقية في مطالع القصائد ، الجغرافيا ، التاريخ ، والموسيقى" (١) .

ومما يُظهر به (عماد الدين) ذلك ما كان يستعمله الشاعر من مصطلحات إفريقية جاءت من عمق إفريقيا تحمل صورتها ، وتحسّ طعمها : (سفن العاج والأبنوس) ، و(حفل العرس) ، و(قرع الطبل بأعراس الخميّة) ، و(أبواق الجاز) ، و(نخيل الجوز والموز وعنقود الكاكا والهش) ، و(بالعرق المتصبّب من قسّمات الوجه الأسمر والأذرة الفولاذية) ، و(تقبع تحت الأحراش مداخن كانو) ، و(ظلال الصّمع المطّاط والقطن) وغيرها من التصويرات (٢) .

ومما وقف معه الاستشهاد بالجرس الإيقاعي الإفريقي المتميّز ، الذي يختلف من حال إلى حال ، ومن قصيدة إلى أخرى .

وهذه الإيقاعات "تخفت ضرباتها في بعض المقاطع حتى لتكاد تغيب ثم مايلبث شلالها الصوتي أن يعلو على حين غفلة ، ويعلو حتى ليوشك أن يصكّ الأسماع" (٣) .

ومن القصائد التي تغرس هذا الأمر ، وتصور هذه القدرة الفائقة ، والمعاشة الظاهرة ، قوله :

مَثْنَى ..

مَثْنَى ..

وَسَطَ الدَّارُ

دُو .. رُوَا

دُو .. رُوَا

آ.. آ

آ.. آ

مَأْرُوَعُهُ مِنْ دَوْرَانِ!

(١) المرجع السابق (ص ١١٤-١١٥) .

(٢) انظر في هذا المرجع نفسه (ص ١١٥) .

(٣) نفسه .

الموجة تستوعبها الموجة

الموجة تستوعبها الموجة

تَكْبُرُ

تَكْبُرُ

تَكْبُرُ

تَكْبُرُ

في البحر السحري الأخضر

بحر العطر

المسك

العنبر

\* \* \*

يتناثر إيقاع (الرومبا)

فيرف جناح الوجدان

تتصارخ ترنيمات ألوان

تتكهرب أعصاب

عروق الشبان

إيقاعات موسقها عصر الرفض

وقع الكفين يمزق جلد الأرض

تتمطى أنغام الجاز الثورية

أعشق

أعشق

أعشق

جسد الزمن العاري

مسكونا بتشنج إعصار ناري

رصعه وشم الحرية

\* \* \*

دُو .. رُوَا

دُو .. رُوَا

يَاشَبَّانُ

آ .. هِ

آ .. هِ

مَا أَطْيَبَ هَذَا الدَّوْرَانِ! <sup>(١)</sup>

ويُبرز عماد الدين مقدرة الشاعر - في ديوانه عامة - وفي هذه القصيدة خاصة على منح القارئ والسماع (مناخ) إفريقيا ، بالحرارة المتوقدة ، والزخات العنيفة ، والعنفوان الصّاحب الطبعي ، والصّرخات الفطريّة الحادّة ، وإيقاعه المنبعث من ألوف الطبول التي يضرب عليها الإفريقيّ ، وتشاركه في ذلك الجبال والوديان ، والوحوش في صراخها ، والأنهار والشلالات في هديرها .

و"لقد أحسن صاحبنا استخدام المفردات خصوصية الطابع ، ورسم الصور بعناية ، وعرف كيف يفيد من إمكانات البحور العربية فاختار منها ، في كثير من الأحيان ، تلك التي تستجيب للإيقاع الإفريقي فتتوافق معه وتعينه على أن يتكشف أكثر ، وأن يتلبس في الوقت نفسه بالمزيد من الأحاسيس والأفكار ، هنالك حيث يحكي ، بلغته الخاصة ، كيف يتألم الإفريقي الأسود ، كيف ينتزع ، بدون رحمة ، من بيئته ووطنه ، وكيف يتغرب .. يحكي لنا أيضا كيف يجب هذا الإفريقي ويعشق وكيف يلتاع" ، وهكذا يحملنا عماد الدين لنحلّق صوب هذا العمل المتألق عبر هذه الحلقات من عرض حقيقة مشاركة الأدب الإسلاميّ لمجتمعه وهمومه وذلك باستصحاب المقدرة الفنيّة المتميّزة ، والنفس الشعريّ <sup>(٢)</sup> ، والأداء المتوازن ، الذي يعيش فيه المتلقّي عن قرب ، بجوّه وظلاله .

(١) المرجع السابق (ص ١١٥-١١٧) .

(٢) في أهمية هذا الاستصحاب ، انظر : قراءة الشعر ، د. محمود الربيعي (ص ١١٩-١٢٣) ، وفي

الشعر المعاصر ، د. أحمد ماهر البقري (ص ٨-٩) .

## رابعاً : في (القصة) : من خلال نموذج من نقده .

كثير من قصص الأدب الإسلامي حبيسُ الصَّمْتِ المطبق ، الذي يفرضه نقادٌ بعدوا عن تحسُّس مواطن التميّز والإبداع في هذه النصوص ، فمرّ عليها الزمن بستارة من حديد ، حجبتها عن أعين الناس ومشاعرهم! نرى "عشرات من النصوص الإبداعية يقتلها الصمت ، وعشرات أخرى لا تجد فرصتها إلا في أبواب "كتب صدرت حديثاً" على الصفحات الأخيرة من الصحف والمجلات .

وأدباؤنا الإسلاميون تستغرقهم الهموم "الأكاديمية" حيناً ، وتحقيق المخطوطات العتيقة حيناً آخر .. والكسل العقليّ يهيمن على الكثيرين منهم ، فلا يجدون ما يحفزهم لأن يبذلوا جهداً إضافياً لإضاءة الطريق بقوة النقد ، وآلياته ، أمام المبدعين الإسلاميين الذين مايلبثون أن يجدوا أنفسهم محاصرين بالصمت فينطفئون!"<sup>(١)</sup>

ولهذا نذر (عماد الدين) وقته ونفسه لتجلية هذه الصُّور ، وتبني هؤلاء المبدعين عبر تأشيراته على نصوصهم ، وإبرازه مواطن الإبداع ، ووقفاته في جوانب عديدة هنا أو هناك أو هنالك<sup>(٢)</sup> .

ونشارك (عماد الدين) في مرفأ من نقده قصصاً للأديب (محمود مفلح)<sup>(٣)</sup> ،

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ١٧١) .

(٢) وفي نقد القصة نجد مواطن عديدة له في أمثال كتبه :

\* في النقد التطبيقي .

\* حول استراتيجية الأدب الإسلامي .

\* محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، وغيرها - الباحث - .

(٣) هو الأستاذ محمود مفلح ، ولد في سبخ بفلسطين عام ١٩٤٣م ، ونزح بعد حين إلى سوريا

ودرس فيها حتى نال الإجازة (الليسانس) من جامعة دمشق عام ١٩٦٧م في اللغة العربية ، ثم

سافر إلى المغرب ثم انتقل موجهاً تربوياً لمادة اللغة العربية بالسعودية ، وقد بدأ النشر أواسط

الستينيات ، له سبعة دواوين مطبوعة منها : (المرايا) و(الراية) و(حكاية الشال الفلسطيني)

و(شموخا أيتها المآذن) و(إنها الصحوة) ، وله مجموعات قصصية هي : (المرفأ) و(القارب)

و(إنهم لا يطرقون الأبواب) . =

مما يمثل صورة من معرض صور مشاركة (الأدب الإسلامي) في ساحة العطاء الأدبية بتميز (مفلح) في جانبيين من جوانب الإبداع هما الشعر<sup>(١)</sup> والقصة . ويتساءل (عماد الدين) عن سرّ انقطاع (مفلح) عن القصة حيناً ، ثم معاودته الكتابة فيها؟! وكأنه يشير إلى رغبة مكنونة في صدره .. أن يلتزم "التعبير من خلال هذا الأسلوب .. ترى .. هل سيكفّ عن كتابة الشعر ، ويتفرغ للقصة القصيرة كلية؟"<sup>(٢)</sup>

والإبداع في مجال القصة ليس متاحاً بدرجة كافية لكل قاصّ ، بل هي من أشدّ الأشكال الأدبية تعقيداً وعسراً ؛ "لأنها تتطلب جهداً فائقاً في العثور على اللحظة الفنية المناسبة .. على الحدث أو الموقف .. وضغطها في أضيق حيز ممكن بما فيها من أحداث ، وشخوص ، وخلفيات"<sup>(٣)</sup> . ويؤكد (عماد الدين) أن النظر إلى العمل القصصي - مجموعة متكاملة - يحتاج إلى تتبع الخيوط العامة والخاصة ، والوحدة والتنوع .

= انظر : من الشعر الإسلامي الحديث ، إصدار رابطة الأدب الإسلامي (ص ٢٢٨) ، وإنها الصحوة ، محمود مفلح (ص ١١٩) ، أناشيد الدعوة الإسلامية ، اختيار حسني جرّار وأحمد الجذع (ص ١٧) .  
(١) له شعر رائع ، منه قوله :

قَدْ أَصَابَ النَّسْرَ الَّذِي قَدْ أَصَابَهُ      فَدَعَ الْيَأْسَ مَرَّةً وَالْكَأَبَةَ  
لَا تُفَجِّرُهُ فِي النَّسْرِ شَوْقُ الْأَعَالِي      فَلَقَدْ تَقَتَّلُ النَّسُورَ الصَّبَابَةَ  
لَا تُلْمُهُ فَالنَّوْمُ أَثْقَلَ جَفْنَيْهِ      وَأَرْخَى عَلَى الْمُنَى أَهْدَابَهُ  
دَعَاهُ فِي سَكْرَةِ الْحَنِينِ فَإِنِّي      أَتَقَرَّى فِي مُقْلَتَيْهِ الصَّلَابَةَ

انظر : نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني ، محمود مفلح (ص ١٢٨) ، وقد وصف د. عماد الدين خليل قصائده بأنها تبلغ حدّاً من الإبداع لا يسع المرء إزاءها إلا الإعجاب . انظر : محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢٦٧) .  
(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .  
(٣) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص ٧٤)

"وإذا كان العثور على الخاصّ المتنوّع سهلا ، لأن تجربة القصّة القصيرة هي في جوهرها إبداع بهذا الاتجاه .. فإنّ وضع اليد على الخطّ الشامل الذي يمتدّ إلى المجموعة كلّها .. الخيط الذي يسلك حباتها في نسق معين .. يغدو أمرا صعبا"<sup>(١)</sup> . ويخصّص ويكتف هذه الصعوبة ودرجتها حين تكون البدايات .. والبحث فيها .. حيث مرحلة (الاختباريّة) والبحث عن صيغ فنيّة مقنعة دائمة ، واضحة متماسكة .. ومن القضايا المهمّة في هذا الباب : "أن يواصل الكاتب الطريق .. أن يقطعه حتى نهاية الشوط ، متحققا أكثر فأكثر - وبحكم قوانين تراكم الخبرة ، وإنضاج الزمن - بمطالب عمله الإبداعي وشرطه على مستويي الشكل والمضمون . ولن يكون هذا إلا بقدر من الطموح يأخذ بتلايب الأديب .. بوعده يقطعه على نفسه أن يواصل المسير"<sup>(٢)</sup> .

ويؤشّر على المضامين المتوحّدة عند (مفلح) .. تلك التي تصدر عن توجّهه الإيمانّي ، ودفعه الشعوريّ الأصيل ، حيث القيم والمضامين الملتزمة<sup>(٣)</sup> ، التي ألبسها لبوسا حسنا ، ومنحها طعما خاصّا ؛ إذ "يسوق حركة البناء الفني بحيث تخدم الهدف فلا تشدّ ولا تنحرف ، وإنما تصبّ كلماته وتعايره في المجرى العام ، المتوحّد الذي يشق طريقه نحو المصبّ حيث تتمزّق البراقع ، وتتكشّف المصائر ، وتبني القيم والمبادئ التي تتجاوز حدود الزمان والمكان"<sup>(٤)</sup> .

وتكون انطلاقة (مفلح) بالأسلوب العربي المتين في قصصه ، بالبيان والوضوح والجزالة والقوّة التعبيريّة ، مع استدراك لاستعماله (الألفاظ العاميّة) التي تتخلّل حوارها هنا وهناك .

(١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢٧٩) .

(٢) في النقد التطبيقي (ص ٦٦) .

(٣) وهذه المضامين تبرز من خلال العرض المتميز لها عبر دائرة القصة الإسلامية .

انظر في أهمية ذلك : خصائص القصة الإسلامية ، د. مأمون فريز جرّار (ص ٢١٦-٢١٨) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢٦٩) .

ويؤشّر هنا عماد الدين ، بأن فصحانا أولى بالاستعمال والتحريك ؛ لأنها  
"فصحانا الجميلة الشاعرة التي يتذوقها العالم والمثقف ، ويهتز لها العامل  
والفلاح" (١).

ويقف مع تميّز (مفلح) في الشعر ، وأثر ذلك في قصصه ، حين يستعرض  
قوله :

"كان .. مايزال قويّا بيدّد ماتراكم من الظلام في أعماقه ويفرشها بأشعة  
خضراء ، فنكص على عقبه وهو يطارد شبح الجريمة من مكان إلى مكان بانتظار  
شمس الصباح" (٢).

فيقف مع (فرش الأعماق بأشعة خضراء)!

ويراها صورة شعريّة متميّزة مؤثّرة ، ورؤية شعريّة "تمتد حتى لتجعل البطل  
- الإنسان - يندمج في قلب الطبيعة ، ويدوب في كينونة العالم ، سنبله في حقله ،  
وقطرة من ينبوعه .

إن قدرات القاصّ الشعريّة هي ولاريب المعين الذي يمنحه القدرة على شحن  
قصصه وتكوينها بهذه التعابير التي تخرجها من إطار واقعيّتها الباهظة الصرفة إلى  
سماوات الشفافية والذوبان والصفاء" (٣).

فهي - في نظره - فرشاة تضرب هنا وهناك لتمنح صورة ملوّنة أو دفقا شعريّا  
، ومن ذلك قول (مفلح) - كما ينقل عنه - :

"كانت الشمس زورقا أصفر صغيرا ينساب قليلا قليلا في الأفق الغربي ..  
بعد قليل سيطوي شراعه ويغيب" (٤).

ويلاحظ شيئا من ذلك في قصّة (مرآة الضمير) التي تعتمد ضمير المتكلم ،  
وتصوّر الحدث تصويرا ساخرا ، ينقم من تضييع الأمانة (٥).

(١) المرجع السابق (ص ٢٧١) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٦٩-٢٧٠) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٧٠) .

(٤) المرجع نفسه (ص ٢٧١) .

(٥) انظر في ذلك : المرجع نفسه (ص ٢٧١-٢٧٢) .

ومن هذا التصوير الفني المتميّز ، ما يجده عماد الدين في (المرفأ) .. حيث يتفنن (محمود مفلح) في عمل هو أمتن حبكة وأعمق تأثيرا وأكثر نضجا ، حين يصور أحداث قصّة شاب ينتقل من القرية إلى المدينة لإكمال المرحلة الجامعية ، ويخاف أهله على تأثره بعد نقائه في القرية ، وهو نفسه يخشى ذلك كله ، وفي هذا يقول عماد الدين :

"قصّة مألوفة ، أليس كذلك؟

لكن ما يمنحها الجدة والخصوصية تلك الصور والتعبير التي تلامس تجربة البطل من الداخل وتمنحنا رؤياه .. تجربة كل أولئك الذين غادروا قراهم البريئة إلى المدينة حيث يتوجب الصراع (وهذا ما يعطي القصة توترا أكثر) .. ورؤية كل الذين تأرجحوا طويلا قبل أن يقرروا الصمود للمحنة أو الانجراف مع التيار"<sup>(١)</sup> .

ومما يستشهد به من ريشة (مفلح) التصويرية على ذلك ، قوله عن هذا الشاب وما حكاها على لسانه في (المرفأ) :

"أنا سمكة صغيرة قادمة من نهر ريفي ، عصفور خجول طار عن شجرة قروية ليحط فوق هذه الأتون"<sup>(٢)</sup> .

وتمضي هذه الريشة في تصوير مأساة الحضارة المعاصرة ، بالآلية العملاقة والروح القزم ، من خلال رمز مكثف ينقله عماد الدين عن (مرفأ مفلح) حين يصور وجوه الناس - في نظر البطل - وكأنها قروش ممسوحة ، تمنح ذهباً ، لكنها لا تهب تعبيرا ، وتغدو المدينة ليست إلا أرجلا تسرع وصدورا تعبر ، وكأن أصوات الباعة في هذه القطعة من الأرض أبواق سيّارات ، ولعلّ حناجرهم صنعت من النحاس!!

ويجد مفلح في (المثدنة) رمزا يوحى بالأمان في هذه المدينة التائهة يستظلّ بظلّه هذا الشاب ، و"يختاره القاصّ من بين ملايين الرموز لكي يوقفنا أمامها وهي تمتدّ عالية شامخة ، متحدية الخوف والمادية والتفكّك والهبوط"<sup>(٣)</sup> .

(١) المرجع السابق (ص ٢٧٤-٢٧٥) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٧٥) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٧٦) .



فوجد (مفلح) في هذه المئذنة شموخا وتأثيرا ، فذكر حال هذا الشاب وهو يمدّ بصره عبر نافذة الزجاج ليراها "شائخة شاهقة ، مغسولة بوهج المساء ، تعكس أحزمة من الذهب اللامع ، ثمة أعداد من السنونو تحوم فوقها شائخة مجنحة ، غاطسة ... ابتسم وهو يردّد : ماأروعك وأنت تشمخين هكذا فوق العمارات وسكانها وفوق الضحيج والصفير ، فوق الأرضفة والراكضين عليها ، وفوق الجدران وماتحملة .. في هذه اللحظة تماما انفتحت كوة في جسم المئذنة وانطلقت منها خيول جامحة فوقها رايات خضراء ، الخيول تسرع في كل اتجاه ، الرايات مغروسة في أطراف الأرض وحول الرايات تتدفق الينابيع ، وتسمو الأشجار ذات الثمار الثقيلة الناضجة"<sup>(١)</sup> .

وهذا مايسمّيه عماد الدين (تيار الوعي والتداعي) ، وهو مايراه مفقودا في بعض قصص مفلح الأخرى .

وهذا (التداعي)<sup>(٢)</sup> تجمع فيه الصور الماضية ، والأفكار المتخيّلة ، حين يجدّ الأديب ، و"يخترق - بين الحين والحين - جدار المنظور ويتجاوز مسلمات المكان والزمان ... تندمج في الصورة الواحدة والموقف الواحد واللحظة الواحدة أحداث وتجارب وصور ومواقف تخلقت في أزمان وأماكن شتى ... يعرضها علينا وقد تكسّرت فيها عقارب الساعة ومقياس الكيلومترات ... يصوغها بأبعادها الجديدة غير أبعادها المألوفة طولا وعرضا وارتفاعا .. بعبارة أخرى أن يجردها من هذه الأبعاد .. أن يقوم بتعريضها وصولا إلى البعد الأهم والأخطر .. البعد الرابع الذي لايلمس ولايرى إلا بالعين الأخرى : عين الفنان ، وعيون أولئك الذين يعرفون كيف يتعاملون مع لغة الفن"<sup>(٣)</sup> .

ويؤكد ذلك بقوله :

- 
- (١) المرجع السابق (ص٢٧٦-٢٧٧) .  
 (٢) يجعله بعضهم بابا من أبواب التذكّر عن طريق القرائن . انظر مثلا : المدخل في علم النفس الحديث ، د. أكرم طاشكندي وآخران (ص٢٩٨-٢٩٩) .  
 (٣) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٧٧) .

"ليس صوت الفن الإسلامي سوى ذلك النداء الشفاف الذي يدعونا للتحرك صوب الآفاق البعيدة مع التركيز البالغ الملتزم المسؤول بكل ماهو واقعي يومي منظور ، إذ كيف يقدر المؤمن على التحرك صوب الآفاق البعيدة إن لم ينطلق أساسا من عالم أفضل ، عالم غير عفن ولا مفكك ولا منحور؟" . وهذا الذي يضفي لديه قيمة هذا التداعي ، حين تجتمع به الأصوات المتنافرة فتخرج وحدة نغمية توافقية تلهب الوجدان .

ويلمح عماد الدين مقدرة مفلح في إجادة (الحبكة) <sup>(١)</sup> مع اقتصاد اللغة وتكثيف الموقف ، حتى لا تفقد القصة قيمتها ، ويرى هذا سببا للاعتناء بهذا الجانب كما هو الآن في المسرح ، "فهو الآخر ، بدون تركيز الموقف واقتصاد الكلمات ، يفقد قدرته التأثيرية وييهت ، فيميل إلى أن يكون (صورة) أكثر منه (صراعا) <sup>(٢)</sup> " . ويرى لزاما على مفلح أن يعتني بالعقدة <sup>(٣)</sup> في عمله بدرجة أكبر ؛ لتظهر بصورة مشوقة تشد الاهتمام ، حين يهندس حركة أبطاله في ممرات محدّدة لكنها أبعد ماتكون عن الت كشف والوضوح الظاهر ، الذي يعرف فيه القارئ ماسيدور بعد قليل <sup>(٤)</sup> .

يقول عماد الدين : "إن العقدة الأكثر إبداعا هي تلك التي تحجب النهايات عن تخميناته مهما كان ذكيا قديرا على التنبؤ ، تلك التي تجعله مبهور الأنفاس لكي

- 
- (١) الحبكة (Plot) تشير إلى مجموعة أحداث متصلة ومتراصة تسير في اتجاه معين وتتلائم مع الشخصية تلازما شديدا ، وبها (يجبك) القاص أحداثه للوصول إلى نتيجته .  
انظر : النقد التطبيقي التحليلي ، د. عدنان خالد عبد الله (ص ٧٦) .
- (٢) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٦٨) ، وتبرز أهمية ذلك في إنشاء الحوار وطريقته في المسرح لأنه يعتمد اعتمادا حيويا لايوصف ، بينما هو في القصة عنصر من عناصرها الحيوية ولكن اعتماده في المسرح أشد ، ولا يعني هذا عدم الاتكاء على غيره ، كما مال إلى ذلك د. عبد العزيز شرف في كتابه : الأسس الفنية للإبداع الأدبي (ص ٢٠٣) .
- (٣) العقدة ، أو (الأزمة) هي اللحظة التي تصل فيها الحبكة إلى أقصى درجات التكثيف والانفعال وهي نقطة التحول في القصة ، وهي بداية التمهيد للحل .  
انظر : المرجع نفسه (ص ٧٧) ، والمنهاج في الأدب العربي وتاريخه ، د. عمر فروخ (٧/١) .
- (٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص ٢٦٨) .

يطلع ، بصبر فارغ ، على الموقف الذي ستحلّ فيه العقدة ، وتتضح المصائر<sup>(١)</sup> .  
وفرض العقدة<sup>(٢)</sup> - كما يرى عماد الدين - يجب أن يكون من أوّل ضربة في  
العمل القصصي القصير حيث "يتوجّب أن تفرض العقدة نفسها على القارئ ،  
وتظلّ جاثمة على وعيه الظاهر والباطن وهو يتابع السطور تلو السطور ، فلا تكفّ  
عنه إلا وقد منحته الجواب .. الجواب الذي يستحسن أن يظلّ بيد الفنان ، يختار  
اللحظة المناسبة لتقديمه .. لا أن يمتلكه القارئ منذ اللحظات الأولى فإذا ما جاء لم  
يهتزّ له ولم يفرح به"<sup>(٣)</sup> .

ويؤكد أنّ مفلحاً قد استطاع في عدد من مشاركاته القصصية بناء مواقف  
الأبطال على العقد الصعبة ، ومنح هذا العدد طعماً خاصاً لذيذاً<sup>(٤)</sup> .

في قصّة (ماجن الليل) يرى (عماد الدين) أن القاصّ اعتمد الحوار الداخلي<sup>(٥)</sup>  
(المنلوج الداخلي) خاصّة في المقاطع الأخيرة من القصّة .

لكنّه يستدرك عليه شيئاً من (المباشرة) يرتطم بها القارئ في المقاطع الأخيرة  
من هذه القصّة ، وهي "المباشرة التي تضعف في العمل الفني تدفقه الذاتي وتخلفه  
الحرّ ، والتي تكاد تختفي في عدد من قصصه الأخرى"<sup>(٦)</sup> .

فالصورة لديه في هذا الجزء الأخير ، تبعد "فتغيب عن العيان المباشر لكي  
تومض من بعيد فتمنحنا نفسها بلغة الفن التي تشفّ عمّا وراءها دون أن تكشف

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) يرى بعض النقاد أهمية إيجاد هذه العقدة ، حتى على مستوى الأشكال الأدبية الأخرى ، ومن  
هؤلاء د. ميّ يوسف خليف ، حيث قدّمت دراسة لعناصر القصّة عبر نتاج شعراء الجاهلية ،  
ومن ذلك العقدة أو (الذروة) في طريقة رصد حركة الأبطال ، وتقريب ذلك من الحسّ  
الدرامي في الأعمال الروائية والمسرحية .

انظر : العناصر القصصية في الشعر الجاهلي ، د. ميّ يوسف خليفة (ص ٩، ١٧٣-٢٠٥) .

(٣) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٦٨) .

(٤) المرجع نفسه (ص ٢٦٨-٢٦٩) .

(٥) ويسميه بعضهم (الحوار الأحادي) . انظر : دراسة نصية أدبية في القصّة القرآنية ، د. سليمان  
الطراونة (ص ١٨٢) .

(٦) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص ٢٧٠) .

عنه النقاب ، فتزيده حضورا وجدانيا وقدرة تأثيرية هما - في نهاية التحليل - قاعدة كل فن<sup>(١)</sup> .

ومن نصّف (عماد الدين) موازنته في نقده ، وفيما سبق إشارات لذلك ، في الحديث عن التوافق والتنافر ، ولكنه يختم ذلك بتأصيل جميل ، يقول فيه - حول هذه المباشرة - :

"ومنّ منا لم يتأرجح بين المباشر وغير المباشر في معطياته الفنيّة؟ منّ يجرؤ على هذا الادّعاء؟ أكثر من هذا .. إن كبار الأدباء والفنانين (الملتزمين) في العالم لم ينجوا بجلدهم من مأساة هذا التأرجح .. إنها في الحقيقة مأساة الإنسان ونسيجه .. فما دام الإنسان فكرا وروحا .. جسدا وعاطفة .. عقلا ووجدانا ، فإنه سيظلّ نهبا لهذه الحركة ذات اليمين وذات الشمال"<sup>(٢)</sup> .

وقوة الدين وعبقريته تكمن في هذا التوازن الذي يوحد هذه الأقطاب وهو مايرجوه متحققا في عالم خاصّ كعالم الأدب والفنّ .

(١) المرجع السابق (ص ٢٧٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٨٠) .

## الخاتمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على رسوله المجتبي ، وعلى آله وصحبه  
ومن اقتفى .

أما بعد :

فالشكر لله أولا وآخرًا على مامنٍ ويسرٍ ، وأعان وتفضل .

ثم إنني أجمل مابسطته فصول هذه الرسالة ومباحثها في النقاط الآتية :

**أولا :** استفتحت الحديث بمقدمة ذكرت فيها حمد الله والثناء عليه بما هو  
أهله ، ثم أهمية هذا البحث وأسباب اختياره ، كما أشرت على الدراسات السابقة  
واختلاف وجهة البحث فيها ..

ثم أجملت المصاعب التي واجهتها خلال مسيرتي هذه ، وطريقة تقسيم  
البحث بابا وفصلا ومبحثا .

ثم كان منهج الدراسة وطريقة الأداء فيها .

ثم ختمت المقدمة بشكر وثناء .

**ثانيا :** وقف "التمهيد" على أهمية دراسة الشخص الأدبية ، وطريقة النقّاد  
في ذلك مع بيان ندرته وقلّته ، ونماذج منه تبين ذلك ، مع ملاحظة صعوبته ودقّته ،  
وملاحظات النقّاد حول مايتعلّق بنرجسيته ، كما أشرنا إلى طريقة الأداء فيه .

**ثالثا :** كان الباب الأول "الشخصية مؤثرات ومعالم" وفيه فصلان ، أولهما  
عن المؤثرات من خلال مظانّها ومصادرها .. كالحياة وحرّكتها ومواقفها ، والوثائق  
والكتابات ، بالإشارة إلى ماكتبه ؛ مما نفيد منه تلمّس هذه المؤثرات .

ثم أشرنا إلى الحوار الذي أجريناه مع الدكتور عماد الدين خليل في الأردن  
(شعبان عام ١٤١٨ هـ) وأثره في وضع النقاط على الحروف ، كما أشرنا إلى  
مصادر أخرى ..

ثم فصلنا الحديث في هذه المؤثرات من التشكّل الاجتماعي وآثاره من خلال  
المنزل .. الأب .. الأم .. العائلة .. الأبناء ، وهكذا .

ثم تناولنا جرعات القراءة وأهميتها في حياته ، وعشقه الشديد لها ؛ ممّا  
جعله يعدّها زادا لا ينضب ، ومعينا لا يُفارق .

ثم ذكرنا أثر التشكّل النفسي وحساسيته تجاه العالم والأشياء مما يكشف له السّتر ، وينير له دروب الإبداع .

ثم كان الحديث عن آثار معلّمة فيه ، والآخرين من زملاء وكتاب كبار أناروا طريقه ومهدوا له .

ثم عشقه للموصل ، بلده الحبيب الذي لا يفارقه ، وما كان في الحياة من مواقف أثّرت فيه تأثيراً بالغاً ، وحفزته لتقديم المزيد من العطاء ، ثم هموم الأمة وآمالها وآلامها .

وأبنا كذلك آثار المرجعية التأصيلية ، وندائه بالمنهجية وأهمية الترتيب ، وكره العبث وملاحظة كيفية الاستمداد من المراجع والثوابت فيما ارتضاه منهجاً له .

أما الفصل الثاني ففيه تقديم لوحة عامة فيها ذكر صفحات عن حياته ونسبه وتعليمه ودرجاته العلمية ومشاركاته ، ومؤلفاته في التاريخ والفكر والإبداع والنقد بدراساته التطبيقية ، ثم الحديث عن صفاته الظاهرة في حياته ومسيرته العلمية من الإنصاف والحركة وحبّ الجديد والنظرة الجماعية والبعد عن المهارات ، وبعد النظر وقيمة الحياة في نفسه وأثر موازنته فيها ، ثم أشرت إلى معلمه في مرآة الآخرين .

ثم كان الباب الثاني وفيه رؤاه النقدية المتميّزة حول قضايا مطروحة في الساحة الأدبية والنقدية وهي :

(١) الأدب الإسلامي ، مصطلحاً وحقيقة ، وتميّزاً ونظرات .

(٢) الالتزام وسماته في الأدب الإسلامي .

(٣) الحداثة وحقيقتها والفروق بينها وبين التحديث .

(٤) المذاهب الأدبية وكيفية التوازن بين الأخذ والترك .

ثم كان الفصل الثاني منه تطبيقاً لهذه الرؤى من خلال النصوص التي أشّر عليها عماد الدين في الرواية والمسرح والشعر والقصة ، وألحقت ذلك بخاتمة وذكر للمراجع والفهارس .

وما كان من توفيق فمن الله ، هو نعم المولى ونعم النصير .

والحمد لله أولاً وآخراً .

## فهرس المراجع

### \* القرآن الكريم

- (١) ابن تيمية وإسلامية المعرفة ، طه جابر العلواني ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- (٢) ابن الرومي ملامح وأبعاد ، د. علي شلق ، الشركة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٣) ابن شهيد الأندلسي أدبيا وناقدا ، محمد سعيد محمد ، منشورات جامعة سبها ، ليبيا ١٩٨٨م .
- (٤) ابن طباطبا الناقد ، د. محمد عبد الرحمن الربيع ، إصدار النادي الأدبي بالرياض ، السعودية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- (٥) أبو تمام الطائي : حياته وحياة شعره ، د. نجيب البهيقي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٦) أبو حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقى الدين السيد ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٧) أبو الفرج الأصبهاني ، شفيق جبري ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- (٨) اتجاهات الأدب العربي ، محمود تيمور ، كتبة الآداب ومطبعتها ، مصر ، ١٩٧٠م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٩) الاتجاهات الأدبية الحديثة ، ر.م. ألبيريس ، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٣م .
- (١٠) الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة ، د. نزار أباطة ، دار الفكر ، سورية ، دمشق ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- (١١) الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد ، الجامعة الأردنية ، الأردن ١٩٩٤م .
- (١٢) اتجاهات الرواية العربية ، د. شفيق السيد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٩٩٦م .

- (١٣) اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، د. عبد الله الحامد ،  
العلي الحامد ، مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر ، الرياض ، السعودية ،  
الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (١٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، محمد محمد حسين ، دار الرسالة ،  
مكة المكرمة ، السعودية ، التاسعة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- (١٥) أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي ، د. يوسف عز الدين ، دار  
الصافي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- (١٦) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي ، مكتبة  
المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- (١٧) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، د. مصطفى عبد الواحد ، دار الإصلاح ،  
الدمام ، السعودية ، الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- (١٨) أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر ، د. ربيع محمد علي  
عبد الخالق ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، ١٩٨٩م ، بدون  
ذكر الطبعة .
- (١٩) أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم ، تسعدت آيت حمودي ،  
دار الحداثة ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- (٢٠) أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية ، د. محبة حاج معتوق ، دار  
الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م .
- (٢١) أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، د. سعدي ضناوي ، دار الفكر اللبناني  
بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٣م .
- (٢٢) أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي ، مصطفى عبده ، دار الإشراق ،  
بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- (٢٣) أثر القرآن الكريم والحديث في شعر أبي العتاهية ، محمد بن علي الهرفي ،  
دار الإصلاح ، الدمام ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨١م .
- (٢٤) أجيال ضد الماركسية ، علاء الدين وحيد ، دار الأصالة ، الرياض ،  
السعودية ، الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- (٢٥) أحاديث في الأدب ، رشيد الزواوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،  
١٩٨٦م ، بدون ذكر الطبعة .



- (٢٦) أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة ، د. محمد الهادي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٨٩م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٧) الأدب الإسلامي أصوله وسماته ، محمد حسن بريغش ، الرسالة ، بيروت لبنان ، الثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- (٢٨) الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، د. عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- (٢٩) الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د. علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- (٣٠) الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، د. علي علي صبح ، د. عبد العزيز شرف ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
- (٣١) الأدب الإسلامي ضرورة ، د. أحمد محمد علي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- (٣٢) الأدب الإسلامي عبر العصور ، أ.د. محمد بن سعد بن حسين ، دار عبد العزيز آل حسين ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ .
- (٣٣) الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية ، جراهام بيلي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٨م .
- (٣٤) الأدب الإسلامي قضية وبناء ، د. سعد أبو الرضا ، عالم المعرفة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- (٣٥) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، محمد الرابع الحسني الندوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (٣٦) الأدب الإيطالي ، بول أريغي ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨م .
- (٣٧) أدب البحر ، أحمد محمد عطية ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨١م .

- (٣٨) أدب الدنيا والدين ، الماوردي ، دار الريان للتراث ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
- (٣٩) أدب الصحوة الإسلامية ، واضح رشيد الحسني الندوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- (٤٠) الأدب العربي الحديث ، د. محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .
- (٤١) الأدب العربي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- (٤٢) الأدب العربي بين الحداثة والمعاصرة ، د. علي أحمد محمد أحمد العريني ، مكتبة الخريجي ، الرياض ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٤٣) الأدب العربي في المملكة العربية السعودية ، د. يحيى محمود ساعاتي .
- (٤٤) الأدب العربي في المهجر ، د. حسن جاد حسن ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٥) أدب الكاتب ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون ذكر الدار والطبعة والتاريخ .
- (٤٦) الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٦٢م .
- (٤٧) الأدب اليوناني ، فرنان رويبر ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٣م .
- (٤٨) أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ، د. السيد أحمد فرج ، دار الوفاء ، المنصورة ، الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .
- (٤٩) الأدب والأنواع الأدبية ، نخبة من الأساتذة ، ترجمة طاهر حجار ، طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٩٨٥م .
- (٥٠) الأدب وفنونه . دراسة ونقد ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٥١) الأدب وفنونه ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م بدون ذكر الطبعة .
- (٥٢) أديب ، د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، السابعة ١٩٧١م .

- (٥٣) أديسون ، محمد كامل حسن المحامي ، المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٤) آراء في الفكر والفن ، عبد الوهاب علي المؤيد .
- (٥٥) أزمة البلقان في الشعر ، د. عبد الله بن إبراهيم الزهراني ، دار التربية والتراث ، مكة ، السعودية ، الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (٥٦) أساطير اليونان ، د. عماد حاتم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٤ م .
- (٥٧) الأسس الفنية للإبداع الأدبي ، د. عبد العزيز شرف ، دار الجليل ، بيروت الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- (٥٨) الأسطورة ، ك.ك. راثفين ، ترجمة جعفر صادق الخليلي ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨١ م .
- (٥٩) أسلوب جديد في حرب الإسلام ، جمعان بن عايض الزهراني ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، السعودية ، الثانية ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٦٠) إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء ، د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٦١) الإسلام والشعر ، د. إخلاص فخري عمارة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢ م .
- (٦٢) الإسلام والمستقبل ، د. محمد عمارة ، دار الرشاد ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٦٣) الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٦٤) الإسلام والوعي الحضاري ، د. أكرم ضياء العمري ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٦٥) الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٦٦) الإسلام وقضايا الفن المعاصر ، د. ياسين محمد حسن ، دار الألباب ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

- (٦٧) إسلاميات أحمد شوقي ، د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ، الأولى ١٩٨٧ م .
- (٦٨) الإسلامية والقوى المضادة ، د. نجيب الكيلاني ، الرسالة ، بيروت ، لبنان الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٦٩) الإسلامية والمذاهب الأدبية ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٧٠) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٥ م .
- (٧١) الاشتراكية والفن ، ارنست فيشر ، ترجمة أسعد سليم ، بدون .
- (٧٢) إشكالية الأصالة وأخلاقيات المجتمع العربي في الفكر المعاصر ، فتحي بن الطيب خماسي ، دار قتيبة ، الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .
- (٧٣) أشهر المذاهب المسرحية ، دريني خشبة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٧٤) الأصالة الأدبية ، مصطفى السحرطي ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٧٥) أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وحدة الدراسات والبحوث ، الرياض ، السعودية ، الثانية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٧٦) أصول النقد الأدبي ، د. أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، الثامنة ١٩٧٣ م .
- (٧٧) إضاءة النص ، اعتدال عثمان ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨ م .
- (٧٨) أطروحات جمالية ، محمد الجندي ، مكتب الخدمات الطباعية ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٧٩) أطياف الحداثة ، محمد جمال باروت ، دار الصداقة ، حلب ، سورية ، الأولى ١٩٩٦ م .
- (٨٠) الإعصار والمثدنة ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- (٨١) إعلان ، صادر عن مكتب التربية بدول الخليج ، وأقرّ في مؤتمر الدوحة ١٤٠٥/٦/٣ هـ .
- (٨٢) الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الثالثة عشرة ، ١٩٩٨ م .
- (٨٣) الإعلام والتغريب الثقافي ، د. عبد القادر طاش ، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
- (٨٤) أغان وأشعار .. طاغور ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .
- (٨٥) آفاق الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٨٦) أفراح الروح ، سيد قطب ، دار ابن القيم ، الدمام ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٨٧) الالتزام الإسلامي في الشعر ، د. ناصر عبد الرحمن الخنين ، دار الأصالة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٨٨) الالتزام في الشعر العربي ، د. أحمد أبو حاقة ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الأولى ١٩٨٩ م .
- (٨٩) الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- (٩٠) أمة اقرأ .. لاتقرأ ، حسن آل حمادة ، دار الراوي للنشر والتوزيع ، الدمام السعودية ، الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٩١) الأمثال العربية ، دراسة تاريخية تحليلية ، د. عبد المجيد قطامش ، دار الفكر دمشق ، سورية ، الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٩٢) أنا والشعر ، د. شفيق جبري ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، سوريا الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٩٣) أناشيد الدعوة الإسلامية ، اختيار حسني جرّار وأحمد الجدع ، دار الضياء عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٩٤) الانتماء الثقافي ، د. محمد عمارة ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٧ م .

- (٩٥) أنثروبولوجيا الحداثة العربية ، د. محمد حسين دكروب ، إصدار الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ، ليبيا ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢ م .
- (٩٦) الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان الثامنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .
- (٩٧) الإنسان في الأدب الإسلامي ، د. محمد عادل الهاشمي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، السعودية ، ١٤٠٦هـ ، بدون ذكر الطبعة .
- (٩٨) إنها الصحوة ، ديوان شعر ، محمود مفلح ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الثانية ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١ م .
- (٩٩) الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس ، د. شفيق البقاعي ، مؤسسة عز الدين بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .
- (١٠٠) الأيام ، د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الخامسة والستون ١٩٩٢ م .
- (١٠١) الإيجابية في حياة الداعية ، د. عبد الله يوسف الحسن ، دار المنطلق ، دبي الإمارات العربية المتحدة ، الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م .
- (١٠٢) البحث الأدبي (طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره) ، د. شوقي ضيف دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٧٦ م .
- (١٠٣) بحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ترجمة فريد أنطونيوس ، دار عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٦ م .
- (١٠٤) بحوث في النص الأدبي ، د. محمد الهادي الطرابلسي ، الدار العربية للكتاب طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٨ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (١٠٥) بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، العدد الرابع ، إصدار جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م .
- (١٠٦) بحوث ودراسات أدبية ، د. سيد حامد النساج ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٨٧ م .
- (١٠٧) البدائع والطرائف ، جبران خليل جبران ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧ م .
- (١٠٨) البطل المعاصر في الرواية المصرية ، د. أحمد إبراهيم الهواري ، دار المعارف القاهرة ، مصر ١٩٧٩ م .

- (١٠٩) بغداد مشاهدات وذكريات ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- (١١٠) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، د. إبراهيم سلامة ، بدون .
- (١١١) بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، بدون ذكر الطبعة .
- (١١٢) بناء الرواية ، د. سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ١٩٨٤م ، بدون ذكر الطبعة .
- (١١٣) بناء شخصية الطفل المسلم ، محمد عثمان جمال ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
- (١١٤) البنيوية ، جان بياجيه ، ترجمة عارف منيمنة ، بشير أوبري ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٩٨٥م .
- (١١٥) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ، سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية ، الثالثة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- (١١٦) البيئة والإنسان عبر العصور ، إيان ج. سيمونز ، ترجمة السيد محمد عثمان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- (١١٧) بين الأدب والسياسة ، د. تاج السر الحسن ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
- (١١٨) بين الأدب والنقد ، د. محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- (١١٩) بين الأصالة والتغريب ، د. حسين سعد ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- (١٢٠) التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة ، د. عبد الرحيم محمود زلط ، دار اللواء ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- (١٢١) تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، الرابعة والعشرون ، بدون ذكر الدار والتاريخ .
- (١٢٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان الأردن ، الأولى ١٩٩٣م .

- (١٢٣) تجديد الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ .
- (١٢٤) تجديد ذكرى أبي العلاء ، د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، السابعة ١٩٦٨م .
- (١٢٥) تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية ، د. نجيب الكيلاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- (١٢٦) تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل ، محاضرة له ألقى في ٢٣/٨/١٤١٠هـ في نادي المدينة النبوية الأدبي ، دار العلم بجدة ، الأولى ١٤١٦هـ .
- (١٢٧) التحليل النفسي والأدب ، جان بلامان نويل ، تعريب د. عبد الوهاب ترودار منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٦م .
- (١٢٨) تحليل للتاريخ الإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- (١٢٩) تذوق الأدب ، د. محمود ذهني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٩م .
- (١٣٠) تذوق النص الأدبي ، د. رجاء عيد ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- (١٣١) التراث .. واجبنا نحوه ، د. كامل سعفان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٣م .
- (١٣٢) تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة ، كريستي أرنولد بريغس ، ترجمة د. زكي محمد حسن ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٩٨٤م .
- (١٣٣) التراث في شعر رواد الشعر الحديث ، د. أحمد عرفات الضناوي ، مخطوط رسالة دكتوراه في الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، تحت إشراف أ.د. محمود السمرة ، عمان ، الأردن ١٩٩٣م .
- (١٣٤) التراث والحداثة ، مجد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩١م .



- (١٣٥) التراث والمعاصرة ، د. أكرم ضياء العمري ، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الثانية ١٤٠٦ هـ .
- (١٣٦) التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة) ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٧ م .
- (١٣٧) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، د. محمد السيد الزعبلوي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- (١٣٨) الترجمة إلى العربية .. قضايا وآراء ، د. بشير العيسوي ، دار الفكر العربي القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (١٣٩) التصوير البياني ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- (١٤٠) تطور النشر الجزائري الحديث ، د. عبد الله ركيبي ، بدون .
- (١٤١) تعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية ، د. سعد أبو الرضا ، صادرة عن رابطة الأدب الإسلامي ، لكنو ، الهند ، الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- (١٤٢) التفسير الإسلامي للتاريخ ، د. عماد الدين خليل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الخامسة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- (١٤٣) تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير الدمشقي ، دار الحديث ، القاهرة مصر ، الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (١٤٤) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، الإمام عبد الله بن أحمد النسفي ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (١٤٥) التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ١٩٧٧ م .
- (١٤٦) التفكير النقدي عند العرب ، د. عيسى علي العاكوب ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (١٤٧) التفكيرية النظرية والتطبيق ، كريستوفر نورس ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، الثانية ١٩٩٦ م .
- (١٤٨) تقنيات الرواية في النقد العربي المعاصر ، د. أحمد الحسن ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، جامعة حلب ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

- (١٤٩) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا ، الأولى ١٩٩٧ م .
- (١٥٠) تقنية المسرح ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة بهيج شعبان ، دار عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٩٨٥ م .
- (١٥١) التكريم الإلهي للإنسان ، د. محمد الزحيلي ، دار القلم ، دمشق ، سورية الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- (١٥٢) تكوين الخطاب النفسي في النقد العربي القديم ، د. حسن البنداري ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، مصر ١٩٩٢ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (١٥٣) تليس مردود في قضايا حية ، د. صالح بن عبد الله بن حميد ، مكتبة المنارة مكة المكرمة ، السعودية ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (١٥٤) التمثيل والتمثيلية وفن التمثيل ، زكي طليمات ، مطبعة حكومة الكويت الكويت ، بدون تاريخ وطبعة .
- (١٥٥) تنمية القوى الذاتية ، سمير البعلبكي ، دار الأصدقاء ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- (١٥٦) تهافت العلمانية ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، السابعة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (١٥٧) التوازن في التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة ، د. محمد رأفت سعيد ، دار الهداية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (١٥٨) التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (١٥٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، التاسعة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- (١٦٠) الثقافة الأدبية للطالب ، د. علي جواد الطاهر ، دار الرائد العربي ، بيروت الثانية ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (١٦١) جبران خليل جبران ، د. فوزي عطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان الأولى ١٩٨٩ م .
- (١٦٢) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ديوان شعر) ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- (١٦٣) جدلية العقل الأدبي ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، دار ابن حزم ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٥ هـ .
- (١٦٤) جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث ، جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام ، بريطانيا ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (١٦٥) جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر ، يحيى زكريا الأغا ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (١٦٦) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (١٦٧) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٨ م .
- (١٦٨) جهادنا الثقافي .. مواقف .. وإشارات ، جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام ، بريطانيا ، الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- (١٦٩) جوانيات الرموز المستعارة لكبار "أولاد حارتنا" ، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (١٧٠) الجواهري في العيون من أشعاره ، أ. محمد مهدي الجواهري ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سوريا ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (١٧١) جوزف هل ، دراسة الدكتور طه أحمد إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (١٧٢) جولة مع ضياء الدين ابن الأثير ، أحمد محمد عنبر ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٤ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (١٧٣) الحداثة .. أزمة الخطاب الأدبي المعاصر ، د. حلمي بدير ، مؤسسة مضر القاهرة ، مصر ، الأولى ١٩٩٠ م .
- (١٧٤) الحداثة .. مناقشة هادئة لقضايا ساخنة ، د. محمد خضر عريف ، دار القبلة جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (١٧٥) الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد ، د. خليل أبو جهجة دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٥ م .

- (١٧٦) الحداثة في الشعر العربي المعاصر حقيقتها وقضاياها ، د. وليد قصاب ، دار القلم ، دبي ، الإمارات ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- (١٧٧) الحداثة في الشعر المعاصر ، محمد القدوسي ، بيت الحكمة ، القاهرة ، مصر بدون ذكر والتاريخ .
- (١٧٨) الحداثة في ميزان الإسلام ، عوض بن محمد القرني ، هجر للطباعة والنشر الجيزة ، مصر ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- (١٧٩) حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ، د. عبد الحكيم بلبع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، بدون ذكر الطبعة ، ١٩٨٠م .
- (١٨٠) حركة الشعر بين الفلسفة والتأريخ ، د. عبد الله التطاوي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ١٩٩٢م ، بدون ذكر الطبعة .
- (١٨١) حركة نقد القصة القصيرة في العراق (١٩٦٨-١٩٨٠م) ، حمزة فضال يوسف ، رسالة ماجستير مخطوطة ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، ربيع الأول ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- (١٨٢) حركة نقد القصة القصيرة في العراق (١٩٦٨-١٩٨٠م) ، حمزة فاضل يوسف ، جامعة صلاح الدين ، العراق ١٩٨٨م .
- (١٨٣) حصاد الغرور ، محمد الغزالي ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- (١٨٤) الحضور .. مقالات في الأدب والحياة ، أزراج عمر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الجزائر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٣م .
- (١٨٥) حفريات في الذاكرة من بعيد ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .
- (١٨٦) الحق الطبيعي وقوانينه ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، دار ابن حزم الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ .
- (١٨٧) الحكمة في شعر المتنبي ، د. حسن علي قرعاوي ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- (١٨٨) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

- (١٨٩) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، قيد النشر .
- (١٩٠) حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، محمد قطب ، المجموعة الإعلامية ، جدة السعودية ، الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
- (١٩١) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، الخامسة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- (١٩٢) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقف لمراجعة الحساب ، د. عماد الدين خليل ، ورقة عمل قدمها في مؤتمر بماليزيا نهاية شهر رجب عام ١٤١٨هـ .
- (١٩٣) حول القصة الإسلامية ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
- (١٩٤) حيرة النص المسرحي بين الترجمة والاقبساس والإعداد والتأليف ، د. أبو الحسن سلام ، النرجس للطباعة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية الثانية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
- (١٩٥) خالد الفرج حياته وآثاره ، خالد سعود الزيد ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ، الثانية ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- (١٩٦) الخرافة والأسطورة في الرواية العربية المعاصرة ، د. عبد البديع عبد الله ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
- (١٩٧) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
- (١٩٨) الخصائص العامة للإسلام ، د. يوسف القرضاوي ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، التاسعة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
- (١٩٩) خصائص القصة الإسلامية ، د. مأمون فريز جرار ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- (٢٠٠) خطوات في الهجرة والحركة ، د. عماد الدين خليل ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٢٠١) خفايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ١٩٨٠م ، بدون ذكر الطبعة .

- (٢٠٢) الخيال الرمزي ، ج. روبرت بارت ، ترجمة عيسى علي العاكوب ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٩٢ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٠٣) الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح ، د. محمد رفقي عيسى ، دار القلم الكويت ، الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٢٠٤) دراسات تاريخية ، د. عماد الدين خليل ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٢٠٥) دراسات تطبيقية حول التفسير الإعلامي الحديث ، د. عبد العزيز شرف ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- (٢٠٦) دراسات عربية وإسلامية ، إعداد أيمن فؤاد سيد وآخرون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، مصر ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٠٧) دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ، د. محمود حسن زيني ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٢ م .
- (٢٠٨) دراسات في الأدب العربي والتاريخ ، محمد عبد الغني حسن ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٢٠٩) دراسات في الأدب المسرحي ، د. سمير سرحان ، مكتبة غريب ، القاهرة مصر ، ١٩٧٧ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢١٠) دراسات في الرواية الإنجليزية ، د. أنجيل بطرس سمعان ، بدون .
- (٢١١) دراسات في الرواية العربية ، د. أنجيل بطرس سمعان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢١٢) دراسات في الشعر العربي ، د. محمد مصطفى هدارة ، دار المعرفة الجامعية مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٢ م .
- (٢١٣) دراسات في الشعر العربي ، عبد الرحمن شكري ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- (٢١٤) دراسات في الغزو الفكري والتبعية الفكرية ، د. أمير عبد العزيز ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٤ م .
- (٢١٥) دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة ، محمد حسن بريغش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

- (٢١٦) دراسات في المسرح والأدب ، د. هدى حبيشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٦ م .
- (٢١٧) دراسات في النقد الأدبي ، د. وليد قصاب ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٢١٨) دراسات في النقد الأدبي والبلاغة ، د. عبد العزيز قلقيلة ، دار العلوم ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٢١٩) دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م ، بدون طبعة .
- (٢٢٠) دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر ، د. عز الدين منصور ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٢٢١) دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا ، عبد الله بن محمد بن ناصر المهنا دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (٢٢٢) دراسة في السيرة ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية عشرة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
- (٢٢٣) دراسة في شعر نازك الملائكة ، د. محمد عبد المنعم خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٢٤) دراسة في نظرية الدراما الإغريقية ، محمد حمدي إبراهيم ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ١٩٧٧ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٢٥) دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، د. سليمان الطراونة ، الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، بدون ذكر الدار .
- (٢٢٦) الدراما ومذهب الأدب ، د. فايز ترحيني ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٢٢٧) دريوان المبشرات والقدسيات ، عبد المنعم الجلياني ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٢٢٨) دفاعاً عن الأدب ، كلود روى ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات بيروت ، باريس ، الأولى ١٩٨٣ م .

- (٢٢٩) **دلالات التراكيب** ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٢٣٠) **دليل الناقد الأدبي** ، د. نبيل راغب ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٢٣١) **دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث** ، د. عبد الباسط بدر ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- (٢٣٢) **دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر** ، د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٢٣٣) **دوستويفسكي .. مقالات ومحاضرات** ، أندريه جيد ، ترجمة الياس حنا الياس ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨ م .
- (٢٣٤) **دينامية النص** ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٠ م .
- (٢٣٥) **ديوان جراح وأفراح** ، د. حسان حتحوت ، دار القلم ، الكويت ، الثالثة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٢٣٦) **ديوان (لزوم مالايلزم)** ، أبو العلاء المعري ، حرره وشرحه د. كمال اليازجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٢٣٧) **ديوان أبي نواس** ، لأبي نواس (الحسن بن هانئ) ، حققه وشرحه وضبطه أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٢٣٨) **ديوان سيد قطب** ، سيد قطب ، جمع وتوثيق عبد الباقي محمد حسين ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٢٣٩) **ديوان شظايا حب وزعر** ، زاهر محمد الجوهر ، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل ، العراق ١٩٩٤ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٤٠) **ديوان المبشرات والقدسيات** ، عبد المنعم الجلياني ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .



- (٢٤١) ديوان محمود سامي البارودي باشا ، البارودي ، ضبط وتصحيح علي الجارم ومحمد معروف .
- (٢٤٢) ذكريات ، الشيخ علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، ح (١) ، ج (٢) (الثانية ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ، ج (٥) (الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٩٢ م) ، ج (٦) (الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) .
- (٢٤٣) ذكريات لامذكرات ، ثروت أباطة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧ م .
- (٢٤٤) ذكرياتي ، رانبدرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح ، منشورات الجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات ، الأولى ١٩٩٥ م .
- (٢٤٥) ذيل الأعلام ، أحمد العلوانة ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- (٢٤٦) رؤية إسلامية في قضايا معاصرة ، د. عماد الدين خليل ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر (سلسلة كتاب الأمة) ، الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .
- (٢٤٧) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٢٤٨) الرؤية السياسية في الرواية الواقعية ، د. حمدي حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- (٢٤٩) الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة . ١٩٨٣ م .
- (٢٥٠) الراجعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، د. مصطفى نعمان البدري ، بدون .
- (٢٥١) الرحلات ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الرابعة . ١٩٨٧ م .
- (٢٥٢) رحلتي مع الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- (٢٥٣) رسائل الجاحظ ، للجاحظ (جزء الرسائل السياسية ، والرسائل الأدبية ، والرسائل الكلامية) ، شرح د. علي أبو ملح ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٩٥ م .
- (٢٥٤) رسالة الهناء ، أبي العلاء المعري ، شرح وتحقيق كامل الكيلاني ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٢٥٥) الرقابة على التراث ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢ هـ .
- (٢٥٦) رمل وزبد ، جبران خليل جبران ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧ م .
- (٢٥٧) الروائي والأرض ، د. عبد المحسن طه بدر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٧٩ م .
- (٢٥٨) الرواية الإسلامية المعاصرة — دراسة تطبيقية ، د. حلمي القاعود ، طباعة نادي جازان الأدبي ، السعودية ، الأولى ١٤١٩ هـ .
- (٢٥٩) الرواية والقصة القصيرة في الإمارات ، ثابت ملكاوي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات ، بدون تاريخ وطبعة .
- (٢٦٠) الرومانتيكية ماها وما عليها ، روبرت جلكرز ، جيرالد إنسكو ، ترجمة أحد حمدي محمود ، الهيئة المصرية للكتب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٦ م .
- (٢٦١) ريبورتاج .. حوار في المأموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل ، مخطوط لما ينشر .
- (٢٦٢) الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، ترجمة د. أسعد رزوق ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٢ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٦٣) الزيات ناقد ، علي عبد المطلب الهوني ، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ، ليبيا ، الأولى ١٩٩٤ م .
- (٢٦٤) سلبيات يجب أن تختفي من حياة الإسلاميين ، د. محمد علي الهاشمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٢٦٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- (٢٦٦) سنن ابن ماجه ، لابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون .
- (٢٦٧) سنن الترمذي ، للإمام الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨ هـ .
- (٢٦٨) سيد قطب الأديب الناقد ، د. عبد الله عوض الخصاص ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٢٦٩) سيد قطب حياته وأدبه ، عبد الباقي محمد حسين ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٢٧٠) سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- (٢٧١) سيرة القارئ ، نبيل سليمان ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا ، الأولى ١٩٩٦ م .
- (٢٧٢) سيكولوجية الإبادة في الفن والأدب ، يوسف ميخائيل أسعد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٧٣) سينوغرافيا المسرح عبر العصور ، د. كمال عيد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- (٢٧٤) شئ من التباريح سيرة ذاتية .. وهموم ثقافية ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، بدون .
- (٢٧٥) شاعر الإسلام محمد عاكف ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٢٧٦) شاعر الحب والوطن ، عبدالعزيز النعماني ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة مصر ، الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- (٢٧٧) الشاعر القروي سيرة وعطاء ، صالح الدسوقي ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٢٧٨) الشاعر مؤرخا ، د. عبد الله التطاوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، مصر ١٩٩٦ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٧٩) شبهات حول الإسلام ، محمد قطب ، إصدار الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، السالمية ، الكويت ، الثالثة ١٩٨٥ م .

- (٢٨٠) شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، د. وليد قصاب ، دار الثقافة الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- (٢٨١) الشخصية ، ريتشارد س. لازاروس ، ترجمة د. سيف محمد غنيم ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
- (٢٨٢) شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٨٣) شروح سقط الزند ، مجموعة محققين بإشراف الدكتور طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- (٢٨٤) الشعر الجاهلي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٨٥) شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د. سعيد نوفل ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٧٨م .
- (٢٨٦) شعر الطبيعة في الأدب المصري ، عوض علي الغباري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٨٧) الشعر العربي بين الجمود والتطوير ، محمد عبدالعزيز الكفراوي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، بدون ذكر التاريخ .
- (٢٨٨) الشعر في إطار العصر الثوري ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٥م .
- (٢٨٩) الشعر وطقوس الحضارة ، دراسات في الشعر العربي الحديث ، محيي الدين صبحي ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٦م .
- (٢٩٠) شعراء الدعوة في العصر الحديث ، أحمد الجدع وحسني جرار ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- (٢٩١) شعرنا الحديث إلى أين ، د. غالي شكري ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- (٢٩٢) الشميسي ، د. تركي الحمد ، دار الساقى ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .

- (٢٩٣) الشوقيات ، أحمد شوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر التاريخ والطبعة .
- (٢٩٤) شئ من التباريح ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، دار ابن حزم ، الرياض ، الأولى ١٤١٥ هـ .
- (٢٩٥) الشيخ الغزالي كما عرفته ، د. يوسف القرضاوي ، دار الوفاء ، المنصورة مصر ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٢٩٦) الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية ، د. محمد بن سعد بن حسين ، مطابع اليمامة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (٢٩٧) شيللر حياته وأعماله ، د. مصطفى ماهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٧ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٢٩٨) صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام النووي ح (٢) ، دار الريان ، القاهرة مصر ، الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٢٩٩) صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٩٧٩ م .
- (٣٠٠) صور وخواطر ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٣٠١) الصورة الشعرية ، د. ساسين عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٣٠٢) الصورة الشعرية ، د. ساسين عساف ، دار مارون عبود ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٥ م .
- (٣٠٣) صورة العربي في الأدب الإسرائيلي ، وليد أبو بكر ، دار الكرمل ، عمان الأردن ، الأولى ١٩٩٦ م .
- (٣٠٤) الصورة الفنية في الشعر الإلامى عند المرأة العربية في العصر الحديث ، د. صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الخضير ، مكتبة التوبة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- (٣٠٥) الصورة بين البلاغة والنقد ، د. أحمد بسام ساعي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- (٣٠٦) صيد القلم .. شذرات ونوادر ، حمد إبراهيم الحقييل ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٣٨٩ هـ .
- (٣٠٧) ضعيف سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨ هـ .
- (٣٠٨) ضعيف سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١ هـ .
- (٣٠٩) طاغور ، محمد كامل المحامي ، المكتب العالمي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٦ م .
- (٣١٠) طبقات الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي مع تمهيد ، بدون .
- (٣١١) طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٣١٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٣١٣) الطبيعة في الفن العربي والإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- (٣١٤) الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ، أنور الجندي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٣١٥) الطريق إلى نوبل ١٩٨٨ م عبر حارة نجيب محفوظ ، د. محمد يحيى ومعتز شكري ، الدار المصرية للنشر والتوزيع ، الأولى ، القاهرة ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م
- (٣١٦) الطريق من هنا ، محمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، الثانية ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٣١٧) طلائع الفجر ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، السابعة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- (٣١٨) طه حسين أدبيا وناقدا ، د. يحيى شامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٥ م .
- (٣١٩) طه حسين بصيرا ، د. محمد صادق الكاشف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- (٣٢٠) ظلام من الغرب ، محمد الغزالي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- (٣٢١) عباقرة الأدب ، مصطفى غالب ، منشورات دار حمد ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٧٨م .
- (٣٢٢) عبد العزيز الرفاعي أديبا ، د. محمد بن مريسي الحارثي ، صادر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
- (٣٢٣) عبد العزيز الرفاعي أديبا ، محمد بن مريسي الحارثي ، إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- (٣٢٤) عبد الله بن المعتز شاعرا ، د. غصوب خميس غصوب ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- (٣٢٥) عجز الثقات ، محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
- (٣٢٦) عربي بين ثقافتين ، د. زكي نجيب محفوظ ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
- (٣٢٧) العربية والغموض ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، الأولى ١٩٨٨م .
- (٣٢٨) عصر العقاد ، د. عبد العزيز شرف ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٣٢٩) العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين وغيره ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
- (٣٣٠) العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري ، د. عبد الحليم عويس ، مكتبة الفلاح ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- (٣٣١) علل وأدوية ، محمد الغزالي ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- (٣٣٢) العلم في مواجهة المادية ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- (٣٣٣) علم نفس النمو ، د. حامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

- (٣٣٤) علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ، دار الشواف ، القاهرة ، مصر  
الرابعة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- (٣٣٥) على الطريق .. لغات وكلمات ، د. محمد أديب الصالح ، المكتب  
الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ١٩٦٨م .
- (٣٣٦) على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم ، أنور  
الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٧٩م .
- (٣٣٧) على الماشي ، علي بن محمد العميد .
- (٣٣٨) على مائدة الأدب ، عبد الله حمد الحقييل ، دار أبها ، الرياض ، السعودية ،  
الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٣٣٩) علي أدهم بين الأدب والتاريخ ، أحمد حسين الطماوي ، الهيئة المصرية  
العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ١٩٩٠م .
- (٣٤٠) عماد الدين زنكي ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ،  
الثانية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- (٣٤١) عمر أبو ريشة ، دراسة في شعره ومسرحياته ، محمد إسماعيل دندي ، دار  
المعرفة ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- (٣٤٢) عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى ، د. عباس بيومي عجلان ، دار  
المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨١م .
- (٣٤٣) العناصر القصصية في الشعر الجاهلي ، د. مكي يوسف خليفة ، دار الثقافة  
القاهرة ، مصر ، ١٩٨٨م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٣٤٤) الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان ، مكتبة السنة ، القاهرة ، مصر  
الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- (٣٤٥) غزو في الصميم ، د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ،  
دمشق الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٣٤٦) فتح الباري ، الإمام ابن حجر العسقلاني ، ج (١) ، دار الريان ، القاهرة ،  
مصر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- (٣٤٧) فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب ، أحمد الغماري ، عالم الكتب ،  
بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨هـ .



- (٣٤٨) فتنة السرد والنقد ، نبيل سليمان ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا ، الأولى ١٩٩٤ م .
- (٣٤٩) فصل في النقد الأدبي وتاريخه ، د. ضياء الصديقي ، د. عياش محبوب ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٣٥٠) فصول في الأدب والثقافة ، د. جعفر ماجد ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٤ م .
- (٣٥١) فصول في التفكير الموضوعي ، د. عبد الكريم بكار ، دار القلم ، دمشق سوريا ، الثانية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- (٣٥٢) فصول في تدريس الأدب والبلاغة والنقد ، د. إبراهيم طه الجعلي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٣٥٣) الفقيه الشاعر عبد الله بن علي آل عبد القادر ، عبد الله الشباط ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، مكة ، السعودية ، الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- (٣٥٤) الفكر الإسلامي بين الأصالة والتجديد ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- (٣٥٥) الفكر الفرنسي المعاصر ، إدوارد موروسير ، ترجمة عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٩ م .
- (٣٥٦) الفكر المادي في ميزان الإسلام ، د. صابر طعيمة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٣٥٧) فكر ومباحث ، علي الطنطاوي ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٣٥٨) فلسفة الالتزام في النقد الأدبي ، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٨ م .
- (٣٥٩) فلسفة ميخائيل نعيمة ، د. محمد شفيق شيا ، منشورات بحسون الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٧ م .
- (٣٦٠) الفن الإسلامي التزام وابتداع ، صالح أحمد الشامي ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

(٣٦١) فن التمثيل ، محمد ماهر فهم ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨٨ م ، بدون طبعة .

(٣٦٢) الفن الرمزي الكلاسيكي الرومانسي ، هيغل ، ترجمة جورج طرايشي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٦ م .

(٣٦٣) فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور ، د. السيد محمد ديب ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، الثانية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

(٣٦٤) فن السيرة ، د. إحسان عباس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الخامسة ١٩٨٨ م .

(٣٦٥) فن الشعر بين التراث والحداثة ، عبد العزيز النعماني ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

(٣٦٦) الفن العربي الحديث بين الهوية والتبعية ، عفيف البهنسي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

(٣٦٧) فن القصة في النظرية والتطبيق ، د. نبيلة إبراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٣٦٨) فن المسرح ، أوديت أصلان ، ترجمة د. سامية أحمد أسعد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٧٠ م ، بدون ذكر الطبعة .

(٣٦٩) فن المقالة ، د. محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ، بدون ذكر التاريخ .

(٣٧٠) الفن والعقيدة ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

(٣٧١) الفنان في عصر العلم ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة فؤاد دواره ، إصدار دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .

(٣٧٢) الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، د. أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٣٧٣) فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- (٣٧٤) في أصول الحوار ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- (٣٧٥) في الأدب الإسلامي ، د. محمود شاكر سعيد ، دار المعراج ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٣هـ .
- (٣٧٦) في الأدب الإسلامي تجارب .. ومواقف ، محمد عادل الهاشمي ، دار القلم دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- (٣٧٧) في الأدب الفرنسي المعاصر ، د. سامية أحمد أسعد ، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٧٦م .
- (٣٧٨) في الأدب والأدب الإسلامي ، محمد الحسناوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- (٣٧٩) في الأدب والنقد ، د. محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٨م .
- (٣٨٠) في البحث عن الواقع ، د. منصور إبراهيم الحازمي ، دار العلوم ، الرياض السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٣٨١) في الجماليات ، نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن ، د. علي أبو ملحم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- (٣٨٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، الثانية عشرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- (٣٨٣) في الشعر المعاصر ، د. أحمد ماهر البقري ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ١٩٨٩م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٣٨٤) في الغزو الفكري ، د. أحمد عبد الرحيم السايح ، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الأولى ١٤١٤هـ .
- (٣٨٥) في الفكر والأدب دراسات وذكريات ، د. حسن بن فهد الهويمل ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- (٣٨٦) في القصة القصيرة والرواية ، د. إخلاص فخري عمارة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، الأولى ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

- (٣٨٧) في القصيدة الجاهلية والأموي (درس تحليلي) ، د. عبد الله التطاوي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨١ م .
- (٣٨٨) في المسرح العالمي ، د. محمد مندور ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون تاريخ وطبعة .
- (٣٨٩) في المسرح المصري المعاصر ، خيرى شنلي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ١٩٨١ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٣٩٠) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الخامسة ١٩٧٧ م .
- (٣٩١) في النقد الأدبي إضاءات وحفريات ، د. يوسف بكار ، دار المناهل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .
- (٣٩٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- (٣٩٣) في النقد التطبيقي ، مخطوط ، عماد الدين خليل .
- (٣٩٤) في النقد والأدب ، ماكس أدريث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر بدون ذكر الطبعة ١٩٨٩ م .
- (٣٩٥) في سبيل الإصلاح ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الرابعة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (٣٩٦) في مسيرة الحياة ، أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٣٩٧) في معركة التراث ، د. عون الشريف قاسم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- (٣٩٨) القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، د. محمود السمرة ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٩٧٩ م .
- (٣٩٩) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٩٩١ م .
- (٤٠٠) قالوا عن الإسلام ، د. عماد الدين خليل ، ط/الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

- (٤٠١) قاموس الجيب الصغير ، وجدي غالي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٧ م .
- (٤٠٢) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٤٠٣) قبضة من حروف في المرأة والأدب والحياة ، يحيى بشير حاج يحيى ، دار حواء ، الكويت ، الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- (٤٠٤) قراءات نقدية ، د. يوسف حسين بكار ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٤٠٥) القراءة أولا ، محمد عدنان سالم ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الثانية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- (٤٠٦) قراءة الشعر ، د. محمود الربيعي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧ م ، بدون الطبعة .
- (٤٠٧) قراءة النص وجماليات التلقي ، د. محمود عباس عبد الواحد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٤٠٨) القصة العربية ٩٤ ، دار المستقبل ، القاهرة ، مصر ، الكتاب الثاني ، ١٩٩٤ م .
- (٤٠٩) قصيدة الهجاء عند دعبيل الخزاعي وابن الرومي ، د. عبد الحميد جيدة ، دار الشمال ، طرابلس ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٥ م .
- (٤١٠) قضايا أدبية (رؤية إسلامية) ، د. عبد الباسط بدر ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٤١١) قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٠ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤١٢) قضايا الحداثة عند عبد القادر الجرجاني ، محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، الجيزة ، مصر ، الأولى ١٩٩٥ م .
- (٤١٣) قضايا الشعر الحديث ، جهاد فاضل ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- (٤١٤) قضايا في الأدب الإسلامي . وقفات تصحيحية وبحوث أخرى ،  
أ.د. محمد بن سعد بن حسين ، دار عبد العزيز آل حسين ، الرياض ،  
السعودية ، ١٤١٦ هـ ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤١٥) قضية الإسلام والشعر ، إدريس الناقوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ،  
بغداد ، العراق ، الثانية ١٩٨٦ م .
- (٤١٦) قضية الالتزام في الشعر الأموي ، د. مي يوسف خليفة ، دار الثقافة ،  
القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٩ م .
- (٤١٧) قضية الالتزام في الشعر العربي من العصر الجاهلي وحتى عصر الانحطاط  
محمد عزام ، دار طلاس ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٩٨٩ م .
- (٤١٨) قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها ، د. محمد عبد القادر هنادي  
مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٨ هـ /  
١٩٨٨ م .
- (٤١٩) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الثانية  
١٩٨٤ م .
- (٤٢٠) القناع في الشعر العربي الحديث ، رعد أحمد علي الزبيدي ، الجامعة  
المستنصرية ، بغداد ١٩٩١ م .
- (٤٢١) القوس العذراء وقراءة التراث ، د. محمد أبو موسى ، دار غريب ،  
القاهرة مصر ، الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٤٢٢) القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث ، د. سعد الدين كليب ، مخطوط  
رسالة دكتوراه ، جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، إشراف  
د. فؤاد المرعي ١٩٨٩ م ، حلب ، سوريا .
- (٤٢٣) الكامل في النقد الأدبي ، كمال أبو مصلح ، بدون .
- (٤٢٤) كتابات على بوابة القرن الخامس عشر ، د. عماد الدين خليل ، د.  
عبدالحليم عويس ، دار العلوم ، الرياض ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة  
والتاريخ .
- (٤٢٥) كتابات في المسرح ، د. سمير سرحان ، دار غريب ، القاهرة ، مصر  
١٩٩٨ م ، بدون طبعة .

- (٤٢٦) كتب وشخصيات ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- (٤٢٧) كتبت يوما في الأدب .. النقد .. الفكر .. الفن ، د. نعمات أحمد فؤاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٢٨) كلمات غريبة ، منصور إبراهيم الخميس ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- (٤٢٩) كلمتي للمثقفين ، جمال سلطان ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
- (٤٣٠) كيف أفهم النقد؟ نقد ورد ، د. جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- (٤٣١) كيف تتكامل الشخصية ، هيلين شاكر ، ترجمة أحمد زكي وداود حلمي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- (٤٣٢) كيف نفهم الإسلام ، محمد الغزالي ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، مصر ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- (٤٣٣) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، السادسة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- (٤٣٤) لغة الشعراء ، ونفرد نوتني ، ترجمة د. عيسى العاكوب ، د. خليفة العرابي ، معهد الانتماء العربي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٦م .
- (٤٣٥) لقاء الأردن ، حوار قام به الباحث مع الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل في الأردن في شهر شعبان ١٤١٨هـ ، وهو في ملحق الرسالة .
- (٤٣٦) لويس لامبر دراسات فلسفية ، بلزاك ، ترجمة ميشيل خوري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، ١٩٩٤م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٣٧) ليلة الزفاف ، توفيق الحكيم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ١٩٧٦م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٣٨) مؤتمر الأدب الإسلامي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، بدون .
- (٤٣٩) المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر ، د. يوسف حلاوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .

- (٤٤٠) مؤشرات في زمن السرعة ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (٤٤١) ما الأدب ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ، ١٩٩٠م .
- (٤٤٢) ما الأدب ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٤٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، الثامنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- (٤٤٤) مبادئ في الأدب والدعوة ، د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- (٤٤٥) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
- (٤٤٦) المتنبي .. مالى الدنيا وشاغل الناس ، د. محمد التونجي ، عالم الكتب ، الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- (٤٤٧) المتنبي الإنسان والشاعر ، د. نورة الشملان ، دار مصر للطباعة ، القاهرة مصر ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
- (٤٤٨) المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين ، د. حسن الأمراني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- (٤٤٩) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ج ٢٢ ، الأولى ، ١٩٨٢م .
- (٤٥٠) محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة (المجموعة الثالثة) ، إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- (٤٥١) محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- (٤٥٢) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- (٤٥٣) محمد حسن عواد شاعرا ، آمنة عبد الحميد عقاد ، دار المدني للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .



- (٤٥٤) محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ، رجاء النقاش ، دار الهلال ، مصر ، الثانية ١٩٧١ م .
- (٤٥٥) المختار من الأدب الإسلامي ، د. أحمد محمد قدور ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- (٤٥٦) مختصر منهاج القاصدين ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، دار الفيحاء ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٤٥٧) مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة ، د. عبد الله التطاوي ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩٦ م .
- (٤٥٨) المدارس الأدبية ومذاهبها ، د. يوسف عيد ، دار الفكر اللبناني ، بيروت لبنان ، الأولى ١٩٩٤ م .
- (٤٥٩) مدارس النقد الأدبي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- (٤٦٠) مدخل إلى إسلامية المعرفة ، د. عماد الدين خليل ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٤٦١) مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٤٦٢) مدخل إلى الأدب الروائي الإنجليزي ، أرنولد كيل ، ترجمة د. لطيفة عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٦٣) المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، د. محمد فتحي عثمان ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٤٦٤) مدخل إلى التحليل البنيوي ، رولان بارت ، ترجمة د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سورية ، الأولى ١٩٩٣ م .
- (٤٦٥) المدخل إلى المسرح العربي ، د. هند قواص ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ١٩٨١ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٦٦) مدخل إلى فن كتابة الدراما ، عادل النادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ١٩٩٣ م ، دون ذكر الطبعة .
- (٤٦٧) مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- (٤٦٨) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- (٤٦٩) المدخل في علم النفس الحديث ، د. أكرم طاشكندي ، وآخران ، مكتبة مصباح ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- (٤٧٠) المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، إصدار قسم اللغة العربية ، كلية اللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- (٤٧١) مذاهب الأدب الغربي رؤية إسلامية ، د. عبد الباسط بدر ، لجنة مكتبة البيت ، الكويت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٧٢) المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٣م .
- (٤٧٣) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د. شكري محمد عياد ، صادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٣م .
- (٤٧٤) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- (٤٧٥) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، د. عمر عبيد حسنة ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
- (٤٧٦) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، د. عمر عبيد حسنة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، أمريكا ، الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
- (٤٧٧) المستشرقون والسيرة النبوية ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة قطر ، بدون ذكر الطبعة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- (٤٧٨) المسرح ، د. محمد مندور ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٩٨٠م .
- (٤٧٩) المسرح بين الفكر والفن ، د. نهاد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م ، بدون ذكر الطبعة .

- (٤٨٠) مسرح توفيق الحكيم ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ، بدون ذكر التاريخ .
- (٤٨١) مسلمون لانهجمل ، د. حلمي القاعود ، دار البشير للثقافة ، طنطا ، مصر الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- (٤٨٢) مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (٤٨٣) المشكلات الثقافية في ترجمة المصطلح النقدي ، إيمان أحمد عكور ، جامعة اليرموك ، الأردن ١٩٨٨م .
- (٤٨٤) مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً ، د. مصطفى الشكعة عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- (٤٨٥) مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر ، ريمون طحان ، دنيز بيطار طحان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٤م .
- (٤٨٦) مع الشعراء ، د. زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- (٤٨٧) معارك أدبية قديمة ومعاصرة ، عبد اللطيف شرارة ، دار العلم للملايين ، الأولى ١٩٨٤م .
- (٤٨٨) معالم الهدى إلى فهم الإسلام ، د. مروان إبراهيم القيسي ، المكتبة الإسلامية عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- (٤٨٩) معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الخامسة عشر ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
- (٤٩٠) معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ١٤٠١هـ ، بدون ذكر الطبعة .
- (٤٩١) المعجم المسرحي ، د. حنان قصاب حسن ، ود. ماري الياس ، مكتبة لبنان بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .
- (٤٩٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٤م .

- (٤٩٣) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، استانبول تركيا ، الثانية ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- (٤٩٤) المغول ، د. عماد الدين خليل ، مسرحية ذات سبعة مشاهد ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- (٤٩٥) مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- (٤٩٦) المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ ، وليد نويهض ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- (٤٩٧) مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة ، د. محمد بركات حمدي أبو علي ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- (٤٩٨) مقال د. رجاء بن سلامة في جريدة الحياة ، ع(١٢٩٩٢) ، الثلاثاء ٨ جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩٩٨م . ص (ج) .
- (٤٩٩) مقالات في كلمات ، الأستاذ علي الطنطاوي ، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- (٥٠٠) مقدمات نقدية في دراسة القصيدة القديمة ، د. عبد الله التطاوي ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢م .
- (٥٠١) مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، الأولى ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- (٥٠٢) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ، د. مصطفى عليان ، دار المنارة ، جدة السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (٥٠٣) مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي . المنهج والتطبيق ، عباس المناصرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- (٥٠٤) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، د. عبد الباسط بدر ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (٥٠٥) مقومات الشخصية المسلمة ، د. ماجد عرسان الكيلاني ، صادر في سلسلة كتاب الأمة عن مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٩٩١م .

- (٥٠٦) المكان في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف ، الباحثة غدير عثمان الخروبي ، ١٩٩٣ م ، بدون .
- (٥٠٧) الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي ، د. شلتاغ عبود ، دار المعرفة ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٥٠٨) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل ، مخطوط كتاب تحصل الباحث على نسخة منه ولما ينشر .
- (٥٠٩) من الحداثة إلى ما بعد الحداثة في الفن ، عفيف البهنسي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- (٥١٠) من الشعر الإسلامي الحديث ، إصدار رابطة الأدب الإسلامي ، دار البشير عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٥١١) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ، د. محمد خلف الله أحمد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٥١٢) من بدائع الأدب الإسلامي ، محمد بن سعد الدبل ، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي ، دار البلاد ، جدة ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥١٣) من سمات الأدب الإسلامي ، د. مصطفى عبد الواحد ، صادر عن رابطة العالم الإسلامي ، بدون ذكر الطبعة ، شعبان ١٤١٣ هـ .
- (٥١٤) من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٥١٥) من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي ، د. محمد عويس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٥١٦) من قضايا التراث العربي ، د. فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، مصر ١٩٧٧ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥١٧) من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون؟ ، غازي عبد الرحمن القصيبي ، دار الساقبي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٤ م .
- (٥١٨) مناهج البحث العلمي ، د. محمد الجوهري وآخر ، بدون .
- (٥١٩) مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ديفد ديتشس ، ترجمة د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٦٧ م .
- (٥٢٠) المنجد في الأدب العربي ، صالح ساسه ، بدون طبعة ودار نشر .

- (٥٢١) المنظور التاريخي في فكر سيد قطب ، د. عماد الدين خليل ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .
- (٥٢٢) المنهاج في الأدب العربي وتاريخه ، د. عمر فروخ ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٢٣) منهج البحث الأدبي عند ابن خلكان ، فخر الدين محمد يوسف عامر ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ١٩٩١م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٢٤) منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ، الثامنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
- (٥٢٥) مهارات التفكير الابتكاري ، د. محمد عبد الغني هلال ، مركز تطوير الأداء والتنمية ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩٧م .
- (٥٢٦) مهارات في فنون الأدب والمراسلات ، د. محمود عباس عبد الواحد ، بدون .
- (٥٢٧) الموازنة بينتها ومناهجها في النقد الأدبي ، د. محمد فوزي عبد الرحمن ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- (٥٢٨) مواقف نقدية ، د. منصور إبراهيم الحازمي ، دار الصافي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .
- (٥٢٩) مواقف نقدية ، د. منصور الحازمي ، بدون .
- (٥٣٠) موسوعة أمثال العرب ، د. أميل بديع يعقوب ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .
- (٥٣١) ميخائيل نعيمة .. منهجه في النقد واتجاهه في الأدب ، د. شفيع السيد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩٤م .
- (٥٣٢) النثيرة والقصيدة المضاة ، محمد ياسر شرف ، من إصدارات النادي الأدبي بالرياض ، الرياض ، السعودية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٣٣) نجيب محفوظ يتذكر ، جمال الغيطاني ، مؤسسة أخبار اليوم ، مصر ، الثالثة ١٩٨٧م .
- (٥٣٤) نحن والآخر ، د. عاصم حمدان علي حمدان ، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي ، المدينة المنورة ، السعودية ، الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

- (٥٣٥) نحو أدب إسلامي ، محاضرات أُلقيت في جامعة أم القرى ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
- (٥٣٦) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، دار الأدب الإسلامي ، قبرص ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٥٣٧) نحو مسرح إسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .
- (٥٣٨) نحو نظرية الأدب الإسلامي ، د. محمد أحمد حمدون ، المنهل ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
- (٥٣٩) الندوة الثقافية الكبرى ، إشراف د. عبد الرحمن بن سبيت السبيت ، إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، الجندرية ، السعودية ، ١٤١٠هـ ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٤٠) النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة ، د. ريمون قبعين ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٥٤١) نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث ، د. علي شلت ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢م .
- (٥٤٢) النص الأدبي — تحليله وبنائه ، د. إبراهيم خليل ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٩٩٥م .
- (٥٤٣) نضرة النعيم ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف د. صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح ، دار الوسيلة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
- (٥٤٤) نظرات في الأدب ، أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
- (٥٤٥) النظريات الجمالية ، أنوكس، عربية وقدم له د. محمد شفيق شيا ، منشورات بحسون الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- (٥٤٦) نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٧٧م .
- (٥٤٧) نظرية الأدب في ضوء الإسلام ، د. عبد الحميد بوزوينة ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

- (٥٤٨) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- (٥٤٩) نقاط التطور في الأدب العربي ، د. علي شلق ، دار القلم ، بيروت ، لبنان الأولى ١٩٧٥م .
- (٥٥٠) النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- (٥٥١) النقد الأدبي ، كارلوني وفيللو ، ترجمة كيتي سالم ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الثانية ١٩٨٤م .
- (٥٥٢) النقد الأدبي ، وليام . ك. ويمزات ، كلينث بروكس ، ترجمة د. حسام الخطيب ، محيي الدين صبحي ، جامعة دمشق ، دمشق ، سورية ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م بدون ذكر الطبعة .
- (٥٥٣) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر السادسة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- (٥٥٤) النقد الأدبي الحديث ، د. العربي حسن درويش ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩١م .
- (٥٥٥) النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء ، د. عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- (٥٥٦) النقد الأدبي بين القدامى والحديثين ، الدكتور العربي حسن درويش ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٨٨م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٥٧) النقد الأدبي في آثار أعلامه ، . حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- (٥٥٨) النقد الأدبي في المغرب العربي ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٨٨م .
- (٥٥٩) النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري ، د. هدى شوكت بهنام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٤م .
- (٥٦٠) النقد الأدبي قضاياها واتجاهاته الحديثة ، د. عماد حاتم ، دار الشرق العربي بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٤م .



- (٥٦١) النقد النبوي للحكاية ، رولان بارت ، ترجمة أنطون أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨ م .
- (٥٦٢) النقد التطبيقي التحليلي ، د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، الأولى ١٩٨٦ م .
- (٥٦٣) النقد التطبيقي التحليلي ، د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، الأولى ، ١٩٨٦ م .
- (٥٦٤) نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر ، د. أحمد إبراهيم الهواري ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٨٣ م .
- (٥٦٥) نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة ، د. نبيلة إبراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ١٩٧٧ م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٦٦) النقد الفني وقراءة الصورة ، عفيف البهنسي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- (٥٦٧) النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، الثانية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٥٦٨) نقد النشر ، قدامة بن جعفر بن قدامة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٥٦٩) نقد وتأسيس ، أبو زيان السعدي ، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، الأولى ١٩٨٧ م .
- (٥٧٠) نقض أصول الشعر الحر ، إسماعيل جبرائيل العيسى ، دار الفرقان ، عمان الأردن ، الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٥٧١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني ، محمود مفلح ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (٥٧٢) نقوش على واجهة القرن الخامس عشر ، عبد الرحمن صالح العشماوي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- (٥٧٣) النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة ، د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ، ١٩٥٧ م .

- (٥٧٤) نماذج من الرواية المصرية ، يوسف الشاروني ، وزارة الثقافة ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .
- (٥٧٥) هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي ، د. عماد الدين خليل ، مكتبة النور القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٧٦م .
- (٥٧٦) الهزيمة النفسية عند المسلمين ، د. عبد الله الخاطر ، صادر عن المنتدى الإسلامي ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٥٧٧) هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي ، عابدة المؤيد العظم ، دار المنارة ، جدة السعودية ، الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- (٥٧٨) الهم الكبير ، د. عماد الدين خليل ، مخطوط مسرحية لم تنشر .
- (٥٧٩) هموم ناشر عربي ، محمد عبد الله سالم ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- (٥٨٠) واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، السعودية ، الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- (٥٨١) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ، د. أحمد بسام ساعي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٥٨٢) الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني ، د. حلمي محمد القاعود ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- (٥٨٣) الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام ، د. إبراهيم حسين الفيومي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٣م ، بدون الطبعة .
- (٥٨٤) وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- (٥٨٥) الوساطة بين المتبني وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي البحايي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، الثانية .
- (٥٨٦) وصايا إسلامية في أدب الذرية ، د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، بدون ذكر الطبعة .

**الصحف :**

- (١) صحيفة الحياة
- (٢) صحيفة الرياض
- (٣) صحيفة المدينة
- (٤) ملحق الأربعاء ٢١ ذي الحجة ١٤١٩هـ .
- (٥) الملحق الثقافي لصحيفة الراية المغربية

**المجلات :**

- (١) آداب الرافدين .
- (٢) آداب الرافدين ، صادرة عن جامعة الموصل ، بغداد ، العراق .
- (٣) الأدب الإسلامي
- (٤) أهلا وسهلا
- (٥) إسلامية المعرفة
- (٦) البعث الإسلامي
- (٧) البيان
- (٨) التضامن الجزائرية
- (٩) التضامن الجزائرية .
- (١٠) الحرس الوطني
- (١١) حضارة الإسلام
- (١٢) حضارة الإسلام .
- (١٣) حضارة الإسلام .
- (١٤) حضارة الإسلام .
- (١٥) حضارة الإسلام .
- (١٦) الدعوة
- (١٧) سوق عكاظ ، ملف ثقافي صادر عن نادي الطائف الأدبي .
- (١٨) عالم الكتب

- (١٩) فصول  
(٢٠) الفیصل  
(٢١) قوافل  
(٢٢) قوافل .  
(٢٣) مجلة الأمة  
(٢٤) مجلة الجامعة المستنصرية  
(٢٥) المجلة العربية  
(٢٦) مجلة بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى  
(٢٧) مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإمارات  
(٢٨) مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر .  
(٢٩) المسلم المعاصر  
(٣٠) الموارد العراقية  
(٣١) الموارد العراقية .  
(٣٢) الهداية  
(٣٣) هدى الإسلام  
(٣٤) الوعي الإسلامي

## فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع                                      |
|--------|----------------------------------------------|
| أ      | المقدمة                                      |
| ١      | التمهيد                                      |
|        | الباب الأول                                  |
|        | الشخصية : مؤثرات ومعالم                      |
| ٣٠     | الفصل الأول : السيرة .. مصادر ومؤثرات ومعالم |
| ٣١     | في البدء                                     |
| ٣٢     | المبحث الأول : مصادر المعالم                 |
| ٣٢     | أولا : الحياة وحركتها                        |
| ٣٦     | ثانيا : الوثائق والكتابات                    |
| ٣٨     | ثالثا : الحوار واللقاء                       |
| ٣٩     | رابعا : مصادر أخرى                           |
| ٤٥     | المبحث الثاني : المؤثرات                     |
| ٥٤     | أولا : التشكل الاجتماعي وآثاره               |
| ٥٩     | ثانيا : التشكل الثقافي والعشق القديم         |
| ٦٦     | ثالثا : التشكل النفسي والحساسية              |
| ٧١     | رابعا : بناء الأستاذ .. وواقع التأثير        |
| ٨١     | خامسا : الموصل ، وظلال المكان في النفس       |
| ٨٩     | سادسا : الزمن ومواقف الحياة                  |
| ٩٩     | سابعا : الأمة .. آمال ومصير                  |
| ١٠٣    | ثامنا : المرجعية التأصيلية والسياق           |
| ١٠٨    | * وبعد :                                     |
| ١١٠    | الفصل الثاني : معالم الشخصية                 |

| الصفحة | الموضوع                                            |
|--------|----------------------------------------------------|
| ٢٩٥    | الفصل الثاني : المنظور النقدي والأعمال الإبداعية   |
| ٣٠٠    | أولا : في الرواية .. من خلال نموذج مختار من نقده   |
| ٣٠٩    | ثانيا : في المسرحية .. من خلال نموذج مختار من نقده |
| ٣٢٠    | ثالثا : في الشعر .. من خلال نموذج مختار من نقده    |
| ٣٣٨    | رابعا : في القصة .. من خلال نموذج مختار من نقده    |
| ٣٤٧    | خاتمة البحث ونتائجه                                |
| ٣٤٩    | المراجع والمصادر                                   |
| ٣٩٥    | فهرس الموضوعات                                     |